

الدكتور محمد رجب البيومي

النثر الفني في فجر النهضة

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي
عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة

* * *

- ١ -

حين بدأت بشائر النهضة الادبية في مطلع هـذا العصر ، اخذ النثر الفني بنصيبه الاوفر من هذا النهوض اذ ان حاجته الى الاصلاح كانت تهيب بذوي الغيرة الى العجلة والاسراع ، فلغة الكتابة الديوانية كلغة الكتابة الاخوانية ، من التهافت والركاكة والاسفاف في حالة مؤسفة ، اذ ان بعض الكتاب لا يفرق بين المذكر والمؤنث ، ويصف النكرة بالمعرفة ، ويجعل اداة العاقل لغير العاقل ، ويعيد الضمير على غير مذكور ، وقد يذكر المبتدأ دون خبر ، والفاعل دون فعل .

ومن الانصاف ان نذكر ان اول هبـة للنثر الفني المصقول كانت على يد ناصيف اليازجي حيث شرع يقلد اسلوب المقامات في مجمع البحرين جهد طاقته ، ولا ننتظر من مثله غير ما ينتظر من عود ثقاب يوقد في ليل مظلم ، فمع ان ضوءه الضئيل لم ينر الطريق ، فانه جذب الانظار اليه ، فأخذ متأملوه يفرقون بين حديث معاصريه وبينه ، ثم اخرجت المطابع اكلها للناس ، فكان مما قدمتـه في مضمار النثر الفني المسجوع ، مقامات البديع ، ورسائل الخوارزمي وابن العميد الى جوار مقامات الحريري واثار المدرسة الفاضلية .

وكان من حظ الادب لذلك العهد ان يتجه عبد الله فكري الى محاكاة الهمذاني لا الحريـري فينشىء للناس ادبا ذا روح ، ويقوم في باب النثر الادبي بما قام به البارودي في مضمار الشعر ، فكلا الرائدين قد انقذ الادب من الركاكة والعبث بالالفاظ ، وقد كان الفارق بينهما ان البـارودي رجع بالشعر الى العصر العباسي الاول ، اما فكري فلـم يرجع بالنثر الى اعلام هذا العصر من امثال ابن المقفـع وسهل والجاحظ بل رجع به الى كتاب القرن الرابع ممن يلتزمون طريقة ابن العميد ، واذا كان الرجل قد قفـز بالكتابة الديوانية قفزة واثبة فان جهاده في غيرها اتم واوفر فلاول مرة تقرأ لاديب عربي في عصره شعرا منثورا لا تجري فيه المعاني وراء الالفاظ ، بل تلمس خواطر جديدة تتطلب التعبير الحي ، فتحس بصدق الكاتب ، وخفة روحه، حتى يحوز اعجاب استاذه الناقد الكبير الشيخ حسن المرصفي فيقول عنه في كتابه (الوسيلة الادبية) :

« لو تقدم به الزمان لكان له بديعان ، ولم ينفرد بهذا اللقب علامة همذان » والمرصفي يعني ما يقوله فقد رصد ظواهر النثر الفني في عصر البديع ، مقارنا بها اسـلوب تلميذه عبد الله فكري فكاد الشبيه يقترن بالشبيه ، كما رصد ظواهر الشعر العباسي مقارنا بها اسلوب تلميـذه البارودي فكاد الشبيه يقترن بالشبيه ايضا ، والناقـد الادبي يرى ان عبد الله فكري قد حاكى بديع الزمـان الهمذاني في ابرز خصائصه الفنية مع اتفاقه في خصائصه الفنية مثل خفة الروح ، وبراعة اللمح ، وحـدة الذكاء ، وللقارىء ان يقرأ شيئا مما كتبه في رسالة اخويـة الى صديقه الشيخ علي الليثي متحدثا عن طباخ وغلامه من ذوي البشرة السوداء . فقال في براعة :

« اما الطهي فالصعب فيه سهل ، والعقـدة وشيكة الحل ، فعندي طاه عجيب الطهي ، غريب الامر والنهي ، لو تناول لحما ، وحاول ان يطبخه فحما ، لتيسر ، او اعطيته سكرا واقتضيته عسكرا لما تعسر ، او منحته رطبا واقتضيته حطبا لم يتأخر ، او جهزت له لبنا حليـبا ، واوعزت اليه ان يجعله دما صبيبا لفكر وقدر ، فقتـل كيف قدر ، وله صبي وضيء كالقمر ليلة الثلاثين مـن الشهر ، ومطلع الفجر قبل السحر حال غيبـة البدر ، بوجه كصفحة الشمس حين يغشاها تمام الكسوف ، ونور القمر الزاهر اذا انطبق عليه كمام الخسوف ، ويد اخف من نسيم الصبح ! واطول من ظل الرمح ، وعقل اقصر من غنفقة البقة ، وابعد من شقة الرقة ، وذكاء كتوقـد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النار الحاعليها وابل المطر، وفهم اثقب من السهم اذا سقط نصله وانكسر ، ونظافة كأسافل القدر ، حين تلقيها الاثاني عن الحجر ، ورزانة كأنها ابو رياح في صدور الرماح » .

ورسائل الكاتب ذائعة شائعة تفصح عن مكانه الجليل .

ولو لم يقدر للشعر المنثور في زمان عبد الله فكري ان يصلي حربا طاحنة من انصار الترسل والانطلاق لكان فكري زعيم مدرسة ذات تلاميذ كثيرين ، ولكن دعوة الافغاني الى الاصلاح السياسي والاجتماعي والديني دفعته الى أن يبغض هذا الضرب من التعبير الادبي لتلاميذه ، اذ ان صيحات الحرية والاستقلال اعتى واصلب من ان تحصر في سجع وازدواج ! فاخذ تلاميذه يكتبون باسلوبهم المتحرر المنطلق وكان ازدهار الصحافة مما يتطلب الاسراع والعجلة لا التريث الوئيد في تنميق خاطرة وتنسيق شاردة ، فاخذ الكتاب يحوكون مقالاتهم المرسلة في كل مجال فكري غير عابئين بما لقنوه في طفولتهم من اساليب البديع ، بل ان الثورة على الاسلوب المسجوع كانت احدى ضروب الاصلاح لدى بعض المجددين .

فالشدياق بدأ حياته الادبية سجاعا كبيرا ثم اضطر حين ولج باب الصحافة ان يعدل عما الف فاثر الترسل ، واخذ يتهكم بالسجع في عبارات حفيفة مثل قوله من كتاب « الساق على الساق » (ص ٤٧) : « السجع للمؤلف كالرجل من الخشب للماشي ، فينبغي الا اتوكأ عليه في جميع طرق التعبير لئلا تضيق بي مذاهبه ، وكثيرا ما ترى الساجع وقد دارت به القافية عن طريقه الذي سلك فيها حتى تبلغه الى ما لم يكن يرتضيه لو كان غير متقيد بها » .

اما الذي هاجم السجع بضراوة غاضبة فاديب اسحق ، اذ كان شابا ثائرا يتعجل الاصلاح في كل ميدان، وكان شبابه المضطرم يبعد به عن الرفق في النقد اذا ثار، فكما هاجم الاستبداد والظلم بحدة عنيفة ، تحس لذعها المتاجج في الحروف والكلمات ، وكأنها جذوات من صدره القى بها فوق القرطاس كذلك هاجم الاسلوب المسجوع في عنف حاد ! وسنختار هنا أهدأ ما قال فلسنا الان فيحاجة الى الاستشارة ذات الحمية والحفاظ :

« لم يدخل هذا السجع كلام القدماء في الجاهلية وصدر الاسلام الا ما كان منه عفو القريحة ، فواصل غير مقفاة ، او ما يعزي الى الكهان والمشعوذين بما يراد به الابهام والايهام . فلما استولت العجمة على الالسن ، وضعفت قوة الاختراع في الاذهان ، سرى داؤه في الكاتبة الى هذا العهد ، فعدل الكتاب عن الكلام الفحل وانلفظ الساذج والاسلوب الطبيعي الى هذه الاسجاع الملفقة البالية ، يتناقلونها خلفا عن سلف ، ويطيلون بها الكلام بلا طائل سترا لقصورهم في ابتداه المعاني ، وايضاح وقائع الحال من طريقة البلاغة والايجاز حتى صارت من العادات وحصلت بين الملكات ، فدخلت في المراسلات الاخوانية والمكاتبات عن الملوك والامراء في عظائم الامور وسقط من ورائها الكلام المرسل الى غاية السفالة والركاكة فصار ما يكتب منه رطانة يفهمها بعض الجهلاء ، وتعمى على الراسخين في العلم » .

وانصافا لاديب اسحق نعلن ان عفونة غير المطبوعين من محترفي الاسجاع كانت باعث نقمته ، اذ انه لم يحارب السجع على اطلاقه بل حبذ المطبوع السمح ان جاء عن غير قصد ، لان فصحاء المتقدمين كانوا يسجعون عن فطرة ، لا عن تكلف ! وقد كان اديب في مبدأ كتابته ساجعا كفارس الشدياق ومحمد عبده واكثر من عدلوا عن السجع الى الترسل استجابة لحاجة الوقت ودواعيه .

ونحب ان نقول ان مهاجمة السجع كانت تتطلب التحديد اذ ان كتاب الشعر المنثور من ذوي الاسجاع المطبوعة يعرفون جيداً ان اسلوبهم لا يصلح للصحافة اليومية في ابوابها السياسية والاجتماعية ، ولكنه ضرب من ضروب التعبير الفني عن العواطف الذاتية والاحاسيس النفسية وكل ما تتعرض له القصائد الشعرية من وصف وهجاء وغزل وتهكم وعتاب !! وما حمل الحكيم الافغاني حملته على السجع الا حين وجه تلاميذه الى الكتابة الصحفية في شؤون الاصلاح ، وما نخاله يعاف النثر الفني في ميدانه الوجداني وتصويره الوصفي ، بدليل انه اعجب باسلوب محمد المويلحي المسجوع ورأى فيه بشائر النبوغ والكمال ، ورسالته في ذلك مسطورة بالصفحة الاولى من حديث عيسى بن هشام !!

ومثل الذين حاربوا طريقة بديع الزمان مثل قوم راوا ارضا فسيحة شاسعة تظلل بعضها اعواد الزهور والرياحين ، وهم في حاجة الى الاقوات الضرورية من قمح وارز ، فاستأصلوا ما امامهم من الزهور ، وزرعوا الارض الشاسعة بما يزيد عن حاجتهم من القمح والارز دون ان يتركوا زهرة في غصن ، ولو انصفوا لعرفوا ما للازاهير من متعة وجدانية وراحة نفسية فتركوا لها فراغا من الارض يبهج العيون وينعش الناس ..

— ٢ —

وقد كان الاخلاص المتحمس لدى ادباء اليقظة النثرية لفنهم الادبي اقوى من ان تعصف به عوامل التثبيط والخذلان ، فحين طرقت اسماعهم رعود المؤاخذة والملامة من انصار الترسل صموا آذانهم عما يقال، واندفعوا في ابداعهم الفني الى ابعد الغايات ، ولم تفلح محاربة السجع في صدهم عن ميدانهم الحبيب ، ولكنها افلحت لدى الجيل الصاعد ممن وليهم من الكتاب، اذ نشأوا في مهاد الصحافة المترسلة ثم قرأوا ما حبذه فريق الترسل ودعا اليه من مؤلفات متحررة لامثال الجاحظ وابن المقفع وابن خلدون ، فشبوا يؤثرون الحرية والانطلاق .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان مدرسة محمد عبده الادبية التي تأثر بهـــا الكواكبي وقاسم امين وفتحي زغلول وعلي يوسف لم تدع لاشياع النثر الفني ان يجذبوا اليهم من ناشئة الادباء من يسير في طريقهم اشواطا جديدة فلم يطل عهد اليقظة لدى ادباء النثر الفني ، وجاء مؤرخو الادب فلم يخصـــوه بالتحليل والدراسة ، بل عده اكثرهم امتـــدادا لركاكة العصر العثماني ، واجترارا سقيما لالاعيب المحسنات دون ان يفصح عن شعور او يترجم عن احساس .

اما ذوو البصر من مؤرخي الادب فيعلمون ان نسيمـا جديدا من الشعر المنثور هب على وادي النيل ، فأيقظ افئدة ، والهم ارواحا ، وان المدرسة الادبية التي تزعمها عبد الله فكري قد اعادت ديباجة القرن الرابع ، ونهجـت نهج كاتبيه ، فأصبح لدينا من ادبائها المطبوعـين مصطفى نجيب وحفني ناصف والسيد توفيـق البكري وابراهيم اليازجي ومحمد المويلحي واحمد مفتاح ! وان جيلا واحدا يزدهر بهؤلاء الكتاب لجدير ان يلتفت اليه ! وسنعرض من اقوالهم ما يثبت يقظة الشعر المنثور التي تغافل عنـــها الكثيرون ! ليلمس القارىء صـــدق الاحساس وقـــوة العاطفة وبراعة الملاحظة ، وانسجام اللفظ في كثير ممـــا سطر هؤلاء ! واذا كان سرد الامثلة لا يغني عن مراجعـة جميع ما يمكن العثور عليه مما قالوه والحكم عليه في نطاق شامل محيط فان في الاستشهاد ، ببعض الاقوال ما يشير الى معدن الفـــن الادبي لدى كل كاتب من مدرســـة عبد الله !

قال مصطفى نجيـــب من بعض ما وصـف بـــه « الفونوغراف » :

« مثال القوة الناطقة ، من غـــير ارادة سابقـــة ، يقتطف الالفاظ اقتطافا ، ويختطف الصـــوت اختطافا ، مطبعة الاصوات ، ومرآة الكلمات ، اشد من الصـــدى وفعله في اعادة الصوت الى اصله ، كأنه الحرف عن يـد الطابع ، والوتر في يد الضارب ، والقصب عن فم القاصب ، يحفظ الكلام ولا يبيده ، ومتى استعدته منه يعيده ، من غير ان يبقى لفظا في صدره ، او يكتم شيئا من امره ، كأنما حفظ الوديعة ، في نفسه طبيعة ، فلو تقدم به الوجود في مرتبة الزمن لما احتجنا في الاخبار الى عنعنة، ولا في الدعاوى الى بينة ، بل كان يسمعنا كلام المسيح في المهد ، وصوت عازر من اللحد ، وكانت استودعته الفلاسفـة حكمتهم ، وانشدوه كلمتهم فرأينا به غرائب اليونـان ، وبدائـــع الرومان، وربما سمعنا خطب سحبان وشعر سيدنا حسان بذلك اللسان ، فأصبح وجود الانسان غير محدود بزمن من الزمان ، فلله دره من تلميـــذ يستوعب ما عند المعـــلم ويستخلصه في لحظة معيدا لقوله ناقلا صوته ولفظه :

لقد وجدت مكان القول ذا سعة فان وجـدت لسانـا قائـلا فقل

وقال حفني ناصف من رسالة يشكر فيها صديقـه علي الليثي على هدية من العنب :

« لقد قابلناه لثما بالافواه ، ورشـــفا بالشفـاه ، واحتفينا بقدومه كل الاحتفاء ، ولم نفرط في حبة عنـد اللقاء ، بل حللنا له الحبى ، وقلنا له اهلا وسهلا ومرحبا، واوسعناه عضا ولثما ، وتناولناه تجميشا وضما ، وجفظنا في صدرنا سره المكنون ، وطوينـــاه في غضون البطـون ، فطربت من تعاطيه الارواح ، ولا غرو فهو اصل الراح ، وانتشينا ولم نحمل وزرا وثملنا ولم نذق طعما مرا ، فهو كبيان مهديه سحر ولكنه حلال ، ولعب الا انه كمال ، وكان الاحرى بهذا العنب ان يناط بالنحور ، او تزيـن به الصدور ، فما هو الا اللؤلؤ لكن سلم من سجن البحـار ، وما هو الا الدر لكن ليس فيه صغار .

ومـن كنـت بحـرا له يا علي لا يلقـــط الـدر الا كبـــارا

وما ضره ان ضمه القفص ، حصة من الحصص ، فان كريم الطير يودع في الاقفاص ، والقلب ليس له مـن حنايا الضلوع خلاص ، فلا بدع ان تستقل في حباتـــه حبات القلوب، ويستملح في جنب حلاوته رضاب المحبوب»

وقال السيد محمد توفيق البكري يصف جامع ايـا صوفيا :

« وفي القسطنطينية اليوم محال ، تشد اليها الرحال وتضرب بها الامثال، فمن ذلك اياصوفيه وما ادراك ما هيه مسجد كأنه هيكل لجبل ، قد طرح تربه ورضامه ، وركبت احجاره وعظامه قبة جوفاء ، كأنها قبة السمـــاء ، فان أوقدت رايت بها الكواكب غير سائرة ، والافلاك غير دائرة ، ودعائم ، كل دعامة ، كالحق استقامة ، وارض من مرمر الاق ، وحجر براق ، يصف ما يحيط به من الاشياء ، فكأنه وجه مرآة وضاء ، وكأنما تلتمع السيوف في تلك السقوف ويكاد يرى القمر ، في ماء ذلك الحجر ، الى محاريب وحنايا ، وخبايا وزوايا ، كأنها مما صنع الجن لسليمان بالصفاح والصوان ، فان دخلته في العشاء الاخرة ابصرت الشموع صنوانا وغير صنوان ، كأنها رماح وفي كل رمـح سنان ، وكأن اقباسها نضنضة الحيـــات ، او اشـارة السبابة في التحيات ، ورايت الناس بين ركع وسجـد ، وايقاظ وهجد ، شيب ما زالوا يغسلون بالوضوء السواد، حتى محي محو المداد ، وشباب قيـام للصـلاة كسطر في كتاب ، والكل يجأرون بدعوة الاسلام ، تحت استـار الظلام » .

وكتب الشيخ ابراهيم اليازجي الى احد اصدقائـه يعزيه من رسالة :

« ومن علم ان القضاء واقع ، وان الاعمار رهائـن المصارع فلم يصحب دهره على غرة ، ولم يفتر من الاقدار بفترة ، لم تكبر عليه الرزيئة اذا اغتالت ، ولم يطمئن الى السلامة وان طالت ، فان للدهر رقدة وهبة ، وان لليالي كمنة ووثبة ، ومثلك من ادرك مبادىء الامور ومصائرها ، وعرف موارد الحياة ومصادرها، وانما الموت طور من اطوار الوجود ، وآخر اعمال الحياة في الموجود ، ولا ازيدك علما

تحررت من نداء التراب

ما عتابي ، وانت فوق العتاب ... غير نجوى تريحني من عذابي
ليت يدري فؤادك السمح شجوي ... منذ ابحرت في شراع السحاب
ليت ما بي ، على التنائي ، خفي ... ليت تدرين ، يا منى الروح ، ما بي
كان يوم ، هجرت فيه الصحارى ... مستطارا الى احب الرحاب ،
غير اني ، وقد حسبت التلاقي ... سرمديا ـ عرفت طعم السراب
غبت عني ، وكنت في البال لحنا ... وقعته منغمات الرغاب
كانت الشمس من رعاياي ، حتى ... بت شمسا تهيم عبر الضباب
فاذا الضوء هارب من دروبي ... واذا الشعر هانىء باغترابي
كنت ضيعت في المتاهات خطوي ... كنت اخطات في النجاوى حسابي
غير اني قرات بالهدب نجوى ... اسلمتني لشاطىء الاهداب
الهناءات لم الملم شذاها ... فلما جئت بالفتون العذاب ؟!
انت حررت من خطاياي نفسي ... فتحررت من نداء التراب
هزني الحزن في جفون عذارى ... لم تدنس بمغريات الشباب
فاختصرنا زماننا في عناق ... وانسكاب يطيب بعد انسكاب
يا شبابي ، وبهجتي ، وهنائي ... طال سهدي، في وحدتي، وارتقابي
هل تعودين ؟ ام ترانا سنطوي ... ما تلوناه من سطور الكتاب

فوزي عطوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بالكون وشرائعه ، والكائن وطبائعه ، انما هي ذكرى لمن فجأه الرزء فشغله ، وحل بساحته القضاء فأذهله ، وحسبي من التعزية علمي بما عندك من موارد العلم المباح، ومن التاسية ما تعلمه من حال مخاطبك وهو سائل الجراح ، وما اخلقني ان أقول : ان رزءك هذا قد زاد في شجنا على اشجاني ، ونكأ ما تمائل من قرحة احزاني ، ولكني قد سيرني الدهر الى حال ، لا تمل فيها بحال ولا ابالي معها بسلم او قتال ، فكأنما اياي عنى ابو الطيب حيث قال :

رماني الدهر بالارزاء حتى ... فؤادي في غشاء من نبال
فصرت اذا أصابتني سهام ... تكسرت النصال على النصال

وقال محمد المويلحي من وصف مطيل لحديقة ناضرة :

« وما تخيلنا في هذا الروض منذ رايناه الا اننا في حفلة عرس ، جمعت اسباب اللهو واطراف الانس ، قد نصب الدجن عليها سرادقه ، ومد ملتف النبات فيها نمارقه ، واشرقت في الاغصان الانوار ، اشراق المصابيح بالانوار ، وقامت الاطيار على الاعواد تتسابق في الترنم والانشاد، فهي تغرد بالحان يقطع السامع لها حبل النفس، ويأتي اليها مستنفر الوحش المفترس :

رات زهرا غضا فهاجت بمزهر ... مثانيه احشاء لطف واوصال

وللنسيم بين الشجر نغمات بالهفيف والحفيف ، من ثقيل في الضرب او خفيف ، تصفق لها اكف الاوراق ، وتقوم الافنان للرقص على ساق ، مترنحة الاعطاف من

خمر الندى ، مهتزة القدود بغمز الصبا ، تبسم عن اقاح نضيد ، يزري بثنايا الغيد ، ثم تميل برشيق القوام ، فتلتقط ما ينقطها به الغمام ، والجدول يجري تحت اذيالها ويتعثر وينساب الماء في ظلالها ويتكسر ، كأن حصباءه اللؤلؤ والمرجان ، في نحور الحسان او قلائد العقيان في اجياد القيان :

تروع حصاه حالية العذارى ... فتلمس جانب العقد النظيم

هذه شذور مختلفة من النثر الفني في عهد اليقظة الادبية ، وهي غرس طيب كان من المنتظر ان يؤتى اكله حتى تنعم بنمط من النثر المجود ، اتاحته مدرسة عبد الله فكري للقراء لولا ترادف الحملات على السجع ! تلك التي عصفت بالمطبوع والمصنوع معا !

المنصورة ـ مصر — **محمد رجب البيومي**



الدكتور احمد الحفناوي

المنوفيّة في عصرها الإسلامي

بقلم الدكتور احمد الحفناوي

مدرس التاريخ الاسلامي في جامعة المنوفية

* * *

تكونت المنوفية في العصر الفاطمي نسبة الى مدينة منوف التي كانت قاعدة لها وفي سنة ٧١٥ هـ سميت الاعمال المنوفية وفي العصر العثماني اطلق عليها ولاية المنوفية وفي سنة ١٨٣٣ م سميت مديرية المنوفية واصبحت قاعدتها شبين الكوم بعد ان كانت منوف (١) وفي سنة ١٩٦٠ م اصبحت تعرف باسم محافظة المنوفية .

وكلمة المنوفية مكونة من كلمتي : (من نفر) باللغة المصرية القديمة وتعني الارض الطيبة وتطورت الى (من نوفي) في اللغة القبطية وبنفس المعنى ثم تغيرت بعد ذلك الى منوف باللغة العربية ومنها جاءت كلمة المنوفية .

وتقع محافظة المنوفية عند رأس دلتا النيل فرع دمياط في الشرق وفرع رشيد في الجنوب والغرب وتبعد عن البحر المتوسط في الشمال ١٥٠ كيلومترا وكذا سميت روضة البحرين ويحدها من الشرق محافظة القيلوبية والدقهلية ومن الجنوب محافظة الجيزة ومن الغرب محافظة البحيرة ومن الشمال محافظة الغربية وتبعد عن القاهرة حوالي ٢٢ كيلومترا من الطرف الجنوبي عند القناطر الخيرية وكان لهذا الموقع اثره في سهولة الاتصال بينها وبين سائر محافظات الوجه البحري والقاهرة .

والمنوفية اقليم منبسط ينحدر شمالا نحو البحر المتوسط ارتفاع سطحها ١٢ مترا عن سطح البحر وتربة المنوفية خصبة يبلغ عمقها ١٥ مترا في المتوسط تكونت من رواسب غرينية اتى بها نهر النيل من منابعه منذ ما يزيد على عشرة آلاف سنة والقى بها عاما بعد عام حتى تكونت ، وتتنوع هذه التربة فمنها الطينية السوداء والتربة الصفراء ، كذلك يوجد في جنوب وشرق مدينة قويسنا واحة رملية كبيرة وسط الاراضي الزراعية .

هذا ومن اهم المدن التاريخية في المنوفية :

شبين الكوم

وهي من القرى المصرية القديمة واسمها الاصلى شبين السرى ، وردت في قوانين ابن مماتي : شبين السرى من اعمال المنوفية (٢) وفي تاريخ سنة ١٨١٣ م وردت شبين الكوم وفي سنة ١٨٢٦ اصبحت عاصمة المديرية ثم عاصمة للمحافظة سنة ١٩٦٠ وكلمة كوم باللغة اليونانية القديمة تعني قرية وكلمة شبين محرفة من كلمة السنبتي التي كانت اسما لاحد الفروع القديمة في الدلتا وجاء في الخطط التوفيقية عن هذه المدينة : ان الجغرافيين اتفقوا على ان هذه المدينة هي محل قرية قديمة اسماها هيرودوت (آتربيش) وانها في جزيرة اسمها (بروزيتيس) (٣) ويعارض محمد رمزي هذا الراي ويقول : ان ما جاء في الخطط التوفيقية خاصا بشبين غير صحيح لان جزيرة بروزيتيس هي التي تسمى جزيرة نصر وان شبين الكوم لم تكن من قرى تلك الجزيرة (٤) .

هذا واسماها الرومان افروديتوبوليس وتعني مدينة الزهراء .

منوف

مدينة قديمة ذكر ان اسمها القبطي منوف العليا وقال ابن حوقل :

ان منوف مدينة كبيرة بها حمامات واسواق واهلها اهل تنايه (اي فلاحة وزراعة) ويسار وفيهم من وجوه الناس ولها اقليم عظيم .

وعليها عامل وقاض (٥) اما قوانين ابن مماتي فقد ورد فيها : ان منوف من اعمال المنوفية . وفي معجم البلدان : منوف من قرى مصر القديمة بأسفل الارض من بطن الريف يقال لكورتها المنوفية ، وذكرها القلقشندي فقال : عمل المنوفية اوله من الجنوب القرية المعروفة بشطانوف على اول الفرقة الغربية من النيل ومقر ولايته مدينة كانت قد خربت وبقيت آثارها كيماثا وولايتها من

مدينة كانت قد خربت وبقيت آثارها كيمانا وولايتها من انفس الولايات وقد اضيف اليها عمل ابيار وهي جزيرة بني نصر ثم اضاف : ومنوف مدينة حسنة ذات اسواق ومساجد ومسجد جليل للخطبة وحمام وخانات (٦) وفي القاموس الجغرافي انها: في تاريخ سنة ١٨١٣م باسم منوف العلا لانها تقع بالقرب من راس الدلتا في مكان اعلى مما تقع فيه منوف السفلى التي تعرف اليوم باسم محلةمنوف مركز طنطا وكانت منوف قاعدة الاقليم من الفتح العربي حتى سنة ١٨٢٦ م (٧) وكانت تشتهر بحركتها التجارية وصناعة الغرابيل والسجاد والدخان .

الشهداء

وترجع تسميتها الى العصر الاسلامي حين استشهد عدد من القادة والجنود العرب عند فتح المسلمين لمصر وتخليصها من حكم الرومان وكان على راس المجاهدين سيدي محمد شيل بن الفضل بن العباس عم الرسول عليه السلام وحول ضريحه بهذه المدينة مقابر لمن استشهد معه .

جاء في معجم البلدان : « مقابر الشهداء موضع بارض وقعت فيه حروب بينمروان بنالحكم وجنوده وبين الزبيرية من اهل مصر سنة ٦٥ وقتل من الفريقين عدد عظيم فدفن المصريون قتلاهم في هذا الموضع واسموه مقابر الشهداء .

واذا تتبعنا الاحداث التاريخية وجدنا ان مصر كانت في القرن الاول الهجري تحت حكم الدولة الاموية ولما مات الخليفة يزيد بن معاوية بن ابي سفيان دعا عبد الله بن الزبير لنفسه بالخلافة فصار انصاره بمصر واظهروا دعوته وسار اليه جماعة منهم فارسل الى مصر عبد الرحمن بن عتبة بن حجدم واليا عليها فوصلها في شعبان سنة ٦٤هـ في جمع كبير من انصار عبد الله بن الزبير الذين يسمونهم الخوارج ولما بويع مروان بن الحكم الاموي بالخلافة جهز جيشا امر عليه ابنه عبد العزيز بن مروان وارسله الى مصر فاجمع ابن حجدم على حربه ومنعه من دخول مصر ثم جاء الخليفة بنفسه الى مصر وحارب حجدم في عدة مواضع كان من بينها موضع بالمنوفية سنة ٦٥ هـ ، قتل فيه من الفريقين عدد عظيم وانتهت المعركة بانتصار مروان ابن الحكم ودخوله الفسطاط سنة ٦٥ هـ وبعد انتهاء المعركة دفن انصار ابن الزبير قتلاهم في ذلك الموضع بقرية سرسنا فاشتهر بين اهلها باسم مقابر الشهداء وكان يوجد بجوار تلك المقابر كفر صغير عرف من ذلك الوقت باسم الشهداء وكان من توابع سرسنا ثم اخذ هذا الكفر يتسع بزيادة مبانيه وعدد سكانه الى ان اصبح قرية ورد ذكرها في تاريخ سنة ١٨١٣ م باسم سرسنا والشهداء ثم فصلت الشهداء عن سرسنا واصبحت ناحية قائمة بذاتها .

اشمون

وهي قرية قديمة اسمها القبطي Gemouni ثم حرف الى اشمون وردت في نزهة المشتاق باسم : اشمن جريس وبين الدينار والجريس وهي مدينة صغيرة في الغرب كثيرة العمارات فالبساتين والجنات (٨) .

وذكرها ياقوت باسم اشموم قال : هي اشموم الجريات بالمنوفية بمصر (٩) . وفي تاريخ ١٨١٣ وردت باسم اشمون جريس لمجاورتها لناحية جريس تمييزا لها عن اشمون الرمان التي بمركز دكرنس محافظة الدقهلية :

دروة

من القرى القديمة ، وردت في نزهة المشتاق انها بين ناحيتي الاخصاص وشطانوف وتتبع الان مركز اشمون بمحافظة المنوفية ، وجاء في قوانين الدواوين : ان دروة من اعمال الجيزية لانها كانت واقعة في جزيرة يفصل النيل بينها وبين اقليم المنوفية وفي القرن السادس عشر اتصلت تلك الجزيرة بارض المنوفية فاصبحت دروة من نواحيها ، وبذلك انتقل راس الدلتا من شطانوف التي كان النيل يتفرع عندها الى الجهة التي ينتهي عندها ارض القرية دروة وعندما اراد محمد علي الاستفادة من الاراضي الزراعية الموجودة بالدلتا فكر في ان يوفر لها مياه الفيضان التي تذهب سدى في البحر المتوسط وذلك بتخزين هذه المياه وضبطها وراء سد او قناطر ومن ثم وقع اختياره على راس الدلتا عند قرية دروة لاقامة هذه القناطر التي عرفت باسم :

القناطر الخيرية

وقد انشئت هذه القناطر سنة ١٨٤٧ م ، وتتكون من (٦٢) عقد او فتحة على فرع رشيد و(٧٢) فتحة على فرع دمياط وعلى كل قنطرة (هاويس) وعرض الفتحات خمسة امتار ، واستمر العمل في القناطر في عهد محمد علي ببطء شديد بسبب اختلال الجهاز الحكومي في آخر ايامه ثم توقف العمل في عهد عباس الاول وفي عهد سعيد تم بناء القناطر وانشىء رياح المنوفية كذلك ويجدر بنا ان نشير هنا الى انه قد وضعت ثلاثة مشروعات لبناء القناطر :

مشروع لبيان ومشروع موجيل ـ وهو الذي نفذ ـ اما المشروع الثالث فهو مشروع كوردينه ، وعلى الرغم من ان مشروع موجيل قدر تنفيذه ستة ملايين فرنك الا ان نفقات اقامة القناطر بلغت ٤٧ مليون فرنك عدا اعمال السخرة التي لم تدخل في حساب النفقات وقد اخذ على مشروع موجيل مآخذ كثيرة اهمها ان دعائم القناطر اقيمت على (فرشة) ضعيفة ، ومن ثم فقد كانت القناطر في حاجة مستمرة للصيانة والاصلاح حتى تتمكن من القيام بوظيفتها (١٠) .

كذلك ادى اقامة سد اسوان وتعليته وانشاء خزان جبل الاولياء وزيادة مناسيب المياه امام القناطر الى ازدياد الخطورة مما حمل المسؤولين الى سرعة البت في مسألة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شكوى

بمنيا الناس قد فاضت شجوني ... وصرت من الجنون على يقين
لبثت بكيدهم خمسين عاما ... كاني في حماهم .. من قرون
يمر اليوم اثر اليوم فظا ... بطيء الخطو كالرزء المهين
ولا ينجي من الاحقاد الا ... ممات مستطاب يصطفيني
بذلت لاجلهم شعري وشدوي ... فما اشجاهمو الا .. انيني
وشدت لسعدهم حصنا حصينا ... يمجدهم .. فجازوني .. بهون

* * *

وكم من صاحب اصفيت ودي ... بظهر نادر طول السنين
وصرت اظنه خلا حميما ... يصادقني ولا يحيا بدوني
فصار اضر من غالي حميم ... واسفر عن طويات الخؤون
فيا ربي اجرني من زماني ... وهب لي ان ابارح في سكون
لاحيا في حماك بغير سوء ... بمناى عن رجيم او لعين

مصر الجديدة — نعمت عامر

القناطر فتكونت لجنة سنة ١٩٣٣ م لبحث الموضوع وقد اشارت اللجنة الى ضرورة بناء قناطر جديدة تحل محل القديمة وقد تم بناؤها وافتتحت سنة ١٩٤٠ م .

هذا وقد انجبت محافظة المنوفية كثيرا من العلماء والاعلام في الطب والسياسة والاجتماع والقانون تذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر : الشيخ محمد موسى البجرمي الذي ولد في بلدة بجرم احدى قرى مركز قويسنا ونشأ نشأة دينية فحفظ القرآن ثم التحق بالازهر وتخرج فيه وانكب على البحث والاطلاع في العلوم الدينية واللغوية حتى عين عضوا بهيئة كبار العلماء وشيخا للمذهب الشافعي وتوفي سنة ١٣٢٩ هـ ومن علمائها الفقهاء كذلك الشيخ محمد الخضري الذي تولى القضاء في السودان كما تولى تدريس التاريخ الاسلامي في الجامعة المصرية وتوفي سنة ١٩٢٧ م.

ومن ابناء المنوفية المناضلين البررة عبد العزيز حجازي عمر الذي لقبه ناظر المدرسة الخديوية بلقب فهمي لذكائه وفطنته فعرف بعبد العزيز فهمي وقد ولد بقرية كفر المصيلحة سنة ١٨٨٢ م وهي القرية التي ولد فيها ايضا الرئيس حسني مبارك رئيس مصر حاليا وتخرج ـ اي عبد العزيز فهمي ـ في كلية الحقوق وعين بوظائف الحكومة ولكنه استقال وآثر المحاماة فاستطاع ان يؤدي واجبه نحو وطنه بالاشتراك مع الوفد المصري في المطالبة بحقوق البلاد كما اشترك في وضع الدستور الاول للدولة ومن اقواله المأثورة : منيت البلاد باستعمارين : الاستعمار الانجليزي واستعمار اسرة محمد علي وقد ثبت ان الاستعمار الاخير اشد خطرا على البلاد من الاستعمار الاول كذلك من ابناء المنوفية البارزين الرئيس الراحل محمد انور السادات رئيس جمهورية مصر العربية السابق .

لقد كان للمنوفية دورها البارز في الكفاح الوطني :

ـ قاومت الحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٨ـ١٨٠١ وتمثل ذلك في المقاومة الباسلة التي قام بها اهالي قرى تقا وعمزين مركز منوف وعشما مركز الشهداء .

ـ قاومت الاستعمار الانجليزي ١٨٨٢ ـ ١٩٥٦ م وتمثل ذلك في المقاومة الباسلة لاهالي قرية ونشواي سنة ١٩٠٦ م .

وخلاصة القول ان محافظة المنوفية قدمت لمصر وللفكر الانساني كله مجموعة من العلماء والمفكرين والسياسيين في شتى مجالات المعرفة النظرية والعملية والسياسية ولا زالت تثري الحياة باعلامها ومثقفيها وقادتها .

١ ـ محمد رمزي : القاموس الجغرافي ج ٢ ص ٢٢٢ .
٢ ـ ابن مماتي : قوانين التوفيقية ج ١٦ ص ٤٧ .
٣ ـ علي مبارك : الخطط التوفيقية ج ١٦ ص ٤٧ .
٤ ـ محمد رمزي : نفس المرجع ص ١٨٢ .
٥ ـ ابن حوقل : المسالك والممالك ص ٢٣٧ .
٦ ـ القلقشندي : صبح الاعشى ج ٩ ص ١٢٧ .
٧ ـ محمد رمزي : نفس المرجع ص ٢٧٨ .
٨ ـ الادريسي ص ٢٧٩ .
٩ ـ معجم البلدان ج ١ ص ٢٦٠ .
١٠ ـ د. سعاد طاهر : محافظات الجمهورية ص ٨٨ .

شبين الكوم ـ مصر — احمد البهي الحفناوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



وحيد الدين بهاء الدين

فيليب لطف الله في ديوانه الأخير

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

* * *

اتاحت الايام للاستاذ فيليب لطف الله ، الشاعر المهجري المعروف ، ورئيس جامعة « القلم » بسان باولو ، ان يصدر باكورته « نسمات الجبل » في مطالع الستينات ، كان لها بلا ريب وقع طيب في نفوس عارفي فضله ، وقادري ادبه .. حتى اذا تطاولت الاعوام تباعا مدركة منتصف السبعينات ، قيض له ان يردف باكورته تلك ، بديوان ثان حمل من الاسماء الطفها : هو « حصاد الايام » .

وقبل ان ينقضي هذا العقد الذي نحن فيه من القرن العشرين ، يظهر لشاعرنا ديوانه الجديد «اناشيد الغروب» ينتصب بشموخ الى جانب شقيقيه .. ليحتل منزلته الخليقة به في الخزانة العربية المعاصرة ..

بهذا كله ، تتكامل شاعرية فيليب لطف الله بملامحها ومشخصاتها ، وتتساوق قيمه التعبيرية والشعورية التي عمل من اجلها سنين طوالا وتتراءى معانيه الشعرية الفنية، من ذاتية الى اجتماعية .. من قومية الى انسانية . من عقلية الى وجدانية ، بصورة اعمق وامثل .

نظرة مستانية في « اناشيد الغروب » : هذا الديوان الذي بين يدي ، ترينا ان فيليب لطف الله ، كفنان قد تطور وتجدد بالقياس الى ديوانيه اللذين المعت اليهما في استهلالي .. وهل مبعثه الا تتبعاته الثقافية ، واستيعابه للتيارات المعاصرة ، وتفاعله مع الاحداث حتى درجة الارتقاء الى مستواها ..

لكنه كانسان لم يبرح ثابتا على موقفه الايجابي من الحياة . من الوجود . من الاخرين . من القيم . وما الى ذلك . لعل مرده الى تعاظم جرأته وتضخم رصيده الفكري والنفسي ، ثم وعيه لما يحتدم قدامه ، ويجري حياله ، من شتى الشؤون والشجون ..

فالديوان عموما ، مستوحى من طبيعة الاشياء .. من واقع الدنيا .. من نزعات الانسان وهمومه وتطلعاته التي لا نهاية لها .. من المجتمع المهجري البرازيلي الذي يعيش في اتونه الشاعر والمغتربون العرب ، وسواهم من الناس واخلاطهم .. والذي تسيره قوى المادة اكثر من قوى الروح ، بفعل شديد من حضارة العصر ..

* * *

حين تطل عبر الديوان على قصائد فيليب لطف الله في الهيام والالهام . في اللوعة والحرقة . في الشوق والحنين . في الذكرى والسلوى ، فانك لتحس بنبضات الوجدان وهي تتسارع ، بشرارات الخاطر وهي تتعالى .. برعشات الاعماق وهي تنتفض ، حتى لتصل الذروة من عنفها وصخبها ، كما لو كان الشاعر ما يفتأ في مقتبل عمره الغض ، وبداية مجابهته مشقات الحياة الشائكة ..

هناك حرارة في التعبير الفني واخلاص في الصور الشعرية .. وهناك تواؤم بين التجربة والصياغة .. وترسل فكري عفوي من غير تلكؤ وافتعال ، احسب انه متات من الانبهار بعناصر الاغراء والاغواء .. والاستجابة لمشاهد الجمال والجلال .. ثم الانشداد السحري الى رحاب الحب .. هذا الحب الذي لولاه لضقنا بالحياة : ما فيها ومن فيها ذرعا ، ومقتنا اي شيء طوعا واختيارا ، ولما كان لبقائنا معنى ومذاق .. تلك هي العلة الازلية المتصلة اتصالا عضويا بالمعلول ..

هذا كله وغيره لمن الدلالة على ان الحب في الوجود شيء مطلق لا نسبي .. لان مفعوله يسري على الكبير كما يسري على الصغير .. فيداهم الامير والحقير سواء بسواء، ويزهو بالقريب والبعيد، ويزيل الاسوار ويختصر المسافات وبالتالي لا يعترف بالمكان قيدا ، وبالزمان فاصلا ، لسبب او لغيره :

امسي واصبح والجمال ازائي ... ينهل في الاصباح والامساء
بمليحة من نور فجر جبينها ... سطعت خيوط جدائل الشقراء
فكانها والحسن ملء اهابها ... حورية هبطت من العلياء
تختال في برد المحبة والهوى ... تغري محاسنها عيون الراني
ريانة بجمالها ، جذابة ... ويح المشوق من القريب النائي
امسي اسير حبيبة غرارة ... وضعته بين الشك والاطراء
ولهان تشغله الفاتن جمة ... فيتيه بين الدل والاغراء
ما حيلتي في غادة جبارة ... سحرية الحركات والاهواء
فتانة بذهابها وايابها ... تدميك نبل الاعين الزرقاء
لن ادخرت الحسن يا امنيتي ... ولن تركت طهارة العذراء

لكن حب الشاعر في اناشيده الوان .. في هذا تفتحه على الدنيا .. وتشوقه نحو المجهول اية متعة رائعة للحب ان لم يكن الوانا واشكالا ؟ انما دينه هو حب الله والوطن والحياة والطبيعة والمراة .. وديدنه حب الخير والايثار .. وشعاره حب الحقيقة والمساعدة حتى لاستحال عنده هذا الحب السرمدي ، لاستغراقه في الواقع ، خيالا ومثالا ، يهتف له ، يتسامى اليه .. يحرص عليه بداع من عملية الابداع والتوليد :

حلما اراك بيقظتي ومنامي ... يا برعم الحب الندي النامي
مهما بعدت الى الفؤاد قريبة ... في كل ثانية اراك امامي
رسما ترافقه البشاشة والرضى ... ونجية ذهبية الاحلام
رؤيا يجللها الجمال مجسما ... فيها رايت مضلتي وسلامي
مرت فخلت البرق في خطواتها ... برشاقة حجلية الاقدام

ثم يسترسل قائلا :

يا غادة نور الصباح جبينها ... وجمالها فجر الحياة الدامي
في لحظها شرد الفاتن والهوى ... والعين زرقتها محط غرامي
قد غصت في امواجها متفائلا ... فغرقت في بحر الجمال الطامي
وبعدت عن شط الحياة لاجلها ... ليكون في بحر الغرام حمامي
سبحان من اعطى الكمال لغادة ... واختصني بالرسم والالهام
فرسمت ما اوحى الجمال لشاعر ... والفن منقاد الى الرسام

ما سلف يعني اكثر ما يعني ان للمراة نصيبا اكبر في حب الشاعر .. المراة ذات الثغر المتدفق شهدا وعسلا. ذات النظرة النافذة ، النافثة املا وفتنة .. ذات الوجه الزخار رواء وملاحة .. ذات الجمال الذهبي الذي « اعطته الشمس شعاعها وكساه الربيع ببرده المخضل » كما يريد فيليب لطف الله :

شقراء يا ذهب الحبيب وشهده ... وربيع نيسان وناضر ورده
الشمس قد وهبتك وهج شعاعها ... وكساك مخضل الربيع ببرده
البحر في عينيك موج صاخب ... وهواك منبسط العطاء كمده
ابحرت في امواجه في زورق ... اطوى بحار محبتي في مهده
حتى بلغت من الحبيب رضاءه ... والقلب خفاق كخفقة بنده
الروض زاه من نضارة ثغره ... والورد بعض من تورد خده

ويغرق الشاعر عبر اشعاره وافكاره في ايمانه بالحب .. واسترساله في تمداد ردود افعاله ، وتاكيده على الانغمار في لججه ، حتى الذهاب في ذلك كله ، مذهب من يروم الفناء في سبيله .. انه لحب صوفي :

الحب ان يصفو ليسعد عاشقا ... والذل في عسف الحبيب وصده
والموت يحلو في محبة هائم ... والمجد في شرع الهوى في لحده
من ذاق شهد الثغر في محبوبه ... لا شيء يغري طعمه من بعده

اذا كانت ثمة شقراء ملكت على الشاعر لبه وفؤاده فان ثمة سمراء ايضا .. وان شئت المزيد فثمة زرقاء العيون ، وربما خضراؤها كذلك . اما قلت : ان حب فيليب لطف الله الوان .. كل واحدة منهن توحي اليه بقصيد رائق . حلوة عباراته . رضية موسيقاه . عميقة معانيه .

سمراء يا بغية العشاق والامل ... السحر يمرح بين الثغر والمقل
الوجه كالصبح ريان ومنبلج ... والريق نكهته احلى من العسل
القد كالقصب الزاهي تمايله ... والشعر منهدل الانوار كالشعل
بحر من الحب مهتاج ومرتفع ... وقاك ربي من الانواء والزلل
العين ترسل من انسانها غزلا ... الى القلوب فتدعوها الى الغزل

ويقول ايضا :

سمراء حسنك فرد لا مثيل له ... قد صار بندا تخطى مضرب المثل
انت الحياة وانت الشعر اجمله ... وانت ملهمتي للشعر والغزل
العمر يمضي وحبي دائم ابدا ... وهو الرفيق الذي يبقى الى الاجل

وله في قصيدة اخرى :

هيناك زرقاوان لونهما ... بحران موج الحب بحرهما
كم مبحر قد ضل في لجج ... لم يستقر لباته بهما
ولكم تخطى القفز مندفعا ... كي يبلغ المكنون طيهما
لفزان في دنيا الهوى بقيا ... ما زال عجزا حل لغزهما

هكذا الشاعر في ديوانه هائم في دروب الحب .. ظامىء شوقه . مشبوب وجدانه . مشحوذ خياله، متداع فكره ، يمثل امام هياكل الجمال آنا فآنا ، لا ينشد غيره ، ولا يرتوي منه ، كفراشة حائرة ابدا ، وحائمة حول الاشجار والازهار بلا قرار .. لا يغريها الا لذة التواصل الروحي وامتصاص الرحيق تارة ، ولا يدعوها الاالانجذاب الصوفي التلقائي تارة اخرى ..

وما حيلتي والحب برح مهجتي ... بغاتنة قد شوقت كل ناظر
فاصبحت لا ادري الى اين انتهي ... ولست على صد الحبيب بقادر
كاني مع الايام اجتاح لجة ... سافطعها والشوق عون المسافر
يشق عباب الماء زورق عاشق ... وتطوي بحار الحب احلام عابر
تنير سبيلي من ضياء جبينها ... وتدفئني من وصلها بالمجامر
ولاحت لنا شمس النهار بنورها ... فكان تقانا نجمة للخواطر
فما العيش الاالحب والحسن والوفا ... وما الحب الا للعيون الفواتر

على اية حال ، اكاد اجزم ان اكثر قصائد فيليب لطف الله ، في الحب والمجد ، والجمال والطبيعة ، ذات مستوى حسن شكلا ومضمونا ، فما ان اتلو قصيدة جميلة ، حتى يباغتني غيرها اجمل منها ؟! حسبي ما تطرقت تحليلا وتعليلا الى بعض منها ، وحسبي الماعا الى بعض اخر كـ « فجر الحب » و « شمس الحب » و « البرتغالية الحسناء » و « حب الام » هذه التي ابدع بها الشاعر ايما ابداع ، فيسوق :

سبحان من ابدع الاكوان اعطاك ... برد الجمال وكنز الحب اولاك
يا نعمة الله بـ لريا خير والدة ... فاضت عطاياه ما جادت عطاياك
يا ام اعطيتنا للحب مدرسة ... ان السعادة ومض من محياك

يا ام انت جمال الكون اجمعه وانت محوره بل قلبه الشاكي
المر يحلو اذا ما الحب مازجه وانت كالشهد ما اشهى واحلاك
ان كان للناس اعمال تخلدهم ففي النعيم بدار الخلد مثواك
تفنى العظائم والدنيا فمبدعها يا منبع الخير للانام ابقاك

★ ★ ★

احسب ان من يوغل في قراءة معظم قصائد الديوان، لا بد ان يرى ـ كما رايت ـ ان فيليب لطف الله ، بمهماز من تربيته الفطرية هذه التي اعتمدت البساطة والتفاؤل والاقبال على الدنيا ، ثم بمهماز من نزعته الحضارية التي تبلورت فيه كنتيجة طبيعية ، لمعاناته ومزاولاته في المحيط البرازيلي المتعقد المتجدد ، قدر له ان يزاوج بين نسبه كشخصية مالية اقتصادية ، وادبه كشاعر فنان ، ويوفق بينهما توفيقا شريفا مثمرا .. في اطار من الايجابية :

وما اسعد المال الكثير مكدسا وليس الفتى بالرزق والمال والتبر
وان الفتى بالعلم والخلق والحجى وفعل كريم يرتدي حلل الطهر

الا ان الثروة الوفيرة التي تهيأت له عبر اكثر من نصف قرن ، باعماله الانتاجية وجهوده الموصولة ، لم تستطع أن تصده عن سبيل الادب ولذته القصوى المستدامة او تثقل فيه روح الانطلاق على اجنحة الشعر والفكر ، والتحليق في آفاق الحياة النابضة بالاشواق والاهواء ..

فكان غنائي في الحياة قصائدي ولاحت على الافاق الوية النصر
خلقت مع الاوتار واللحن والهوى فلا عجب ان سرت في موكب الشعر
وبدلت الايام اهداف تاجر فرصع صدر الشعر بالماس والدر
والبسه ثوب البيان منمقا اطل على الايام اطلالة البدر
فمجد الفتى بالعلم والجد والحجى وخير الورى من عاش للعلم والبر

كما ان هذه الثروة لم تستطع ان ترتفع بفيليب لطف الله الا الى مستوى ذلك الرجل الانساني الذي يرهص بالاخلاق والقيم ويساعف الادباء والشعراء المعوزين ومن اليهم في مطالبهم وتحقيق بعض من رغباتهم ، ثم يشارك في دعم المشروعات العامة النافعة ..

فاستمع اليه في قصيدته « خطوة في الثمانين » :

دنيا تدور بنا في كل معتـرك وكل حقل وتغري الناس بالكسب
تعطي وتحرم بعض القوم درهمها وجامع المال ضم المال للنسب
كانما المال في اكياسهم شرف هل للثراء علاقات مع الحسب
ما المال الا اداة نستعين بها لصنع خير ودفع القر والكرب
يا جامع المال والاعمار مدبرة لا تحدج الفقر في عين من الغضب
فباذل المال يعلي قدر باذله ومانع المال داء الذل والجرب

ذلك مذهبه لم ينحرف عنه ويخرج عليه :

فيض من الخير يجري من مناهله فيغمر الارض بالاقبال والذهب
منه اكتسبت سماح الكف في سعة والجود مدرجة للقدر والرتب
الجود ارفع ما في النفس من شيم واكرم الخلق في الدنيا هو العربي

وكذلك يفعل .. بالرغم من تحولات الزمان ، وتعدد الخنادق وتصادم الاراء والاتجاهات ، وتضارب المصالح والمنافع في ظلال هذه الحضارة المادية المعقدة ..

اليس هو القائل في السالفات من الايام :

على الاعمال تزدحم البرايا وحاجتها الى خبز وماء
وما الباقي سوى فضلات عيش واطماع سرت في الاريحاء
اذا اثريت لا تنس جياعا فان الخلق يسمو بالسخاء
وان تسعد بعيشك كن رؤوفا على من عيشهم عيش الشقاء
فلا شيء مع الايام باق كذاك يزول مجد الاغنياء

هكذا تتجسد نظرة الشاعر الانسانية وتنكشف اصالته :

ما المال الا خادم او آمر بالجود تبني مجدها العظماء
مجد يقوم على المحبة والوفا وعلى السخاء الدرهم البناء
واجعل سخاءك قدوة لبني الورى ان الحياة محبة ووفاء
وابذل تخفف من تعاسة بائس فمن البخيل الذل والضعفاء
لو تنصف الايام بين حظوظها لتساوت الاشخاص والاشياء

من هنا فان الشاعر بالرغم مما ملك ويملك ، لا يؤمن كما يبدو من خلال ديوانه بالسعادة التي يخلقها المال والجاه . فالمال لا يحقق السعادة ، بقدر ما يورث الشقاء والقلق . انما السعادة ـ ان وجدت ـ هي في راحة النفس وصفاء البال وهدوء الحال وخدمة الاخرين :

ان السعادة سرها في نفسنا وتحيرت في كنهها الحكماء
لا تبحثن عن السعادة انها برق تطوق عنقه الظلماء
الناس تبحث عن مقر وجودها هي ان اردت محبة وعطاء
خاب الذي يبغي السعادة كلها بعض السعادة في الحياة شقاء

لقد عرضت لفيليب لطف الله تجارب كثار صقلته ، وحوادث جسام ملأت جعبته عبراً ودروسا ، حتى انه بعد ان رأى السعادة وهما يخدر المرء ويرطب مزاجه ، يحاول ان يكشف من حقائق الحياة وابعادها ، واسرارها ، ما سلف ان اتى عليه الاقدمون من الفلاسفة والمفكرين ، في مباحثهم العلمية المتنوعة التي شيدوا على اساسها هيكل الثقافة الانسانية ..

وان حياتنا تجري كنهر منها يجري
« فمن نهر الى بحر ومن بحر الى نهر »
وفينا نسمة الخير وفينا نسمة الشر
ونبحث عن غوامضنا وفينا غامض السر

الى جانب ما جبل عليه فيليب لطف الله وقر في كيانه ، فان هذا الذي نوهت به استقراء واستنتاجا ، جعله يشحن مضموناته الشعرية بلمحات انسانية مضيئة ، ودفقات عاطفية وهاجة ، ووميضات فكرية اصيلة ..

اسائل نفسي وشيخوختي وماذا رايت بهذا الوجود
رايت الحياة تغذي الحياة وكل حياة اليها تعود
ولا فرق ما بين احيائها عناصر ترب وماء ودود
تساوت معادن انواعها فنوع الكلاب كنوع الاسود
وكل قديم الى جدة... وصنع القديم كصنع الجديد

وايضا يتابع :

وان العباد عبيد الزمان تسير البرايا مسير العبيد
وان التراب مهود العباد وذاك التراب تراب اللحود
رايت الممات بقلب الحياة وكل حياة اليه تعود ...

وعلى هذا المنوال يروح الشاعر منطلقا ومؤكدا :

وداعا ايها الدنيا وداعا الى الابحار هيانا الشراعا
الى الارض التي تحنو علينا وتقري من بيادرها الجياعا

الى الطين الذي منه جبلنا ... وقد بسطت لنا الام الذراعا
فطمناها مع الايام ركضا ... وشوق الام يرجعنا سراعا

★ ★ ★

للطبيعة حظ في هذا الديوان . فلا بدع ، أليس الشاعر ابن الطبيعة البار ؟ فقد ولد بقرية « بسكنتا » بلبنان ، وقضى طفولته البريئة فيها ، حيث المروج الخضر والجبال الشم وترقرق الامواه والسواقي والسماء الزرقاء والمناخ الصحي ..

ها هوذا يصف موطنه الاول ، وموئل رجائه ، ومنبع الهامه :

ترعرعت في لبنان في سفح شاهق ... حباني من انسامه منعة اللجر
ومرت بي الاعوام في كنف جنة ... اطير باجواء تعز على النسر
اقبل نفر الماء من منبع الهوى ... كقبلة مشتاق الى غادة بكر
فكوثره يجري رحيقا مجلدا ... يسمره حب كملتهب الجمر
ويطربنا شلاله في نشيده ... كان هدير الماء اغنية البحر

ثم لا انسى تعود الشاعر الارتماء بين احضان الطبيعة وهو في مهجره البرازيلي واخلاده الى سكون المصايف والمشاتي في كل فرصة تتاح له ، وتلائم مزاجه واحساسه ، كما يطرح عنه اعباء الحياة ، ويترك متاعب الحضارة وراءه ولو بعض الشيء ، اذ ينعم بالماء والخضراء والوجه الحسن كما يقال ثم يؤوب الى قواعده سالما غانما وقد رقت مشاعره وتلألأت افكاره ، وتفجرت قريحته ..

ما اجمل العيش قرب الماء والشجر ... كلاهما بهجة الاكباد والنظر
الماء يجري على لحن يردده ... لحن السلام ولحن الحب للبشر
والطير تصدح في الاغصان منشدة ... حرية العيش بين الماء والزهر
مناظر يخلب الالباب منظرها ... ونعمة من عطايا الله والقدر
جلست في قربها اجلو محاسنها ... لاشبع العين من سلسالها النضر
فقلت لا كان للدنيا حضارتها ... فلذة النفس بين العشب والحجر

ثم لا يتردد فيلبب لطف الله في الدعوة الى العيش في رحاب الطبيعة والاندماج فيها بعيدا عن ضوضاء الحضارة ومهالكها :

يا جمالا لا ينتهي في نعيم ... كل صب يبغي الجمال واهله
عيشة المدن زحمة وعراك ... وفساد الهواء افتك علته
ان في البر والحقول عطايا ... يغمر العيش بالسعادة كله

تطالعني في الديوان قصيدة « الحارس الامين » وهي وصفية بارعة الى ابعد مدى . غير ان الطابع الغالب على مضمونها ، هو الطابع الانساني . والشاعر في لوحته الفنية التي يعرضها لنا ، يصور الكلب الموصوف بالوفاء لصاحبه كيف يعدو ويثب في حركاته ، ويحمي البيت ويرافق اهله ويتشممهم ويحوم حولهم ملاعبا طورا ومعاتبا طورا اخر :

يعلو ويهبط بالحسنى يداعبني ... لويحسن النطق بث الشوق بالعتب
يجري بسرعة محبوب لعاشقة ... يجول في خفة تدعو الى العجب
يطوف الدار يحميها بسطوته ... ويلتقي اللص بالانياب والغضب
يرافق الولد مسرورا برفقتهم ... ويستغيث بهم في ساعة السغب
ويرتمي وفراش العشب مرقده ... يمرغ الجسم بين الزهر والعشب

ويسترسل الشاعر مادحا هذا الكلب الامين :

مهذب يتلقى امر صاحبه ... طوع البنان بتهذيب وفي ادب
مجاهد في سبيل العيش مندفع ... لخدمة وسوى الاهمال لم يصب
هو الامين المجلي في صداقته ... سلاحه الصدق لا يغريك بالكذب

كذلك تطالعني في روضة الديوان قصيدة اخرى آية في الروعة والسمو استهوتني بعذوبة معانيها وجلالة افكارها ، ورشاقة موسيقاها ، ثم بعظمة ما بها من حنان مجسم ، ومحبة مستعرة ، وتفاؤل مجنح .. تلك هي قصيدة « جمال العمر » وبها يقول : وما اكرم ما يقول والطف في اسرته :

العمر ادبر والاعوام مقبلة ... وليس يزعجني في عيشه الهرم
اعطيت عمرا طويلا من محاسنه ... رفيقة لحقوق الزوج تحترم
احببتها لجمال في شمائلها ... تسمو بعفتها الاخلاق والشيم
عمر تقضى برغد العيش في نعم ... حب دعائمه الاخلاص والكرم
وقد حسونا كؤوس الحب صافية ... وصادق الحب بالامال يزدحم
حتى يدرك الغاية :
باق على الدهر في ولد وفي اثر ... وفي تراث جمال العمر يختتم

★ ★ ★

واود ان احيل القارىء الكريم على نص هذه القصيدة الحية الناطقة ليقراه كاملا بنفسه في الديوان .. لعله ان يشاركني في ما توخيت وذهبت اليه .

★ ★ ★

اما بعد ..

فهذه تقدمة اسوقها تلبية لنداء الواجب الادبي الذي كان ينتظرني ووفاء لمذهبي النقدي التحليلي الذي التزم واحاول الالتزام به ..

لئن كان الحكم على العمل الادبي الفني يحتاج الى ذوق ، كما يريد الشاعر الانكليزي : بوب ، فارجو مخلصا ان اكون قد توسلت بذوقي الخاص ومذهبي النقدي في القاء بعض الانوار على اكثر مطاوي هذا الديوان ، الذي كان وما ينفك لصاحبه الصديق الكبير فيليب لطف الله رحمه الله مكانة مرموقة في عالم الشعر والفكر ، ومنزلة عزيزة في نفسي .

ومن الله كل توفيق ..

بغداد — وحيد الدين بهاء الدين

اشتركوا في مجلة
الاديب
تساهموا في نشر الثقافة



اميل توفيق

لمحة عن الحب الرومانسي عند الأقدمين

بقلم اميل توفيق

* * *

● يخطىء من يظن ان الحب الرومانسي ظاهرة حديثة العهد . فقد عرف ذلك الحب منذ ما قبل العصور الوسطى ، في امثلة سجلها التاريخ الادبي . ولكن الشيء المؤكد بشأنه انه ظاهرة حديثة ، ان الحب الرومانسي اعترف به كقاعدة صحيحة للزواج . ولكن هذه القاعدة لم تصبح شائعة ، حيث انه يقوم الزواج في معظم البلاد على اعتبارات اخرى ، ليس من بينها الحب العاطفي الا نادرا .

● ان الرومانسية تضفي على الحب الوانا زاهية جميلة .. تماثل الوان الطيف المتدرجة ، وتكسبه صفات ليست في الاصل من صفاته ، وتنسب له احاسيس ومشاعر فيها الكثير من الوهم والزيف . وكلما كان الحبيب بعيد المنال ، فان هذه المشاعر والاحاسيس تشيع في القلب بقوة وتزداد حرارتها فاذا ما تم الزواج اكتشف الزوجان ان تلك المشاعر صارت باهتة ، وان الاوهام البراقة قد تلاشت .

من اجل هذا نجد في كثير من الاحيان ، ان الزواج المبني على الحب الرومانسي لا يدوم لفترة طويلة (الا القلة النادرة) ، كما يحدث مثلا بين غانية ونبيل من النبلاء ، او بين فتاة عريقة المحتد وسائق سيارتها . ذلك لان الحياة الواقعية تذيب الاوهام ، وترجع بالازواج الى المألوف عند سائر الناس ، ولانهم يكتشفون انهم غرباء بعضهم عن بعض من حيث تباين الاذواق وتفاوت العقول والافهام ، واختلاف الثقافة والنشأة والبيئة .

● من اجل ان نفهم ظاهرة الحب الرومانسي لا بد ان نتتبع تاريخ الحب والزواج . كتب « برتراند راسل » كتابا عن (الزواج والاخلاق) متضمنا ذلك التاريخ . وكان بدؤه بمفهوم الزواج المسيحي ، في العصور الوسطى وهذا المفهوم لا يجعل الزواج مرتبطا باية اثارة جنسية . وحتى قبل هذه العصور نجد الزوجات والمربيات في البيوت والقصور (لدى الاغريق والرومان) مجرد معينات او مساعدات ، فهن لسن بمنزلة الصديقات للازواج او الاليفات المحببات لهم . لم يكن للحب الرومانسي اي دور في الزواج. بل ان الزوج في تلك الايام كان يرى من حقه ان يسعى للوصول الى علاقة خارجية تعوض العلاقة المعتادة الفاترة التي يجدها في بيته . وهو لا يرى في ذلك ، ولا يرى المجتمع ايضا .. ان الاشباع الجنسي الخارجي مما يعيبه او يعتبر خطيئة من الخطايا ، او انتهاكا تعاقب عليه الدولة .

● وفي العصور المظلمة كان الحب بمثابة هوة سحيقة ، فعلى الرغم من ان الكنيسة كانت تعلم ان الجنس خطيئة ، فان بعض قادتها وقعوا في حماتها . كما حدث للكثير من الرهبان والاساقفة حتى انه بعد زمن البابا « جريجوري السابع » حدثت حركة تطهير كنسية تغيرت او تعدلت بسببها بعض الاراء والقوانين من ناحية العزوبة والزواج . ولم تكن آراء الكنيسة بهذا الخصوص ـ وبصفة عامة ـ الى جانب اعلاء مركز الزواج او السمو بقاعدة الحب .

● اما النقلة الى احترام الحب ولفت الانظار اليه فقد حدثت بسبب القصائد الشعرية واغاني المطربين .

لقد اثرى وجدان الناس بالحب ، الشعراء والمطربون ، فوجد الناس انه شيء ممتع وثمين وصعب المنال .. وان تكريس الحياة لهذا الشعور الملتهب انما يقترب من العبادة . فعلا تحول النظر اليه ، فاحترموه ووقروه بعمق . وبعكس ما فعلته الكنيسة بهذا المفهوم حيث حطت من شأنه ، اعلى الشعراء والمنشدون قيمته ، ونبيل مقاصده .

واذا كانت الكنيسة لم توفق بين العلاقة الطبيعية ، ومشاعر التقديس والاحترام للمحبوب ، فان الحب الرومانسي ـ كما تغنى به الشعر الغنائي ، وصورته

رؤوس الشعراء ، كان حبا نقيا يجب ان يصان من كل ما يلوث ، وان يظل طاهرا من كل ادران الجنس .

● كان الجو السائد ينمي العنصر الروحاني ، بحيث يسود كل المشاعر الاخرى ، وان يجعل الرباط الطبيعي ابعد من ان يقترن بذلك الشعور القدسي ، الطاهر العفيف .. ومن هنا اتسعت الهوة العميقة بين شكل الحب المثالي، والعلاقة الجنسية .. حتى ان هذه الهوة لا يزال عمقها كما هو عند الكثيرين الى اليوم ، فنحن نرى الموقف الجنسي لبعض الرجال يتصف بهذه الصفة ، صفة التقديس للمراة ، وعدم استطاعتهم مقاربتها جنسيا ، لهذا يقسم بعض الرجال النساء الى قسمين كبيرين : القسم الذي يرونه اهلا للتوقير والاحترام والتقديس .. والقسم الذي يرونه مؤهلا للمعاشرة الجنسية .

وهذا المفهوم عبر عنه بالتصوير الرسام وات في لوحة رسمها وسماها « الحب المقدس والحب الدنس » .

وكثير من الرجال يحسون هذا التناقض عندما يتم زواجهم بمن احبوهن ، وتكون النتيجة هي الفشل لعدم قدرتهم على التوفيق بين موقف الحب والموقف الجنسي.

وبمنطقهم فانهم يتساءلون : كيف تقف المراة امام (هيكل الرب) وهي مغموسة في حقارة الجنس ؟ فالمراة في نظرهم يجب ان تبقى طاهرة عفيفة وعذراء .

● ويشير برتراند راسل الى ان الشعراء والمطربين يعبرون عن صفاء الحب ، وروحانيته بعيدا عن الجزاء ، او اظهار ما يقابله من مثوبة مادية او جسدية ، بظاهرة اخرى هامة ظهرت في اوروبا هي الحب كما يعتنقه الفرسان . فمن الفروسية والنبل ان يبتعد الحب عن كل اشباع جنسي . وبينما كانت الفروسية تمجد الحب، فانها لم تستطع ان تجعله مقترنا باية متعة جسدية .

لقد نما الاعتقاد بأن هناك ميلا سماويا يجذب فتى بعينه الى فتاة بعينها . فكل انسان هو نصف لا يمكن ان يكمله الا نصفه الاخر الذي عينته له العناية الالهية . وكانت هذه الفكرة تراود بعض الكتاب القدامى في تأملاتهم وكان للفكرة صداها في اوروبا الغربية منذ القرن الحادي عشر . وهو الصدى الذي اشاع الحب الرومانسي ، ولم يكن الحب يرمي الى الزواج .. كل قصص الحب في تلك العصور انما كانت تدور حول سيدات متزوجات احببن . وفي حين ترى الزوجة تطيع رجلها وتتكفل براحة ابنائها وخدمة اسرتها ، نرى فارس الاحلام يطيع محبوبته طاعة عمياء . كان الحب هو خارج نطاق الحياة الزوجية ، وظلت هذه عقيدة فرنسا في ذلك الوقت . اما في انجلترة فقد حاول احد الكتاب وهو « ادموند سبنسر » في الجزء الاخير من كتابه Faerie Queene ان يوفق بين الحب والزواج.

● كان الحب بين الفرسان لعبة عظيمة ، لها قواعدها واصولها ، وميثاق شرفها . وكان هذا الميثاق اساسا لما سمي « بمحاكم الحب » التي انتشرت في انحاء اوربا .

ولئن كانت هذه اللعبة قد فصلت بين العلاقة الطبيعية ، والحب العاطفي ، واساءت الى فهم الطبيعة البشرية ، وتعسفت في الناحية العملية لتطبيق ما هوطبيعي.. فانها استطاعت ان تنمي في الرجال عاطفة التوقير للنساء واحترامهن ، وهي بهذا قد حولت النظرة التي كانت تنظر بها الكنيسة بصدد تعاليمها حول الحب والزواج .

ولكن الاتجاه قد نما وتطور بالحب ، فهو اذا لم يكن افلاطونيا ، فان الاتجاه بالحب صار شاعريا نبيلا ، والنظرة الى المراة لم تعد تقر تلك الهوة العظيمة بين الزواج والحب .

● بلغ الحب الرومانسي ذروته ، في الحركة الادبية الشعرية التي مثلها الشاعر شيللي في القرن الماضي ، كان شيللي قد اكتشف في الانسانية وفي المجتمع الذي يعيش فيه ، الفكر الخيالي ، والشعور الدافق ، والعاطفة الجياشة .. وهذه جميعا تفتقر الى من يعبر عنها ويفصح عما في مكنونات الضمائر ، والوجدانيات المشحونة بالاحاسيس النبيلة الرائعة . كان يرى ان هذه جميعا يجب ان يعبر عنها بالشعر ، ولذلك راح يشن حملاته ضد القيود البالية التي تقف دون التحرر ، كما راح يهاجم الاجراءات البوليسية والحملات التعسفية التي يؤديها سدنة الاخلاق ضد المشاعر الطبيعية . ولم يجد سببا واحدا يجعل كبت العواطف امرا مشروعا. تغنى شيللي بالحرية العاطفية في شعره ومجد الحب، والنبل والشجاعة الخلقية المقترنة بالصراحة في ابداء الشعور الفياض .

ويعتقد الكاتب « كينث ووكر » ان شيللي وقع في خطأين : الاول هو اعتقاده او تخيله ان الحب يمكن ان يكون متحررا تماما من كل قيد ، والخطأ الثاني هو عدم ادراكه انه لولا تلك القيود والسدود ، ما كانت تبرز رسالته الشعرية ، أو رسالته التحررية . فانه في الواقع كان مدينا لكل التقاليد السائدة ، بتطوره الوجداني والخلقي ، وانماء مكانته كمحرر لمجتمعه من القيود الباطلة .

● ان الحب الرومانسي هو في الواقع من خلق الشعر والفرسان . وقد صاغت قوالبه الوجدانية كل ما كتب الكتاب من مسرحيات او روايات او قصص . وما ظهر منها في منتصف القرن الماضي . والواقع ان ما دعم هذا الحب هو ما ظهر من احتدام الصراع بين الجيل القديم وجيل الشبان .

فالكبار يرون ان الزواج يجب ان يتطابق مع نظرياتهم، والشباب يبتغون ان يتزوجوا وفق اختيارهم انفسهم . وبالتدريج كان الشباب الى جانب ما صاغه الشعراء والمطربون والروائيون من مفاهيم جريئة .. تتمشى مع الطبيعة البشرية وحرية الاختيار .

● يكتب « هافلوك اليس » ـ العالم البيولوجي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صامتة

يا قصة صمتت دارت على الورق ... حوارها لغة الاقلام والحدق
كان اللقاء بها في روض اسطرها ... وفي جنان من الاحلام في الغسق
لا يستطاع لقاء في سوى نظر ... سر وشارة تسليم لمنطلق
تغدو الدفاتر فيما بيننا رسلا ... في جوفها سقر حرى من الحرق
كأنما كل حرف خازن لهبا ... يبقى مدى الدهر يوري اطيب العبق
بدت وشبت ولا ندري نهايتها ... وخلدت وهي مازالت على الورق

السعودية — علي دمر

الشهير ـ ان الشاعر « اوفيد » كانت له تأثيراته العميقة على الناس وحتى على كبار الكتاب . اوفيد هذا كتب مقالة عن « فن الحب » وكانت لها ترجمات الى الانجليزية تأثر بها في انجلترة شكسبير ومترجمها نفسه « مارلو » اما أوفيد الذي كانت له شهرته الادبية .. فقد صاغ مفهوم الحب بحيث رفعه من مجرد كونه غريزة جنسية ، او واجبا مفروضا . وقد قرنه بانسانية راقية مهذبة ، وجعله علاقة مدنية ذات ابعاد واعماق تستأهل التنمية الوجدانية . وهذا ما دعا الكاتب « بوكاشيو » ان يضع بين ايدي الشباب مقال اوفيد عن فن الحب ، ليتعلموا ويقيسوا ويتهذبوا . ومع ذلك فظلت الفكرة القديمة « تقديس الحب وتدنيس الجنس » تراودهم ، فاعتبروا الحب خارج نطاق الاخلاق . وصحيح ان اوفيد قد مجد الحب ، ورفع من قيمة العاطفة ، ولكنه حتى ذلك الحين ، لم يقرنها بالاخلاقية التي تفترض وجوب الحب داخل نطاق الزواج .

● اما بوكاسيو الاديب الايطالي الذي برز ككاتب وشاعر في مطالع عصر النهضة .. فقد جاءت كتاباته لتؤكد لمساته الاخيرة للمراة الجديدة التي تخلصت من قيود العصور الوسطى .

كان هو أول كاتب منذ العصور اليونانية والرومانية يهمل الجانب الاخلاقي التقليدي المتزمت في سلوك شخصياته النسائية وذلك بابراز الجانب الحسي فيهن .

ركز قصصه على نساء الطبقة الوسطى التي خبرها وعرف خباياها واسرارها .. انك لترى نساء بوكاشيو وهن سائرات في فلورنسا .. وقد لوثن اقدامهن بالماء والطين ، ان الحس لديه كان هو اساس الواقع .. والواقع لا بد ان يظهر من خلال الحس وتلقائية السلوك . وبدون هذا الواقع لا يمكن التمتع بالخيال .

كانت كتابات بوكاسيو تتراوح بين الشعر والنثر وفقا لما يتطلبه المضمون وخاصة في مجموعته القصصية المعروفة باسم « الاسكاميرون » اذ كانت قصصه تبتعد كثيرا عن ذلك الجو الحالم الاثيري الذي اغرم به معاصروه ، مثل دانتي وبتراك .

ويقول النقاد : اذا كان دانتي كتب الكوميديا الالهية فان بوكاشيو قد كتب الكوميديا الانسانية ، حيث الجنس يلعب دورا لا يمكن تجاهله .. وهو بذلك وضع نهاية للعصور الوسطى التي كانت تعتبر المراة اصل كل خطيئة وشر .

لقد ساهمت قصص بوكاشيو في فتح الباب على مصراعيه لنسمات عصر النهضة المنعشة . وانتهى بذلك عصر التزمت الفكري والمثالية التقليدية، وجاء عصر الايمان بالانسان ولم تعد المراة ذلك المخلوق المنزوي الشاحب .. ولكنها بدات تبرز كشخصية مستقلة كما اوضحها ـ بعد ذلك ـ الكاتب المسرحي « هنريك ايسن » في مسرحيته « الدمية » .

ان التطور والتقدم في الفنون والعلوم ، وتكامل النظرات عند الاجتماعيين والحضاريين والمشتغلين بالفلسفة

.. بل عند الاخلاقيين ايضا .. بل ان الحرية التي جعلت المراة تشارك الرجل في العمل وفي الحياة .. كل هذه قد جعلت الهوة بين الحب والزواج تضيق الى حد كبير . والامر كله مرجعه الى حرية المجتمع الذي يكفل للمراة حقوقها .. دون ان تفقد في غمرة هذه الحرية طبيعتها التي جبلت عليها .

مراجع البحث

١ ـ كتاب فيزيولوجية الجنس ومضامينه الاجتماعية ـ تاليف كينث ووكر ـ بنجوين ١٩٤٢ ـ وبه مقال بعنوان الحب الرومانسي .

٢ ـ الفصل السادس (فن الحب) من كتاب : الجنس في علاقته بالمجتمع ـ تاليف هافلوك اليس .

٣ ـ فصل من الشخصية من كتاب « سيكلوجية الشخصية » لمؤلفه B.Notcutt

٤ ـ جريدة الاهرام ـ باب دنيا الثقافة ـ اكتوبر ١٩٧٩ .

مصر الجديدة — اميل توفيق

الدكتور ضياء الدين ابو الحب

وجه من وجوه الانسانية الطيبة والروح القومية العربية المخلصة
١٩١٣ ـ ١٩٨١

بقلم الدكتور محسن جمال الدين

★ ★ ★

كانت سنابل الحياة تتساقط حباتها الواحدة تلو الاخرى، بعد ان حصدتها مناجل الردى ، بأيدي مسببي الحرب العالمية الثانية . وتناثرت هنا وهناك اوراق شجرة الانسانية الوارفة ، وماتت على اغصانها ثمراتها اليانعة . ثم تدحرجت تبحث عن مستقر لها ، لتطمئن به من قسوة اقدام المحاربين ، وتتوارى بعيدا عن دخان قنابل الطغاة الذين بدأت حراب بنادقهم المشرعة يخطف بريقها الابصار. ودوي مدافعهم يملأ ويصك اسماع الكبار والصغار .

وكنت يومذاك نزيلا في لبنان . ارى في شوارع مدنه وقراه ، دموع اليتامى من الاطفال الابرياء ، واسمع عويل الارامل المشردات وآهات التائهين الجائعين التعساء .

اما في الوطن العراق ، فقد قامت ثورة عامة سنة ١٩٤١ ، على الدخلاء والعملاء والجبناء الذين كانوا يتقاسمون خيرات البلاد ، وغذاء الشعب ، وينعمون في مصايف لبنان ، ومرابع الغرب ، والفئة الصابرة العاملة من ابناء الرافدين ، ودنيا العروبة تلاقي القتل ، والشنق، والتعذيب ، والتهجير ، والحرمان .

وكنت يومذاك لا ازال في مطلع شبابي ، لا اعرف من الدنيا الا الكتاب سميرا ، ولا غير الادب صاحبا وخليلا ، اعيش في صراع مع قسوة الحياة والواقع ، واتطلع الى امل المستقبل ، واحلم بالغد المشرق الوضاء !!

وكانت بعض الاسماء الادبية والشاعرة تستهويني وتشدني الى حلقاتها وندواتها ومجلاتها وصحفها وكتبها . احلم باليوم الذي اكون فيه مثل اصحابها يذاع اسمي ، وينشر نتاجي ، وتحتل مقالاتي واشعاري ما تستحقه من مكانة على اعمدة الصحف والمجلات . ومن تلك النجوم اللامعة التي كانت تتردد اسماؤها المعروفة المشهورة ، الشبيبي والرصافي والزهاوي والجواهري ، والصافي ، والاخطل الصغير ، وبدوي الجبل وعمر ابو ريشة وابراهيم طوقان ، لان لهم مساهمة في القضايا القومية العربية ، والشؤون العراقية الوطنية .

ومضت دوامة الحرب تدور ، وبقيت في البنان مدة من الزمن أجمع بين الدراسة والاستجمام ، والمساهمة الصحفية والادبية في مجلات وصحف لبنانية ، وعراقية معروفة كالاديب ، والعرفان ، والبيان ، والهاتف ، والعقيدة .

وفي تلك السنوات المؤلمة ، ظهرت مجلة كبيرة الحجم غزيرة المادة ، متنوعة المواضيع ، جميلة الصور ، اشرف على تحريرها الكاتب والمؤرخ اللبناني الاستاذ يوسف ابراهيم يزبك . وامدها جملة من الكتاب والباحثين والمدافعين عن الحريات والانسانية بمقالاتهم وابحاثهم .

وكانت هذه المجلة اسمها (المراحل المصورة) ، وهي مجلة اسبوعية مصورة . ظهرت فيها فجاة مقالات طريفة عن القومية العربية ، وعن شعرائها في العراق باسلوب لطيف جذاب متسلسل الافكار ، واضح الصورة ، رشيق العبارة ، بين الهدف ، كريم الغاية . بقلم طالب عراقي من طلاب البعثة في جامعة بيروت الاميركية ، وهو المرحوم (ضياء الدين ابو الحب) .

وقد قررت التعرف اليه ، والاتصال به ، عن طريق شاعر الانسانية المعذبة المرحوم الصديق المهاجر (السيد احمد الصافي النجفي) . وكان اللقاء في مقهى (ابو عفيف) بساحة البرج ، يوم زهوها وجمالها ، وغرائب الحياة فيها، بمختلف انماطها ، واشكالها ، ومضامينها .

واجتمعت به بعد ذاك مرة ومرتين وثلاثا والتقينا بعدها في مكتبة الجامعة التي كان يدرس فيها . او في باحة من باحاتها الواسعة ، تحت أشجارها الخضراء العالية ، نتحدث ونسمر ونقرأ الابيات والقصائد الجديدة لشعراء الوطن العربي .

وبعد اشهر من التعارف واللقاء ، انشغل كل واحد منا بما كان يشغله من دراسة وقضايا شخصية . وصعدت للجبل للراحة والاستجمام . وعدت بعد موسم الصيف ، اسأل عن صاحبي في مطلع العام الدراسي الجديد ، فاذا الوجوم مخيم على وجوه زملائه واصحابه . واذا (الصافي النجفي) لم يكن في مجلسه المعتاد ، حيث تناثر القوم ، وطوردوا. وكان نصيب ذلك الاديب المتحمس النشط الذي احببته وصادقته لطيبة روحه ، وسماحة نفسه ، قد أخرج من الجامعة الاميركية ، بحجة التظاهرة التي طافت شوارع بيروت ، من قبل الطلبة العراقيين ، الذين ايدوا وساندوا ثورة (مايس) وحملوا على اكتافهم الشاعر (احمد الصافي النجفي) وهو يردد وينشد بعض اشعاره الوطنية والقومية امام السفارة العراقية .

وقد كلفته التظاهرة غاليا ، من السجن والمطاردة والحرمان ، من قبل السلطات الفرنسية والانكليزية المحتلة . ومنعت عنه اصحابه وزياراتهم له . وهو محتجز بالقرب من بيروت . كما شردت مريديه المحبين، واصدقاءه المخلصين ومنهم الكاتب الشاعر ضياء الدين ابو الحب الذي حرم من مواصلة الدراسة الجامعية ، واعيد الى وطنه العراق ، ثم دخل بعد ذلك دار المعلمين العالية وتخرج فيها سنة ١٩٤٢ .

هذا ويمكننا اليوم على ضوء ما مر بنا من خواطر اخوية عنه ، ان نجمل حياة الفقيد بالمراحل الثلاث التالية:

المرحلة الاولى

مرحلة دراسته الاولية ، وتربيته الثقافية والادبية في محيط (كربلاء) ومجالس والده الخطيب الشاعر المرحوم الشيخ محسن ابو الحب ، وانتقاله الى بغداد طالبا في دار المعلمين الابتدائية سنة ١٩٣٢ ، واتصاله بشباب القومية العربية ، عند ابتعاثه للدراسة في الجامعة الاميركية في بيروت ، وسفره الى الولايات المتحدة ، وبعدها لمصر وحصوله على الدرجات العلمية العالية ، وعودته للوطن العراق سنة ١٩٦٧ .

المرحلة الثانية

حيث اصبح استاذا جامعيا يرفد طلابه بما عنده من غزير المعرفة ، وواسع الاطلاع في ميدان علم النفس وفروعه ومدارسه في كليتي التربية والاداب .

وقد ازداد نشاطه في حقل الحياة الاجتماعية والصحية والنفسية ، والادبية ، وساهم في مختلف الجمعيات ، والنوادي العراقية . واخذ ينشر المقالات ، ويضع المؤلفات ، ويترجم الدراسات ويلقي المحاضرات ، وهو يتنقل من عالم النثر الى دنيا الشعر .

المرحلة الثالثة

وهي انقضاء مدة خدمته التعليمية والجامعية الطويلة ، ومنحه الفرصة للتمتع بحرية وقته ، وراحة جسده وفكره . ليعود الى روضة بيته ، ومسامرة اهله، ومراجعة مؤلفاته واوراقه ومكتبته .

ولكنه رحمه الله لم يهدأ عن العمل ، ولم يكل عن الحركة ، فالتحق استاذا في جامعة البحرين الجديدة ، ومنحها من خبرته الطويلة ، وذهنيته المتفتحة ، وادبه الجم ، الشيء الكثير ، مما جعل قلبه المتعب يتوقف عن حركته ، ففاضت روحه السمحة في بلد عربي شقيق.

.. واخيرا عادت اخت النسور ، تحمله الى وطنه ، كعودة الطائر الى عشه ، رجعت بجسده الى تربة بلده الذي احبه ليدفن فيه . اما روحه فهي لم تفارق يوما بلاده . منذ ان احتضنته صغيرا ، وضمت جسمه اليها كبيرا ، رجع الى ديار اهله ، ومرابع طفولته ، وذكريات لداته ، وخواطر اصحابه .

★ ★ ★

ان حياة الصديق المرحوم (ابي اليقظان) الدكتور ضياء الدين ابو الحب في مراحلها الثلاث ، ومحطاتها المتباعدة ، تعطينا اللوحة الرائعة التامة ، الكاملة الصورة، من لوحات الانسان المجد بعمله ، المحب لوطنه ، المخلص لاصحابه ، الوفي لاسرته ، الطيب السريرة ، المتفاني في سبيل عمله الجامعي ، لم يتخلف عن خدمة انسانية ، ولم يتوان عن تقديم اطيب العطاء ، ومنح انضج الثمرات .

وكان حبه للعراق والعروبة ، قلبا ولسانا وتاريخا وتراثا ، من ابرز صفاته الشخصية، ومن خصائص ارومته العربية ، وقد كلفه ذلك غاليا ، منذ ايام دراسته، وسني غربته ، ومحيط جامعته .

هذا وستظل صورته واحاديثه وذكرياته في نفسي وقلبي وامام ناظري كصورة الاصحاب والاحباب الذين فقدناهم وودعناهم الى دار الخلود !

ولعله وهو في قبره اليوم اسعد حظا منا . فيما نجهله من غدنا ، اذ وجد من يكتب عنه بعض الذكريات ، ويخصص للكلام عنه بعض الساعات ، وها اني الان ابعث اليه بنفحة من نفحات المودة والاخاء ، وبزهرة من زهور الصداقة والوفاء ، متمثلا بقول الشاعر الكبير عمر ابو ريشة وهو يرثي احد اصحابه بقوله :

يا (صديقي) اسامع في حنايا القبر ... نجوى الاشباح والارواح
لهف نفسي كم بحة في لهاتي ... ما لها في نشيجها من بواح
نم على الترب لا مزارك شاف ... ما اعاني ولا خيالك ماح
كيف آتيك بالنجوم وسادا ... والليالي مقصها في جناحي

كلية الاداب ـ جامعة بغداد — محسن جمال الدين

في مطلع كل شهر
اطلبوا
الأديب
من الباعة والمكتبات

لم يعد على موعد اقلاع الطائرة سوى اربعين دقيقة ليتم بعدها فراق سليم عن ندى الى الابد . لم تكن ندى بالطبع تعرف ذلك ، او ربما كانت تتظاهر بعدم المعرفة . او ربما كانت تتظاهر بعدم الاكتراث لظنها ان الاعتراف بالخطأ يحط من كرامتها امام زوجها او « يطمع » زوجها بها على حد تعبيرها . من ناحية ثانية كانت الاحداث تبرهن بأن ندى تفتقر الى التجربة والى اللياقة في الحديثمع معارفها وحتى مع زوجها . بكلام اخر كانت ندى تعتقد بأن الطعنة التي وجهتها الى ظهر زوجها ككل شجاراتهما ـ مجرد زوبعة في فنجان .

كان الاثنان يقفان في طابور ايداع العفش . كان سليم يحمل جواز سفر ندى وبطاقة سفرها . لم تكن ندى قد اطلعت على جواز السفر قبل الان والا لما كانت تسأل بين اللحظة واللحظة زوجها اذا ما كان يحبها .

كان زميله عمر قد نهاه عن الزواج منها. لقد اخبره عنمساوئها العديدة : خمولها ، سلاطة لسانها، علاقتها المشبوهة مع احد زملائها ، حلقات النميمة التي كانت جزءا منها ، الخ .. لم يكن لعمر اي هدف من وراء ما كان يقوله لسليم لو ان الاخير لم يسأله المشورة .

« انا اعرف لماذا انت مصمم على الزواج منها . انا اعرفك جيدا ـ خمس سنوات اليس كذلك ؟ ان مشكلتك هي مبالغتك في فضيلة الوفاء . لو انك تزوجتها قبل سنتين لما تجرات ان افوه بكلمة ضدها . غير ان الامور قد تغيرت يا سليم . لم تعد ندى تلك الفتاة التي كنت تحدثني عنها . لقد تغيرت جدا .. جدا . لقد وعدتها بالزواج . حسنا . ولكنك وعدت ندى التي عرفت والتي لو ظلت هي اياها لطالبتك انا بالوفاء بوعدك لها . باختصار لم تحافظ عليك كما حافظت عليها ، يا سليم » .

« يا استاذ ، هل يمكن ان تلحق بالشخص الذي امامك ؟ نريد ان نخلص » .

ونظرت ندى الى سليم لتسأله عن سبب شروده .

انحنى سليم ليلتقط حقيبة يد ندى عن الارض ودفع حقيبة السمسونايت البيضاء برجله فتحركت بسهولة بسبب العجلات المثبتة بها .

لم يكن الامر سهلا بالنسبة له . لقد كان يشعر وكأن هناك ترسا من السكاكين يدور في صدره . اراد ان ينظر اليها ويضمها الى صدره ليسألها لماذا ارتكبت ذلك الخطأ .



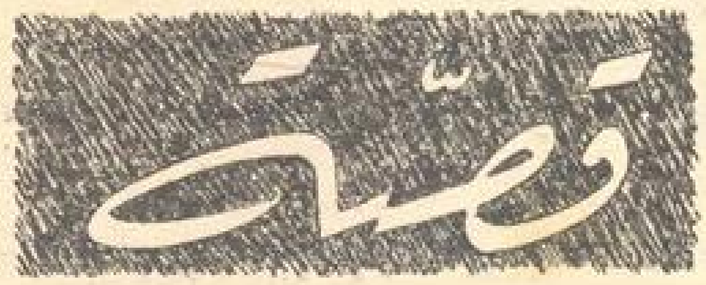
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم الدكتور احمد عردات

●

وتدارك نفسه عندما شعر وكأن الدموع تتكون في عينيه .

لم يكن يتصور قط ان مثل ذلك يمكن ان يحدث له . تصوره يحدث في الروايات في السينما والمسرح .. ربما لاحد معارفه او لاحد اصدقائه



اما ان يحدث ذلك معه شخصيا . مستحيل .

كان سليم قوي الشخصية عصاميا شديد الاعتزاز بنفسه وكرامته . اشد ما كان يكره هو الكذب والخيانة والكسل . لطالما اخبرها بذلك وكانت دائما تعقب على كل واحدة من هذه الصفات بقصة حدثت معها لتثبت له انها توافقه الراي تماما . حتى انها كانت تركز في ملابسها على الالوان التي كان يحبها .

خسارة . يظهر ان ندى كانت بارعة في صنعة الماكياج . لقد استطاعت ان تغطي كل نقيصةعندها بشيء ملون ، قطعة قماش ، تظاهر » . حتى الشيء الذي كان يقدرهامن اجله قد انهار ـ الكبرياء.

« ما اريد ان اعرفه هو ـ كيف نزلت الى ذلك المستوى » .

وبكل وقاحة قالت ندى بانه يحق لها ما يحق لسليم . لماذا يحق لسليم ان يتعرف على نساء اخريات ولا يحق لها ان تتعرف على شبان !

« ولكنني حافظت على كرامتك طوال مدة زواجنا . انا لم اخنك قط » .

ووقع سليم ضحية كرم اخلاقه مرة ثانية . تذكر ان ندى وحيدة في بلاد الاغتراب وانه يجب ان يواسيها حتى يحين الوقت لارسالها الى بيت اهلها .

« هل تريدني زوجة لك بعد كل ما حدث ؟ »

وفكر سليم بان كلمة « لا » ستزيد الامور تعقيداً . ثم تذكر انها قد هددته بالانتحار مرة . وتخيل نفسه عائدا من عمله ليجدها ممددة في غرفة الحمام في بركة من الدم بعد ان قطعت الوريد في رسغ يدها . كان يمكن ان يبلغ السلطة . تذهب الجثة الى المشرحة ويذهب هو للتحقيق . لا ! انا بغنى عن ذلك » .

« هل تقبلين نعم جوابا » .

الحمد لله الذي انقضى الوقت بسرعة . لم اكن اصدق ان ثلاثة اشهر قد مرت على الحادثة . ثم انني لو استطعت ان احصل لها على اشارة خروج عندها لما رضيت بالسفر اذ لا بد ان تشك في نيتي عندها. انا متأكد من انه ليس لديها ادنى شك الان بانني اريدها وانها عائدة الي بعد مدة وجيزة .

وشعر سليم وكأن حملا ثقيلا قد انزاح عن كتفيه . ولاحظ على نفسه انه يبتسم . فشعر بالخجل ونظر حوله حتى يتأكد بانه ليس هناك من يراقبه .

لم تكن ندى بجانبه . نظر يمنة ويسرة والى الخلف فاذا بها تتحدث مع شابين لم يرهما سليم في حياته .

« تبا لها من امراة . انها تتصرف وكانها آتية من كوكب اخر . الا تعرف حدود اللياقة ؟ الا تعرف بانها اذا كانت تقف مع انسان ـ دعك من ان هذا الانسان هو زوجها ـ يجب ان تأخذ اذنا من هذا الانسان لتكلم انسانا اخر . الحمد لله . كلها نصف ساعة وينتهي كل شيء» .

بدأ الدم يتدافع الى وجه سليم وبدأ الغيظ يأكل قلبه . تمنى لو انه يستطيع الذهاب اليها ليصفعها على وجهها وليصرخ في وجهها «خائنة» .

« هذا صديقي منذ ايام الدراسة، يا سليم . اريدك ان تقابل زياد » .

أليست هذه هي الطريقة التي قدمت بها جمال ؟ هل كانت صداقتها مع زياد تشبه صداقتها مع جمال ؟

« اهلا وسهلا ، سليم » .

« كانت ندى من اعز اصدقائي في الجامعة » .

وابتسم سليم ابتسامة مبطنة بالسخرية :

« هذا رائع . لماذا يا ندى لم تعرفيني على الاخ .. »

« لم اكن اعرف عنوان زياد هنا»

وانتبه سليم الى استعمال كلمة «زياد» دون تكلفة . وتذكر الطريقة التي كانت تخاطب بها جمال وصديقه سهيل . حتى ولو لم يكن سليم يعرف مسبقا بعلاقة ندى بالاول لظن بأن علاقتهما لم تكن مجرد صداقة .

كان سليم وندى يجلسان مرة في غرفة انتظار المدرسة التي كانت تدرس ندى بها . رن جرس التلفون فهرعت اليه وكانها عامل الهاتف المكلف بالامر :

« جمال ! أنا ندى »

....

« ولا يهمك »

....

« سآتي انا وسليم اليك حالا »

....

« لقد كان عمر على حق . لقد كنت مغفلا . كان يجب ان اتخلى عنها مع شرح الاسباب » .

اعطى سليم حقيبة اليد لندى التي وقفت جانبا . سار سليم بالحقيبة الكبيرة الى الميزان ، وقدم جواز السفر الى الموظف الذي وضع عليه تاريخ الخروج .

« خروج بلا عودة ؟ »

واخفض سليم صوته وهو ينظر الى الوراء .

« لست انا المسافر »

وضع الموظف بطاقة امر الاركاب في بطاقة السفر التي وضعها في جواز السفر وناولها لسليم .

« ماذا تريدني ان احضر لك عند عودتي ؟ »

وكادت عينا سليم تذرفان الدمع ، لقد شعر باحساس غريب وكانه يريد ان يقول لها « اني اسامحك » ولم يستطع النظر في عينيها . فظل ينظر الى الارض .

« سلامتك . لا شيء » .

ناولها جواز السفر والبطاقتين واخذ يبكي ولم يكن منها الا ان اجهشت بالبكاء هي ايضا .

« ساشتاق لك جدا يا سليم في غيابي . ستكتب لي دائما أليس كذلك ؟ »

واسعف مذيع المطار سليما في الاجابة .

« الرجاء من ركاب الرحلة ٢٤ .و والمتجهة الى بيروت التوجه الى غرفة الانتظار » .

ظل الدمع ينهمر على خدي سليم فيما أخذت ندى تسير ناحية موظف الجوازات وهي تنظر اليه . اشارت له بعد أن انتهت من معاملة الجوازات لا ينتظرها فاشار لها ان تضع الجواز في حقيبتها . واختفت ندى خلف حواجز شرفة الانتظار الداخلية ولم يقدر سليم ان يعود الى شقته الا بعد ان سمع صوت مذيع المطار الداخلي يقول « والان نعلن عن اقلاع الرحلة ٢٤ .و الى بيروت .

جامعة الرياض — احمد عردات

في مطلع كل شهر

اطلبوا

الأديب

من الباعة والمكتبات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



عيسى فتوح

المستشرق عبد الكريم جرمانوس في حياته وآثاره

بقلم عيسى فتوح

* * *

توفي في تشرين الثاني ١٩٧٩ في بودابست ـ بالمجر المستشرق المجري الكبير الدكتور عبد الكريم جرمانوس ، صديق العرب الحميم ، الذي عرفته من خلال ما كان يكتبه لمجلة الاديب اللبنانية . لقد خسر به الاستشراق الصحيح عالما فذا ، وباحثا فريدا ، اعطى الشرق عامة والعرب خاصة ، كل ما كان يطفح به قلبه من حب واعجاب وتقدير ، فقد وقف حياته التي امتدت خمسة وتسعين عاما على الدراسات العربية والاستشراقية .

ولد المرحوم عبد الكريم جرمانوس عام ١٨٨٤ في بودابست ، اجمل مدن اوروبا ، وملتقى اغنيائها قبل الحرب العالمية الثانية ، وتعلق وهو طالب في الجامعة ، بلغات الشرق الادنى وتاريخه ، فتعلم اللغتين العربية والتركية على المستشرقين المجريين فامبيري وغولد زيهر اللذين ورث عنهما ولعهما بالشرق الاسلامي ، ثم تابع دراسته بعد عام ١٩٠٥ في جامعتي فيينا واستنبول ، والف كتابا بالالمانية عن الادب العثماني سنة ١٩٠٦ ، وآخر عن تاريخ اصناف الاتراك في القرن السابع عشر ، فنال عليه جائزة مكنته من قضاء فترة طويلة في لندن ، حيث عكف على دراسة النصوص التركية القديمة في المتحف البريطاني .

عاد سنة ١٩١٢ الى بودابست ، فعين استاذا للدراسات العربية والتركية والفارسية وتاريخ الاسلام وثقافته في اكاديمية بودابست ، حيث علم تاريخ الفكر الاسلامي ، واللغتين العربية والتركية ، ثم استاذا ورئيسا للقسم العربي في جامعة بودابست ١٩٤٨ ، وظل يقوم بتدريس اللغة العربية وتاريخ الحضارة الاسلامية والادب العربي قديمه وحديثه زمنا طويلا ، محاولا ايجاد حلقات اتصال بين نهضات الامم الاسلامية الاجتماعية والنفسية ، حتى احيل على التقاعد سنة ١٩٦٥ .

دعاه شاعر الهند العظيم رابندرانات طاغور الى الهند عام ١٩٢٩ ، فعلم في جامعات دلهي ولاهور وحيدرآباد حتى سنة ١٠٣٢ ، وهناك اشهر اسلامه في مسجد دلهي الاكبر ، ونشر كتابيه « الادب التركي » و « الحركات الحديثة في الاسلام » .

يقول في محاضرته التي القاها في دمشق عام ١٩٥٥ تحت عنوان « في الفكر العربي » : « لقد كنت احد التلاميذ المتواضعين للاستاذين الكبيرين فامبيري وغولد زيهر ، فورثت عنهما تعلقهما الشديد بالشرق الاسلامي ، ولم يقصر اهتمامي على كشف النقاب عن التراث المجري العريق ، بل اردت ان اتعمق في التنقيب حتى اصل الى روح الشعوب الاسلامية وقلبها النابض ، ولما كانت روح الشعوب الاسلامية وقلبها مرتبطين ارتباطا وثيقا بالدين الاسلامي ، باعتباره آخر الاديان المنزلة الى بني الانسان ، فقد اعتنقت الاسلام علنا في مسجد دلهي الاكبر في الهند » (١) .

قدم الى القاهرة عام ١٩٣٩ ، وتعمق في دراسة الاسلام على شيوخ الجامع الازهر ، ثم قصد مكة المكرمة حاجا ، وزار قبر الرسول في المدينة المنورة ، فالف في صحبته كتاب « الله اكبر » ، ونشر في عدة لغات عام ١٩٤٠ .

يقول في المحاضرة نفسها : « .. كما اديت فريضة الحج في مكة المكرمة ، وزرت قبر الرسول ، وكنت موضع حفاوة وتكريم من قبل اخواني المسلمين ، فبادلتهم حبا بحب .. » .

قام في القاهرة والسعودية بتحريات علمية دقيقة بين عامي ١٩٣٩ ـ ١٩٤١ نشر نتائجها في مجلدين كبيرين هما « شوامخ الادب العربي » ١٩٥٢ ، و « دراسات في التركيبات اللغوية العربية » ١٩٥٤ ، ثم عاد في ربيع ١٩٥٥ ليقضي بضعة اشهر في القاهرة والاسكندرية ودمشق بدعوة رسمية ، ليحاضر بالعربية عن الفكر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العربي المعاصر ، والادب المجري ، وقد نشر الاستاذ صلاح دهني هذه المحاضرات في دمشق عام ١٩٥٦ تحت عنوان « بين فكرين » .

كذلك عاد الى الشرق في شتاء ١٩٥٨ لاستكمال مصادر كتابه الجديد عن الادباء المعاصرين ، وظل حتى ايامه الاخيرة على صلة باصدقائه العرب في كل مكان ، كالدكتور عيسى الناعوري ، وعدنان مردم بك ، والبير اديب ، وفاضل السباعي ، وهلال ناجي ، وعبد الخالق فريد وسواهم .. يراسلهم بانتظام ، اما بالبريد ، او عن طريق مجلة « الاديب » .

انتخب عضوا في المجمع الايطالي عام ١٩٥٢ ، ومراسلا لمجمع اللغة العربية في القاهرة ١٩٦٥ ، والمجمع العلمي العراقي ١٩٦٢ ، وعضوا مراسلا لمجمع اللغة العربية بدمشق .

آثاره

الادب العثماني ـ بودابست ـ ١٩٠٦
قواعد اللغة التركية ـ ١٩٢٥
الثورة التركية ـ بودابست ـ ١٩٢٨
القومية العربية ـ المجلة المجرية ـ ١٩٢٨ بالفرنسية
الادب التركي الحديث ـ كلكتا ـ ١٩٣١
التيارات الحديثة في الاسلام ـ كلكتا ـ ١٩٣٢ بالانكليزية .
اثر الاتراك في التاريخ الاسلامي ـ الثقافة الاسلامية ـ ١٩٣٢
غرام في الصحراء ـ مهرجان القاهرة ـ ١٩٣٧ ـ بالعربية
الله اكبر ـ ١٩٣٨ ـ بعدة لغات
الشاعر الكسندر بيتوفي ـ المقتطف ـ ١٩٤٠
اكتشاف الجزيرة العربية وسورية والعراق ـ بودابست ١٩٤٠
نهضة الثقافة العربية ـ الجمعية الشرقية المجرية ١٩٤٤
انور الجندي ـ دراسة في ادبه الحديث ـ القاهرة ١٩٥٠.
محمود تيمور والادب العربي الحديث ـ المجلة الاسلامية بلندن ١٩٥١
شوامخ الادب العربي ـ الثقافة الاسلامية ـ ١٩٥٢
دراسات في التركيبات اللغوية العربية ـ الفصول الاسلامية ـ ١٩٥٤
بين فكرين ـ دمشق ـ ١٩٥٦ بالعربية
في نور الهلال الشاحل ـ بودابست ـ ١٩٥٧ و١٩٥٨
منتخب الشعراء العرب ـ ١٩٦١
تاريخ الادب العربي ـ ١٩٦٣

رسائله

كان الدكتور جرمانوس يقرأ مجلة الاديب باستمرار ، فلا يكاد يطلع على بحث من الابحاث الادبية الهامة ، او كتاب من الكتب العربية المطبوعة ، حتى يكتب لصاحبه شاكرا حامدا ، ويعقد الصلات الادبية المتينة بينه وبينه ، فقد كتب للمرحوم نقولا يوسف في الاسكندرية قائلا : « كنت اول من كشف عن آثار صديقي القديم ابراهيم المصري ، وعبقريته ، قبل ثلاثين عاما او اكثر ، حين اقمت في القاهرة واتصلت به برفقة امين حسونة ، وقد كتبت فصولا طويلة عن حياته ، ولخصت اكثر مؤلفاته وعلقت عليها ، ونشرت هذا كله في كتابي « الله اكبر » و « تاريخ الادب العربي » .

وكان يعيش في المجر منعزلا عن العالم الخارجي ـ كما يقول في رسالة بعث بها للاستاذ هلال ناجي ـ يتيما بين ابناء وطنه ، تسليته الوحيدة في هذا القفر هدايا اصدقائه الناطقين بالضاد ، يتسلمها من حين لاخر ، فتساعده على بذل جهود جديدة في مضمار الثقافة العربية .

كتب لمحمود الشرقاوي اثر تسلمه كتابه عن سلامة موسى قائلا : « لقد تشرفت بصداقته الوفية طوال اقامتي في القاهرة ، وتلذذت بحواره العلمي ، واستفدت من المناقشات الجدية التي جرت بيننا حول المذاهب الفلسفية والسياسية ، فأعجبتني سلامة آرائه ، وطهارة روحه ، مع ارتضائه كل تضحية شخصية في سبيل مصلحة المجتمع، ولو كان في ذلك بذل لحريته وحياته، وما زلت اعده من اعظم شخصيات الجيل الناهض الذي خلف وراءه تراثا لا يفنى في مضمار العلم والتفكير وتطور الادب العربي ... » .

وكتب للشاعر الدكتور علي الناصر في حلب قائلا : « مع انني تعلمت اللغة العربية في بلادي جالسا على كرسي، بالرجوع الى القواميس ، منذ اكثر من ستين عاما ، فانني اقرأ الالاف من الصفحات العربية شعرا ونثرا ، واجد ان الصعوبات تزيد بمرور الزمان ، لكن الظمأ الى كشف الينبوع العتيق لا يزال يعذبني ، وسوف يكربني الى نهاية حياتي » .

« لقد وقفت على لغات شتى ، وتبحرت في آداب عديدة ، لكنني لم احظ بمثل السرور الذي يسعدني عند قراءة الادب العربي ، على رغم المشكلات اللغوية .. » .

كانت صلة الدكتور جرمانوس وثيقة جدا بالكتاب والشعراء العرب في كل مكان في سورية ولبنان والعراق ومصر والمهجر ، فانعقدت بينه وبينهم اواصر الود والصداقة الحميمة ، وكانوا يواصلونه بما ينشرونه من كتب ، فيأبى عليه اخلاصه الا ان يكتب عنها او يعلق عليها اما بالرسائل القصيرة او بالفصول المسهبة ، وكانت مجلة الاديب هي النافذة الواسعة التي يطل منها على الادباء العرب ، وقلما يخلو مجلد من مجلداتها من عدة رسائل ادبية او اخوانية تنم كلها عن نبل وفائه ، وسعة ثقافته ، وعمق صداقته ، وتعلقه الشديد بكل ما يمت الى العرب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من وحي البحر

جاء الصباح وقد تبـــدى بالحيـــاة وبالامـــل
وتهافـــت المـــوج المثـــير على الحسان بلا ملل
نشرت حســـان البر اجنحة الجمال العاريـــه
تهفـــو الى حلو الامـــاني في الميـــاه الجاريـــه
لا تشتكي المـــا ولا تخشى صراع الكائنـــات
الله اودع في دناهـــــا كل احلام الحيـــــاة
يا بحر هب لي من صفائك انني زهر الاقاحي
خرجت به الاقـــدار من قلب الجنان الى البطاح
ارنو الى الامواج تهزج في الصباح وفي المساء
والى المفاتن تبعـــث السلوى وتودي بالعنـــاء
وكأننا اخوان قـــد حرمـــا الابـــوة في الصغـــر
نبكي بألحـــان الحياة وقـــد تلاشت في الحجر
يا بحر ما لك قد ظللت وقد تغيرت الجـــواء
اتراك تفري الغيب يضحك في جنون الكبرياء
كم من اناس قد هديت من الشرور المستطيره
وعلوت بالقلب الكريم الى الحيـــاة المستنيره
آووا الى كنفي وقد طرحوا الشقاوة والعذاب
وجدوا المحبة في ظلالي والامـــاني العـــذاب
يا بحر مـــا هـــذا الجـــلال الخاشـــع المتعبـــد
هل انـــت كهـــف قائم ؟ ام انت خلد موصد
قد بـــان فلك من عبابـــك والرياح صواخب
والحور تقذفهـــا الى صدر الضفاف رغائـــب
والناس في دنيا المطامع يذهبـــون ويفتـــدون
باعـــوا ضمائرهم باسعـــار المهانـــة والمجـــون
لا الوعظ يردع ذا الجهالة.. او يحرك اويثير
او يرعوي اهل المبـــــاذل ان تعقبهم غيـــــور
اضحوا جياعـــا كالذئاب او الوحوش الضاريه
وتقاسموا جثث الضحايا والمخالـــب داميـــه

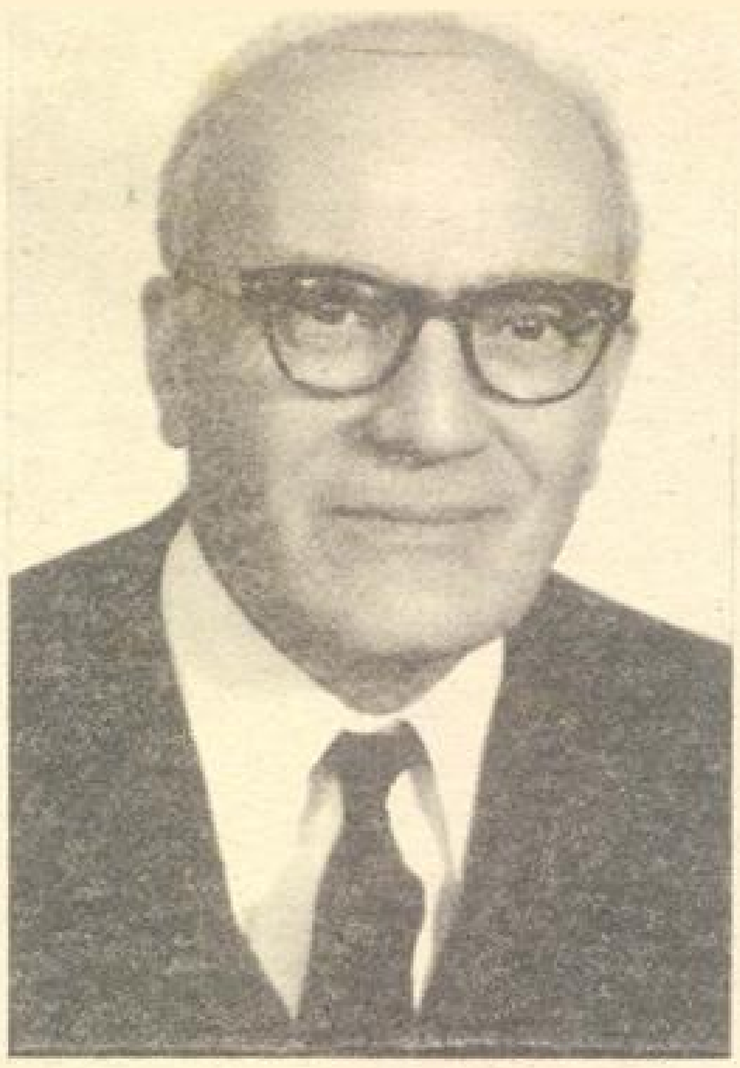
عين شمس ـ مصر — جميلة العلايلي

والاسلام بصلة .. فقد كان يعتبر المجر منفى له لا وطنا ، انقطع فيه الى دراسة الادب العربي واللغة العربية ، لا مؤنس له في وحشته غير زوجته الحاجة عائشة ، التي القى عليها بعد موته تركته الادبية الضخمة من رسائـــل وابحاث ومخطوطات جاهزة للطبع ستحار كيف تتصرف بها وحدها .

كان الدكتور جرمانوس يؤمن بان التطور في كل لغة وكل ادب وكل حياة اجتماعية ، انما ينبع من اوسع فئات الناس الذين يتكلمون تلك اللغة ، ويولد بينهم ذلك الادب، ويعيشون تلك الحياة ، فلا المجامع اللغوية ، ولا الهيئات الادبية ، ولا الزعماء السياسيون ، هم الذين يفرضـــون انواعا من التطور في هذا الاتجاه او ذاك ، بل ان الشعب هو مصدر كل تطور خلاق ، يكتب له البقاء والنمو .

١ ـ بين فكرين ص ١٠ .

دمشق — عيسى فتوح



سعيد ابو الحسن

سيرة ذاتية

بقلم سعيد أبو الحسن

* * *

(٦)
الثـــــورة

في يوم من شهر تموز عام ١٩٢٥ ، وقد صار نيسان ، وعيد استقلاله ، وحفلاته المضحكة وراءنـــا ، والناس منهمكون بأعمال الحصاد ، وكروم العنب تنتظر آب لتبدأ عطاءها السخي ، اجمل عنب في الدنيا ، سرى نبأ هـز القرية من اولها الى آخرها : سلطان ضيف القرية اليوم. انه نازل في بيت سلمان برق (رزق) والاهالي يتوافدون للسلام عليه . واهمية النبأ متأتية من ان سلطان الاطرش في عرمان امر له مغزى فريد ، لا يدركه غير المطامين على تاريخ الرجل ، وتاريخ القرية . اما الرجل فهو حامل لواء الثور ة على الفرنسيين المحتلين ، وقد قام بثورته الصغرى المحصورة منذ سنتين ، وقصفت الطائرات داره فهدمتها وادرك ان حركته ، التي قام بها تحت ضغط الاثـــارة ، اثارة امر ضيفه ادهـــم خنجر ـ وهو احد الثائريـــن اللاجئين ـ لم تكن بعد في اوانها ، والناس لم يكونوا بعد مستعدين للثورة الشعبية الشاملة لجميع انحاء الجبل . فقبل الوساطة والمهادنة ، ولكنه كان يضمر شيئا . والذين يعرفونه كانوا يعرفون انه يضمر الثورة . فهو من الرجال القلائل الذين لا ينامـــون على ضيم ، ولا ينســـون دارا تهدمت ، وحرمة جوار انتهكت . فضلا عن احتلال اجنبي بغيض يجب ان يزال .

هذا هو الرجل ، ضيف عرمـــان . اما عرمـــان ـ القرية ـ فهي مفتاح حرب ، هي البؤرة الثورية الدائمة التوهج : اقضت مضاجع الاتراك العثمانيين ، واتـــراك تركية الفتاة ، وفي تاريخها ابادة جيوش ، وكفاح وبطولات ولا اروع . وكانت بعيدة عن ثـــورة سلطان الصغرى ، المعروفة بالثورة الاولى ، قبل ثلاث سنوات ، لان سلطان ـ كما قلنا ـ قام بتلك الثورة تحت ضغط الاثارة ، ولم يشاركه فيها غير اخوته وبعض ابناء عمه ، وبعض رفاقه المقربين جدا (١) .

وحلوله في عرمان ، اليوم ، ادراك منه لحقيقـــة تاريخية ، ان الثورة ، ان لم تبدأ من بؤرتها ، من موقدها، من معينها ، فلن تكون ثورة ، ولن تعم سائر القرى . وجو القرية متوتر ، والرجال في حركة ، ضجيج ، صهيـــل خيول ، ترقب لامر ادركته ضمائر الرجال بالحـدس ، قبل ان تتحدث به الالسنة .

كان والدي المطل على الخمسين قد اصبح ابيض الشعر تماما ، وكان جالسا في ارض الدار ، في ظل مـــا بعد الظهر ، حينما دخل بيتنا زائر كان صديقا لنا ، وهو اكبر من والدي ، ولكنه كان على صلة وثيقة به، يتشاوران في كل شيء ، ويبحثان كل امر . دخل وسلم وجلس الى جانب والدي ، وانا ، الصبي في منتصف الثالثة عشرة من العمر ، اصغي لما يقال ، وانظر الى القرية من بيتنا البعيد عنها ، انظر وارقب شيئا بالحدس ، كما يفعل غيري . نظر كل من الرجلين الى صاحبه وقال الزائر :

ـ انها الثـورة ، يا ابا سعيد ، هـل تدرك ما نحن فيه وما نحن مقبلون عليه .

ـ انني احس ذلك ، يا ابا قاسم ، فلقد مررنا بمثل هذه الحالة من التوتر والانفعال الشديد مرات كثيرة من قبل ، اتذكر الخراب : وممدوح ، وسامي باشا .

ـ كيف لا اذكر . وكل مرة ، سنحارب نحـــن الشعب ، ونخوض معارك ضارية ، وسيقتل منا الكثـــير الكثير ، وسنتشرد ونجوع ، وستدمر بلادنا ، وسيصبـح بيننا العديد العديد من الايتام والارامل ، ولن يلتفت الينا احد .. ومن يعش ير .

ـ اجل الشعب يقوم بواجبه ، وبعضهم يستغلون تضحياته . ولكن لا مجال للنقاش الان . فالواجب

اولا (٢) . وانصرف صديقنا ، وبقي والدي صامتايفكر . وانا احدق في وجهه الصبيح المتجهم ، واديـر في راسي الصغير الحديث الذي سمعته ، والذي لم انسه طوال حياتي ، والذي سافيد منه ايما افادة فيحياتي السياسية المقبلة .

وما هي الا دقائق حتى ضجت سماء القريةبطائرتين حربيتين فرنسيتين قدمتا ـ ولا شك ـ لرصد تحرك سلطان ورفاقه ، وفي بداهة وعفوية منقطعتي النظير ، قفز كل رجل مسلح في القرية الى سطح منزله وبدأ اطلاق النار على الطائرتين . وكان والدي من اسرع القافزين الى السطح ، وانا معه . واخذ يطلق الرصاص وانا اجمع الفشك الفارغ عندما يلفظه مغلاق البارودة وراءه او الى جانبيه . وفي لحظة من اللحظات ، قال لي بعد احدى الطلقات : « لقد اصيبت الطائرة ، لقد خرج دخان من بيت النار فيها . رايته بأم عيني » (٣) ـ من هو الثائر المجهول الذي اصاب الطائرة : من يدري : قد يكون والدي الذي راى الاصابة لحظة حدوثها وعلى اثر طلقة اطلقها . واعلن انه رآها تصاب . وقد يكون غيره من ابناء القرية وكانوا عدة مئات فوق سطوحهم ومئات الطلقات تصعد معا نحو الطائرتين وكل رجالنا رماة مهرة ، المهم ان الطائرة اصيبت . وان هذا العمل يعني ان الثورة قد بدات فعلا ، بلا رجوع . وبدأت بحادث يعزز ثقة الثائر بسلاحه ومقدرته على مقاومة السلاح الجوي ، كما كان قادرا في السابق على مقاومة السلاح البري . وسقطت الطائرة في قرية متان المجاورة واسر طياراها الاثنان . كان ذلك في ١٩ تموز ١٩٢٥ .

وفي اليوم التالي هاجم الثائرون مركز البعثة الفرنسية في صلخد فاحرقوه . وفي اليوم الثالث انقضوا على اول كتيبة فرنسية ، كانت في طريقها اليهم ، وكانت مخيمة في قرية الكفر ، عند منتصف الطريق بين السويداء وعرمان ، فأبادوها . وفقد عدد من الثوار البارزين وجرح عدد آخر . وبدأت اواجه قضايا جديدة : كان في طليعة القتلى عدد من ابرز الرجال المقاتلين في بلدتنا عرمان ، اذكر منهم سلمان برق (رزق) ، حمد العطواني ، مهنا الصغير ، الاخوين سعيد وسلمان الصغير، ومن المشهورين خارج قريتنا : مصطفى الاطرش (شقيق سلطان) ، وشهاب غزالة (حامل بيرق ملح الذي خلد ذكره في تلك المعركة) وعددا من اقاربه. ليست مهمتي تأريخ الحوادث، فانا اكتب ذكريات ، وقد ذكرت الاسماء التي سمعتها يومذاك وانا صغير . اما القتلى الذين لا اعرفهم او لم اسمع بهم في ذلك الحين فمكان ذكرهم في الاحصاءات التاريخية الاخرى ، كالاحصاء الذي قام به مشكورا الاستاذ سلامة عبيد في كتابه « الثورة السورية الكبرى من خلال وثائق لم تنشر ـ ١٩٧١ » ـ او الاحصاء الاوسع والاشمل الذي اورده ـ مشكورا كذلك ـ المؤرخ الثائر الاستاذ جميل العلواني في كتابه « نضال شعب وسجل خلود » ١٩٧٣ .

لاحظت ان بعض الوجوم غشى الوجوه عند وصول انباء المعركة . ولكن الفرح والاعتزاز بالنصر كانا اقوى من الوجوم : فلا ماتم ، ولا بكاء ، بل اهازيج وافراح ، واستعداد دائب للمعارك القادمة . النساء يبكين في صمت عندما يكن منفردات ، اما امام الناس فلا بكاء ولا حزن : عليهن ان يشجعن الرجال بدلا من تثبيط عزائمهم وكان لا بد من ملاحظة ان بعض البيوت ستخلو من الرجال مثل بيت قريبينا سلمان وسعيد ولدي محمود الصغير . وهذا من اول معركة . فكيف ستكون الحال بعد ذلك : هذا ما اخذت تردده الالسنة . ومسالة اخرى كنت اسمعها عندما يكون الاقارب وحدهم : كانوا يعتزون بانهم يدفعون الثمن الابهظ . ولا ننس اننا ما زلنا في الطور العشائري ، فالعائلية كانت ما تزال رباطا قويا : المفاخر للجميع ، والعار على الجميع . والفرد لا شان له ، فهو ليس اكثر من خلية في الجسم العائلي .

والاعتقاد بان العمر محدود ، وبان الموت ليس سوى نقلة من جيل الى جيل ، الاعتقاد بالتقمص ، بان الروح لا يضيع عليها تنفس واحد ، فهي ما ان تنتهي في هذا الجسد حتى تبدأ في جسد مولود انساني جديد بلا اي فاصل او انقطاع (الا يذكرنا هذا بجدلية تلازم النهاية والبداية الى الابد) هذا الاعتقاد ، بالاضافة الى دوافع الرجولة الاخرى، كحب الوطن ، والاستقلال والحرية ، كانت جميعا وراء هذه الشجاعة النادرة ، التي يتميز بها مقاتلونا .

لم تكن لدى الناس فرصة للتفكير في القتلى والجرحى فالاحداث تتتالى في سرعة كبيرة . فالانتصار في معركة الكفر ادى الى الاستيلاء على الكثير من السلاح والعتاد :

كل سلاح الكتيبة اصبح بيد المنتصرين وكان عدد الثوار الذين اشتركوا في هذه المعركة محدودا ، فالثورة ما تزال في بدايتها وحوالي بؤرتها الاولى فقط ، ولذلك كان عدد الذين تسلحوا بسلاح الحملة الفرنسية كبيرا نسبيا .

وبعد المعركة لجأ الفرنسيون ، في السويداء الى القلعة . وبدأ الحصار . صار على الثوار ان يحاصروا القلعة ، وان يحتاطوا لما قد تجيء به الطوارىء . ولكن انباء الانتصار الساحق في الكفر جعلت الثورة تعم الجبل كله . فلم يعد الامر مقتصرا على المقرن (المنطقة) الجنوبي. بل شملت الثورة السويداء وسائر انحاء الجبل .

وبعد عشرة ايام من معركة الكفر ، كانت حملة (ميشو) قد زحفت عبر (ازرع) وعسكرت على ماء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المزرعة الواقعة على بعد اثني عشر كيلومترا من السويداء. وبدات المناوشات معها . وفي اول احتكاك رئيسي اشتركت فيه الطائرات والدبابات والمدفعية ، فضلا عن الفرسان الصباحيين المغاربة ، تراجع الثوار وعادوا الى قراهم ليلا ليتهيأوا للهجيج . والهجيج يعني خروج جميع الناس من القرى والالتجاء الى الصحراء ، في القرى القريبة من الصحراء ، او الى اللجاه ، في القرى القريبة من هذه المنطقة الصخرية وهو تدبير طالما لجأ اليه اهل الجبل في حروبهم السابقة . وخيم الوجوم على القرى لورود هذه الانباء السيئة . وبدانا نتاهب لترك منازلنا . كان والدي قد عاد مع العائدين ، وكانت القرية فيما يشبه الحشر .

وفي اليوم التالي ، حوالي الظهر ، بدات ترد انباء اخرى مناقضة تماما لانباء اليوم الاول : لقد بدات تتسرب انباء مفادها ان شيئا ما قد حدث في المزرعة فبدل الموقف. وكنا ننتظر ، ونترقب في لهفة عندما سمعنا صوت حداء يدخل القرية من الغرب ، واذا قريبنا البطل محمد الصغير يصل وقد اعتمر على راسه عمرة ضابط فرنسي برتبة مقدم ، وحصانه ينوء بحمل الاسلحة والذخائر . ولاقاه الناس ليستخبروا منه ، فانباهم بان حملة الجنرال ميشو قد ابيدت ، وان ما يلبسه هو وما يحمله حصانه اصدق دليل على ذلك . ثم بدأ غيره من المحاربين يصلون الى القرية ، اذكر من اسمائهم اسم شهاب الصبي ومحمد زويهد اللذين جاء كل منهما بعدد من الرشاشات والبنادق وكميات كبيرة من الذخائر ، وجاء واحد غيرهما بمدفع .

واخذت الاخبار تتزايد كمية ووضوحا : لقد هاجم الثوار الحملة من جانبها ووراثها فاستولوا على قوافل تموينها وامداداتها ، ثم بداوا يفتكون بالجيش كله بمعركة التحام لم تسجل وقائع الثورة اروع منها : عدة آلاف من القتلى ، واسلحة وذخائر من جميع لانواع ملات البلاد ، ودبابات ومدرعات حطمت وقلبت واحرقت . انه النصر المؤزر الكامل ، والهزيمة الساحقة للاعداء . وفر ميشو وبعض الفلول من جيشه ، وصار الجبل حرا ليس فوق ارضه جندي فرنسي واحد غير المحاصرين في القلعة .

ومنذ معركة الكفر بدا الشعر الشعبي يسجل وقائع الثورة ويشيد بالانتصارات ويمجد البطولات . والشاعر الذي كان شعره على جميع الالسنة هو صالح عمار ابو الحسن ، وطبيعي ان نردد ، نحن الصغار ، ابياته السهلة وبخاصة ما يمجد قريتنا . فقد استقبل نبا معركة الكفر وارسل قصيدته المشهورة (٤) :

البارحة جانا خبر — انو انقتل دولابها
عرمان سالت عالكفر — ذبح العراضي دابها

---

١ ـ في الواقع لم تكن عرمان بعيدة تماما عن اسباب ثورة سلطان الصغرى فقد كان قريبنا الشهيد محمد الصغير هو الذي رافق ادهم خنجر حتى اوصله الى دار سلطان ، فكان توقيفه وخرق حرمة الدار سببا لتلك الثورة .

٢ ـ ما اشبه الليلة بالبارحة . كان الشاعر الناطق بلسان الشعب يقول :

اذا قتلنا ولا يدري بنا احد — قالت قريش الا تلك المقادير
نعطي السوية من ضمن له نشب — ولا سويبة اذ تعطى الدنانير

٣ ـ بيت النار ـ مكان المحرك في الطائرة حسب التعبير الشعبي.

٤ ـ العراضي : جمع عرضي ـ تصحيف للفظة التركية (اوردو) : جيش ـ والجمع جيوش .

السويداء ـ سورية — سعيد ابو الحسن

سعر بيع مجلة الاديب :

العراق	٤٠٠ فلس
الكويت	٤٠٠ فلس
ابو ظبي	٦ دراهم
دبي	٦ دراهم
قطر	٦ ريالات
البحرين	٦٠٠ فلس
الاردن	٤٠٠ فلس
السعودية	٦ ريالات
اليمن	٦ ريالات
عدن	٦٠٠ فلس
مسقط	٦٠٠ بيسه
مصر	٤٠٠ مليم
ليبيا	٦٠٠ درهم
تونس	٦٠٠ مليم
المغرب	٦ دراهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأدب داعية محبة

بقلم عادل الاعور

* * *

الادب محبة .

وهو ، في منطلقاته الاساسية ، يتوسل الوصول بالقارىء ـ الانسان الى جو حميم ملؤه التواصل الانساني المتعاطف مع الاخرين .

والادب ، في هذا المعنى ذاته ، يتخذ من الحرف المكتوب المتداول صلة ذات جذور بالتراث المشترك المتفاعل ، لاي شعب من الشعوب .

الادب المفتقد الى الاصالة ، يدور في فراغ . ولا يمكن ان يقدم ما يغري القراء بالقراءة ، ولا يكتب له البقاء والخلود .

انه يأخذ من الواقع وقائع يستفيد منها ، ويمنحها المضمون الملائم ، في شكل يليق بالاسلوب الذي يختاره الكاتب . في عملية مصاهرة وتزاوج بين الاثنين بحيث يخرجان الى العلن في عملية الكتابة المتلقاة عن صاحبها .

الادب ليس عملية زخرفية مزيفة ، ولا هو تلاعب بالالفاظ او الدوران حولها ، في ما عرف الادب العربي قديما ، من ديباجة بديع او جناس او طباق او تسهيم ..

ذلك ان الادب الباقي ، هو ادب مبني على عاطفة سليمة ، نقية ، ولا يمكن ان يتساهل مع من يقحمون انفسهم في نطاقه الا بشروط .

اول هذه الشروط ان لا يعملوا على اثارة النعرات ، طائفية كانت او عنصرية ، والا فان الذين يتخذون من الكلمة ما يلوثون به النفوس ، ويزيدون المرض ، فهم مدسوسون على الادب والادباء .

الادب ، ليس كالسياسة التي ما دخلت شيئا الا افسدته ، انه لذو حرمة وعفة ورفعة .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

الا ان للادب وظيفة ، بطريقة من الطرائق . فهو يحمل مضمونا ويتأسلب بأسلوب ما ، دون ان يترك ، للنقاد ، مجالا للنقد والتجريح .

وليس ، هنا ، مجال الخوض في هذه التفاصيل ، فهي متوافرة في اكثر من مرجع وكتاب .

بيد ان الادب ، في لبنان وفي هذه الاونة بالذات ، يكاد ان يكون انعكاس روح جماعية ، وعقيدة واضحة المرمى ، تقرب وتحث على التآلف والتكاتف والاتحاد .

فاذا كان للسياسة ، الان ، اليد العليا في كل شيء ، فيجب على الادب والادباء ان يخترقوا هذا الجدار السميك ، ويتلاقوا على الدعوة الى وحدة الوطن ، بمنأى عن المآرب، وبعيدا عن الغايات التي لم تعد خافية على احد.

على الادباء ان ينتقلوا ، في ادبهم ، بالناس من هذا الجو الخانق المحموم .

ومما يلاحظ ، في ما افرزته المطابع من كتب ، اثناء الحرب ، يفتقر في اكثره ، الى الاصالة ويفتقر الى التصميم الوطني المطلوب .

ان فرصة ذهبية ، كمثل هذه الحرب المتماحلة (المتطاولة التي لا تكاد تنقضي) ـ ان صح التعبير ـ واما ما نقراه ، هذه الايام ، من ادب ولو سياسي ، فهو خارج اللعبة ، لانه يستقي من المياه العكرة .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

وهنا ، في لبنان ، من يدبج المقالة ، بعد المقالة ، للامعان في التفريق بين المواطنين الذين يجمعهم تراث مشترك ، وتاريخ واحد ، ومصير واحد .

فهل هذه الكتابة ، مهما زها اسلوبها ، تدخل في عداد الادب النظيف ؟

انها تعمل على « تقطيع » اللقاء بين المواطنين ، وتقلص فرص التلاقي بينهم .

فالادب الجاد هو الادب الذي يترفع عن اثارة الاحقاد ، وزرع الضغائن ، وترويج دعوة التباعد والجفاء.

فهو يعلو على الجراح والالام ، وان كان لا يغفل فرصة الاستفادة منها ، لينبري ، من ثم ، الى معالجتها وبلسمة قلوب المبتلين بها . فيعمل على تجفيف الدموع في مآقي المتألمين ، مفسحا في المجال امام نقل صورة حقيقية حية ، يمكن استخلاص العبر منها .

ولا يعني هذا ان يرتحل الادب عن الواقع متخليا عن جماليته وحسن فنه . كأن يتحول الى ادب وعظ مباشر ، فيقلع عن التجربة الادبية التي تصور وتنمق وتتشكل في الشكل الذي تريد ، بعيدا عن اجواء النصائح التي ملها الناس ، من زمن بعيد .

عـــزاء

رحلـت في هـداة المساء ... مثل شعـاع من الرجـاء
فما تبقى سـوى خيـال ... يطيـف في وحشـة العـراء
ورجـع امس صـداه حي ... مثـل رنـين بـلا انتهـاء

خلفـت في الشـارع الحزيـن ... خطى حيـارى مـع الغروب
والـف حلم يـذوب شجـوا ... في افـق اللهفـة الكئيـب
انـت وركـب السنـين ذكرى ... تضـوع بالـدفء والطيـوب

كان جـرس الحفيف بـوح ... وغائمـات الرؤى دمـوع
وكل شيء جـوى حزيـن ... يهيـج تذكـاره الولـوع
ترى ، لمـاذا الدروب حـيرى ... والريـح والزهـر والربـوع ؟

كنـت اخضرارا على مـداه ... نجـم الصبا ومضـه ائتـلاق
شراعـه الحـلم والليـالي ... وشطـه الدائـم احتـراق
في حـين ان المنى كثـار ... فلا ارتحـال ولا فـراق

ايـن مقـام بـلا انتهـاء ... وايـن سـير بـلا جراح
وايـن وعـد بـلا انطفـاء ... اذا بـدت غـرة الصبـاح
فكف يا قلـب عـن انـين ... فالكـل مـاض مع الريـاح

دمشق — رضوان الشيخ محمد

كان يجب ان تترافق مع عملية تجديدية ، في الشكل والمضمون .

وبقي ادب الحرب ، مجرد ادب حرب موقتة وطارئة مقصورا على تصوير ما احدثته من آثار تدمير ، دون ان يستطيع تناوب هذه الظاهرة بأسلوب مغاير ، لما الفناه من اشكال تقليدية ، او ان يعطيها ابعادا جديدة ، ومضمونا جديدا .

ان ادب الحرب ، المرشح للبقاء ، لم يكتب بعد .

وما هذه الكتب المتداولة في السوق ، الا صورة مشوهة ، مبتورة ، لما حدث ويحدث .

فهل ، في هذا الكلام ، شيء من الظلم ؟

ربما .

الا ان الادب ، كما نعلم ، فن جميل . فدعوا صورته تعكس الحق والخير والجمال . ولا تدعوا ، هذه الصورة تمعن فيه ، كالحرب ، تشويها وخرابا وتدميرا ، لمعالم العطاء والمحبة السمحاء . او تعكس للحقد صفحات مقيتة سوداء ، كلون البارود والرصاص .

عادل الاعور

شخصيتان .. عظيمتان

بقلم السيد الجندي

* * *

لكل شخصية اعتبارية تاريخ ، سواء كانت هذه الشخصية الاعتبارية منشأة او جمعية او شركة او صحيفة او مجلة او غير ذلك ، شأنها في ذلك شأن الشخصية الحقيقية .

وتتجدد معالم التاريخ بعاملين اساسيين هما :

١ ـ العمر .

٢ ـ الاحداث .

وقلما نجد شخصيتين، احداهما حقيقية ، والاخرى اعتبارية ، مرتبطتين ارتباطا وثيقا . ونذكر هنا من هذه القلة شخصيتين ، اصدق ما يوصف به ارتباط كل منهما بالاخرى ، انهما كالروح والجسد .

هكذا كان البير اديب .. ولا يزال .. مع مجلة الاديب .

واذا ذكرنا شيئا من تاريخهما من حيث العاملين الاساسيين (العمر والاحداث) فانني اكرر السؤال الذي كثيرا ما سألته لنفسي ، كلما تعرضت « الاديب » للاخطار .. وما اكثرها ، من مؤامرات واعتداءات ، سواء كانت هي الهدف ، او كان الهدف بيروت .. والاديب جزء منها:

كم مجلة ادبية على امتداد الوطن العربي عاشت اربعين عاما ..؟

وان وجد .. فكم منها ظلت حفيظة على اصالة نشأتها ، وسمو رسالتها طوال هذا العمر المديد ؟

لقد ارتبطت الشخصيتان العظيمتان (البير اديب ـ والاديب) ارتباطا مصيريا ، منذ ميلاد شخصية الاديب الاعتبارية في عددها الاول ، الصادر في بزوغ عام ١٩٤٢ .

ومنذ ذلك التاريخ ، ظلت الاديب تشع ضوءها ، وتنشر عبيرها ، من بلد الى بلد ، ومن قطر الى قطر . حتى عم شذاها كل الاقطار والبلدان العربية . ثم تجاوز نورها كل هذه الحدود ، فعم جميع الممالك والجمهوريات شرقا وغربا .

ومن العجيب ، ان كل انسان يعرف مجلة الاديب .. سواء كان كاتبا او قارئا .. يحرص على الفوز بها ، ويتابع اعدادها مهما كلفه ذلك من ثمن . فما السر في ذلك ؟؟

حقيقة .. ليس في ذلك سر ولا سحر .. ولكن الجودة ، والاصالة ، والالتزام ، والحياد ، وعدم التبعية .. كل هذه العوامل مجتمعة ، كانت ولا زالت حجر الاساس في بناء الاديب . وقد ساعد على بناء هذا الصرح الشامخ ، ما اكتسبه مؤسسها البير اديب من دراسات وخبرات ، في مجال الصحافة والادب في مصر ولبنان وغيرهما . وقد التزم الطريق الذي رسمه لنفسه وللاديب وسار فيه في تؤدة واتزان رغم وعورته ، فلم ينحرف يمينا او يسارا رغم كل المغريات .

لم يستجب لدعوات الاحزاب السياسية ، رغم ثرائها .. ووفرة مواردها . ولم يحفل بمغريات المذاهب الطائفية ، ولكنه لم يحد عن طريقه قيد انملة . فقد عاهد نفسه وعاهد اصدقاءه وابناءه ان تكون الاصالة منهجه ، والادب الرفيع هدفه ومقصده ، فلا محاباة لاحد مهما كان شأنه ، ولا فضل لعمل على عمل ، الا بميزان الكلمة الشريفة الهادفة .

وان انس لا انس انتاجي الادبي ، سواء في القصة او المقال ، والذي ارسلته الى المجلات الادبية القريبة مني ومن موطني ، حيث وعدني المسؤولون بها بالنشر مرة .. وتجاهلوني مرات .

وعندما ارسلته الى الاديب .. بلا معرفة سابقة ، ولا وساطة من احد ، اذا بالاديب تمنحني الثقة في الادب والادباء بعد ان فقدتها ، وتجدد الثقة في نفسي ـ بعد ان افتقدتها . ومن اوائل السبعينات ظللت حريصا على ابتاء الاديب بأجود انتاجي ، رغم ما عرفته بعد ذلك من مجلات اخرى .

وتعتبر الاديب منهلا لمن اراد الثقافة والادب ، بما تنشره من مختلف مناهل الادب من شعر وقصة ومقال ، كما تعتبر مرجعا لمن اراد البحث بما تنشره من دراسات لعلماء وادباء افاضل ، كما تعتبر الاديب دليلا ادبيا ، بما تنشره من اخبار ادبية للقديم والحديث ، من الكتب والكتاب من مختلف البلدان العربية وغير العربية .

ولم نسمع حتى الان عن اية مجلة او صحيفة يملكها، ويراس تحريرها ، ويحررها ويشرف عليها شخص واحد .. كما هو الحال مع الاديب .. والبير اديب .

وربما كان هذا هو السبب ، او احد الاسباب في احتفاظ الاديب بشكلها ومضمونها طوال اربعين عاما .

واذا كنا نعجب لانسان ، يتولى بنفسه كل هذه الاعمال ، وهو في ذروة شبابه وقوته .. فاننا بلا شك ننظر مبهورين .. بل ونحني قاماتنا احتراما وتقديرا لانسان اقترب من الخامسة والسبعين ، ضعيف البصر . وما زال يقوم وحده بكل هذه الاعمال .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واذكر الان بعض الكلمات المأثورة عن البير اديب في مقال للدكتور فوزي عطوي (عدد مايو ٨١) حيث كان يردد البير اديب دائما على سبيل التظرف : « ان افضل اللجان ، هي اللجنة المكونة من شخص واحد » .

ومن الدعائم القوية ، التي ساعدت على استمرار مسيرة الاديب ، ذلك التعارف ، والتآلف والتآخي بين اسرتها الكبيرة .. ذات الفروع المرتفعة ، والمنتشرة في مختلف البقاع . فهي الدار لكل الادباء ، وهي الملتقى لكل العرباء ، حيث كنا ولا زلنا نلتفي على صفحاتها دون لقاء ونتبادل من خلالها المراجع والمؤلفات والاراء . كنا جميعا وما زلنا الاسرة المتحابة المتآلفة ، بكل ما تحمل كلمة (اسرة) من معان ، على غير ارحام بيننا .. ولا اموال نتعاطاها . تجمعنا الكلمة الطيبة .. ولا يفرقنا اختلاف الراي ، يعود قوينا مريضنا ، ويسأل حاضرنا عن غائبنا . هكذا نحن اسرة الاديب .

★ ★ ★

اما العامل الرئيسي الاخر في بناء الشخصية فهو الاحداث .

والاحداث هي الازمات .. وهي بلغة العلم .. البوتقة التي تنصهر في لهيب نارها معادن الرجال .. فيتحلل بعضها ويتطاير ، ويتحد بعضها مع معادن اخرى ويفقد خاصيته . والقليل منها يخرج من التجربة اشد صلابة ، واقوى عزما وارادة مما كان .

وما اكثر الازمات والتجارب التي مرت بها الاديب وصاحبها . لقد مر بأشد الازمات منذ ميلاد المجلة ، حيث صدر العدد الاول منها في يناير عام ١٩٤٢ ونيران الحرب العالمية الثانية تلتهم كل شيء . كأنها ولدت لتحارب الحرب . او كما قال بعض الادباء الافاضل (كانت تحارب النار بالنور) .

وبدأت المسيرة .. وانطلقت الشعلة .. وسرى النور في كل مكان حلت على ارضه رحاب الاديب .

وتوالت الازمات .. وظل علم الاديب مرفوعا في شموخ ، ظلت المنارة تبعث الضوء على الناس اجمعين ، العدو منهم والصديق . ولكن الازمات تلاحقت ، واشتدت ضراوتها في السنوات الاخيرة ، منذ بدأت الحرب الاهلية في لبنان .

وعاصرنا اول كسوف لشمس الاديب منذ ان عرفناها ، وكان لنا شرف الانضمام لاسرتها . حرمت ابصارنا من رؤية طلعتها قرابة عام كامل . ثم عاد نورها ليبدد ظلام الخوف عليها وعلى صاحبها . ثم تعودنا بعد ذلك هذه الغيبة الطويلة على تخلف ظهور الهلال في مطلع كل شهر . ولكنه كان يهل علينا بغير انتظام ، وبغير ارادة منه .. كل بضعة شهور ، بيد انه كان دائما يحمل الينا خلاصة ما حرمتنا منه قسوة الاحداث .

ثم .. ثم بدت قلوبنا تتوجس خيفة بعد شهور قلائل من بداية هذا العام ١٩٨١ ، حيث بدأت الانباء غير الرسمية تثير في نفوسنا القلق على مصير الاديب وصاحبها بالتصريح حينا .. وبالتلميح احيانا اخرى .

ثم جاءنا النبأ اليقين .. باصابة اعز مبنى بمنطقة البريمو في لبنان اصابات مباشرة ، وهو يحوي بين جنبيه الشخصيتين العظيمتين . وتحطمت الاديب بما تحويه من آلات وعدد ووثائق .. بينما ظلت الشخصية العظيمة الاخرى بين الانقاض لا يبرحها .

نعم .. ظل البير اديب وحده بين الاطلال .. يأسى لثمرة جهده وكفاحه التي باع من اجلها في غابر الزمان كل ما يملك من رخيص وغال .. حتى مكتبته الثمينة في الجامعة الاميركية .

ظل وحده ينظر في حسرة بما بقي له من بصيص نيران وقذائف الغدر .. تحطم الجدران والاسقف. ولكنها لم تستطع النيل من ايمان الرجل وشموخه . وخسر البير اديب كل شيء .. اللهم الا كرامته ، ومنزلته في نفوسنا جميعا .

وهل علينا هلال الاديب لاول مرة بعد تدميرها ، حيث تم طبعها في مكان آخر ، وفيه دعوات كريمة لاسرة الاديب في كل البلاد للوقوف بجانبها . ولما كانت هذه الدعوات غير صريحة وغير محددة ، فانني اعلنها عالية مدوية بأننا جميعا ملزمون ادبيا بسداد جزء يسير من حقوق الشخصيتين العظيمتين علينا . وليعلم الجميع .. واولهم البير اديب نفسه ان ما اعرضه الان ليس منا .. ولكنه واجب مقدس . والفضل ليس لنا ، ولكن الفضل لذوي الفضل .

بقي أن يجتمع الاخوة الافاضل من ادباء لبنان ، لتحديد اقساط الدين علينا ، وكيفية سدادها . وليكن ذلك منشورا وواضحا في العدد القادم مع هذا المقال .

ونحن في ثقة بان أسرة الاديب وقراءها لن يدخروا وسعا لتبقى الاديب لسبب غاية في البساطة والايجاز وهو ان البقاء للاكثر نفعا . وصدق الله العظيم حيث يقول :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

روعة الغيب

★

القلب يمرح في المروج الخضر كالصب المشوق
والحسن يرتاد الجداول والربى عند الشروق

والشاطىء المسحور لاح كانـــه شلال نـــور
يصغي الى همسات قلب رف جياش الحبور

والبلبل الشادي يغرد فوق اغصـــان الخميله
متنقـلا هيمـــان فيَ نغماتـه حلم الطفولـــه

اني لاذكـر ليلـة قمـراء تعبـــق بالعطـور
وقطيـــع ضان راح يطوي الدرب في لحن مثير

وارى الطيور تحوم في الافق الوضيء بلا ملال
وكان رجع غنائهـا الاضـــواء تؤذن بالزوال

مشت الطبيعـة بـين ادواح هنالك هائمـه
فاذا الرعـاة تسبح ما بـين المراعي الباسمه

والشمس تجنح للافول وتختفي خلف الاقاح
كالواله المتبـول تصبو في الغـد وفي الرواح

ما زلت ابحث عن نشيد الحب في ظل الغروب
وجوانحي مشبوبة تهفـــو الى لقيا الحبيـب

يا فتنـة راحت تصوغ السحر من فن الجمال
ترنـو لمطلـع فجره والضـوء يرقص للهـلال

كربلاء ـ العراق — سلمان هادي آل طعمه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(واما الزبد فيذهب جفاء .. واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض) .

وبعد ..

فهذه كلمة موجزة جاش بها القلب وانا اتابع باهتمام وقلق كل انباء الشخصيتين العظيمتين ، بعد ان حال بيني وبين المشاركة في تحريرها عام كامل ، لظروف قاسية تمر بي انا الاخر . ولكنني نسيت الان مشكلتي الخاصة للمشاركة في الدفاع عن هدف عام .. احق وابقى وانفع .

والى ان نلتقي في العدد القادم ان شاء الله ، اتقدم بالتحية والاعزاز والدعوات للشخصيتين العظيمتين .

القاهرة ـ مدينة نصر — السيد الجندي

المتنبي شاعر البطولة والمجد

بقلم احمد سعيد هواش

★ ★ ★

عشق « المتنبي » البطولة والقوة ، ولعل ذلك العشق والحب لهما كانا من اسباب طلبه للمجد الذي ظل يناضل من اجله طيلة حياته : ولا عجب في ذلك فقد تربى في البادية وتخرج من مدرستها التي تخرج منها قبله ابطال الفتوحات العربية امثال : خالد بن الوليد ـ وابي عبيدة ابن الجراح ـ وسعد بن ابي وقاص وغيرهم من ابطال الامة العربية .

وان ولادة ابي الطيب بالكوفة من اب فقير يعمل (سقاء) واصطحابه لابنه هذا الى البادية وبلاد الشام وتنقله بين القبائل العربية وراء الرزق وما صادفه من مخاطر ومشاق وهو لا يزال في ريعان الصبا كل ذلك اكسبه حب المغامرة والصبر على تحمل الجلد واستهلال المصاعب ، فنمت عنده اخلاق الجراة والصراحة، وتعلم من البادية وشعبها الحياة القاسية الخشنة التي يحياها عرب البادية كما اكتسب منهم الفروسية والشجاعة التي تتطلبها الحياة في الصحراء حيث القوة والفروسية هما عنوان تلك الحياة للمحافظة على الربوع والاهل والعشيرة من الغزو والسلب ، يضاف الى تلك العوامل التي ساهمت في نبوغ شخصية المتنبي وتوقدها .

ذلك الفيض من الشاعرية الثرة وامتلاك ناصية القوافي التي سخرها لوصف البطولة والفروسية والمعارك التي كانت تدور على الحدود الشمالية من امارة بني حمدان مع اعداء الامة العربية ـ الروم ـ وقد تتوجت جميع العوامل السابقة بميزة هامة الا وهي استعداد المتنبي لتقبل بل لتنمية هذه الخصال حتى غدا هو الاخر بطلا وفارسا لا يشق له غبار ، وشاعرا ثائرا يسكب شعره بقوالب صنعت خصيصا لمعانيها والفاظ منتقاة تخدم المعنى والشكل بحيث يعجز اي شاعر عن ايجاد البديل لها : وهكذا احتضن ابو الطيب ميزتي المجد ، الفروسية والقوافي السيف ، والقلم ، الرمح واليراع فهل يجد المجد اكفا من شخصه ؟ فهو سيد الحرب والضرب والقلم والسيف والرمح .

فالخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وثمة عامل هام وهج عند المتنبي الفروسية والبطولة الا وهو اتصاله بالبطل العربي « سيف الدولة الحمداني » امير حلب ، وهو اعظم بطل عربي تألق نجمه في سماء الحرب العربية .

اذ تحول بجنوده الى ما يشبه السد العرم ليصد سيول الروم . وكان من الطبيعي ان تزدحم ساحات قصور هذا البطل بالشعراء الذين جاءوه من كل فج عميق ليتغنوا ببطولته وبطولة جنوده ، ولما كان المتنبي محبا لذلك وبنفسه منها الشيء الكثير فقد جاء ليشارك في تمجيد البطل والبطولة .

بل قل من تسعفه القوافي والبيان ليكون الوصف على قدر الموصوف ؟ فقد وجد ابو الطيب في سيف الدولة ضالته في بطشه بالروم وحقق له احلامه في البطولة العربية المفقودة ، أليس الشاعر فارسا مغوارا ايضا ؟ فلتلتق البطولة الحمدانية بفروسية وشاعرية ابي الطيب المتنبي ولنسمع الشعر العربي الاصيل بوصف معارك البطل الحمداني مع اعداء الامة العربية من شاعر العربية الكبير وفارسها المقدام بقصائد لا اجمل ولا احلى اطلق عليها السلف : (السيفيات) وهي سجل ناصع البياض في البطولة العربية ومجد ادبي خالد لا يزول على مر الايام والعصور ، فالبطولة والمجد عند ابي الطيب بدت وبهما اتوسع قليلا .

البطولة والقوة في شعر المتنبي

يقول ابن الاثير عن فن المتنبي وروعة تصويره للمعارك :

« فاذا وصف معركة كان لسانه امضى من نصالها ، واشجع من ابطالها ، وقامت اقواله للسامع مع مقام افعالها حتى يظن ان الفريقين قد تقابلا ، والسلاحين قد تواصلا ، ولا شك انه كان يشهد الحروب مع « سيف الدولة » فيصف لسانه ما رأته عيناه .. » .

ذلك ان المتنبي رزق موهبتي الفروسية الحقة والشاعرية الوقادة فهو بحق فارس الشعراء وشاعر الفرسان وقد اكتسب الفروسية بالفطرة والاستعداد ، ونماها في السفر والترحال في ارجاء البادية ، فكان قويا بالنشأة فولادته في الكوفة وتجوله في البادية وتنقله بين القبائل العربية وراء الرزق يضرب من افق الى افق ويخرج من هول الى هول اكسبه خصال الفروسية والصلابة والمغامرة ، واتصاله بالامير الحمداني ، البطل « سيف الدولة » الاديب الشجاع الكريم ، قد وهج فيه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشاعرية والفروسية وهما غريزتا البداوة وخصلتا العروبة : لذلك حطت رحاله في رحاب « بني حمدان » حيث البطولة والكرم ، ومن اقدر على تقدير البطولة والشاعرية الحقة من الامير والاديب والبطل سيف الدولة الحمداني فلنسمعه يخاطب الامير الحمداني :

تركت السرى خلفي لمن قل ماله وانمت الفراسي بنعماك مسجدا
وقيدت نفسي في هواك محبة ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا

ففي رحاب سيف الدولة ، السمح ، الكريم وجد الشاعر « المتنبي » ضالته ، وقد اعجب « سيف الدولة » بالمتنبي فعلق كل منهما بصاحبه ، ويرى الدكتور زكي المحاسني : « ان فروسية المتنبي هي التي كان لها اكبر نصيب في هذا الاعجاب لدى سيف الدولة لذا وقع المتنبي لسيف الدولة وقوع الاليف للاليف ، فلينعم بهذه اللقيا، وليقصر هواه على محبة الامير حيث الكرم والتقدير الى ما شاء الله وهكذا استمرت هذه اللقيا والمودة ما يقارب تسع سنوات يرافقه في معاركه والشاعر يرتدي لباس الحرب من درع وسيف فوق فرسه ويعود معه بعد كل معركة .. وقد ازداد حماسة وبهجة بالنصر ، فينشد ذلك قصائد نارية تصور بطولة القائد الامير وجنوده الشجعان.

فنسمع منها صليل السيوف وهجمات الخيول ونرى عجيج الغبار يملأ سماء المعركة . والدماء النازفة من العدو ، والطعان بالنبال والسنان بين الفريقين المتحاربين فهي ليست قصائد عادية وانما هي اناشيد حربية . سماها السلف « بالسيفيات » نسبة الى البطل المقدام « سيف الدولة الحمداني » وهي سجل حافل بالمجد والبطولة خلدت البطل القائد والشاعر الفارس ، كما انها تعتبر سجلا للملاحم الحربية العربية ، ووثائق هامة في التاريخ السياسي لتلك الفترة الزمنية من القرن الرابع الهجري المضطرب حيث كان الروم كثيرا ما يغيرون على امارة « بني حمدان » مستغلين انقسام الوطن العربي آنذاك .

وتسلط الاعاجم على الحكم في بعض الامارات ، حيث فقدت الدولة العربية ما كان لها من عزة ومنعة ، ولكن الله شاء للامة العربية ان تنبت فرسانا عربا وهي اسرة آل حمدان وكان لها شرف الدفاع عن امتها العربية في بطولات خلدتها « سيفيات » المتنبي ، فهي بالاضافة الى ما تمتع به من سحر بيان وقيمة ادبية رقيقة ، خلدت البطل والبطولة المتمثلين بـ « سيف الدولة » والفروسية والشاعرية المتمثلين بالطيب المتنبي فاقترن خلود المتنبي الادبي ، بخلود مجد سيف الدولة الحربي فنسمع صهيل الخيل وحمحماتها ، وضرب سنابكها على بطاح الروم وعليها ابطال بني حمدان الميامين يتمشقون السيوف فنكاد نسمع صليلها ، ونسمع انات الجرحى ، ونرى اندحار الروم ومطاردة العرب الحمدانيين لهم ولعل ابا الطيب يكون الى جانب البطل « سيف الدولة » فيشاهد بعينيه فتصوغه قريحته وشاعريته الوقادة درراً ادبية واشعاراً حماسية ملتهبة توقد الحماس والنخوة في قلوب سامعيها، فنسمعها ـ نحن ـ بعد اكثر من الف عام فنعجب بالبطولة الحقة والشاعرية الصادقة الموهوبة فلنسمعه يخاطب « سيف الدولة » :

لك الحمد في الدر الذي لك لفظه فانك معطيه وانبي ناظم

لنسمعه يصف معركة « الحدث » احد المنافذ الى بلاد الروم ، حيث احتدمت المعركة بين الروم بجيشهم الكبير العرمرم ، والجيش العربي القليل العدد ، وفيها تمت الغلبة للفئة القليلة على الفئة الكبيرة ، وكان المتنبي مرافقا للقائد العربي الحمداني فوصف هذه المعركة وانشدها بين يدي « سيف الدولة » وتألق بهما حتى الذروة في التعبير عن البطولة العربية المتمثلة بالقائد العربي وبجنوده الشجعان ، وقد سميت المعركة « بالحدث الحمراء » لكثرة الدماء التي نزفت من جرحى الروم، يقول المتنبي بذلك :

هل الحدث الحمراء تعرف لونها وتعلم اي الساليين الغمائم
سقتها الغمام الغر قبل نزوله فلما دنا منها سقتها الجماجم

فيتساءل الشاعر ، هل اللون الاحمر الذي صبغ قلعة الحدث تعرفه وتعرف مصدره من دماء قتلى الروم النازفة التي لطخت جدرانها ؟ وهل الحدث الحمراء تعرف اي الساقيين يسقيها ، الغمام ام الجماجم ؟ لكثرة الضحايا التي اسقطها الحمدانيون من اعدائهم الروم .

ثم يصف ويصور لنا المتنبي الخيول العربية ، وهو المولع بوصفها ، فيصور لنا هذه الخيول وقد طاردت فلول الروم المنهزمين في قمم الجبال ، وقد تبعثرت وتناثرت

جثث قتلاهم فوق جبل «الاحيدب» بجوار قلعة «الحدث» عرسنا لذلك المجد الحربي ، وما الاشلاء والجثث الا الدراهم التي تعود العرب ان ينثروها في اعراسهم وافراحهم على العروس فرحين مبتهجين ، ويقول : ان خيول سيف الدولة كانت تلاحق الروم المنهزمين في ذرى الجبال تفتك فيهم فتكاً بسنابكها اعشاش النسور حيث تتكاثر من حولها جثث القتلى من الروم ، وكانما تهدى اليها طعاما فكانت وليمة فاخرة لهذه النسور الجائعة ، حتى لتظن فراخها الصغيرة انك زرتها بامهاتها ، وقد سمعت صهيل الخيول ، فتطل من اعشاشها آملة ان تكون امهاتها وقد عادت محملة بالطعام وانت انما زرتها بجيادك المطهمة المدربة على صعود الجبال ، حتى اذا صعب عليها السير زحفت على بطونها كالافاعي في المرتفعات فيقول :

نثرتهم فوق الاحيدب نثرة كما نثرت فوق العروس الدراهم
تدوس بك الخيل الوكور على الذرى وقد كثرت حول الوكور المطاعم
تظن فراخ الفتخ انك زرتها بامانها وهي العتاق الصلادم
اذا زلقت مشيتها ببطونها كما تتمشى في الصعيد الارائم

ولم ينقطع المتنبي عن وصف معارك سيف الدولة طيلة بقائه عنده حيث كان يتغنى ببطولة القائد العربي هذا الفناء الملتهب الذي يزكي الحماس في نفس كل عربي ، لانه صدر عن قلب شاعر عربي موهوب وصادق عاش يمجد البطولة العربية والفروسية الحقة المتمثلة بشخص البطل سيف الدولة الذي تالق نجمه في سماء الحروب الرومية ـ العربية حيث تحول الى ما يشبه الصخرة الصلدة الضخمة التي تتحطم عليها غزوات الروم وغاراتهم .

وكانت معركة « الدرب » اخر معركة وصفها المتنبي لقتال سيف الدولة مع الروم وكانت قصيدته فيه اخر ما قاله الشاعر قبل رحيله ومفارقته لسيف الدولة «وحلب» الشهباء ، وكان مما قاله ابو الطيب مخاطبا سيف الدولة في اخر القصيدة قوله الرائع :

القت اليك دماء الروم طاعتها فلو دعوت بلا ضرب اجاب دم

ولم ينقطع المتنبي عن وصف بطولة الامير الحمداني طيلة بقائه عنده ، وحتى بعد مفارقته له لم ينسه اذ ارسل اليه وهو في العراق سنة ٣٥٢ هـ هذا البيت في قصيدة (ما لنا جو يا رسول) :

انت طول الحياة للروم غاز فمتى الوعد ان يكون القفول

وكذلك نسي سيف الدولة كل ما ذكره المتنبي عنه حينما كان في مصر وارسل اليه ابنه بهدية فلم يجد المتنبي ما يشكره سوى شعره فيقول :

كلما رحبت بنا الروض قلنا حلب قصدنا وانت السبيل
والمسمون بالامير كثير والامير الذي بها المأمول

وهكذا نجد شعر (القوة) و (الفروسية) و (البطولة) في شعر المتنبي ينساب في قصائد المدح والفخر ووصف معارك سيف الدولة على السواء ، فهو كالبركان الثائر لايقذف الا الحمم والشرر الحارق فلنسمعه يحدثنا عن صدى العمليات الحربية الليلية التي كان سيف الدولة يقوم بها وينهال على اعدائه الروم فكان الشرر الذي يحدث من ضرب سنابك الخيل بالحصى هو المشعل الذي يضيء له ولجنوده الطريق فيقول :

اذا الليل وارانا ارتنا خفافها بقدح الحصى ما لا ترينا المشاعل

ويصف جنود سيف الدولة بانهم سريعو الوصول لساحة المعركة ومقارعة العدو ونزاله على ظهور خيول عربية مميزة فيقول :

فما شعروا حتى راوها مغيرة قباحا واما خلفها فجميل
سحائب يمطرن الحديد عليهم فكل مكان بالسيوف مسيل

ويصف الجنود العرب الحمدانيين بانهم متمرسون متدربون على قنص الاعداء فيقول :

اذا اعتاد الفتى خوض المنايا فاهون ما يمر به الوحول
ومن آمر الحصون فما عصته اطاعته الحزونة والسهول

وان هدف سيف الدولة وكماته في قتالهم مع الروم هو القضاء على القوة الرئيسية للعدو فيقول :

الا ليست الغايات الا نفوسكم وليست لنا الا السيوف وسائل

وان سهام جند سيف الدولة لا تخطىء اهدافها ، فهي دوما تعرف اهدافها وتنكسر فوق بعضها البعض فيقول :

وهل يخطى باسهمه الرمايا وما يخطى بما ظن الغيوبا
اذا نكست كنانته استبنا بانصلها لانصلها ندوبا
يصيب ببعضها اقواق بعض فلولا الكسر لاتصلت قضيبا

وان سيوف سيف الدولة وابطاله عربية اصيلة فهي عربية نزارية فيقول :

تهاب سيوف الهند وهي حدائد فكيف اذا كانت نزارية عربا
ويرهب ناب الليث والليث وحده فكيف اذا كان الليوث له صحبا

وان بطولة سيف الدولة وجنوده هي عادة مستمرة فهو معتاد على ضرب رؤوس اعدائه فيقول :

لكل امرىء من دهره ما تعودا وعادات سيف الدولة الضرب بالعدا

وان البطل الحمداني الذي تتمثل فيه الاخلاق العربية، يضحي بنفسه في سبيل حياة رجاله وليس العكس على عادة غيره من القادة فيقول :

كل يريد رجاله لحياته يا من يريد حياته لرجاله

وان البطل الحمداني السمح ، كريم ومن يكون كريما من بعده فقد اختتم الكرم والجود به ، كما انه لن نجد شاعرا بعد شاعره المتنبي الذي يستحق هذا الكرم فقد نسمع بشعر وليس له الا الاسم ، حتى ليحمد الانسان الله على بلاء الصمم فيقول :

لا تطلبن كريما بعد رؤيته ان الكرام باسخاهم بدا ختموا
ولا تبال بشعر بعد شاعره قد افسد القول حتى احمد الصمم

والمتنبي يعلن ان البقاء للاصلح ، وبذلك يكون قد سبق الفيلسوف الالماني « نيتشه » فيلسوف القوة عندهم بثمانية عصور فيقول :

فالموت اعذر لي والصبر اجمل لي والبر اوسع والدنيا لمن غلبا
وما المجد والقلبة و نيل المطالب الا للسيف
فلا تحسبن المجد زقا وقينة فما المجد الا السيف والفتكة البكر

وبعد فان « ديوان المتنبي » ملحمة عربية ، ينبغي على الشباب العربي دراستها والعمل بها ، فهو مدرسة (اسبارطية) تعلم الشباب القوة واحتمال الشدائد والمصاعب والاهوال وحب الحرب والنزال في وقت نحن باشد الحاجة اليها لما تمر فيه امتنا العربية بظروف مشابهة لظروف القرن الرابع الهجري فهل من شاعر كالمتنبي يبعث فينا شبابا وشيوخا رجالا ونساء (الحماسة) والقوة لنكون مجتمعا قويا لا يعرف الضعف ، صامدا لا يعرف الهزيمة ولا التراجع .

ولعل حب المتنبي للفروسية والقوة لازماه حتى مماته ، فقد قال لعبده (سراج) لما قرب (فاتك) منه يريد قتله : يا سراج اخرج لي الدرع ، واخرجها ولبسها ودار بين الطرفين قتال ابدى فيه المتنبي الشجاعة والبسالة ولما عرف انه لابد مقتول ووجد ثمة فرصة للفرار ذكره غلامه ببيته المشهور : الخيل والليل ... فقال له

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قاتلك الله لقد قتلتني وقاتل حتى قتل وكان ذلك في شهر رمضان سنة ٣٥٤ هـ على مقربة من مدينة بغداد .

الطموح للمجد في شعر المتنبي

ان طموح المتنبي وآماله كبيرة فهي بمستوى الجوزاء ويطمح في تحقيقها وظل يناضل ويكافح طيلة حياته في سبيل المجد ، طلبه مرة عن طريق الدين فاخفق وطلبه مرة عن طريق الولاية فلم يتحقق وهكذا الا انه سقط قتيلا دون مطلبه كالنسر عين له على الجوزاء وعين له على السفوح ، قال ابو منصور الثعالبي :

وما زال في برد صباه الى ان اخلق برد شبابه وتضاعفت عقود عمره يدور حب الولاية والرياسة في راسه ويظهر ما يضمر من كامن وسواسه في الخروج على السلطان والاستظهار بالشجعان والاستيلاء على بعض الاطراف ويستكثر من التصريح بذلك في مثل قوله :

لقد تصبرت حتى لات مصطبر ... فالان اقحم حتى لات مقتحم
لاتركن وجوه الخيل ساهمة ... والحرب اقوم من ساق على قدم

وقوله :

ساطلب حقي بالقنا ومشايخ ... كانهم من طول ما التثموا مرد
تقال اذا لاقوا خفاف اذا دعوا ... كثير اذا شدوا قليل اذا عدوا
وطعن كان الطعن لاطعن عنده ... وضرب كان النار من حره برد
اذا شئت خفت بي على كل سابح ... رجال كان الموت في فمها شهد

وكان كثيرا ما يتجشم اسفارا بعيدة ابعد من آماله، ويمشي في مناكب الارض ويطوي المناهل والمراحل ولا زاد له الا من ضرب الحرب على صفحة المحراب .

والشاعر شديد الثقة بنفسه ، بقوتها وشجاعتها ، بقلمه وشاعريته الثرة المطواعة كما انه يؤمن ويثق بمجد امته العربية وعزتها وكرامتها ، وهو احد سيوفها وفرسانها الاشاوس وهو مؤهل وعنده من الكفاءة لنيل هذا المجد ولن يطلبه من خارج وطنه العربي الكبير .

الطرح المجد عن كتفي واطلبه ... واترك الغيث في قطري وانتجع

وهو لفرط ثقته بنفسه نراه يفتخر كثيرا بمناسبة وبدون مناسبة بقدرته وقوته وشاعريته فاذا كان الشعراء الجاهليون يفتتحون قصائدهم بالنسيب والتغزل بالديار والاحبة ، فان المتنبي يتغزل على طريقته الخاصة فيتغزل بقدود الرماح وبيض الصفاح فهي اعز احبائه ، قال في صدر قصيدة ، يمدح بها علي بن احمد الانطاكي :

اطاعن خيلا من فوارسها الدهر ... وحيدا وما قولي كذا ومعي الصبر
تمرست بالافات حتى تركتها ... تقول امات الموت ام ذعر الذعر

وهو الفتى العربي ، الابي ، وهو يرد الظلم على ظالمه ، فليعلم ذلك اهل مصر والعراق فيقول :

لتعلم مصر ومن بالعراق ... ومن بالعواصم اني الفتى
واني وفيت واني ابيت ... واني عتوت على من عتا

وهو ابي لا ينام على ضيم ولا يستكين امام قوة اعدائه ولا يحاول مخادعة نفسه وتمنيتها بالاماني ، وانما هو صاحب نفس قوية ، شجاعة لا تهاب الردى والموت الذي هو من طباع الشياه والنعم فيقول :

ليس التعلل بالامال من ادبي ... ولا القناعة بالاقلال من شيمي

ويخاطب نفسه هذا الخطاب الناري مشجعا اياها مهونا عليها الموت فيقول :

ردي حياض الردى يا نفس واتركي ... حياض خوف الردى للشاء والنعم
ان لم اذدك على الارماح سائلة ... فلا دعيت ابن ام المجد والكرم

ولقد كانت ارادته من حديد وكرامته فوق اي اعتبار في هذه الدنيا فيقول :

فنائة عيش ان تفث كرامتي ... وليس بغث ان تفث الماكل

لقد كان للمتنبي هدف سام يسعى اليه ويناضل من اجل نيله لذا ينتقل من بلد لبلد فيقول :

يقولون لي ما انت في كل بلدة ... وما تبتغي؟ ما ابتغي جل ان يسمى

وهو فارس ونفسه معجبة بالابطال ولا تعشق الا المجد والخلود ، وهو يكره كل ما هو ضعيف في النفس البشرية وخاصة ذلك النوع من الناس الذي يعيش في هذه الحياة دون ذكر ، ومن ثم يموت وكانه لم يكن شيئا مذكورا فيقول :

في الناس امثلة تدور حياتها ... كمماتها ومماتها كحياتها

وان نفسه شاذة عن الطبيعة البشرية ، فبينما الناس ينشدون الراحة ، والرفاهية والسعادة والطمانينة والاستقرار ويعتبرونها حلمهم الامثل ، بينما نجد ان نفس الشاعر تجد لذة ما بعدها لذة في اقتحام الاخطار والمصاعب والمغامرة والالم فيقول :

سبحان خالق نفسي كيف لذتها ... في ما النفوس تراه غاية الالم

وهو ذو عزيمة وقوة ، وهو كريم وعلى قدر هاتين الخصلتين الحميدتين تاتي العزائم والمكارم فيقول :

على قدر اهل العزم تاتي العزائم ... وتاتي على قدر الكرام المكارم

وهو وحيد في خصاله هذه غريب بين ابناء مجتمعه كالنبي صالح في قومه فيقول :

انا في امة تداركها الله ... غريب كصالح في ثمود

وان هذا الدهر يحكمه اناس صغار بتفكيرهم وتصرفاتهم وان كانت اجسامهم كبيرة فيقول :

فدهري ناسه ناس صغار ... وان كانت لهم جثث ضخام

واذا كان المجد والرياسة لم يصلهما ، فعليه بالمجد الادبي ، وكان له ، فدخل اسمه وخلد في سجل الخلود وما كان اصدقه حين قال :

وما الدهر الا من رواة قصائدي ... اذا قلت شرا اصبح الدهر منشدا

وهو لطول صراعه مع الايام وكثرة تجاربه ، يعطينا خلاصة تجاربه في الحياة ، وهي صادقة لانها بنت التجربة فهو يطلب من الانسان ان يعيش عزيزا او يموت بشرف وكرامة فيقول :

عش عزيزا او مت وانت كريم ... بين طعن القنا وخفق البنود

ويطلب من الانسان ان يحيا حياة عزيزة كريمة ولو

هل تذكرين ؟

ما زال يرجو السعد في ناديك ... قلب راى كل الملاحة فيك
يحيا هناك على ربوعك صادحا ... كالطير مقرونا الى واديك
لم يدرك الافراح الا مرة ... يوم التفت اليه دون شريك
اذكرته ، يشدو بالوان الهوى ... شعرا ، ويغني العمر كي يعليك
ايام نلقى الطير في روض الهوى ... والروح سكرى من مراشف فيك
هل تذكرين ؟ لقد تفرقنا فما ... بال الفؤاد على النوى يفديك
ما زال طيرا ، في رحابك صادحا ... يستاف عطر الطهر في ناديك
هدته آلام الزمان فلم يدع ... ذكراك رغم السهد او يقليك

صناديد ـ الغربية ـ مصر — عبدالله السيد شريف

كانت في السعير ، وان يرفض الحياة الذليلة ولو كانت في جنان الخلد فيقول :

فاطلب العز في لظى ودع الذ ... ل ولو كان في جنان الخلود

ولنسمعه يحدثنا عن المجد الذي يبغيه والوسيلة للوصول اليه ويشير الى ان هذه الحياة اضيق من ان تتسع لآماله فيقول :

ذر النفس تاخذ وسعها قبل بينها ... فمفترق جدران دارهما العمر
ولا تحسبن المجد زقا وقينة ... فما المجد الا السيف والفتكة البكر
وتضريب اعناق الملوك وان ترى ... لك الهبوات السود والعسكر المجر
وتركك في الدنيا دويا كانما ... تداول سمع المرء انملة العشر

ثم لنسمعه يحدثنا عن آماله ، وكيف يسعى لتحقيقها ويطلب منا بألا نبالي بما نجده ونلقاه في هذه الحياة من مصاعب وشدائد ومحن فيقول :

أريد من زمني ذا ان يبلغني ... ما ليس يدركه من نفسه الزمن
ولا تلق دهرك الا غير مكترث ... ما دام يصحب فيه روحك البدن

ولا ينسى الفخر بنفسه حتى في المواقف التي لا يستحسن فيها الفخر ، فلنسمع اليه وهو يخاطب كافورا فيقول :

فارم بي حيثما اردت فاني ... اسد القلب آدمي الرواء
وفؤادي من الملوك وان كا ... ن لساني يرى من الشعراء

وهكذا عاش المتنبي طيلة حياته وهو يطلب المجد ، ويكافح من اجل الوصول اليه ركب اليه المكاره ، والمخاطر واقتحم الغمرات وتعرض في سبيله للمصاعب والمشاق ولكن دون جدوى ، وتخلف المجد الذي يبغيه ، واحتضنه المجد الادبي الذي خلده على مر الايام والعصور ، ولكن المتنبي ذو نفس تحلم بالمجد ، بالسلطة ، بالرياسة بالسيف ، بتضريب أعناق الملوك ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه ، وحين رجع بعد اسفاره الكثيرة وترحاله الشاق الى الكوفة ، وضمته الى صدره ، وهناك اعطانا زبدة تجاربه في قصيدتيه المشهورتين المقصورة ، والميمية ، واودعهما ذلك اللهيب المتأجج ، فمن قوله في الميمية :

حتى رجعت واقلامي قوائل لي ... المجد للسيف ليس المجد للقلم
اكتب بنا ابدا بعد الكتاب به ... فانما نحن للاسياف كالخدم

نعم يا ابا الطيب ، لا زلنا نحن العرب ـ في وطننا الممزق الذي تتكالب عليه قوى الشر ، نؤمن بمبدأ القوة لتحرير اراضينا المغتصبة من العدو الاسرائيلي وسلاحنا الكتاب والسيف .

المراجع

١ ـ مجلة الرسالة ـ السنة الثانية ـ السنة الرابعة ـ الاستاذ احمد حسن الزيات .
٢ ـ شعر الحرب في ادب العرب . الدكتور زكي المحاسني .
٣ ـ شوقي والمتنبي : نظرات في الجندية والحرب ، السيد فرج .
٤ ـ البطولة في الشعر العربي المعاصر سلسلة اقرا : الدكتور شوقي ضيف .
٥ ـ ديوان المتنبي .

دمشق — احمد سعيد هواش

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ابراهيم المصري

ابراهيم المصري كما عرفته

بقلم حسين علي محمد

✿ ✿ ✿

الاستاذ ابراهيم المصري (١٩٠٠ ـ ١٩٧٩) احد الكتاب المصريين البارزين ، وهو واحد من اصحاب الاساليب في الادب العربي . حينما كنت طالبا في المرحلة الثانوية كنت اقرأ اقاصيصه التي تنشرها مجلة « الهلال » فتجذبني اليه ، وحتى عام ١٩٧٣ لم اكن قد قرأت كتابا له بعد ، وكنت اعمل مدرسا في مدرسة عبد الله الشرقاوي الاعدادية بالقرين (من اعمال مركز « ابو حماد » محافظة الشرقية ـ بمصر) وفي اثناء سفري في اكتوبر ١٩٧٣ الى القرين رأيت مجموعة قصصية بعنوان « ارواح ظامئة » مع الباعة فاشتريتها وقرأتها في سهرة واحدة ، وكتبت له رسالة مفتوحة نشرت في مجلة « الاديب » ـ عدد ابريل ١٩٧٤ ـ قلت له فيها :

« سعدت كثيرا وانا اقرأ مجموعتك القصصية الاخيرة « ارواح ظامئة » .. وهذه القصص ـ يا سيدي ـ تستحق التقدير . فهي ـ اولا ـ قصص بمعنى الكلمة تستكمل ادواتها الفنية ، ثم هي ـ ثانيا ـ لا تلجأ الى (البهلوانية) الاسلوبية التي اصبحت واحدة من سمات القصاصين الجدد » .

« اننا قد نقبل (بهلوانيات) اللغة في الشعر .. الذي تختلف فيه التجربة عن تجربة القصة .. ولكننا يا سيدي حينما نقبل على قراءة قصة فاننا ينبغي ان نفهم هذه القصة . وقصصك يا سيدي اسلوبها بسيط رائق ممتع . وقصصك ـ ثالثا واخيرا ـ تلجأ الى تحليل النفس البشرية ، والكشف عن العوامل التي تدفع الانسان الى سلوك معين . وهذه القصص نادرة في ادبنا العربي الذي لا يجنح الى التحليل .. الخ » .

وبعد قراءة هذه القصة تعرفت عليه فارسل رسالة مطولة يشكرني على ما كتبته في الاديب ويوافقني على ملاحظتي ان القصص تقدم لنا « اجسادا ظامئة » لا « ارواحا ظامئة » .. ثم امتد جسر التواصل بيننا عدة سنوات حتى توفي وقد ارسل لي في هذه الفترة نحو عشر رسائل بحثت عنها حينما اردت هذه الكلمة للاديب فلم اجد غير خمس رسائل اثبتها هنا .

ـ ١ ـ

عزيزي الاستاذ حسين علي محمد

اشكرك كثيرا على اهتمامك بي ، وعلى هذه الرسالة المفتوحة التي نشرتها (الاديب) هذا الشهر .. لقد قدمت الكثير من الكتب للمكتبة العربية طوال خمسين سنة ولم اظفر بمثل هذه الكلمات الطيبة الصادقة التي احس الصدق من بين حروفها .

لقد قرأت ايضا في (الاديب) انك تعد دراسة في ادبي وقصصي ، ولا اخفي سعادتي بذلك ، وكنت اود ان اكتب لك لكن عنوانك لم يكن معروفا لدي . وانتظرت حتى قراءته اليوم في الاديب فكتبت لك .

اشكرك على ملاحظاتك على العنوان واستبدال « ارواح ظامئة » بـ « اجساد ظامئة » .

سأرسل لك (الكأس الاخيرة) و (ابراهيم المصري حياته وادبه) للاستاذ فوزي سليمان ، وارجو ان اسمع عنك كل خير . ودمت لي

ابراهيم المصري
٢٧ـ٤ـ١٩٧٤

ـ ٢ ـ

عزيزي الاخ الاستاذ حسين علي محمد

تحية طيبة خالصة . وتهنئتي لك بعيد الاضحى المبارك اعاده الله عليك وعلى اسرتك الكريمة بالصحة والعافية والاقبال والسعد .

ودمت للمخلص الوفي

ابراهيم المصري
٢٢ ـ ١٢ ـ ١٩٧٤

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ ٣ ـ

عزيزي الاستاذ حسين علي محمد

تحية طيبة

وصلتني رسالتك واشكرك جزيـــل الشكر على اهتمامك بي . واقول لك اني سابعث اليك بعدة كتب لي بين دراسات وقصص . كما سارسل لك كتاب « الادب الحي » (١) الذي يحتوي على مسرحية « الانانية » امـا مسرحية « نحو النور » فالكتاب الذي طبعت فيه لا وجود له عندي مع الاسف .

ولقد كتبت انا للمسرح عدة مسرحيات ، وقـــد تناولها النقاد عند ظهورها في دراسات لم اعن بجمعهـــا للاسف ايضا . وحبـذا لو زرتني في القـــاهرة لازودك بمعلومات كثيرة عن الحركة المسرحية عندنا وتاريخها ولي في ذلك عدة مقالات نشرتها مجلة « الهلال » ولا املـــك منها غير نسخة واحدة .

اما عن قصة حياتي فانا ماض في كتابتها ، وهي لم تظهر بعد ، وبمناسبة مسرحياتي فقد كتب عنها المـازني وتوفيق دياب وسلامة موسى وطه حسين الذي هـاجم (نحو النور) فرد عليه المازني في (السياسة الاسبوعية) وامتدح المسرحية ولا سيما الفصل الاخير . ولقد دارت كتابات هؤلاء الادباء حول مسرحية « الانانية » و « نحو النور » و « الفريسة » التي مثلت على مسرح رمسيس كما مثلت « الانانية » . واما الكتب التي اصدرتها فتجدها مذكورة في كتاب « فوزي سليمان » (٢) .

واما الكتب الجديدة التي صدرت لي فهي « اغلال القلب » طبع دار المعارف . « خبز الاقوياء » طبع دار المعارف . « صراع الحب والعبقرية » طبع دار المعارف .

وسيظهر في اوائل الشهر القادم (يوليو) في سلسلة « كتاب اليوم » كتاب « الناس والحب » وهذا الكتـاب دراسة وتأملات في حياتنا العاطفية والزوجية .

كما ستظهر في منتصف اغسطس القادم مجموعـة قصصية بعنوان « ضحكات القدر » في سلسلة (روايـات الهلال) التي تصدرها دار الهلال .

وانا اشكرك جزيل الشكر مرة ثانية ، واتمنى لو زرتني في مصر الجديدة لينفسح المجال للتفاهم بيننا .

وعشت ودمت للمخلص

ابراهيم المصري

٩ ـ ٦ ـ ١٩٧٥

ـ ٤ ـ

عزيزي الاستاذ حسين علي محمد

تحية طيبة

كنت قد ارسلت لسيادتك منذ شهر خمسة كتب وانتظرت ان ترسل لي ما يفيد وصولها اليك ، ولكن لم يصلني رد . سلامي الحار لك . وبخصوص الحوار الذي تجريه معي للنشر في (الاخاء) الايرانية ، فأرجو ان تزورني مساء اي يوم لنتناقش في الكثـير من القضايا الادبيـــة والفكرية التي اثرتها في مستهل شبابي والتي لم اتخـل عنهـا .

سأرسل لك مجددا كتابي « خبز الاقوياء » بالبريد وارجو ان يصلك هذه المزة .

ودمت للمخلص الوفي

ابراهيم المصري

٤ ـ ٨ ـ ١٩٧٧

ـ ٥ ـ

عزيزي الاخ الاديب المربي الاستاذ حسين علي محمد تحياتي . مبارك ترقيتك التي انت جـــدير بها .

وردت رسالة مؤرخة في ٢٨ـ٧ والاخبار التي بها سانشرها مقالاتك عني جيدة (٣) والملاحظات الختامية عن فن القصة القصيرة عندي طيبة ـ لكن متى ستنشر ؟

بخصوص ردي على الاسئلة سانتهي منها قريبـــا وارسلها لك . كتاب « الادب الحي » لم اجده في الوقت الحاضر .

تحياتي مجددا . ودمت لي

ابراهيم المصري

١٦ ـ ٨ ـ ١٩٧٧

ولم التق بالاديب ابراهيم المصري الذي انقطعـــت رسائله عني في العامين الاخيرين ، ولم يصلني رد عـلى الاسئلة التي كنت اثير فيها العديد من القضايا ..

١ ـ لم يصلني هذا الكتاب ، لعله لم يرسله . او لعله ارسلـه وضاع بالبريد .

٢ ـ يقصد كتاب (ابراهيم المصري ـ حياته وادبه) للاستـــاذ فوزي سليمان .

٣ ـ يقصد مقالاتي في ادب ابراهيم المصري : دراسات نصية ـ وهي خمس مقالات تتناول خمس مجموعات قصصية لابراهيم المصري ثم مقالة ختامية بعنوان (ملاحظات ختامية على فن القصة القصيرة عنـد ابراهيم المصري) .. ولم انشر ايا من هذه المقالات الست بعد .

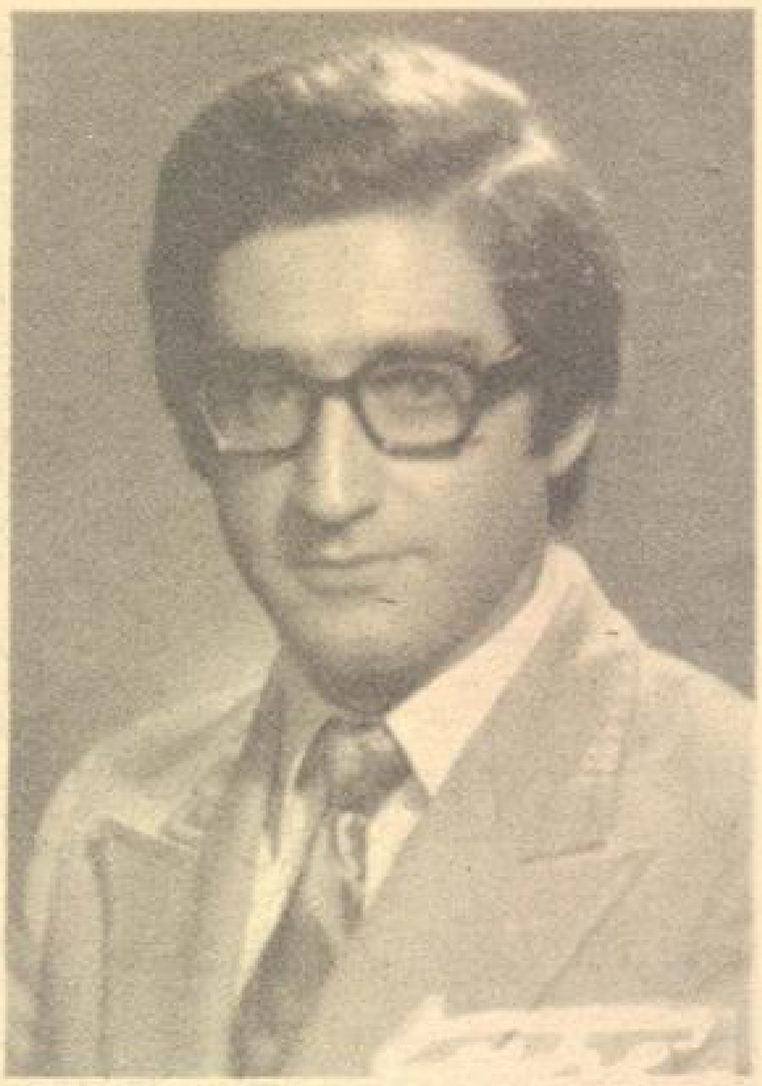
ديرب نجم المحطة ـ مصر

حسين علي محمد

اشتركوا في مجلـة

الاديـب

تساهموا في نشر الثقافة



الدكتور اديب صعب

أديب صعب في: مملكتي ليست من هذا العالم

قصائد تعيد الى الشعر مجده القديم

* * *

عندما نشرت « المستقبل » عام ١٩٧٨ ، قصيدة « الخبز والملح » للشاعر اديب صعب ، جاعلة اياها موضوع غلاف ، فلانها وجدت في القصيدة ، رؤيا للاحداث الحاصلة في لبنان حاليا ، فضلا عن كون القصيدة من الشعر الكبير الباقي ، وهناك قصائد اخرى نشرها الشاعر في « المستقبل » . وهذه تشكل جزءا من مجموعته « مملكتي ليست من هذا العالم » التي صدرت اخيرا عن « دار النهار للنشر » في بيروت . وهي المجموعة الثانية لاديب صعب بعد « اجراس اليوم الثالث » (١٩٦٩) .

هذه المجموعة سيكتب ويقال الكثير عنها . فهي من الشعر الذي تفصل بينه وبين امثاله سنوات طويلة . وهنا نترك للشاعر ان يحاورنا عن مملكته وعن الشعر .

● حين صدرت مجموعتك الشعرية الاولى « قيثارة الضياء » كنت في السادسة عشرة ، كتب الكثير حولها . ادونيس وصفك آنذاك بانك « معجزة شعرية » . وبعد صدور « اجراس اليوم الثالث » عام ١٩٦٩ ، اجمع شعراء الجيل السابق ـ ومنهم خليل حاوي وادونيس وبلند الحيدري ـ على انك طليعة شعر . ماذا تظن انك اضفت الى الشعر العربي .

ـ الاجابة التامة ، او المنهجية ، عن هذا السؤال هي عمل الناقد . الا اني اود القاء بعض نور على مفهوم الاضافة .

اذا تناولنا الشعر العربي التقليدي لوجدناه كله موزونا ومقفى على الطريقة التي باتت تسمى « عمودية » . فهل يعني هذا ان ابا نواس لم يضف شيئا الى امرىء القيس او عنترة ، وان المتنبي لم يضف شيئا الى ابي نواس ، وان خليل مطران لم يضف شيئا الى المتنبي ؟

كلا . ان كلا من الشعراء المذكورين وسواهم ، ترك صوته المتميز في الشعر العربي . واذا تناولنا قصيدتين لشاعرين من هؤلاء ، تجريان على وزن واحد وقافية واحدة ، لوجدنا اختلافا بين هذه وتلك ، يشار اليه بعبارة « النفس الشعري » .

وهذا يصح على الشعر الموزون والمقفى الذي يعتمد نظام التفعيلة ، لا نظام البيت ، وكذلك على قصيدة النثر فشعر خليل حاوي غير شعر بدر شاكر السياب ، وشعر ادونيس غير شعر حاوي، وشعري غير شعر ادونيس . ومن ناحية قصيدة النثر ، نجد ان شعر انسي الحاج غير شعر محمد الماغوط .

لقد ظن بعض مدعي الحداثة ان الاضافة تكون في ابطال الاوزان والاشكال المعروفة . من هنا يتوهم بعضهم ان قصيدة النثر هي كل الشعر ، وانها الغت ما قبلها . كما ظن بعض شعراء التفعيلة ان الشكل الذي اعتمدوه ابطل شعر البيت . لكن هذا هراء . فهل لثلاثة عقود ان تمحو سبعة عشر قرنا ؟.

اني لا ادافع عن اي شكل من اشكال الشعر ، بحيث اقول انه الشكل الوحيد الممكن . فالشعر العمودي وشعر التفعيلة وقصيدة النثر، واي بناء شعري اخر، لها الحق في ان تسمى شعرا اذا كان ما يكتب بواسطتها فيه صورة وفيه خيال وفيه عاطفة وفيه صناعة فنية .

ربما كان الانطلاق من مفهوم الاضافة يفوت علينا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عناصر مهمة لدى الشاعر الذي نقرأ او ندرس . وربما كان افضل ، لهذا السبب ، ان نتناول كل شاعر ، بل كل قصيدة ، على حدة ونبحث فيها عن الجودة .

● نعود الى تجربتك انت : اين يكمن تفردك ؟

ـ اذا حق لي ان اكون ناقد نفسي، فاني اجد عناصر النفس الشعري الخاص بي في الاتي ، من غير ان يشير الترتيب المذكور الى مرتبة مقصودة .

اولا : سلامة اللغة وسلاستها ، من حيث المفردات والتراكيب ، علما ان الفاظي لا تنتمي الى قاموس جمالي محدود .

ثانيا : السيادة على وزن الشعر الذي هو مصدر الموسيقى الاهم في القصيدة . لقد استخدمت اوزانا كثيرة من الشعر العربي ، كما ادخلت تجديدات وزنية وشكلية واضحة . وفي المجموعة الجديدة ، يظهر هذا الجديد ، على نحو خاص في قصيدة « نكروفيليا » (ص ٤١ـ٤٧) و « اول النهار » (٦٩ ـ ٧١) .

ثالثا : اعتماد الرمز الديني لتحقيق ما يسميه الشاعر ت. اس. اليوت : « البديل الموضوعي » للحالات الذاتية . وهدف هذا البديل توسيع التجربة الشخصية لكي يدركها الاخرون . والرمز الديني لدي يفضي الى رؤيا انسانية شاملة ، بما في ذلك المجتمع والسياسة . هذا الرمز هو مفتاح الرؤيا الشعرية التي اتصور بها الوجود .

رابعا : تجاوز الغنائية الصرف عبر شعر وجودي يجمع عناصر ملحمية ومسرحية وغنائية في القصيدة الواحدة .

هذا لا يعني اني وحدي ، بين الشعراء ، كتبت بلغة سليمة وسلسة وعفوية ، او اني وحدي نوعت اوزاني ولم اتقيد بوزن واحد او اثنين او ثلاثة، او اني تفردت في اعتماد الرمز الديني او ان سواي لم ينظم شعرا يمكن ان يسمى وجوديا بالمعنى المذكور فوق . وبقى التميز او التفرد في طريقة استخدام هذه العناصر في اجتماعها .

● لماذا اصررت على الوزن في حين ان الاكثرية اليوم متجهة نحو قصيدة النثر ؟

ـ جوابي عن هذا السؤال ليس دفاعا او تبريرا . فانا لا احتاج الى هذا . ان كل شكل شعري مقنع هو تبرير ذاته . وما سياتي ليس الا ايضاحا .

اذا تجاوزنا مفهوم « الاكثرية » الذي ينطوي على مقدار كبير من الغموض ويرمينا التصدي له في لجة سحيقة ، فاني ابادر الى القول باني كتبت شعري موزونا ومقفى على اساس التفعلية ، لاني وجدت في هذا الشكل ما يحافظ على الموسيقى ، وفي الوقت نفسه يحمل حالاتي وتصوراتي .

والفرق بين شعر التفعيلة وشعر البيت ان الاول ينطلق من وزن ما ، كالرمل ، بحيث نجد في سطر معين خمس تفعيلات (فاعلاتن) ، وفي ما يليه سبعا ثم ثلاثا ، ثم سبعا ، ثم اثنتين ، الخ .. هذا على سبيل المثال ، اما الرمل التقليدي فمن اشكاله : « فاعلاتن فاعلاتن فاعلن » وهنا يجب ان يتكرر في الصدر والعجز .

واني ـ وان انتهجت لنفسي هذا الشكل ـ لست ضد الشعر العمودي ولا ضد قصيدة النثر . ونحن نقع على الجيد والرديء في هذه الاشكال جميعا . لقد كتبت ،



غلاف المجموعة

في مطلع حياتي الشعرية ، قصائد عمودية ، نشرت عددا منها في صحف ، لكني لم انشرها في كتاب . ولا مانعة لدي من ان اكتب قصائد عمودية واخرى نثرية . المهم ان تقنعنا القصيدة بكونها تبريرا لذاتها .

الا ان ثمة اشكالا في الشعر العربي الحديث، المكتوب على اساس التفعيلة ، باتت مبتذلة ، لانها لا تصدر عن شعراء اتقنوا الاصول . خذ مجلة « الاداب » مثلا ، في عزها ، تجد فيها ، ازاء الجيد ، قصائد كثيرة ركيكة على وزن متكرر هو « المتدارك » (فعلن) . لكن الركاكة ليست من الوزن في ذاته ، بل من الكتاب انفسهم ، خذ المجلات والمجموعات الموزونة اليوم ، ان كثيرا من قصائدها يجري على المتدارك المستحدث (فاعلن) ، الذي اطلقه السياب وطوره ادونيس كثيرا . هذان كتبا به قصائد عظيمة لكنه اليوم بات اجترارا ، على ايدي كتاب ليست لهم موهبة ادونيس او السياب .

سيد الوزن وسيد اللغة لا يفعل هذا . العبد يفعل هذا . والشاعر الفذ يخلق لغة .

● قلت ان شعرك يتناول الانسان ، بما في ذلك ابعاده الاجتماعية والسياسية . اذا ، في شعرك مواقف سياسية ؟

ـ ان الشعر الوجودي يشمل الانسان في ابعاده كلها ، بما في ذلك البعد السياسي . بهذا المعنى ، ينطوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعري على مواقف سياسية ، لكن غايتها كرامة الانسان ووجهه الاصيل . وفي رأيي ان الاحزاب والعقائد والمؤسسات السياسية ، والمؤسسات على مختلف انواعها، كلها تحد كثيرا من انطلاق الشاعر والفنان . اني غير ملتزم باي مبدأ او مذهب سياسي . مذهبي الوحيد هو الانسان وراء جميع المبادىء والالقاب، الانسان في وحدته وانكساره وخوفه وسعيه الدائم الى الخلاص .

قصيدة « الخبز والملح » فيها موقف يمكن ان يسمى سياسيا : انه نقد لمحاولة السياسيين تقزيم الانسان ! اضف الى ذلك ان فيها علاقة حميمة بين الانسان وارضه هذا الموقف نجده في قصيدة « مملكتي ليست من هذا العالم » التي اعطت المجموعة اسمها ـ اي مملكة نختار : مملكة قيصر ام مملكة الله ؟ والشيء نفسه يقال على القصائد الثلاث الطويلة المنطلقة من الحرب في لبنان : « من جر على شعبي هذا الويل ؟ » « اعطني هذا الغريب » « نكروفيليا » .

شعري ، نعم ، فيه مواقف سياسية تنقد بعنف سياسات العالم ، سعيا الى الانساني في الانسان . لكنه ليس سياسيا بمعنى انه منبري او خطابي . في القديم كما في بدايات القرن الحالي ، كان الشاعر يهز المنابر . كان صحافي امته ، الناطق بلسانها ، اليوم جاء من يأخذ عنه هذا العبء . الاتصالات اصبحت علما وفنا مستقلين، تتفرع منهما علوم وفنون عدة .

● قصيدتك الطويلة « الخبز والملح » ، التي كتبتها عام ١٩٦٩ ونشرتها « المستقبل » موضوعا لغلاف عددها السابع والستين (بتاريخ ٣ حزيران ـ يونيو ١٩٧٨) ، هل تعد ما جاء فيها تنبؤا بالحرب في لبنان ؟

ـ « الخبز والملح » كتبت بين ١٩٦٨ و ١٩٦٩ ، وفي لبنان آنذاك ، وقبل ذاك ، بوادر لما انفجر بعنف ابتداء من ١٩٧٥ . لا شيء يأتي من لا شيء . ولكن لا يمكنني ان اعد ما جاء في « الخبز والملح » وصفا لما كان . الشعر عندي ، في اي حال ، ليس وصفا لاحداث خارجية ، فهو ليس تاريخا ولا صحافة منظومين ، ولا هو بالوعظ السياسي او الديني . الحساسية الشعرية مرتبطة بالرؤيا ، وهي تتغلغل الى البذار قبل ان تصبح ثمارا . الشعر طريقة للنظر الى الاشياء .

والقصيدة وجدت طريقها الى غلاف « المستقبل » لان على راس المجلة من يملك هذه الحساسية ، غير ان هذا لا يعني ان « الخبز والملح » اهم ما في مجموعتي الجديدة .

ان جميع قصائد المجموعة سواء لدي . واود ان اشير الى « نكروفيليا » التي تجمع ، الى التصور الذي تعطيه ، وزنا جديدا يستعمل للمرة الاولى في الشعر العربي ليس من السهل أن يكتب المرء موسيقى جديدة ، ويكون المكتوب بها شعرا ويكون عفويا ويكون الانسان قوياً الحضور فيه. واني اتوقع ان يقوم اتباع ومقلدون كثيرون لهذا الوزن ، وان يظهر فيه ـ كما ظهر في سواه ـ الجيد والرديء .

● هل نشرت كل الشعر الذي كتبته ؟

ـ هناك شعر كثير نشرته في صحف ولكن لم انشره، لغير سبب ، في مجموعة . ويمكن اختصار هذه الاسباب بالاتي : ان شعري الذي وجد طريقه الى « مملكتي ليست من هذا العالم » وقبلها الى « اجراس اليوم الثالث » ، افضل من الذي بقي في الصحف او في حوزتي من غير نشر اما هذا الاخير ـ اعني شعري الذي لم انشره حتى في الصحف ـ فهو قليل جدا .

ومما بقي في الصحف قصيدتان طويلتان هما « يد الله » (نشرت في مجلة الاديب) و « يوحنا المعمدان » (نشرت في جريدة لسان الحال) . والاثنتان سبقتا مجموعة « اجراس اليوم الثالث » ومعظم شعري كنت انشره في « البيدر » مجلة والدي الشاعر وليم صعب ، الذي اخذت عنه الشعر .

وقد علمتني خبرتي ان الشاعر عندما يجد طريقه ويرتاح لطريقته ، يصبح كل ما يكتبه راضيا عنه ، او بالاحرى قلما يكتب ما لا يمكن أن يرضى عنه .

● هل ترجم شيء من شعرك ؟

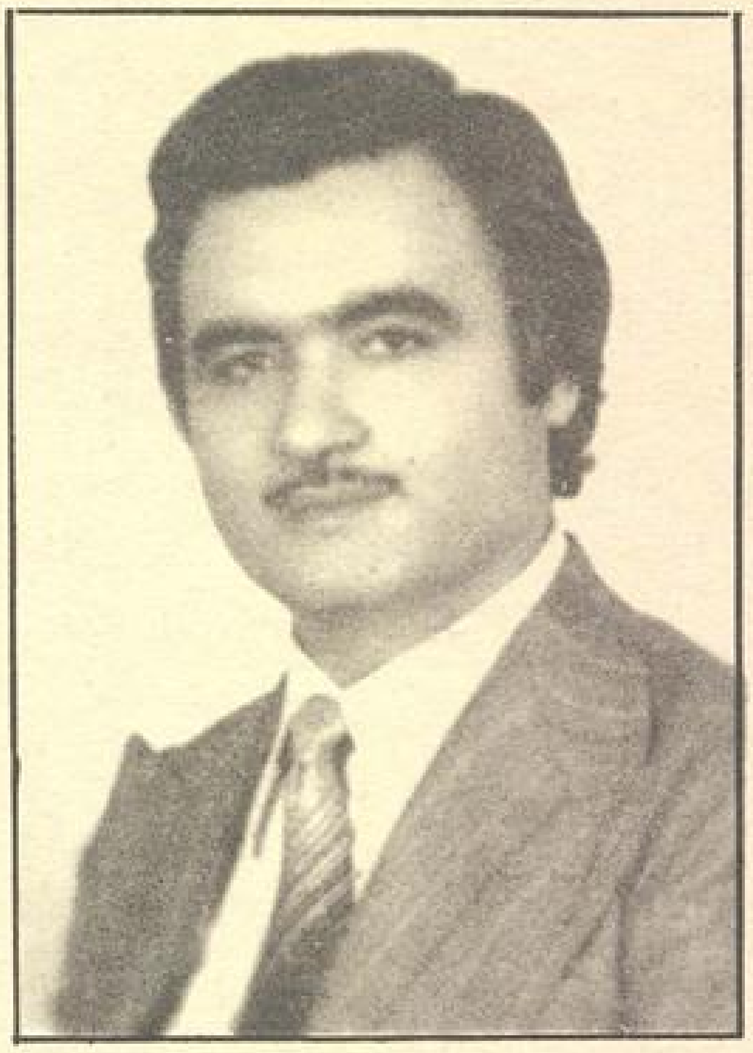
ـ هناك مقطع من « اجراس اليوم الثالث » ترجم الى الارمنية ونشر عام ١٩٦٧ ، قبل سنتين من صدور المجموعة . وفي العام ١٩٧٤ ، تولى شاعر يوناني ترجمة ستة مقاطع بعنوان « صباح يوم احد » (ص ١٢٧ ـ ١٣١ من المجموعة الجديدة) الى اليونانية ، ونشرها بعد سنتين في مجلة ثقافية تصدر في اثينا .

اني من القائلين بالتفاعل بين ثقافات منطقتنا ، ومن اهمها اليونانية والارمنية . ويؤسفني ان تكون مجلة «أهيغان» الارمنية توقفت عن الصدور في اواخر الستينات وهي كانت تصدر في بيروت . كما يؤسفني الا يكون من حضور للغة اليونانية في بلادنا ، علما ان كثيرا من تراثنا القديم كتب بها . والحق علينا جميعا في هذا التقصير الثقافي .

الا ان هناك مرضا منتشرا بين بعض كتبة الشعر في بلادنا ، يمكن ان نسميه « جنون العالمية » . وهذا المرض هو ظنهم ان ترجمة بعض قصائدهم الى اللغات الاخرى ونشرها تجعل منهم شعراء كبارا او « عالميين » . لكن المهم ان تكون شاعرا كبيرا في لغتك ، وان يتمكن شعرك من شق طريقه الى اهل لغتك .

عن جريدة المستقبل ـ باريس

اشتركوا في مجلة
الاديب
تساهموا في نشر الثقافة



الدكتور فوزي عطوي

جورج صيدح ورسائله المطوية

(٢)

حول كتاب « خليل مطران »

بقلم الدكتور فوزي عطوي

* * *

وفي شهر شباط (فبراير) ١٩٧٤ ، اصدرت لي دار الهلال في القاهرة ، في سلسلة كتاب الهلال ، العدد ٢٧٨ كتابي « خليل مطران شاعر الاقطار العربية » الذي وضع مقدمته الشاعر المصري الراحل صالح جودت رئيس تحرير الهلال ونائب رئيس مجلس ادارة دار الهلال آنذاك . وبعد ان قرا صيدح هذا الكتاب في باريس، كتب الي رسالة مؤرخة في ١٩-٢-١٩٧٤ جاء فيها :

« اخي وشاعري فوزي

اهنيك على شمول دراستك عن الشاعر الخليل ، واشكرك لمرورك على مقال قديم لي (عام ١٩٥٧) ، اذ كنت في بيروت ، والمجلة (٢٣) التي نشرته بقيت في بيروت ، فنسيت وجوده ، وقرات ما نقلته منه كفصل كتبه غيري .

العجيب الغريب في بحثك ، تلك الحاشية في صفحة ٧٤ القائلة انك لم تجد الابيات المذكورة في مقالي ، في « الشوقيات » او غيرها ، مع انك نشرتها في الصفحة ١٤٥ منسوبة لشوقي . فكيف ترتاب في صفحة ، وتنشر ما رابك في صفحة اخرى ؟

يدهشني نشاطك وخصب انتاجك ، خصبا يحافظ على جودة الكلام ، بل احيانا تتفوق على نفسك ، وتبشر باستمرار الصعود الى القمم ، ان شاء الله .

انا عائد اليوم من مصح احتجزني شهرا ، وغارق في البريد المتراكم اثناء غيابي . فعفوك ان اوجزت ، ولك عواطف محبتي الدائمة » .

وفي ١٠-٤-١٩٧٤ ، يكتب الي جورج صيدح رسالة جديدة من باريس ، بعد ان تلقى مني نسخة من كتابي عن « جبران خليل جبران : عبقري من لبنان » الذي نشرته الشركة اللبنانية للكتاب ضمن سلسلة « ينابيع الفكر العربي» التي اصدرت منها خمسة كتب لي عن: «الجاحظ دائرة معارف عصره » ، « ابن الرومي شاعر الغربة النفسية » ، « المتنبي شاعر السيف والقلم » ، « احمد شوقي شاعر الوطنية والمسرح والتاريخ » ، و « جبران خليل جبران عبقري من لبنان » وقد ورد في رسالة صيدح ما يلي :

« عزيزي الاخ الكريم فوزي ،

لغيرك يقال ، «امير الصناعتين» ، اما انت فاصبحت امير الصناعات العديدة ، جامع اطراف الشعر والنثر والشرع والقانون المجيدة ، بارك الله بهذه المزايا الفريدة.

ارحب بما تتحفني به من آثارك ، واخصها عندي دراستك عن جبران في سالف الزمان ، يوم تركتني في زوايا النسيان .

اما ازمة الورق ، فلماذا نتركها على عاتق صاحب « الاديب » وحده ، ونحن اصحاب المصلحة في المجلة اكثر منه ؟ تعال نشترك في تزويده بما يحتاج لعام مقبل، كما نشترك في ثمرة جهده وصبره على بريد « الاديب » .

ولا ازيدك من اخباري كيلا اسطو على وقتك الثمين، ولا اهدي اليك نفحات ازهاري ، لان ليس عندي ، كما عندك ، (شيرين ونادين ولبنى) (٢٤) ثالوث الحسن والاسماء الحسنى ، رعتهن العناية بعينها اليمنى ، تاركة للقرينة ولك العين اليسرى ، دفعا لعيون الحساد عن روضة الاكباد » .

رد وايضاح الى صيدح

وقد اضطررت اثر هذه الرسالة التي نشرت في عدد ابريل ١٩٧٤ من « الاديب » ان ارد على الصديق الشاعر برسالة مطولة ، جاء فيها :

« يا اخي الشاعر الصديق الكبير

هزتني كلمتك التي وافاني بها البريد من باريس ،

ونشرتها مجلة « الاديب » في عدد نيسان (ابريل) الماضي، فقد اكبرت فيك ، رغم ما انت عليه من حالة صحية ، ذلك الدأب المستمر والاطلاع اليومي على ما تصدره دور النشر العربية ، ولا سيما متى كان المؤلف على لائحة اصدقائك الكثر .

وكنت انوي ان اوافيك بنسخة مما تيسر لي الحصول عليه من كتابي « خليل مطران ، شاعر الاقطار العربية » الصادر في سلسلة « كتاب الهلال » بالقاهرة ، فاذا بك كما عهدتك على الدوام ، سباق الى المكرمات ، واذا برسالتك توافيني ، حاملة الي تهنئاتك بصدور كتابي الجديد .

وكم كنت اتمنى لو ان الكتاب تنزه عن بعض الاخطاء التي لا مفر منها ، وخصوصا متى كان المؤلف مقيما في بلد والكتاب يطبع في بلد آخر ، اذ كان من المتعذر علي ، وانا في بيروت ، ان الاحق تصحيح مسودات الكتاب في القاهرة، فوقعت فيه اخطاء بعضها طباعي ، وبعضها مرده الى السهو وعدم الانتباه . وما احسبني بهذا الصق بنفسي صفة الغفلة او التغافل ، وانما هو منطق الطباعة لا يرحم منطق المؤلفين .

اما بالنسبة لما ورد في الحاشية صفحة ٧٤ عن روايتي لابيات شوقي على ذمتكم ، ثم اثباتي للابيات ذاتها منسوبة الى شوقي ، في الصفحة ١٤٥ من الكتاب فان لذلك قصة حرية بالذكر والاعتبار :

فقد كنت اطالع مقالكم الذي نشرتموه في العدد الخاص بخليل مطران الصادر عن مجلة « الرسالة » عام ١٩٥٧ ، في عداد ما كنت اعددته من مراجع الكتاب ، فأعجبتني الابيات الشوقية في امتداح شاعرية المطران ، فسجلتها على ورقة مستقلة ، على امل الرجوع اليها ، ومع عظيم ثقتي بصحة مراجعكم ، فقد قادتني امانة البحث العلمي الى ضرورة التثبت من ورود هذه الابيات في احد اجزاء « الشوقيات » الاربعة ، وكنت فرحا بمجموعة جديدة مجلدة تجليدا انيقا اضفتها الى مكتبتي، بعد ان استحصلت عليها من احدى المكتبات في بيروت ، وعلى عادتي كنت اخرجت الاجزاء الاربعة القديمة من « الشوقيات » التي عندي ، وحولتها الى مكتبة اشقائي في منزلنا الوالدي .

وفوجئت حقا بان المجموعة الجديدة لا تتضمن اي اشارة الى ابيات شوقي ، فقلت في نفسي : ان الابيات جميلة ، ولا ريب ان صديقنا الاستاذ جورج صيدح قد اعتمد مراجع قد لا تكون متوفرة لدي ، فذكرت في حاشية الصفحة ٧٤ انني اثبت الابيات على ذمتكم .

وفيما كنت ماضيا في تأليف الكتاب ، اضطررت للرجوع الى احد كتابين ألفتهما عن شوقي وهما : « احمد شوقي امير الشعراء » ، و « شوقي شاعر الوطنية والمسرح والتاريخ » فوجدت في النماذج الشوقية المثبتة في الكتاب الاول منهما قصيدة شوقي في خليل مطران ، فأدركت على الفور حل اللغز ، وقلت في نفسي : هذه المجموعة الجديدة المطبوعة بطريقة « الاوفست » مزورة وناقصة . ومن خلال رجوعي الى المجموعة القديمة في المنزل الوالدي عثرت مجددا على القصيدة ، فانكشف السر ، وصدق تقديري .

وعلى الاثر ، صدف مرور صديقنا المشترك الاديب الناقد الكبير الاستاذ رضوان ابراهيم (٢٥) ببيروت ، فاغتنمت فرصة تلطفه بزيارتي لانقل كاهله برسالة الى صديقنا الكبير الاستاذ صالح جودت (٢٦) رئيس تحرير « الهلال » تتضمن تصويبات عدة ، ومنها تصويب هذه الحاشية النافلة التي لم يعد لها من داع ، ولكن يبدو ان دواليب المطبعة كانت قد دارت ، وسبق السيف العذل .

فهل تقبل اعتذاري ، وهل تشاركني احتقاري لهؤلاء العابثين بالتراث الادبي ، من اجل تعبئة الجيوب ، كأن الامانة العلمية لا تعنيهم في شيء كثير او قليل . وعلى ذكر مجلة « الرسالة » التي نشرت مقالتكم عن خليل مطران ، اذكر ايضا ان رئيس تحريرها الاديب الناقد الاستاذ جان كميد قد هيأ لي ، في مقاله المقارن المنشور في « الرسالة » حول شاعرية المطران في قصيدته «نيرون» وشاعرية الياس ابي شبكة في قصيدته « شمشون » ان انهل من معينه ، واستأنس بآرائه السديدة ، ونظرته العميقة الى الفن القصصي المتجدد لدى الشاعرين . ولكن السهو والسرعة في التأليف اوقعاني فيما كنت لا احبه لنفسي ، ولا للاديب الصديق الاستاذ كميد الذي ربما تسببت في تشويه فكرته ، اذ ظهر من سياق البحث ان قصيدة « شمشون » ، وهي لابي شبكة ، قد نسبت كقصيدة « نيرون » الى خليل مطران ، فلعله والقارىء معه يقبلان اسفي واعتذاري » .

معارك ادبية

ومن طريف الصدف ان تنشر مجلة « الاديب » في العدد نفسه رسالة من جورج صيدح موجهة الى الصديق الدكتور عبد المنعم خفاجي ، وفيها غمز ولمز موجهان الى مقال طويل لي كنت نشرته في « الهلال » عن خليل مطران، فاضطررت ازاء هذه المعركة الادبية الصامتة التي افتتحها الصديق الكبير ان ارد عليه مرتين : الاولى في «الاديب» والثانية في « الهلال » ، بعد ان كرر غمزه ولمزه في مقال آخر نشره في « الهلال » ايضا .

اما ردي الاول ، فقد قلت فيه : « لصديقي الشاعر المهجري الكبير جورج صيدح اياد وافضال احاول ان اقابله بمثلها ما وسعتني طاقتي ، فأراني كابيا حيث اراه مجليا. وقد حاولت في العدد الماضي (مايو) من « الاديب » ان اوضح له ظروف الالتباس الذي حصل في كتابي « خليل مطران شاعر الاقطار العربية » ، والذي اثار الاستاذ

صيدح تساؤلا حوله في عدد « ابريل » ، وذلك حول ابيات احمد شوقي التي نظمها في امتداح شاعرية المطران.

لكنني رايته في عدد « مايو » ذاته يدبج رسالة ادبية رفيعة الى صديقنا الكبير الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي مهنئا اياه بعمادة كلية اللغة العربية في جامعة اسيوط ، ومشيرا الى بعض « المطرانيات والذكريات » حيث عرج على العدد الخاص من مجلة « الهلال » الذي صدر في نوفمبر ١٩٧٣ متضمنا ابحاثا ومقالات عن خليل مطران ، ومنها مقالة لي عنوانها « خليل مطران شاعر الفلسفة والمصير » استغرقت عشر صفحات في مجلة « الهلال »

وفيما اغتنمها مناسبة كريمة لتهنئة صديقي العميد الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي بالعمادة التي انساقت اليه كرسيها عن جدارة ، ولذكر ما له هو الاخر من ايادٍ كريمة علي ، بفضل حبيب الادباء العرب الاستاذ وديع فلسطين ، منذ ان عقدت « رابطة الادب الحديث » في القاهرة ندوة خاصة لمناقشة ديواني « شموع المعبد » الصادر عام ١٩٦٢ ، فاني استميح الصديق الكبير الاستاذ جورج صيدح عذرا اذا اضطررت في هذا العدد من « الاديب » ايضا الى توضيح ما التبس عليه ، مما قراه في مقالتي في عدد نوفمبر ١٩٧٣ من مجلة « الهلال » .

قال الاستاذ صيدح ما حرفيته (الاديب ـ عدد مايو ١٩٧٤ ـ صفحة ٥٢) : « واذ اقلب صفحات « الهلال » اجد البلاغة كلها في كلمات رئيس وزراء لبنان (تقي الدين الصلح) والفصاحة كلها في قصيدة رئيس التحرير (صالح جودت) ، ولن اعلق على مقال « شاعر الفلسفة والمصير » بل اتناساه كيلا اتكدر على صديقي (فوزي عطوي) كاتب المقال الذي نعت الشاعر المبدع الحكيم المجدد العميق الافكار ، البعيد النظرات ، بالشاعر المتفلسف » .

واعود الى مقالتي في « الهلال » ، وقد انتظمت فيما بعد فصلا من فصول كتابي الصادر في سلسلة « كتاب الهلال » عن « خليل مطران شاعر الاقطار العربية » في الصفحات (٨٢ ـ ١٠٠) فاراني قلت (الهلال ـ عدد نوفمبر ١٩٧٣ ـ صفحة ٢٩) :

وقلت في ذلك المقال : « وعلى الرغم من ان خليل مطران غنى واجاد الغناء ، فهو قد تفلسف ايضا ، واجاد التفلسف ولا سيما في نظرته الشفيفة الى مصير الاشخاص والاشياء . لكن خليل مطران ، اذا استطاع ان يظهر في شعره بمظهر الشاعر المتفلسف ، فهو لم يكن الشاعر الفيلسوف بأي حال من الاحوال .

وانهيت مقالتي بقولي : « ان خليل مطران لم يكن منقبا عن نظام فلسفي لهذا الكون ، ولكنه كان شاعرا متعمقا متسائلا ، باحثا عن الحقيقة والخير والجمال ، ومن هنا قولنا فيه : ان مطران كان شاعرا متفلسفا ولم يكن شاعرا فيلسوفا ، وان بينه وبين ابي العلاء المعري كثيرا من المشابه في هذا الصدد ، وان كان المعري ابعد شأوا واعمق غورا في اضفاء الرداء الفلسفي على شعره » .

بعد هذا احسب ان لكلامي معنى واحدا لا ثاني له ، وهو ان خليل مطران ادخل الومضات الفلسفية على جوانب من شعره ، فكان شاعرا متفلسفا ولم يكن فيلسوفا ، بما تجوب فيه الفلسفة من ابعاد واعماق ، اي كان « الشاعر المبدع الحكيم المتجدد العميق الافكار ، البعيد النظرات كما وصفه الاستاذ صيدح ، ومن اجل ذلك عقدت مقالتي التي استغرقت عشر صفحات من مجلة « الهلال » .

ويبدو ان صديقي واخي الكبير الاستاذ صيدح مر بالمقالة مرورا سريعا في بداية الامر ، فساءته كلمة «الشاعر المتفلسف » اذ فسرها بمعنى الشاعر « المتفذلك » الذي لا يعرف شيئا من الفلسفة ، وهو تفسير احسب صديقي يتخلى عنه ، لو تأنى واعاد قراءة المقال .

واحسبه بعد ذلك ، لا يتكدر علي ، وهو العالم في كل حال بان الانتقاد لا يكدرني، وانما يحملني على الشكران والعرفان لمن يسدد خطاي الى الصواب . وشكرا من القلب للاستاذ صيدح ، الصديق الحبيب » .

٠٠ ورد وايضاح من صيدح

وعلى اثر هذا الرد الايضاحي ، وجه الي الشاعر جورج صيدح رسالة اخوية في ١٥ـ٧ـ١٩٧٤ ، وقد جاء فيها قوله :

« اخي الكريم الاستاذ فوزي عطوي

اكبرت وفاءك كصديق اكباري لعطائك كاديب ، حينما قرات الان مقالك الموجه الي في مجلة « الاديب » . ان حرصك على سلامة المودة التي تربطنا ، من كل ريبة تلامسها ، يزدهيني ويستوجب شكري . ولكنت كتبت اليك منذ شهر ، ما يريح بالك ، لو ان المجلة وصلتني في موعدها ، ولم تتعقبني في الجولان بين قمم « الالب » البيضاء ، قبل ان تعود ادراجها الى باريس اليوم .

فيا عزيزي . ان لكتابك عن « خليل مطران » منزلة في نفسي لا تحد منها ملاحظتي الطفيفة على كلمتك العنيفة « الشاعر المتفلسف » ، وان حرمان مطران في شرعك من لقب « الفيلسوف » لا يحط من مقامه السامي او من مجده الخالد . فعلام هذا الوجسان ن اعتراضي على لقب خلعته عليه بحسن نية ، ولم تنتبه الى احتمال تأويله اسوأ تأويل ؟

فنحن العامة اصطلحنا على اعتبار « التفلسف » نعت ازدراء تلصقه بمن يهرف بما لا يعرف ، فنقول : « انه قد تفلسف ! » اما الفلسفة ، فنحن نحترمها وان لم نفهمها . ولو استفتينا سيبويه رحمة الله عليه لقال لنا : « تفلسف يعني تظاهر بالحذق وادعاه » (معجم المنجد ـ صفحة ٥٩٣) ، و « تفلسف يعني سلك طريق الفلسفة ولم يحسنها » (معجم الرائد ، صفحة ٤٢٦) فهل هذا

ما تريده من حكمك على شاعر القطرين وامير الصناعتين ؟

وما كان ضرك لو ابقيته شاعراً مفكرا متحررا (حاف بلا مزيد من الاوصاف) كما خلق وكما عاش الى نهاية المطاف !

ليتك سألت الزمخشري عن سر تلك « التاء » اللعينة التي يضعها على رأس الكلمة ، فينقلب معناها راسا على عقب ؟

بالتاء على « بكى » يحقر من « تباكى » ، وبالتاء على « حلا » يستهجن من « تحالى » وبالتاء على « ظرف » يهزأ ممن « تظارف » ، وبالتاء على « فلسف » يزدري من يتفلسف . فهو المسؤول امامك ، لا انا !

واخيرا ، يا اخي المعطاء (كما يناديك وديع فلسطين زين الادباء) ارجوك لا تهدر عطاءك فيما لا يفيد احدا ، ولا يستحق اهتماما . دع هذه القضية جانبا ، فهي معركة في فنجان ، واقصر جهدك على المزهر المثمر في حدائق الشعر ، ومجاني البيان البكر ، كما بدأت في مطلع العمر . اني :

رايت الشرق في عينيك يبكي وللامجاد في فمك احتضار (؟)

اتضرب على الدف ، وفي يدك هذا القيثار ؟ ولماذا لا تلتزم قولك في مطولتك الثمانينية :

ارق الشعر لمح وانخطاف وابلغه اقتضاب واختصار

كما سجل صيدح على صفحة اخرى ملاحظة حول هذه المعركة سوف اشير اليها بعد قليل .

استدراكات مطرانية

اما ردي الثاني على ما اثاره صيدح في مجلة «الهلال» حول الموضوع نفسه فقد جاء فيه :

« في عدد سابق من مجلة « الهلال » الزاهرة (يوليو ١٩٧٤) ، مقالة قيمة لاستاذنا الشاعر المهجري الكبير الاستاذ جورج صيدح حول « ذكرياته المطرانية » ، ايام كان مقيما في القاهرة ، حيث تسنى له ان يعرف شاعر الاقطار العربية معرفة قريبة ، وان يتعرف الى اخلاقه النموذجية ، والى شمائله العالية التي تواترت اخبارها ، ودلت على اصالة الانسانية في نفس الشاعر الكبير .

ولقد تبين لي من خلال قراءتي لمقالة الاستاذ صيدح، مدى وفاء الذي نعتبره اميرا من امراء الوفاء ، ورابطة عقد وثيقة ، بين اصدقائه ومحبيه وقارئي نثره وشعره .

ولعل مقالته المنشورة في مجلة « الرسالة » (السنة ٣ ـ العدد ٥ ـ ١٥ مايو ١٩٥٧) عن « خليل مطران الشاعر الانسان » آية خرى من آيات وفائه نحو ارباب الاقلام ورواد الفكر الراحلين منهم والدارجين بعد في مدارج الحياة .

لكنني عجبت كل العجب لموضوع عاد الاستاذ صيدح ، مرة جديدة ، الى اثارته على صفحات « الهلال » بعد ما سبق له ان اثاره في مجلة « الاديب » اللبنانية (عدد مايو ١٩٧٤ ـ صفحة ٥٢) حول عدد الهلال في شهر نوفمبر ١٩٧٣ عن خليل مطران ، وبوجه خاص حول مقالتي المنشورة في العدد المذكور بعنوان « خليل مطران شاعر الفلسفة والمصير » .

وقلت في تلك المقالة بعد ان سردت اقوال صيدح في « الهلال » : « ورغم اني كنت نشرت ردا توضيحيا في عدد يونيو ١٩٧٤ من مجلة الاديب حول ما التبس معناه من مقالتي على صديقي الشاعر المهجري الكبير ، فيبدو لي ان اختياره منبرا جديدا لتوجيه الانتقاد الادبي الحرفي ذاته الى مقالتي عن المطران ، لا يترك لي حق الخيار بين الرد او عدم الرد عليه ، لاقتناعي التام بأن من حق قراء « الهلال » ، كما كان من حق قراء « الاديب » ان يعرفوا الحقيقة من مظانها ، فلا يلتبس عليهم بالتالي ما اراه التبس على الاستاذ صيدح » .

وبعد ان اوضحت بالتفصيل ما كنت اوضحته في « الاديب » ختمت كلمتي بقولي : « بعد هذا اشكر للشاعر المهجري الكبير الاستاذ جورج صيدح انه اساغ لي ، بسبب مقاله المنشور في « الهلال » حديثا جديداً عن خليل مطران ، كما اساغ لي الادلاء ببعض الاستدراكات والايضاحات لوجه العلم ، ولوجه الدقة والموضوعية في البحث الادبي » .

وحول هذا الرد الثاني ، كتب الي جورج صيدح ، من باريس الرسالة المؤرخة في ١٥ـ٧ـ١٩٧٤ التي سبقت الاشارة اليها ، وعلى صفحتها الاخيرة كتب ما حرفيته :

« كلام بيني وبينك : افضي اليك بسر يثير الدهشة، هذا المقال الذي صدر في « الاديب » لم ارسله انا اليه ، بل ارسله الاخ وديع فلسطين راسا من القاهرة . كنت ارسلته اليه في تاريخ ٢٥ نوفمبر ١٩٧٣ على اثر اطلاعي على كتابك المطراني ، فاردت ان يعرض المقال على الصديق الاستاذ محمد عبد الغني حسن الذي هو طرف فيه ، ويتبع رايه في النشر او في الاهمال .

ومضت شهور على تلك المراسلة ونسيت المقال : لم اسأل وديعا عنه ، ولا طالبته بنشره ، الى ان فوجئت اليوم بقراءته منشورا في « الاديب » ، بعد ان فوجئت قبل يومين بقراءته في مجلة « الهلال » عدد يوليو ، و«الاديب» عدد يونيو .

كيف ؟ لماذا ؟ ما هو السر ؟ يجوز ان تسأل الاخ وديع عنه وتكتم خبره .

انا اصبحت مسخرة القراء ، يظنون اني اوزع ما اكتب على العديد من الصحف ، تهافتا على الشهرة ، وانا ـ والله ـ ازهد الناس بها في هذه المرحلة من عمري. ولله امري » .

عند هذا الحد ، اعتبرت القضية منتهية ، ورضيت بالتفسير الذي قدمه الاستاذ صيدح ، خصوصاً واني

اعرف ظروف النشر في الصحف ، فما انا بغريب عن اورشليم ؟

واندلعت الاحداث اللبنانية المتمادية منذ عام ١٩٧٥، واضطر كل منا الى ان يضرب في جهات الارض الاربع ، هربا من الجحيم الحربي ، وبحثا عن كرامة لقمة العيش، وكانت الرسائل التي اوجهها الى الاصدقاء ، من خارج لبنان ، هي الصلة الوحيدة بهم ، وبتاريخ ١٢-٤-١٩٧٧، كتب الي صيدح من باريس الرسالة التالية :

« الاخ الكريم الحميم فوزي ،

للمرة الثانية تفتقدني بكلماتك الحلوة ، وللمرة الاولى تعطيني عنوانا للجواب . شكرا لك مرتين ، ودعاء الف مرة بأن يرعاك من اعطاك النجوم الاربع ، زينة الحياة الدنيا .

كنت مرتاحا لابتعادك عن جحيم لبنان في ذلك الزمان اما الان ، فأرجو ان يعود البلبل الى عشه ، ويستأنف تغريده من بيروت ، كما عود قراء « الاديب » وغير « الاديب » . ما اشوقنا الى بيانك الحبيب .

ترى هل يفكر الاخ البير اديب ببعث المجلة ام وأدها وترحم عليها ؟ تسألني عن اخباري فتحرجني لانها كلها قتام وهموم وامراض : (كلما داويت جرحا سال جرح) . والشيخوخة اعجزت من يداويها . قلما ابارح منزلي ، وكثيرا ما انظم القصائد من سريري ، واواصل الاخ « الوديع » برسائلي ، واندب اخواني الراحلين قبلي :

راح فرحات ثم معلوف قبلي رب هب لي ان اسبق القرويا

يهمني الاطمئنان عن عودتك الى بيروت بعد ان وفيت قسطك للعلم والادب في محاضراتك ، وفقك الله ، ونفعنا بعطائك السخي المستمر ، ودام لي عطفك الثري ، اعتز وانعم به مدى العمر » .

حول مقال في « النهار »

ومن باريس ايضا ، كتب الي جورج صيدح بتاريخ ٢-٥-١٩٧٧ الرسالة التالية ، بعد ان قرأ مقالا لي في جريدة «النهار» عن الاهوال التي قاساها منشىء « الاديب » في حرب السنتين ، وقبل ان يضطر في شهر ابريل ١٩٨١ الى ترك منزله ومكتبه اللذين تعرضا لعشرات القذائف والشظايا . يقول صيدح في رسالته :

« اخي الالمعي فوزي ،

اكتب اليك ، وفي يدي قصاصة مقالك عن عميدنا البير اديب ، وفي عيني دمعتان حائرتان بين مجلة «الاديب» وصاحبها الحبيب ، وفي قلبي شاغل مؤلم عن حالته ، صحيا وماديا ، بعد المحن التي قاساها ، والتي لم يتعرض لها مقالك المؤثر الرائع في جريدة « النهار » .

لقد ارسلها الي الاخ وديع فلسطين من القاهرة ، فارسلتها بدوري الى مجلة « المراحل » في سان باولو (البرازيل) حيث للاديب ارفع مكانة واقدم شهرة . وليتك كتبت عنوانه الحالي الذي يهم الجماهير من المعجبين . اما ان قابلته شخصيا فلا تنس عواطفي نحوه ونحو اسرته الكريمة ، وشوقي لجلسة ، لا سبيل اليها الان ، في حضرته امام مكتبته . واظن لو كان جميع انصاره مثلك ومثل وديع لاستطاع استئناف الجهاد ، وبعث المجلة من الرماد .

بتاريخ ١٢-٤-١٩٧٧ ارسلت اليك جوابا على رسالتك الكريمة عنونته « فندق الخليج » في البحرين . هل تسلمته ؟ (٢٨)

وختاما احيي نجمك الصاعد في سماء الادب والبيان يا اوفى واحب الاخوان » .

وفي اواخر ١٩٧٧ كتب الشاعر صيدح الي :

« عزيزي الاخ فوزي

اتنسم اخبارك بشوق وارتياح مرتين في الشهر من « الوديع » الحبيب اولا ، ومن الصحف والمجلات ثانيا ، بينما انت لا تسمع شيئا عني لان دوريات بيروت ، ما عدا الاديب ، قررت ان تأكل الطعم ، وتبصق على الصنارة !

لم اقرأ دورية لبنانية منذ سنتين ، مكتفيا بصحافة مصر ، يتبرع بها وديع فلسطين ، وصحافة سوريا من حين الى حين . اما صحافة المهجر ، فدونها اهوال من الحاكمين بأمرهم بالبريد البليد !

ان صح الراوي ، فأنت وضعت حدا لرحلاتك ومحاضراتك ، وعدت الى مقرك البيروتي بقلمك الظمآن الى الحديث عن لبنان ، الحريص على تذكارات الاخوان .

آخر ما قرأته لك رسائل المرحوم نظير زيتون التي جددت احزاني على الاديب الذبياني ، فجئت اعرض عليك ملف رسائله الضخم المحفوظ عندي اليوم ، المحكوم عليه بالاعدام غدا ، فالنار جائعة الى التهام مكتبتي بكاملها ، وسوف تبلغ مرامها عن قريب .

ليس في دريتي من يفهم العربية حتى يحتفظ بالمكتبة والملفات ، متى فارق صاحبها الحياة . وقس على ذلك مؤلفات ومراسلات تراكمت في باريس منذ عشرين عاما ، قادمة من الشرق والغرب ، عرضة للحرق والنهب .

وديع يعترض على هذا المشروع ويعتبر الرسائل امانة في عنقه ، لم تكتب للنشر . اما غيره كثيرون ، فيعتبرون الموت انعتاقا من السرية ، وانطلاقا الى ميدان الحرية ، ان كان في النشر فائدة ادبية عمومية .

وبعد ، فهل لي ان اعرف شيئا عن مشاريعك لليوم وللغد ؟ هل ارتبطت بمهمات في لبنان ؟ ام تنوي الانتقال الى غيره من البلدان ؟ وهل ترف اغصان الزيتون حول مائدتك ، ام تعيش وحيدا مع قرينتك ، كما اعيش انا منذ عشرين عاما ؟

واخيرا سؤال : اعرف عاطفتك نحو ادباء المهجر وولعك بآثارهم . فهل طالعت كتاب الدكتور عيسى الناعوري « ادب المهجر » في طبعته الثانية ؟

انا عجزت عن طبع كتابي عنهم ، لاني اتعامل مع

لبنان المنكوب . اما هو فنجح في مشروعه الموكول الى دار المعارف في مصر ، فسرني نجاحه ، وتلكأت في مطالعة كتابه لاسباب صحية واجتماعية قاهرة ، الى ان كتب الي صديق من بغداد يسألني عن سبب العداوة بيني وبين مؤلف الكتاب الذي ، بعدأن اثنى على ادبي ، رماني بسهم مسموم ، فقال حين قال في صفحة ٤٣٥ : « ان شعر صيدح في السنوات الاخيرة لا ينبض بالحيوية ، ففي وطنياته تغلب الخطابية والعنترية والنثرية والركاكةبدليل مجموعته « شظايا حزيران » التي تدل على ان عهد الشعر الجيد ، عند صيدح ، قد ذبل وانتهى امره » (يا للبشارة!)

امام هذه الهجمة التي تعمد المؤلف فيها التحقير والتجريح ، مع حكم الاعدام على الشيخ المريض المضام ، جعلني ارد عليه بمقطوعة دفاعية هجومية لم ارسلها اليه، ولا نشرتها في عمان اكراما لخاطر صديقي وصديقه جعفر الخليلي ، ولكني ارسلتها اليوم للنشر في سان باولو حرصا على مكانتي وكرامتي هناك .

والغريب ان لا وديع ولا عبد الغني حسن ولا غيرهما في القاهرة اعترض على هذا التحامل . ختاما ابثكاشواقي وعواطفي الاخوية » .

حساسية .. وسوء تفاهم

وكان صيدح قد ارفق هذه الرسالة بقصيدته الهجائية للدكتور عيسى الناعوري ، ووجه نسخة ثانية منها الى الاستاذ البير اديب ، لكنا رأينا في حينه عدم نشر تلك القصيدة ، وان اكن قد ذكرتها ، بعد وفاته ، في مقال ضاف كتبته عنه في جريدة « النهار » ، وكان اول مقال يكتب عن صيدح في البلاد العربية بعد رحيله .

لكن الحساسية الشديدة التي كان صيدح قد اصيب بها في اواخر حياته كان لا بد ان تقوده الى انفعال اعترف بصحة مبرراته بالنسبة اليه ، رحمه الله ، لكنني كنت ضحيته البريئة بسبب خطأ غير مقصود وقع فيه الكاتب المهجري في البرازيل الاستاذ عبد اللطيف اليونس .

فبتاريخ ٤-٣-١٩٧٨ ، كتب جورج صيدح من باريس رسالة ادبية بعنوان « الى الاخ فوزي عطوي » وارسل بها مباشرة الى الاستاذ البير اديب لكي ينشرها في مجلة « الاديب » .

والرسالة ، نصفها مكتوب بخط الاستاذ عبد اللطيف اليونس وهو جزء من الرسالة التي كان قد بعث بها الى صيدح ، ونصفها الثاني مكتوب بخط الشاعر الصديق الكبير جورج صيدح تعليقا على ما ورد في رسالة اليونس .

واما النص الحرفي للرسالة فهو التالي :

« الى الاخ فوزي عطوي

وقد اطلعت على مجلة « الاداب » العدد الاخير ، وقرأت رسالتك الموجهة الى فوزي عطوي ، فنسختها وارسلتها اليه .

انت دائما على السنتنا هنا ، مثلما انت في قلوبنا وافكارنا، وكافة الاخوان يهدونك تحياتهم وكم اكون شاكرا اذا تلطفت واشعرتني بوصول هذه الرسالة ، او لعل الضمير الانساني ينتفض في صدور موزعي البريد ، فيسلمونك بعض الرسائل التي لم تستلمها . ويا اطيب وانبل من عرفت ، لك مني اعطر تحية » .

عبد اللطيف اليونس

وقد علق صيدح على هذا المقطع بقوله :

« ورد هذا الخبر في رسالة كتبها الاستاذ العزيز عبد اللطيف اليونس من بونس ايرس بتاريخ ١٨ يناير ١٩٧٨ ، فاستغربت ان تكون الرسالة المذكورة وصلت الى مجلة الاداب بعد ان نشرها الاخ فوزي عطوي في اديب يناير . واغرب من ذلك ان يكلف نفسه الاستاذ الكبير بنسخ الرسالة ثم بارسالها الى فوزي عطوي نفسه ، وهو الذي تلقاها من صيدح وعن له نشرها ، اتراه يعيد نشرها عند استلام نسخة اليونس ؟ اكراما له ؟! وانما الاعمال بالنيات » .

اما الصفحة الثانية من الرسالة الصيدحية ، فمؤلفة بدورها من نصفين : النصف الاول قصاصة من جريدة الاهرام وضع لها بخط يده عنوانا : « نزار قباني في جريدة الاهرام » وعنوان القصاصة المطبوع « اني الف ازدريه » . وفيها :

« اعرف انني لا املك مثله ناصية التعبير ! ذلك انها صناعته ، كل تجارته كلمات ، حتى نزاله كلمات (...) . الاهرام تصلني هدية من الاخ وديع فلسطين ، رزمة منتخبات على ذوقه كل اسبوع . منذ اسبوع تسلمت اعداد نوفمبر ودسمبر ويناير ومارس . وهذا الصباح وصلت رزمة ديسمبر ، وامس رزمة يناير ، بريد يمشي الى الوراء ، هذي اعجوبة العصر ! »

اما تعليق صيدح على ادب اشتائم السخيف الذي لا ينال من المكانة العظيمة التي احرزها نزار قباني في نفوسنا وقلوبنا ، رغم كل ما نختلف معه عليه من توجهات فنية ، فقد كان ممتزجا بنبل الشاعر الكبير ، وغيرته السمحاء على الشعر والشعراء ، وبالتالي فانه لم يترك لاحد بعده من مزيد للدفاع عن الاخ الشاعر الكبير نزار قباني .

واما تعليقه على رسالة عبد اللطيف اليونس ، فليسامحه الله عليه ، خصوصا وانه لا ذنب له سوى ذنب الانفعال العاجل ، ولو انه تأنى وكتب الي مستوضحا لانجلى كل شيء امام ناظريه .

والحقيقة ان حرصي على المحبة الصافية التي جمعتني به ، منذ ان كان يرعى خطواتي الاولى ، وينتقد ادبي بروح ابوية صادقة فاتقبل نقده بما اعرفه في نفسي من رحابة الفهم والتقدير ، جعلني ابادر فور ان اعطاني الاستاذ البير اديب رسالته الموجهة الي ، عن طريق الاديب فاكتب اليه رسالة اوضح له ما اشكل عليه من امر رسالة

مجرد سؤال

اليس حراما ان حبا مثلا ... ترعرع في قلبي وقلبك ، يذبح ؟
وانت التي في كفها تورق المنى ... وفي قلبها الشعر الرقيق المجنح ؟
واني كما تهوين انت فانت لي ... على شرعة الحب المثالي مطمح
اصارع شتى العاصفات اصدها ... فتجرفني والحب لا يتزحزح
ويابى شموخي ان يذل لصبوة ... ولكنها الايام تاسو وتجرح
سلمت ايا صيداحة الايك للهوى ... يناغيك في ايك الصبابات صيدح

بغداد ص.ب ٤٦٧ ... باقر سماكة

عبد اللطيف اليونس ـ سامحه الله ـ فاليونس لم يقرأ الرسالة الا في « الاديب » كما قرأها صيدح نفسه ، ولما سطر رسالته الى صيدح ، ذكر اسم مجلة « الاداب » بدلا من « الاديب » فظن الرجل انني اعدت نشر الرسالة مرة جديدة في « الاداب » ، مع ان « الاداب » لا تدرج في موادها اي باب لرسائل ادباء ، وهذه مجموعات « الاداب» وهذا صاحب الاداب الصديق الكبير الدكتور سهيل ادريس الذي يشهد انني لم انشر مثل هذه الرسالة ـ الازمة ، في مجلته الزاهرة .

ولست الان ـ وقد رحل الصديق الحبيب الوفي الى رحاب ربه ـ في مقام يسيغ الرد على شيء من اللهجة الغاضبة (الظاهرة خصوصا من خطه المضطرب ، ومن التشطيب المتكرر في سطورها) ، فقد طيبت خاطره برسالتي عن ذنب وهمي لم ارتكبه ، وكل ما استطيع قوله انني لم انشر رسالته ، كما تنشر جميع الرسائل الادبية في « الاديب » الا بعد اقتراح وموافقة من منشىء الاديب الذي يشهد على هذه الحقيقة ، بدليل ان الغالبية العظمى من رسائل صيدح الي لم يسبق نشرها ، وان عملية النشر تمت لمصلحة جورج صيدح نفسه ، وترضية له عن شعور الاسى الذي حملته رسالته بسبب النقد الموضوعي العلمي الذي وجهه اليه الصديق الدكتور عيسى الناعوري وبالتالي فلم تكن لي ـ كما يتضح من نصها الكامل ـ اية مصلحة في نشرها ، او في اعادة نشرها ، او في نشرها مرة ثالثة ، كما كان يتساءل باستغراب وانفعال !

وفي اي حال ، فاني ان كنت قد كشفت الان هذه الاوراق المطوية ، بدعوى الامانة الادبية والتاريخية ، فاني شكر اخي الاستاذ عبد اللطيف اليونس على اهتمامه بنسخ رسالة صيدح الموجهة الي ، لكنني ما زلت منذ ١٨ يناير ١٩٧٨ (تاريخ رسالته الى صيدح) انتظر وصول رسالة اليونس الي . ولعل البريد قد تاخر « قليلا » في ايصالها !!

اغلى الاصدقاء

والان ، وقد اصبح هذا الشاعر المهجري الصديق الغالي في رحاب الحق ، فان داعي الوفاء لذكراه الكريمة ليدفعني الى القول بان جورج صيدح كان انسانا كبيرا ، وشاعرا كبيرا نبيلا ، وان غربته الاختيارية الاكراهية التي فرضها على نفسه بسبب زواجه من عقيلته الفرنسية الفاضلة اضفت على نفسه مزيدا من الشعور بالوحدة ، وهو الذي امضى حياته ، خلا فترات قصيرة ، في دنيا الاغتراب ، ابتداء بمصر ، ومرورا باميركا ، وانتهاء بباريس حيث مثواه الاخير .

ويا اغلى الاصدقاء ،

بعد اعوام على رحيلك الابدي ، انشر ما انطوى من رسائلك الادبية ، فتصبح ملكيتها مشاعا بيني وبين احبائك . انها نفثاتك الطيبة ، قبلتها يوم وردتني منك ، بكل ما فيها من الترفق وبكل ما فيها من القسوة ، واتشبث بكل ما فيها ، بعد غيابك . فقد كنت في منزلة الاب الرحيم القاسي ، وما احب ان يخيب ظنك في البنوة الروحية التي جمعتني بك فهل تقر بها عينا، في عالمك الابدي، وهل ترضى بها سلاما مني عليك ، وتحية مني اليك ؟!

---

٢٣ ـ مجلة « الرسالة » اللبنانية التي كان يراس تحريرها جان كميد ، عدد ايار ـ مايو ـ ١٩٥٧ .

٢٤ ـ قبل ولادة ابنتي الرابعة كارولين عام ١٩٧٦ .

٢٥ ـ توفي في القاهرة عام ١٩٧٥ .

٢٦ ـ توفي في القاهرة عام ١٩٧٦ .

٢٧ ـ هذا البيت والبيت الذي يلي هو من قصيدة لفوزي عطوي تقع في ثمانين بيتا وعنوانها « ولي من دوحة الحب الثمار » نشرت في « الاديب » و « الارشاد الاجتماعي » في يونيو ١٩٧٤ .

٢٨ ـ هذه الرسالة لم تصل ، بسبب انتقال محل اقامة فوزي عطوي الى فندق الهيلتون في البحرين ، بعد ان كان مقيما في فندق الخليج .

فوزي عطوي

بناية اسكندراني رقم ٢
شارع الجامعة العربية ـ الطابق السابع ـ بيروت

لقاء لم يتم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم حسني سيد لبيب

●

النسيان مرض اصبت به . لا ادري متى زاملني المرض ، فقط اعرف اني مصاب به . وهو داء مزمن ، اعتقد انه يستعصي على العلاج . ولا يظن ظان اني من النوع الذي ينسى كل شيء ، فهناك امور نفسية لاتفارقني وتظل تضجرني ليل نهار ، وكم اتمنى لو انساها . فالاخطاء التي اتردى فيها ، تظل عالقة بذاكرتي ، فانصب بيني وبين نفسي محاكمة ذاتية عن دوافع الاخطاء ، وكيفية تفاديها ، ومدى الجرم الذي يلحق بي بسببها . كذلك هناك احداث جسام في حياتي وفي حياة الاخرين ، لا يمكن نسيانها . لكن النسيان الذي اعنيه ، هو في اشياء بسيطة ، وفي ارتباطات حياتية .. كأن انسى موعدا لصديق ، فاعطي موعدا لاخر في نفس اليوم والساعة ، او اعد عزيزا باحضار شيء يلزمه ، فانساه .

وقد كنت على سفر الى الاتحاد السوفياتي ، وحين حزمت حقائبي ، اعدت فتحها غير مرة ، متمما حاجياتي ومستلزمات سفري . وفي كل مرة اكتشف شيئا مهما لم احزمه وحين وصلت موسكو ، اكتشفت نسيان حاجيات اساسية ، كذا نسيت عناوين بعض الاصدقاء الذين ساكتب لهم من هناك . وهذه كلها امور اعتدت عليها، واصبحت مصدر طرافة اتندر بها ، وان كانت تسبب لي بعض المشاكل .

ومن موسكو ، انتقلت انا وزملائي الى بلدة صغيرة تدعى «تشربوفيتش» وتقع في شمال اوربا . وهي بلدة صغيرة تحددت معالمها مع اقامة مصنع الحديد والصلب ، الذي هاجرت من اجله اسر روسية من مختلف المناطق ، واستقر بهم المقام هناك . والبلدة صغيرة تستطيع ان تتجول في شوارعها مدة لا تتجاوز ساعتين ، فتلم باطرافها ومعالمها . واهلها طيبون ، شديدو الاهتمام بالاجنبي . ولديهم رغبة قوية في التعارف .. واسهل شيء ان تتعرف على صديق او رفيق هنا، وان تكون علاقات مع الاسر الروسية . اما الفتيات فمن السهل اليسير ان تلقي التحية على فتاة ، وتتجاذب معها اطراف حديث ما ، وبعد خمس دقائق تتأبط ذراعك بغية النزهة ، وبعد ذلك تصير فتاتك او صديقتك او حبيبتك ، كيفما تشاء ان تطور علاقتك بها .

وقد استقر بي المقام في فندق « لينينجراد » وهو من افخم فنادق البلدة ، ويؤمه كل اجنبي عن البلدة من كافة الجنسيات ، وكذا الروس الوافدون من مناطق نائية .

راودتنا ـ زملائي وانا ـ فكرة التجوال في طرقات البلدة ، للتعرف على معالمها . ولفت انظارنا اتساع الشوارع ، والخضرة المنتشرة على جانبي الطرقات وحول المنازل والابنية .

وحين هبط المساء ، والمساء هنا يحل في العاشرة ، وهو مساء رقيق غير تلك الظلمة الدامسة التي اعتدنا عليها . اتجهنا الى الفندق ، وكل آب الى غرفته ، وما ان اغلقت باب غرفتي حتى رن جرس الهاتف ، وكان المتحدث فتاة تسألني :

ـ من انت ؟

ـ انا .. انا عربي .

ـ من اي بلد عربي ؟

ـ من مصر .

ـ اهلا وسهلا .

ـ اهلا يا آنسة .

ـ ما اسمك ؟

ـ اسمي .. عبد الفتاح .

قالت مستغربة :

ـ ماذا ؟

اعدت نطق الاسم بتباطؤ :

ـ عبد الفتاح .

فرددت ورائي :

ـ ابديل فتاخ .

انقلبت العين الفا ، والحاء خاء . لا يهم .

ـ كم عمرك ؟

ـ ثلاثون سنة .

ـ أانت متزوج ؟

ـ لا ...

ـ لماذا ؟

ـ لماذا ؟. لم اتزوج بعد

ـ أليست لك صديقة في القاهرة؟

وخشيت ان اقول لها: ليست لي صديقة ، فتسألني : لماذا ؟ فآثرت الراحة واجبت :

ـ لي صديقة جميلة في القاهرة .

ـ ما اسمها ؟

وثارت حفيظتي . ما كل هذه الاسئلة . سألت :

ـ ماذا تريدين ؟

ـ اريد التعرف عليك .

ـ اهلا وسهلا . يمكنك الاتصال بي فيما بعد .

ـ سعدت مساء .

ـ سعدت مساء .

ووضعت السماعة ، ثم اعدت الحوار في مخيلتي ، فوجدت ان الاسئلة من طرف واحد . لم اسأل عن اي معلومة ، فقط اجبت على اسئلتها . هذا لا يدخل في باب اللياقة ، وارجعه الى طبيعتي الريفية الملتزمة بخط واضح وصريح . ثم

اني انهيت الحديث ، وربما ضايقها هذا . الكل يتهمني باني ريفي قح، لا اتقن فن المجاملة والذوق . وكنت اجابه كل هذا بالاعتزاز بريفيتي .

وفي صباح اليوم التالي ، توجهت مع زملائي الى جهة التدريب ، ثم عدنا الى الفندق . واستلقيت على الفراش عصر ، ناشدا الراحة .

ثم قضيت المساء مع زملائي الذين اصروا على ان اصحبهم الى «الريستوران» . لكني عارضت حين عرفت ان « الريستوران » به مرقص ، اصرارا مني على البقاء على طبيعتي .

ـ جئت الى هنا ، وليست لدي اي نية في تغيير عاداتي .

قال صبحي :

ـ نحن هنا بعيدون عن مصر ، نفعل ما يحلو لنا ، انها شهور قليلة ثم نعود .. فلماذا التزمت ؟

ـ انه الالتزام بالمبدأ .

ـ هنا مجتمع خال من العقد !

ـ لكل مجتمع عاداته ، وسانتقي ما يتفق وطبيعتي .

ولفنا صمت ، شردت خلاله قليلا ثم قلت لزملائي :

ـ الم تلاحظوا الاجانب الوافدين الى مصر ؟ هل يغيرون عاداتهم ، ام يعيشون في بلدنا نفس الطبائع التي استقرت في نفوسهم ؟

اقتنع البعض ، لكن صبحي تشبث بموقفه ، وزاد هجومه :

ـ انت مغلق على نفسك .

ـ ليكن ..

وازاء الحاحه ، نزلت على رغبتهم معللا قبولي بانه فرصة للتعرف على شيء جديد . واخذت طيلة الامسية ، ارقب الفرقة الموسيقية حينا ، والمرقص حينا اخر . كما تناولت ما يناسبني من اطعمة . وفي هذه الليلة ، راقص صبحي امرأة تناهز الخامسة والاربعين . كانت فرحة به . هذا الفرح الجنوني الذي ينتاب امرأة في خريف العمر . ولم تتركه الا مع انتهاء الحفل ، وانصراف الجميع ، وبعد ان حصلت منه على موعد .

كنا قد انصرفنا وتركنا صبحي مع امرأته ، فهرع الينا ، ليحكي ما لم نعرفه عن المرأة . وبدا صبحي يهيىء نفسه للعلاقة الجديدة . قلت منتقدا :

ـ انها تعدت الاربعين ، وانت لم تتجاوز العشرين !



حسني سيد لبيب

★

ـ ولكنها امرأة .. ولها اغراء لا تتقنه بنت العشرين .

ـ انت حر فيما تفعل .

وتكتمت امر فتاة الهاتف التي حادثتني امس . واعتبرت ما حدث مجرد دردشة عابرة انهيتها بطريقة تنبو على الذوق ، ولهذا آثرت الكتمان .

وحين عدت الى غرفتي ، رن جرس الهاتف في نفس موعد امس ، واذا المتحدث فتاة الامس ، ودار بيننا حوار ..

ـ مساء الخير يا عبد الفتاح .

ـ مساء الخير يا .. تصوري . نسيت ان اسألك عن اسمك .

ـ وهل يهمك الاسم ؟

ـ طبعا .

ـ كيلوبترا .

ـ هذا اسم ملكة مصرية في التاريخ القديم .

ضحكت .. ثم قالت :

ـ نفرتيتي .

بادلتها الضحك :

وهذا ايضا اسم فرعوني .

ـ اذن ، فأنا حتشبوت .

ـ يبدو انك تدرسين تاريخ الحضارة المصرية القديمة .

ـ ربما ..

ـ لا يهمني الاسم الان .

ـ كم عمرك ؟

ـ الخامسة والعشرون .

ـ انت غير صادق .

ـ لماذا ؟

ـ بالامس ، قلت ان سنك ثلاثون عاما ، واليوم تقول الخامسة والعشرين .

ـ سني ثلاثون عاما .

ـ حقا ؟..

ـ حقا . لم اكن اعرف ان ذاكرتك قوية .

ـ الا تعرف سنك ؟

ـ اعرف . لكني وجدت الثلاثين لا تناسبني . كان ينبغي ان اكون دونها .

وصمتت . لا اعرف سر الصمت سألت :

ـ ما اسمك ؟

ـ اليانورا .

ـ حقا ؟

ـ حقا .

ـ وعمرك ؟

ـ سبعة عشر عاما .

ـ اسمك رقيق ، وسنك صغير، وصوتك جميل . يبدو انك جميلة .

ـ انا اجمل فتاة في الاتحاد

السوفييتي .

اردت ان اقول لها : « انت مغرورة » لكن الروسية لم تسعفني بمعنى كلمة « مغرورة » . قلت لها:

ـ كيف عرفت ؟

ـ كل من عرفني قال ذلك .

ـ انهم يجاملونك .

ـ لا يهم . فهم جميعا اتفقوا على اني جميلة .

ـ يبدو ان اصدقاءك كثيرون .

ـ ليسوا بالكثرة التي تتصورها.

ـ أانت متزوجة ؟

ـ لم اتزوج بعد .

واردت الاعتذار عن الجفاء الذي بدر مني امس ، فقلت مترددا :

ـ هل اطمع في لقاء ؟

ـ لماذا ؟

ـ لكي ارى اجمل فتاة في الاتحاد السوفييتي .

ـ غدا يناسبك ؟

ـ يناسبني .

ـ الثامنة مساء ؟

ـ الثامنة مساء .

ـ اين ؟

ـ عند مسرح « الماز » .

ـ وكيف اعرفك ؟

ـ سارتدي قميصا احمر اللون .

ـ الى اللقاء ..

ـ الى اللقاء ..

نسيت ان اسأل عن شكل الثوب الذى سترتديه ، واونه ، او شكلها هي .. كما نسيت ان اسأل عن رقم الهاتف . واصبح اللقاء متوقفا على اليانورا ، بيدها امر اللقاء . فهي التي ستتعرف علي من خلال قميصي وستسألني ان كنت ادعى « ابديل فتاح » كما تنطق الاسم . واقول لها : « انت اليانورا » فتجيب : « نعم » . ثم يكون اللقاء الذي لم ارتب له .

حرصت على ارتداء ملابس انيقة، كيما ابدو وسيما . وتكتمت امر اللقاء فلم اصرح به . غادرت الفندق في السابعة مساء ، دون ان يراني احد من الزملاء . وكان مسرح « الماز » يقع خلف الفندق مباشرة ، فما هي الا خطوات لا تتعدى المائة متر حتى ألفيت نفسي عند باب المسرح . فوقفت انتظر . لم يزل امامي ثلاثة ارباع الساعة حتى يحين الموعد . شغلت نفسي بمراقبة المارة فتاتان انيقتان ، تقبلان نحوي ، تسألني احداهما :

ـ لو سمحت، اريد لفافة دخان.

اعطيتها واحدة ، فتأملتها جيدا ثم سألت :

ـ ما نوعها ؟

ـ انه دخان عربي .

ـ اانت عربي ؟

ـ نعم .. من مصر .

ـ لو سمحت واحدة اخرى لصديقتي .

واشعلت اللفتافتين .

ثم تبادلنا حديثا قصيرا . وسألتاني ان كنت اريد مصادقتهما، فسيحضران غدا في نفس المكان والموعد ، فشكرتهما ، وحييتهما وهما منصرفتان .

وحمدت الله انهما انصرفتا قبل وصول «اليانورا» . باق من الزمن قرابة العشرين دقيقة . لمحت فتاة تروح وتجيء امامي ، فيما يبدو انها تنتظر صديقها او عشيقها ، وقد تكون هي . ربما جاءت مثلي قبل الموعد . كان ينبغي ان تتحدث معي ، تعمدت النظر اليها ، مشجعا اياها على الحديث ، فتجاوزتني ومضت في طريقها ، تروح وتغدو، غير عابئة بي . انها فتاة رائعة الجمال . لا بد ان تكون «اليانورا» ! اعترضت طريقها :

ـ مساء الخير يا اليانورا .

نظرت الي مندهشة ، ثم ردت التحية :

ـ مساء الخير .. ولكني لست اليانورا .

ـ اذن فانت تشبهينها .

ـ اشبه اليانورا ؟

ـ نعم .

ـ ولكني لا اعرفها .

وهل اعرفها انا ؟ لقد تورطت في قول غير صادق .

ـ لا تؤاخذيني . اني انتظر فتاة بهذا الاسم .

ـ لا يهم . فانا ايضا انتظر صديقي .

ـ عن اذنك .

ـ يمكننا ان نتحدث ريثما تجيء صديقتك ، ويجيء صديقي .

ـ لا . قد تتضايق اليانورا حين تراني معك، وقد يتضايق صديقك.

ـ هذا سيسعد ساشا .

ـ ربما لا تسعد اليانورا ، عن اذنك ، سأقف بعيدا .

ـ لك ما تريد .

وظللت متسمرا في مكاني، منتظرا غير قلق على شيء . فالموعد ازف ، والمكان يكاد يخلو من المارة ، ومن السهل على اليانورا ان تراني .

يبدو ان هذا المكان يستقطب العشاق ، فها هي فتاة اخرى تقف على بعد خطوات مني ، ناحلة القوام متوسطة الطول ، ترتدي ثوبا منقوشا . قسمات وجهها خالية من ظلال الجمال ، ربما عيناها النجلاوان هما لمحة الجمال الوحيدة في وجهها . ستسعد الفتاة بتحيتي. ولكن حان موعد اللقاء ، وينبغي الا انشغل بشيء . مضى الوقت ثقيلا رتيبا ، بعد ان تجاوزت الساعة الثامنة ، ولم تأت اليانورا بعد . لا يهم . قد تتأخر قليلا . وان كنت على شوق لرؤية اجمل فتاة في الاتحاد السوفييتي ، كما تقول حاملة اللقب . ان صوتها جميل ، هذا حق. اما ما خلا ذلك، فسأحكم عليه بعد ان اراها . للقاء شوق زائد .

رآني احد الزملاء ، فحياني وسألني عن سبب وقوفي هنا . وقبل ان اجيب ، اردف :

ـ اتنتظر فتاة ؟. لن اعطلك ، عن اذنك .

ولم اتفوه بكلمة واحدة .

وجاء شاب مديد القامة ، وتابط

ذراع جارتي ، ومضيا يتضاحكان ويتغامزان . بينما ظللت انا والفتاة ناحلة القوام ، ولا احد غيرنا سوى المارة الذين يمرون علينا ، ثم يتجاوزوننا ، غير عابئين بنا .

كلانا متسمر في مكانه ، متلفت حواليه ، دون جدوى . لم تجيء اليانورا ، ولم يجيء صاحبها . وظل الوقت يمر ثقيلا وتيبا .

اقبل ناحيتي سكير يترنح يمينا وشمالا . دنا مني ، وفاحت من فمه رائحة الفودكا . قال :

ـ شاركني التدخين .

ومد يده بلفافة رديئة النوع ، فاعتذرت . لكنه الح ، فأشحت وجهي عنه ، وقلت متأففا :

ـ اغرب عني .

قال متلعثما :

ـ استطيع ان احضر لك فتاة تؤنس وحدتك .

ـ لا اريد .

ـ لا تريد ان تدخن ، ولا تريد ان تصاحب فتاة . فيما يبدو انك لا تريد ان تعيش .

يبدو ان الجملة الاخيرة اعجبته، فضحك لها بصوت عال .

ـ لا تريد . لا تريد . شيء لا يطاق ، ان تجد الناس لا يريدون شيئا . كيف تصير الحياة ؟ تصير مستحيلة طبعا .

ورددت وراءه :

ـ طبعا. طبعا. يمكنك ان تنصرف اذن .

ـ الى اللقاء .

وشد على يدي بحرارة ، وكرر تحيته :

ـ الى اللقاء ايها الصديق .

ورددت جملته :

ـ الى اللقاء ايها الصديق .

وتنفست الصعداء حين انصرف. كانت الساعة الثامنة والنصف . يبدو انها لن تجيء . انها غير صادقة في موعدها . وراجعت ما دار بيننا من حوار . هل هناك شك حول صحة الموعد ؟ الموعد اليوم ، وفي الثامنة مساء ، وعند مسرح « الماز » . تجولت حول المسرح ، ربما تقف في ركن اخر . ولكن سدى كانت محاولتي . فشيعت الفتاة الناحلة القوام بنظراتي ، راثيا لحالها ، فحالها مثل حالي . واردت ان اقول لها انصرفي يا فتاة ، فصاحبك لا يريد ان يلقاك ، مثلما صاحبتي لا تريد ان تلقاني . وهنا تذكرت ما قاله السكير :

ـ لا تريد . لا تريد . ان الحياة تصير مستحيلة لو ان الجميع لا يريدون شيئا !

عدت ادراجي الى الفندق ، وانزويت في غرفتي ، فاذا بالزملاء ينهالون علي بالمكالمات الهاتفية عن موعد الغرام .. وما كان . ولما قلت لهم ان شيئا من هذا لم يحدث، لم يصدقوا. وهيأوا انفسهم لسهرة في « الريستوران » ، ليسمعوا مني ما حدث .

جلسنا على نفس النضد التي جلسنا عليها امس . وانهالت علي اسئلة واستفسارات : من تكون الفتاة ؟ كيف عرفتها ؟ ماذا حدث اثناء اللقاء ؟

قلت لهم :

ـ لم يحدث شيء .

وعلت وجوههم الدهشة . قال الزميل الذي رآني :

ـ قد رأيتك بنفسي تنتظرها عند « الماز » هل تنكر ؟

وحكيت لهم قصتي من اولها . بالتفصيل . حرصت ان احكي كل شيء . قال صبحي مندفعا :

ـ هذا يؤكد رغبتك في ان تكون لك عشيقة . وماذا عن مبادئك ؟ ألم أقل لك انك ستقع في المصيدة ؟ وانه لا بد ان تكون لك فتاة ؟

وثارت تعليقات ساخرة من الزملاء الذين ادهشتهم افعالي، التي تناقض ما اقول .

ـ لا تكثروا من سخريتكم. اردت ان ارى « اجمل فتاة في الاتحاد السوفييتي » ، قالت لي هذا . وانتابني فضول ، وتملكتني رغبة قوية لرؤيتها .

منذ بدات احكي لهم ، تبادلوا الضحكات الخفية الخبيثة ، والغمزات واللمزات . فأحسست ان في الامر شيئا ما يخفونه عني ، او ربما هي ضحكات التهكم والشماتة، لكني تحاملت ، وحرصت على ان اكون رابط الجأش . قال مدحت ، وهو الزميل الذي رآني:

ـ نسيت يا عبد الفتاح شيئا مهما ..

واعقب صبحي :

ـ اعوذ بالله من النسيان .

وانطلقت ضحكات عالية، فادركت ان في الامر شيئا . وعدت اذكر دائي اللعين : النسيان . قال احدهم ساخرا :

ـ الحمد لله انك تذكرت موعد الطائرة التي ستقلك الى هنا .

قلت مندفعا :

ـ ولكن موعد الفتاة هو اليوم ، وفي الثامنة مساء ، وعند مسرح « الماز ». اذكر هذا جيدا. وراجعت نفسي في هذا .

قال مدحت بصوت عال :

ـ ولكنك نسيت ان ترتدي القميص الاحمر كما قلت لفتاتك في الهاتف .

وقال صبحي مبتسما :

ـ من العجيب انك حرصت على ان تقص علينا كل شيء بالتفصيل ، ولم تنس اتفاقك معها على ارتداء قميص احمر .

واكمل صبحي :

ـ وكما فهمنا ، انت لم تغير ملابسك بعد عودتك ، وها انت امامنا **ترتدي قميصا ابيض** .

واسقط في يدي ..

شردت لحظات .

اذن ، لا بد ان تكون الفتاة الناحلة القوام ، هي اليانورا . انها ليست جميلة ، انها فتاة عادية جدا وليس باديا على وجهها من آيات الجمال سوى عينيها النجلاوين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يا لليراع

☆

ماد اليراع مدلها ـ نشوانا ـ
وعلى شغاف القلب ماس حنانا
ما كنت المسه ليؤنس وحدتي
الا وزغرد حكمة وبيانا
وسدته سطح المنصة ـ برهة
وفركته .. باناملي سهوانا
امسكته كي استعيد مشاعري
واخط احساسي وارسم آنا
حنت عيوني اذ رأته مسجلا
رسما تحن له الرؤى ازمانا
رسما برته اناملي فاذا به
وجه الصداقة بالاخاء ازدانا
هللت من فرحي وفرط سعادتي
يا لليراع اذا استحب بنانا
وحي الحقيقة والاجادة مشرق
فيه ونور مترع تبيانا
الله ما احلى اليراع مطاوعا
لمس الانامل ترتديه لسانا
نهر من الابداع ترفده الرؤى
ويعبه القرطاس ايا كانا

حلب — محمد مرعي مهنا

لا . ليست اليانورا . اليانورا لم تحضر . وحين اعلنتهم بهذا ، قال صبحي :

ـ مائة بالمائة ، هي اليانورا .

ـ اجمل فتاة في الاتحادِ السوفيتي .

ـ قالتها على سبيل الدلالة والمعاكسة .

وتذبذب الامر عندي ، فتارة اصدق وتارة اكذب .

عدت الى فراشي ، فاذا بالهاتف يرن ، فانخلع قلبي لرنينه . وقفزت من الفراش لاسمع صوتها :

ـ مساء الخير يا عبد الفتاح .

ـ مساء الخير يا اليانورا .

ـ لم تحضر في موعدك .

ـ انت التي لم تحضري .

ـ بل انت الذي لم تحضر .

وتأكد لي كل شيء . قلت لها :

ـ عذرا يا اليانورا ، قد اصبت بنزلة برد منعتني من النزول .

ـ انتظرتك حتى الثامنة والنصف ثم انصرفت .

ـ عذرا .

ـ احزنني انك لم تصدق في موعدك ، ولم اكن اعرف انك مريض.

ـ المرض هو الذي منعني .

ـ لا بد ان تعرف حالة الجو قبل ان تغادر الغرفة .

ـ سأفعل .

وودعتها .. ودعت التي قالت انها اجمل فتاة في الاتحاد السوفييتي

ولم اشأ ان ارد على الهاتف في الموعد الذي تعودت ان تحادثني فيه.

القاهرة — حسني سيد لبيب

مكتبة الاديب



كتاب ابي الفتح كشاجم في آثاره وآثار الدارسين

للدكتورة ثريا ملحس ـ ٨٧٨ صفحة ـ نشر دار الكتاب اللبناني في بيروت

بهذا الكتاب القيم تتوج ثريا ملحس نتاجها الادبي الخصب . فيبدو في الظروف الخانقة التي نعيشها نفحة طيبة مثيرة تشرع امامنا ابواب القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي ، وارث منجزات القرون السابقة بمحاسنها ومساوئها ، حيث البذخ والترف يجاوران البؤس والفاقة . العدل والفضيلة يحاذيان الظلم والبطش . الحركة الفكرية في اوجها الذي ينذر بالانطفاء ، الخلافة في تقسمها وتناحر قياداتها ، الذي افاد العلم والادب واضر السياسة والحكم .

في هذا القرن نبغ المتنبي ، قمة شعراء العصر العباسي . وظهر أمراء بني حمدان الذين انتهت اليهم زعامة العرب ورعاية التراث العربي عقيب طغيان سيل الاعاجم واقتحام الروم لحدود الدول العربية وثغورها .

وفيه ايضا ـ في عهد الخليفة المقتدر ـ كانت شؤون الخلافة في ايدي النساء . اذ كانت السيدة شغب ام المقتدر ، واختها خاصة وقهرماناتها ، يقمن بتدبير المملكة ، وكانت السيدة توكلهن بالخراج وخزائن الخلافة والقضاء والسجون وقد اثرين اثراء فاحشا . وبلغ ثراء السيدة ما يفوق الاحصاء ، يرتفع لها من ضياعها كل عام الف الف دينار . انما كانت تتصدق باكثره وتواظب على مصالح الحجاج ، تبعث معهم خزانة الشراب والاطباء وتامر باصلاح الحياض (ص ٢٤٢ من الكتاب) .

كان عصرا جامعا لخصائص العصور العربية . اخذت تنتشر فيه العلوم التي تم نقلها عن اليونانية وسواها من لغات . واخذ العلم ينافس الادب والشعر ، بدليل ان كشاجم الشاعر الذي نظم في جميع فنون الشعر التي سادت في عصره ، وسار شعره على الالسن وقراوه في المجالس ، استهوته العلوم كما استهواه الشعر فدرس منها الطب ، النجوم ، الحيوان ، الهندسة ، الموسيقى ، علم النبات وعلم الطبيخ. وزعم المؤرخ الغزولي انه كان طباخ سيف الدولة الحمداني لكن ثريا تناقش هذا الزعم (ص ٤٦٧) .

ميزة هذا الكتاب في اسلوبه العلمي المبني على دقة الاستطلاع والتحقيق . فالمؤلفة لا تترك مصدرا ذا علاقة بموضوعها ، قديما كان ام حديثا ، الا وتعود اليه ، تقارن بين الروايات المختلفة ، تناقشها وتعارض بين الصحيح والمشكوك فيه وفي استنتاجاتها تميز بين الظن والترجيح واليقين . تضع فصلا كاملا ، ص ١٢ ـ ٢٥ ، في تصويب الاخطاء التي وقع فيها الباحثون قبلها وعددها احد عشر خطأ . وفصلا في تحقيق نسب كشاجم ، ص ٤٧ ـ ١١٠ وفصلا اخر في تحقيق اسمه ومعناه وكنيته ص ١١١ ـ ١٥٩ .

هوامش الكتاب ، بما فيها من شروح ومراجع وتعليقات تضارع في اهميتها اهمية المستوى . لان المؤلفة لا تترك غامضا الا حاولت جلاءه ولا تذكر علما من اعلام الاشخاص والاماكن الا اهتمت بتعريفه ووصفه وصفا موسعا معتمدا على المصادر الاولية . في تعريف الاشخاص تحرص على تحقيق سنة الولادة والوفاة ، وتصحح ما ورد حول موضوعها من اخطاء . من ذلك انها في الكلام على ابي شجاع فاتك ، احد ممدوحي المتنبي وكشاجم (ص ٤٤٢) تشير في الهامش الى خطأ المؤرخين او النساخ الذين جعلوا ابا شجاع فاتكا شخصين احدهما معروف بالخازن والاخر بالمجنون . وفي ص ٤٤٢ تصحح خطأ الذين وضعوا احدى قصائد كشاجم في ديوان الصنوبري احد معاصريه ، فتعيدها الى ديوان صاحبها .

هذا عدا تسعة فهارس تتناول الرموز والمصطلحات ، المخطوطات ، مصادر البحث ، الاعلام ، الالات والاعياد والحيوان والطيور والماكولات شجرات الانساب ونماذج النقود .

ومع ان الرغبة في التوسع والتحقيق تسوق المؤلفة احيانا الى التكرار والتطويل ، لا يسعنا الا ابداء اعجابنا بالجهود التي بذلتها الدكتورة ملحس في اخراج هذا الكتاب الذي استغرق من وقتها ما يقارب عشر سنوات وجاءت فيه النتيجة موازية للجهود لانها كشفت النقاب عن شاعر اهمله المؤرخون واصحاب معاجم الادباء . وفي حقل النشر العلمي قدمت كتابا نموذجيا يرضي الباحثين والمحققين ويجعلهم يتمنون ان يتاح للتراث العربي في عصر النفط والثروات النفطية عددا اكبر من المهتمين بنشر المؤلفات العربية ودراستها وتحقيقها بالدقة والتفصيل اللذين تميز بهما كتاب ثريا ملحس في كشاجم .

روز غريب

★ ★ ★

كما عرفتهم

تاليف وحيد الدين بهاء الدين ـ ١٢٠ صفحة ـ (لم يذكر اسم المطبعة) (صدر في العراق)

الصفحات المائة والعشرون التي تضم تحليل نفسيات اربعة عشر اديبا وشاعرا ببراعة الاستاذ الاديب وحيد الدين بهاءالدين ـ الاديب العراقي المعروف اعتبرها تقديما جديدا للون قديم من الادب ، فادب الرسائل شيء معروف وقد درس وبحث بحثا طويلا مستفيضا ، اما ان يقدمه الاستاذ وحيد بهذا الشكل الروائي محللا نفسيات بعض مشاهير معاصرينا من الادباء والشعراء من خلال مقتبسات من رسائلهم التي تبادلها معهم فجديد ومثير للانتباه .

ومع انني لا اوافقه في النتائج التي توصل اليها عن بعض هؤلاء الادباء ـ وقد عرفت الكثير منهم ـ وبعضهم عن كثب ـ فانا واياه على وفاق في انهم جديرون بالدراسة ولا سيما من اهمل واغفى عليه الزمن وعلاه غبار النسيان حيا وميتا .

واعتقد ـ واخالني جازما في هذا الاعتقاد ـ انه لولا الناقد المرحوم اسماعيل ادهم ونهايته المأساوية المفجعة لما سمعنا باديب بارع لامع اسمه الاستاذ وحيد الدين بهاء الدين ولافتقدنا بضعة عشر مؤلفا في ادب التراجم . قد يستغرب مني هذا الكلام وقد يعده بعضهم

من التعميمات الكاسحة ، كما يقول الانكليز ولكنه الواقع ، فانتحار الاديب التركي المستعرب في البحر غرقا نتيجة المآسي التي احاقت به الهبت مخيلة شاب حساس ذي سليقة ادبية وقدرة شعرية وان لم يكن شاعرا على ان يبحث عن حياة هذا الرجل الذي كانت نهايته على هذه الشاكلة فطفق يسأل عنه في كل صقع ومكان .. فكانت بداية .. وكان اسماعيل ادهم نقطة انطلاق منذ ثلاثين عاما او يزيد ولما تقف ولن تقف عند حد !

كانت البداية استفسارا عن الرجل في المظان والمراجع ولما لم يشف ذلك غليل « وحيد » راح يسأل عن معاصريه ويقوده الواحد الى الاخر وتتوطد عرى الصداقة والمودة لا بينه وبين روح اسماعيل ادهم فحسب بل بينه وبين اولئك الذين اعانوه على اماطة اللثام عن بعض اسرار حياته وما اكتنفها من ابهام وغموض وقاده ذلك الى البحث في شخصيات اخرى قبل ان يلفعها الابد بدثاره .. بل ويحاول ان يلتقي بها قبل ان يكون لها مصير مفجع كمصير اسماعيل ادهم ، بعد ان حرمته الاقدار والحظ التاعس من اللقاء باسماعيل ادهم ـ المثل الاعلى ـ بالذات .

وانتهى به المطاف الى خير ما يمكن ان ينتهي اليه اديب .. الى ما يمكن ان نسميه « بالتحليل الرسائلي » او استشفاف نفسية الاديب عن طريق دراسة رسائله ، فالرسالة لم تكتب في الاصل الا ليقراها شخص واحد ، وهذا شعورنا جميعا او شعور اكثرنا حين نحرر رسالة ، فنحن نتوقع ان يقراها المرسل اليه وحده فنكشف له عن دخائل نفوسنا ونشكو اليه اوصابنا ومنغصات حياتنا ، وفي هذا بعض الراحة ان لم نقل كلها ، لان فيها ضربا من التحليل النفسي او قل نوعا من الارتياح الذي يشعر به الناس في بعض المذاهب والاديان على « كرسي الاعتراف » !

قلت ان اسماعيل ادهم كان نقطة الانطلاق وانا غير متجن ولا مبالغ فلو قلبت الكتاب الذي بين يدي وحده ـ ولا اطلب اليك العودة الى ما سبقه من كتب ـ لرايت كم مرة يتكرر هذا الاسم ، ولقد يدور الحديث ويدور في افلاك متعددة شتى ثم يعود اليه .

فالكتاب يستهل بالدكتور محمد مندور ، واول سؤال في اول لقاء لوحيد الدين مع الرجل في جلسة ادبية بفندق امباسادور هو :

ـ ما رايك في الدكتور اسماعيل احمد ادهم : المستعرب التركي المعروف ؟

فيكون الرد ـ ولعل في نقله هنا امتاعا وفائدة للقراء ـ « لم الق اسماعيل في الفترة التي ظهرت ابحاثه الاساسية وكنت ادرس في باريس ولكن من خلال كتبه تبين لي انه استاذ منهجي في ابحاثه الادبية ، علمي النزعة يحرص على استقصاء الحقائق وتمحيصها وينفر من التعميم السريع .. وان كنت اظن ان روحه العلمية كانت اقوى من حساسيته الفنية الجمالية ، وربما كانت هذه النزعة الموضوعية هي السبب في اتجاهه نحو المنهج النفسي في تفسير الانتاج الادبي ، فهذا المنهج عقلي بطبيعته ، ولقد سبق لي ان اوضحت خطره على الادب من حيث انه قد يحيل الادب الى وثائق نفسية بدراسة الادباء اكثر من انتاجهم ، وانا بطبيعتي وثقافتي افضل ان يستقل منهج البحث في النقد والادب وتفسيره عن مناهج العلوم الاخرى ، باعتبار ان للادب خصائصه المميزة عن غيره من النشاطات الانسانية ، وهو اولا فن جميل باعتباره صياغة فنية لتجارب بشرية وهو بسبب قيمته وفاعليته ، لا من الدلالة على شخصية صاحبها فحسب وعقده النفسية ، بل بقدرته على اثارة الانفعالات العاطفية والاحساسات الجمالية في النفوس .. » .

ومع ان وحيد الدين لم يحصل على معلومات مباشرة من الدكتور مندور عن اسماعيل ادهم فقد حصل على نقد لاسلوب بحثه ومنهجه وخطرهما على العمل ، وهذا جزء من العمل الميداني الذي قام به الاستاذ وحيد فيما يتعلق بادهم ، لذلك فهو اليوم حجة في الموضوع بعد مضي ثلاثة عقود من الدراسة ومقابلة عشرات من معاصريه ودارسيه والمحتفظين برسائله الشخصية .

ويثير المؤلف احتمال كون ادهم قد قتل ولم ينتحر فيدحض مندور هذه القالة ويتساءل متهكما : ومن الذي قتله ؟.. كانت له جراة انتحارية ، وكان ظاهرة فاسدة في جراته في الراي .

وكان سبيله الى سامي الكيالي نفس سبيله الى الدكتور مندور .. الا وهو اسماعيل ادهم ، وهنا كان ارتباطه بالكيالي اقوى لاطلاعه على الادب التركي وولعه به مما ادى الى مساهمة الاستاذ وحيد في الكتابة في مجلة (الحديث) الحلبية من ١٩٥٢ حتى توقفها في عام ١٩٥٩ .

والتقى في مؤتمر الادباء العرب الخامس الذي انعقد ببغداد في شباط ـ فبراير ١٩٦٥ بالاديبة المعروفة الاستاذة وداد سكاكيني وما ان علم بالعلاقة الوطيدة التي كانت بين زوجها زكي المحاسني واسماعيل ادهم حتى قامت بينه وبين الفقيد المحاسني صداقة ادبية كاروع ما تكون الصداقات .

ودفعه نفس التيار الى صداقات عبر البحر .. الى القاصي المهجر حيث نشرت ـ كما ذكر شفيق معلوف في بعض رسائله اليه ـ للمغفور له الدكتور اسماعيل احمد ادهم مجلة (العصبة) مقالتين ، وبعض مصاعب جمة استطاع ان يحصل عليهما ويحصل على صداقة راكزة راسخة في قلب شفيق معلوف ايضا .

اما خاتمة المطاف ومسك ختام الكتاب ، جورج صيدح فقد خيل للاستاذ وحيد الدين يوم راى كتابه « ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية » انه ـ على حد قوله ـ برز الى الوجود الادبي فجاة .. لاشاراته اللماحة الى بعض من اراء اسماعيل ادهم بصدد تطور الادب العربي ولا سيما المهجري وتجدده واستقلال الفنان في رؤاه ومنحاه ، ثم صلة هذا وذاك ، بتطبيقات العلوم المعاصرة ، خاصة علم النفس ، تلك كانت الفاتحة .. واستمرت الصداقة والرسائل الادبية عبر ربع قرن ولم تنته الا في ظهيرة الخامس من حزيران ـ يونيه ١٩٧٨ يوم بوغتت برسالة مطولة من صيدح وهو على فراش مرضه الاخير .. وكان ذلك قبيل وفاته ، ومن المحتمل جدا ان تكون اخر ما كتبه الشاعر المهجري .

ولم تقتصر المراسلات على النثر وحده ، بل ملا القصيد الكثير مما تلقاه الاديب وحيد الدين من رسائل .

واذا كان فولتير قد كتب عشرة آلاف رسالة في حياته خلال عمر نيف على الثمانين فلا ادري كم سيحبر وحيد الدين من رسائل فيما لو بلغ هذا العمر وارجو ان يبلغه .

واني لاغبطه على الذخيرة الرسائلية التي بحوزته اليوم وحبذا لو جمعها ونشرها تباعا في مجاميع سيستشف منها الباحثون نفسيات واساليب وطرق تفكير الكثيرين من اكابر معاصرينا الادباء والمفكرين .

والى ذلك فقد كان ـ كما يبدو ذلك واضحا في كتابه « كما عرفتهم » ـ انه لم يكن ليتعرف على اديب حتى يكون همزة الوصل بينه وبين اديب اخر فقد كان ولا يزال وسيلة للتعارف بين الادباء والجمع بينهم وتعريف بعضهم باثار بعضهم الاخر .

ومن حق التاريخ علي ان اقول انه لولا الاستاذ وحيد الدين لما كانت المراسلات الشعرية بيني وبين الفقيد جورج صيدح ولا الرسائل الفكهة بيني وبين وديع فلسطين ولا مجموعة خطابات الراحل العزيز زكي المحاسني .. وكثيرين غيرهم ..

فالاستاذ وحيد الدين بهاء الدين ظاهرة ادبية خاصة في ادبنا المعاصر منذ ثلاثين عاما او يزيد ، وما كتابه « كما عرفتهم » الا جانب من هذه الظاهرة .. انه لا يؤمن بدراسة الاديب من كتبه وحدها ، بل بمصاحبته ومراسلته علاوة على مصاحبة ومراسلة اصدقائه ومعارفيه

فدراسته للادباء دراسة ميدانية كما يقول الغربيون ، لذلك فان ما كتبه ويكتبه الاستاذ وحيد يعتبر مصدرا اساسيا لا مرجعا ثانويا للباحثين من الاجيال المقبلة .

ولا بد من كلمة حق اقولها في اسلوب المؤلف ... انه اقرب الى السهل الممتنع ، وكثيرا ما يبرع في استعمال الفاظ وتعابير قد تكون مصطنعة مقحمة على اسلة اقلام غيره من الكاتبين ولكنها تجري مجرى الطبع والسليقة في ثنايا سطوره .. فهو باحث اديب ، فقد يكون الباحث غير اديب ، او قد يكون الاديب غير باحث ولكن وحيد الدين قد جمع بين الاثنين معا فتهنئة اعجاب بكتابه « كما عرفتهم » فمن طريق تعريفنا بالاخرين .. عرفناه هو الاخر نفسا وقلبا وروحا .

اكسفورد ـ انجلترا — صفاء خلوصي

★ ★ ★

جبران في آثار الدارسين

جمع واعداد يوسف عبد الاحد ـ ٢٠٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق ـ مطبعة الكاتب العربي بدمشق

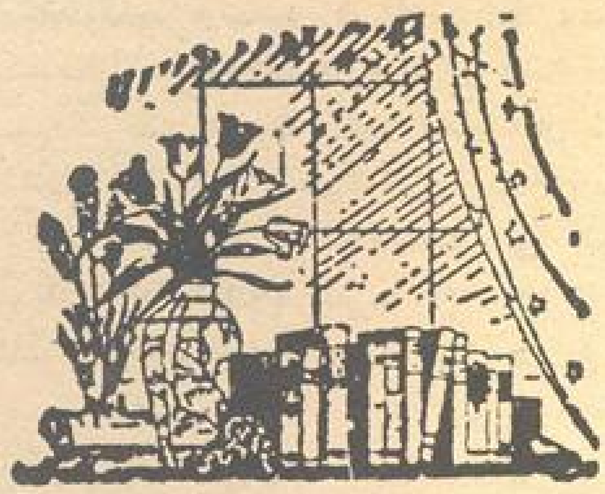
منذ ان عرفت الاستاذ يوسف عبد الاحد في منتصف الخمسينات ـ وكان قد نزح من « بيت لحم » في فلسطين المحتلة على اثر النكبة ـ ربطت بيننا اكثر من صلة ، والفت بيننا اكثر من وشيجة ، وجمعنا اكثر من اهتمام واحد . في طليعة هذه الاهتمامات التي كانت تشغلنا يومئذ ولا تزال ، الرحلة وراء الكتب ، والبحث عن مظانها في كل مكان ، ولا سيما الكتب المعروضة على البسطات ، كبسطة عبده الروماني « ابو رضا » ، وبسطة ابي حسن ، وبسطة ابي نادر .. وكم كنا نفرح ونبتهج عندما نعثر بين الركام على كتاب نادر او مفقود ، فنشتريه بثمن زهيد .

كنا نوفر جميع مصروفاتنا لننفقها على شراء الكتب يوم الجمعة .. كان مولعا بادب المهجر عامة وادب جبران خاصة ، فلا يبالي ان ينفق كل ما ادخره لشراء كتاب من كتب جبران ، او مي زيادة ، او امين الريحاني ، او مما كتب عنهم ، وكثيرا ما يكلف المسافرين الى لبنان والمهجر بشراء كتاب اعياه البحث عنه .

ولم يكن يكتفي بذلك ، بل يؤرشف الصحف والمجلات التي كتب فيها عن هؤلاء الاعلام وغيرهم ، يقتطعها ويضعها في مصنفات خاصة ، او يشير اليها في سجل صنعه لهذا الغرض ، اذا لم يستطع الوصول اليها ، حتى تجمعت لديه الوف القصاصات ، والكتب والمجلات التي ناء بها بيته الصغير ، وضاقت بها اسرته . كان ذلك مجرد ولع واهتمام شخصي ليس اكثر . لم يكن يخطر له ان تصبح هذه القصاصات المتناثرة التي جمعها على مدى ثلاثين عاما ، نواة لكتاب عن جبران . هدفه الاول ان يرضي نهمه ، ويشبع هوايته ، ويضع ما يجمع من مصادر في متناول اصدقائه الذين راحوا يقصدون ارشيفه الفني للاطلاع على ما حواه من كنوز ، واخذ ما يشاءون .

ثم توسع وخرج من اطار جبران ومي والريحاني ، الى الكتاب العرب والسوريين خاصة ، اذ الفرد لكل اديب او شاعر مصنفا مستقلا ، يلصق فيه كل قصاصة يعثر عليها ، او صورة ، او خبر ، او بطاقة محاضرة او .. الامر الذي تعجز عنه الهيئات والمؤسسات

والجامعات .. ولذلك فكر اتحاد الكتاب العرب ان يستفيد من هذا الارشيف الضخم الذي جمعه طوال عمره ليكون وثيقة حية ، يرجع



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا من سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ٥٠ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٣٠٠ ل.ل.

في الخارج العربي : ١٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

سائر الاقطار :

٥٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية : ١٠٠ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج ٢٠٠ ل.ل. او ١٠٠ دولار كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء انشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

الادارة : ٢٢٣٨١٩ Dir. 223819

المنزل : ٢٢٥١٣٩ Dlé. 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨ـ١١

بيروت ـ لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

ألبير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اليها كل باحث ، او طالب علم .

لقد قصد ارشيف الاستاذ يوسف عبد الاحد اكثر من اديب او ناقد ليسأل عن قصيدة تائهة ، او قصة منسية ، فيجد ضالته المنشودة ، حتى صارت مكتبته محجا لكل متتبع ، راغب في المزيد من البحث والمعرفة ، ومنهلا للوارد من كل مكان .

اعود بعد هذا الى كتابه الجبراني الذي خرج الى النور ضمن منشورات اتحاد الكتاب العرب عام ١٩٨١ في مئتي صفحة ، واثبت فيه مؤلفات جبران بالعربية والانكليزية وتواريخ صدورها ، ومؤلفاته المعربة ومن قام بتعريبها ، ومؤلفاته بالعربية التي ترجمت الى عدد كبير من لغات العالم ، والمراجع الانكليزية والفرنسية عنه ، والكتب التي تناولته بالبحث ، رتبها بحسب حروف المعجم ، ثم الكتب الخاصة عنه ، بالاضافة الى ترجمة مختصرة لحياته من ١٨٨٣ ـ ١٩٣١ ولوحة بيانية بأهم الاحداث البارزة في كل سنة .

واثبت في الكتاب ايضا محتوى عددي مجلة « البيدر » ومجلة « الرسالة » الخاصين بجبران ، وكتاب جبران حيا وميتا لحبيب مسعود ، ورسائل جبران التي جمعها الدكتور جميل جبر وبرنامج مهرجان جبران العالمي ١٩٧٠ ، وفهرس المصادر والمراجع عن جبران لفازي براكس ، وفهرس المصادر العربية عن جبران للدكتور سهيل بشروئي ، واول رسالة كتبها جبران الى والده سنة ١٩٠٤ ، واول مقالة كتبها وكانت بعنوان « رؤيا » .

كما اثبت في الكتاب مقدمة نسيب عريضة لكتابه «دمعة وابتسامة» واخر مقالة كتبها بعنوان « ملك البلاد وراعي الغنم » ، ومقدمة جبران لديوان « تذكار الماضي » للشاعر ايليا ابي ماضي ، وانتهى الى ان الاستاذ البير اديب صاحب مجلة الاديب هو اول من اكتشف حب مي زيادة لجبران ، ثم ختم الكتاب بوصية جبران ، واشار الى اللجنة التنفيذية التي شكلت في لبنان للاحتفال بذكرى مرور خمسين عاما على وفاته ، وتكريس عام ١٩٨١ عاما دوليا لجبران .

هذا العمل الباهظ الذي اضطلع به شخص واحد بمفرده ، لا تضطلع به عادة الا المؤسسات والهيئات مجتمعة ، ولكن الولع الشديد، والاهتمام الزائد كانا وراء هذا الجهد الطيب الذي رافقته الحماسة، وشحنته الرغبة اللامتناهية بواحد من ابرز اعلام النهضة العربية في مطلع هذا القرن .

اما الان ، وبعد ان ترجم هذا الجهد القيم الى واقع ، وصدر في كتاب هو باكورة انتاجه فلا يسعنا الا ان نحثه على مواصلة العمل لاخراج الكتب الباقية عن مي زيادة ، والريحاني وغيرهما من الادباء الذين كرس زهرة عمره لجمع آثارهم ، وتقصي ما يكتب عنهم ، وننتظر ان تتولى احدى دور النشر كتابه « اديبات وشاعرات من الوطن العربي» الذي يعد اول عمل موسوعي من نوعه من حيث التنوع والشمول .

دمشق — عيسى فتوح

★ ★ ★

مسافر الى الله

شعر : احمد فضل شبلول ـ ٤٨ صفحة ـ كتاب فاروس ـ مطبعة (؟) ـ الاسكندرية ـ مايو ١٩٨٠

الشاعر الشاب احمد فضل شبلول احد الاصوات الفتية في الشعر المصري المعاصر ، وديوانه هذا حبيب الى القلب لانه ترنيمة عذبة في حب الله ، وافرودة نقية في تأمل الكون :

علمنا الله اسماء الاشياء
كي لا نصمت لحظة صدق او لحظة حب
ورأينا ـ نحن الشعراء
ان الماء كلام .. الشمس كلام .. الكون كلام .. ولذا
غنينا للكلمة حين تكون نقيه
للكلمة حين تكون رصاصة صدق
في صدر الوسواس الخناس
للكلمة حين تمد غطاء فوق قلوب الناس
غنينا للكلمة .. فركعنا للنور
وسجدنا لله .

وكلمات احمد فضل شبلول في هذا الديوان بسيطة صادقة ـ بغير تسطيح ـ ولم يلجا الى (البهلوانيات الاسلوبية) التي ادمنها الشبان في السنوات الاخيرة فصارت قصائدهم نوعا من الاحاجي .

يقول احمد فضل شبلول في (صوفية الاسكندرية) :

هذا بحرك يفتح لي قلبه
هذا موجك مد الزبد الدافىء سترا فوقي
هذا رملك تبر اتوسد افقه
هذا فجرك يوقظني قبل صياح الديكة
تتوالد حركة ...
في جنباتك يعزف (خط الرمل)
وتبدأ في الرقص المركبة الزرقاء
ويدار المذياع امام المقهى النائم في احضان الشاطىء
يأتيني صوت « الشيخ محمد رفعت ... الخ

هذا شعر نقي صاف ، استطاع ان يصنع من الكلمات المعتادة شعرا اخاذا فيه حياة خاصة ، وفيه حركة تلمحها من دقة اختياره الكلمات الدالة على ميلاد صباح جديد : فجرك ـ يوقظني ـ صياح الديكة ـ تتوالد ـ النائم ـ وتلمحها في الفعل المضارع الذي يمنحها الحياة باستمراريته : اتوسد ـ يوقظني ـ تتوالد ـ تعزف ـ تبدا ـ يدار ـ تأتيني .

انك في هذه الابيات لن تجد فعلا ماضيا سوى (مد) وكانه يعني افول الماضي لادخل في زخم القصيدة ..

و (كيمياء) القصيدة عند احمد فضل شبلول تبهرك . فللغته مذاق خاص ، فتسمع من نقادنا من يعيب اللغة التقريرية .. ولكنك تقرأ شعر احمد فضل شبلول ، ورغم ما فيه من تقريرية كثيرة فانها محببة لانك لا تحس فيها الافتعال وهو آفة كل فن .

اقرأ معي ان شئت قوله في (اضاءة الماء) التي صدرها بقوله تعالى : « وجعلنا من الماء كل شيء حي » :

الماء خليلي .. منذ اليوم الاول من ايام الخلق
والموج رفيقي .. منذ دوائر تكوينات الارض
والرمل صديقي .. منذ بداية ترنيمات الضوء
والشمس طريقي نحو الحب .. ونحو الدفء .. ونحو الشوق..

ان هذا الديوان الصغير مشحون بالاضاءات والرموز وهو شهادة يقدمها شاعر شاب على نفقته ـ لتثبت ان الجيل الجديد من شعرائنا المحدثين قادر على الاضافة والطموح لتقديم الارفع والانفع .

ديرب نجم ـ الشرقية ـ مصر — حسين علي محمد



الدكتور محمد رجب البيومي

رحّالة يَصِف وَاعظاً

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي
عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة

* * *

لا ادري لماذا لا يكتب تاريخ الوعظ في الاسلام كتابة منصفة واعية تسجل اتجاهاته وتتبع ادواره ، على نحو ما يكتب عن تاريخ التشريع او التفسير او الحديث مع وفرة المراجع في المكتبة الاسلامية عن الوعاظ والمرشدين ، اذ ان اكثر هؤلاء كانوا فقهاء او محدثين او مفسرين وكتب الطبقات تفيض في اخبارهم على مد العصور، بما يهيىء لمؤرخ الوعظ في الاسلام مادة جذابة مشوقة !! واقول جذابة مشوقة لان لكثير من هؤلاء الرجال مواقف سياسية باهرة تتصل كثيرا برجال الحكم وتنبىء عن غيرة المخلصين من العلماء حين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، فيصادمون الطغيان المعتز بجبروته وعساكره وخيوله ! وهم بذلك يتيحون لمؤرخهم الدؤوب مددا لا ينقضي من الحديث ! هذا غير ما يضطر الى الافاضة فيه من توضيح طرائق الوعظ ومناهجه وما يحتاج اليه من تبحر في الشريعة وبراعة في المنطق وقدرة على استشفاف النفوس ودراسة ما يشتجر من التيارات ! وسنتحدث اليوم عن واعظ شغل مكانة مرموقة في عصره واجتمع حوله من الاشياع والمريدين ما لم يجتمع لانبه الاساتذة في عصرنا الحديث ، وقد كثرت الاخبار في ذلك كثرة تدعو الى التصديق وتقطع الطريق على كل متشكك يلتمس مظان الريبة فيما يقرأ من الانباء ! وحسبنا ان نقرأ مؤلفات الرجل او ما بقي لدينا منها لندرك مبلغ علمه وتنوع معارفه وكثرة افانينه ، وان واعظا يترك المجلدات الحافلة في الفقه والتفسير والتاريخ والحديث والادب واللغة لجدير ان تلتف حوله الاشياع ! هذه المؤلفات الباقية بين ايدينا الى اليوم هي الوثيقة الصادقة التي تحدد مكانة الرجل في عصره ، وتشير الى اسباب زعامته الروحية ، وسيطرته الدينية على الجماهير على ان اهم ما جعل هذا الواعظ الجهير يتبوأ مكان الصدر بين العلماء ، وموضع الحظوة لدى الرؤساء ، وزمام القادة من الجمهور ليس ما شغف به من دراسة علوم الشريعة واللسان على كثرة ما ابدع في تناولها وتصنيفها بل خبرته الفائقة باحوال عصره ، وثقافات مجتمعه ، فقد رزق عقلا نهما يتوق الى شتى المعارف الانسانية ويستوعب في شوق ما يقال عن الفلسفة والمنطق ، هذا الى نفس مرحة طيبة تروي طوائف الادب وتتبع نوادر الشعراء والادباء ، وان عجيبا ان يكتب هذا الرجل مؤلفات ضخمة عن العشاق والظراف والمتماجنين واخبار النساء والمغفلين والمجانين والحمقى والاذكياء ، هذا غير مؤلفاته الموسوعية في التشريع والتفسير والحديث وعلوم القرآن والوعظ ، وقد افادته دراسته الادبية سلاسة رقيقة في اسلوبه كانت ذات تأثير خلاب في وعظه ، واذ كنا نعلم ان ابا الفرج الجوزي (وهو من نتحدث عنه) قد نشأ في القرن السادس وهو عصر المحسنات البديعية، والصناعات اللفظية ثم نجده يختار في وعظه وتأليفه معا ـ الاسلوب السلس الشائق غير ملتفت الى هذا العبث الصناعي المسيطر على الاقلام ، فاننا نعتبره صاحب مذهب فني يربأ بأفكاره ان تقيد بالسلاسل الزائفة ، ولولا بصيرته الادبية الشفافة ما اتيح له هذا التفوق الكبير !

ولم يسلم ابو الفرج الجوزي من مناوأة معاصريه فهو امام داعية ذو رأي مسموع وتأثير نفاذ ، وكان من الطبيعي ان يسأل عما يضطرب في عصره وعما يموج به الفكر الاسلامي آنذاك من تيارات فيجيب اجابة المتمكن الضليع ، ثم يؤلف فيما يسأل عنه ، فتذيع مؤلفاته بين الخاصة والعامة ، وكان اشد الناس عداء للمتصوفة فهو ينكر ما يزعمونه من الخوارق ويلزمهم بالوقوف عند حدود الشرع ، ثم يخوض حربا طاحنة مع الجامدين من الفقهاء والمقلدين من المتحجرين ، وينقد التراث الفلسفي والمنطق ، ويناقش الاراء الكلامية في ذات الله وصفاته ، ويرد على ما يقال من التجسيم والتشبيه ، كل ذلك يترك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حوله غبارا ثائرا من معارضيه ، ولكنه مع ذلك يجذب اليه من الانصار اناسا يتفانون في تقديره ، ويتدافعون على مجالس وعظه حتى كان يقدر مجلسه الحاشد في بعض الاحيان بمائة الف وحتى قال عن نفسه :

ولقد تاب على يدي في مجالس الذكر اكثر من مائتي الف ، واسلم على يدي اكثر من مائتي نفس ، وكم سالت عين متجبر لوعظي لم تكن لتسيل .

لعل ما حببه للنفوس فوق علمه وادبه لطافة مظهره، فقد كان نظيفا متطيبا يلبس الجيد الراقي من اللباس ، ويظهر نعمة الله عليه ، فيما يتخذ من المأكل والمشرب والمسكن والمركب ، وكان لطيف الصوت ، حلو الشمائل رخيم النغمة ، ينتقل بسامعه من الجد الى الفكاهة كثير الاستشهاد بالنوادر والابيات معظما للحديث المحمدي ، وقد ذكر ابن خلكان عنه انه كان يحتفظ ببراية اقلامه التي يسطر بها حديث رسول اله واوصى ان يسخن بها ماء غسله بعد موته لفعل بها ما اراد وتهافت الناس على بقيتها فكفت اناسا كثيرين ! واذا كان التقريب من الرؤساء ـ ملقا ورياء ديدن بعض الذين يبتغون عرضا من الحياة الدنيا فان مما يشين العالم بوجه خاص والواعظ بوجه اخص ، وقد ادرك ذلك ابن الجوزي فاجتهد ان يكون بمنأى عن مودات ذوي الامر والنهي ، فلم يعرف له اتصال ببعض الخلفاء والوزراء مع انه كان يقيم ببغداد عاصمة الخلافة الاسلامية، ومناط التطلع والاستهواء لدى الوصوليين ممن لا يدخرون وسعا في الزلفى والشفاعة حتى يحوزوا رضا الحاكمين ثم يعودوا بالبدر والهبات ان قصرت اطماعهم على المادة والمناصب والالقاب ان تجاوزت المال الى الجاه والاستعلاء !

وما يروى من ان ابن الجوزي كان يعقد بعض مجالس الوعظ في ساحة قصر الخليفة فليس بسبب فما نحن فيه من ذم التقرب المغرض والوصولية المنتهزة لان الامام الداعية لم يستجب لرغبة الخليفة المستضيء في ذلك الا بعد ان اشترط على القصر ان يسمح لجميع العامة بالدخول حتى يكون الرئيس والمرءوس بموضع واحد من سماع الوعظ ومذاكرة العلوم !

وفعلا كان مجلسه في دار الخلافة لا يختلف عن مجلس وعظه في مكان آخر ، الا ما يروى من ان والدة الخليفة وابنها كانا يستمعان الوعظ من وراء ستار ، ومهما يكن من شيء فقد فطن ابن الجوزي بالتجربة المريرة الى اثر اتصال رجل الدين بالحاكم المستبد فقال عن نفسه :

كنت في بداية الصبوة قد الهمت طريق الزهاد بادامة الصوم والصلاة وحببت الى الخلوة فكنت اجد قلبا طيبا ، وكانت عين بصيرتي قوية حادة فانتهى الامر بي الى ان صار بعض ولاة الامور يستحسن كلامي فأمالني اليه فمال الطبع ففقدت الحلاوة ثم استمالني آخر فكنت اتقي مخالطته ومطامعه لخوف الشبهات ، وكانت حالتي قريبة ثم جاء التأويل فانبسطت فيما يباح فانعدم ما كنت اجد من استنارة وسكينة ، وصارت المخالطة توجب ظلمة في القلب الى ان عدم النور كله ، فاجتذبني لطف مولاي بي الى الخلوة على كراهة مني ، ورد قلبي علي بعد نفور عني، واراني عيب ما كنت اوثره فأفقت من مرض غفلتي وقد حرصت على ان انقل عبارته لانها ذات دلالة خاصة فيما يتصل بقلب الواعظ وخلوص طويته فليس المرجو منه ان يعظ بالقرآن والحديث ولكن القدوة الصالحة هي مناط التأثير والانجذاب ، ولا قيمة للعلم دون امتثال .

اما مجلس وعظه على هيئته الطبيعية دون تزيد او تخييل فقد حفظ لنا التاريخ صورة حية منه رسمها الرحالة الاندلسي ابن جبير في رحلته الشهيرة ، فجاءت صورة باهرة مثيرة قل ان تتاح لاحد ممن عرفناهم او قرانا عنهم من كبار المرشدين ، وابن جبير كما نعرفه في رحلته لم يكن يخالف الواقع الى المبالغة ، وهو في حقيقته فقيه محدث متدين يحرص على تسجيل اخبار الصالحين والهداة ومجاهدي الحروب الصليبية من الابطال ويفيض في الحديث عن المزارات والمناسك ومواسم العبادة من صوم وحج وزكاة ، ولو جردت رحلته مما يتعلق بمسائل الدين ومناسكه والحديث عن رجاله وعلمائه ما وجد شيء ذو بال ، بل ان رحلته من الاندلس الى المشرق في لبابها الصريح كانت رحلة دينية تهدف الى التوبة والتطهير وغفران الذنوب بزيارة بيت الله في مكة وروضة الرسول في المدينة ، فقد قيل ان سبب الرحلة الاولى هو « ان ابا سعيد بن عبد المؤمن صاحب غرناطة استدعاه ليكتب له كتابا وهو على شرابه ، فمد يده اليه بكأس فأظهر الانقباض وقال يا سيدي ما شربتها قط ، فقال والله لتشربن منها سبعا ، فلما راى العزيمة شرب سبع كؤوس فملأ له السيد الكأس من دنانير سبع مرات وصب ذلك في حجره ، فحمله الى منزله ، واضمر ان يجعل كفارة شربه الحج بتلك الدنانير ثم رغب للسيد واعلمه انه حلف بايمان لا خروج له عنها ان يحج في تلك السنة فأسعفه وباع ملكا له تزود به وانفق تلك الدنانير في سبيل البر » .

اخذ ابن جبير يجوب الافاق حتى قدم بغداد ، ولا ندري لماذا لم تقع منه هذه المدينة الزاهرة موقع الارتياح، « فقد ذهب اكثر رسمها ولم يبق الا شهيرا اسمها فلا حسن فيها يستوقف البصر واهلها يتصنعون بالتواضع رياء ، يزدرون الغرباء ، ويظهرون لمن دونهم الانفة والاباء، والغريب فيهم معدوم الارفاق متضاعف الانفاق ، لسوء معاشرة ابنائها يغلب على طبع هوائها ودمائها استغفر الله الا فقهاءهم المحدثين ووعاظهم المذكرين » .

وكأني بابن جبير وقد استثنى الفقهاء والمحدثين اجلالا لابن الجوزي فقد تحدث عنه بما شاء الله ان يتحدث عن عالم ورع مهيب مفضال ! وقد وصف مجلس وعظه

وصفا غريبا نقف منه على ما كان يتبع في عصره لدى الوعظ من تقليد ! اذ ان المجلس المديني كان يبدا عادة بتلاوة آيات من الذكر الحكيم يقرؤها في المجلس الواحد اكثر من عشرين قارئا ، كل قارىء آيتان آيتان ! وجميع الآيات في غرض واحد اذا انتهى القراء وقف الواعظ فألقى خطبة فياضة تدور حول الايات المتلوة ، فيأتي بها جميعها مفسرة موضحة ومؤيدة بما يدور في فلكها من الحديث وقصص الهداة وعبر التاريخ ، على ان يلتزم في خطبته الحرف الاخير من اخر آية كريمة قراها المرتلون فيكون مقطع الجملة وقافية العبارة دون تكلف او افتعال ، فاذا فرغ من تفسيره تلقى الرقاع المختلفة تحمل اسئلة الجمهور فيجيب عنها واحداً واحدا ، لا فرق بين سؤال في موضوع الخطبة او سؤال خارج عنه حول اي مشكلة تدور في الاذهان ، وكنت اظن ان نظام الاسئلة عقب المحاضرات امر مستحدث نعرفه الان فقط ولكن حديث ابن جبير عن ابن الجوزي والقزويني وغيرهما من المحاضرين

يدل على ان الامر في ذلك يرجع الى مدى بعيد ، وقد حضر الرحالة الطلعة ثلاثة مشاهد من مجالس الوعظ لابن الجوزي ، فوصفها وصفا متقاربا بحيث يغني وصف المجلس الواحد عن اخيه لا فرق بينهما الا في موضوع الوعظ وفحواه ، اما طريقة القراء ونظام التلاوة وتهيئة المحالس فكل ذلك يسير على وضع رتيب وسننقل هنا وصفا بديعا لبعض مجالس ابن الجوزي ومستلزمات وعظه كما رسمها الرحالة الكبير ـ قال :

« ثم شاهدنا صبيحة يوم السبت مجلس الشيخ الفقيه الامام الاوحد جمال الدين ابي الفضائل ابن علي الجوزي بازاء دارة على الشط بالجانب الشرقي ، وفي اخره على اتصال من قصور الخليفة وبمقربة من باب البصلية آخر ابواب الجانب الشرقي ، وهو يجلس به كل يوم سبت فشاهدنا مجلس رجل ليس من عمرو ولا زيد ، وفي جوف الفرا كل الصيد ، ومن ابهر آياته واكبر معجزاته انه يصعد المنبر ويبتدىء القراء بالقرآن وعددهم ينيف على العشرين قارئا فينتزع الاثنان منهم او الثلاثة آية من القراءة يتلونها على نسق بتطريب وتشويق ، فاذا فرغوا تلت طائفة اخرى على عددهم آية ثانية ، ولا يزالون يتناوبون آيات من سور مختلفات الى ان يتكاملوا قراءة ، وقد اتوا بآيات متشابهات لا يكاد المتقد الخاطر يحصيها عددا ان يسميها نسقا فاذا فرغوا اخذ هذا الامام الغريب الشأن في ايراد خطبته عجلا مبتورا ، وافرغ في اصداف الاسماع من الفاظه درر ا ، وانتظم اوائل الآيات المقروءات في اثناء خطبته فقرا ، واتى بها على نسق القراءة لها ، لا مقدما ولا مؤخرا ، ثم اكمل الخطبة على قافية آخر آيه ، فلو ان ابدع من في مجلسه تكلف تسميته ما قرا القراء آية آية على الترتيب لعجز عن ذلك فكيف بمن ينتظمها مرتجلا ويورد الخطبة القراء بها عجلا افسحر هذا ام انتم لا تبصرون » ، « ان هذا لهو الفضل المبين » . فحدث ولا حرج عن البحر ، هيهات ، ليس الخبر عنه كالخبر ، ثم انه اتى بعد ان فرغ من خطبته برقائق من الوعظ وآيات بينات من الذكر طارت لها القلوب اشتياقا وذابت بها الانفس احتراقا الى ان علا الضجيج وتردد بشهقاته النشيج ، واعلن الثائبون بالصياح وتساقطوا عليه تساقط الفراش على المصباح ، كل يلقي بناصيته بيده فيجزها ويمسح على راسه داعيا له ، ومنهم من يغشى عليه فيرفع في الاذرع اليه ، فشاهدنا هولا يملأ النفوس انابة وندامة ، ويذكرها هول يوم القيامة ، فلو لم نركب ثبج البحر ونعتسف مفازات القفر الا لمشاهدة مجلس من مجالس هذا الرجل لكانت الصفقة الرابحة والوجهة المفلحة الناضجة والحمد لله على ان من بلقاء من تشهد الجمادات بفضله ، ويضيق الوجود عن مثله ، وفي اثناء مجلسه ذلك يبتدرون المسائل وتطير اليه الرقاع فيجاوب اسرع من طرفة عين وربما كان اكثر مجلسه الرائق من نتاج تلك المسائل ، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء لا اله الا سواه » .

وظاهر من كلام ابن جبير انه دهش لاتفاق الخطبة الوعظية مع الآيات القرآنية المتلوة ! فهو يقول : فلو ان ابدع من في مجلسه تكلف تسميته ما قرا القراء آية آية على الترتيب لعجز عن ذلك ، فكيف بمن ينظمها مرتجلا ويورد الخطبة القراء بها عجلا ، وربما تزول دهشة الرحالة حين يعلم ان هؤلاء القراء كما افهم يعرفون ما سيقرءون من ابن الجوزي قبل ان يلتئم الجمع ، فالرجل لا محالة يجمع مادة الدرس من كتاب الله في موضوع واحد تتفرق آياته في السور المختلفات ثم يخبر بها القراء ليقوموا بتلاوتها وللاصوات الحسنة تأثيرها النفاذ فهي تمهد السبيل لتلقي الوعظ ومتابعة التفسير ، فاذا نهض الامام ابن الجوزي ليفسر النص بعد ان استمتع الحاضرون بتلاوته صادف موضع الرغبة والاقبال .

وهذا مما يزيد توفيقه ونفاذه ولن يقول قائل ان اعداد الآيات مما ينقص مقدرته على الارتجال ، فهو آية اعتداده بنفسه ، ودليل تمكنه من الربط البدهي والتعليل الحاضر والاستشهاد السريع وحق لمثله ان يقول فيه ابن جبير « فلو لم نركب ثبج البحر ونعتسف مفازات القفر الا لمشاهدة مجلس من مجالس هذا الرجل لكانت الصفقة الرابحة مع انه راى في رحلته الدنيا وشاهد مئات الرجال.

المنصورة ـ مصر **محمد رجب البيومي**

بَعضُ شَمس

★

صار يغفو ، نهارُه كلَيلٍ ،

ثم يصحو ، وليلهُ نهارْ .

ما لها الارضُ تستحيلُ سِجناً

لرؤاهُ ، وتكبرُ القفارْ ؟

ههنا كان عنده ديارٌ ،

وهنا غابةٌ وحقلُ غارْ ،

وهنا طائرٌ ، هنا ربيعٌ

مرّ يوماً بناره وديارْ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وغدت طرقاته كتاباً

يقرأ الماءَ فيه والحجارْ .

ومضى ينثر النجومَ شعراً

لاحباءِ عمرهِ الصغارْ .

وامّحى حلمُه ، فلا ربيعٌ

ظل من امسه ولا ديارْ .

الضُّحى بيتُه وبعضُ شمسٍ

عَلِقَتْ في نهايةِ البحارْ .

باريس ، ٩-٣-١٩٨٢

اديب صعب



ايليا ابي ماضي

قصيدة عصريّة لأبي ماضي

بمناسبة مرور سبعين عاما على صدور « ديوان تذكار الماضي »

بقلم الدكتور جورج ديمتري سليم

* * *

ترك لنا ايليا ظاهر ابو ماضي (١٨٨٩ ــ ١٩٥٧) ، ضمن اشعاره المطبوعة والمخطوطة ، قصيدة خاصة تختلف اختلافا بينا عن قصائده الاخرى . فهي القصيدة الوحيدة التي واصل ابو ماضي في كتابتها ما يقرب من نصف قرن. وهي قصيدة قصيرة اذا اعتبرنا طول المدة التي امضاها الشاعر في كتابتها . ثم هي ــ كما سنرى ــ قصيدة غلب فيها المعنى على المبنى فجاءت بشكلها الحالي ، قصيدة بلا وزن وبلا قافية ــ ولم لا ؟ وابو ماضي هو القائل :

« لست مني ان حسبت الشعر الفاظا ووزنا
خالفت دربك دربي ، وانقضى ما كان منا » .

والقائل ايضاً :

« فاستنطقوا القلب ، او جسوه ، يخبركم
فالحب والقلب مكنون بمكنون
وفي زواياه شعر لا وزان له
ورب شعر جميل غير موزون » .

ولعل اهم ما تتميز به هذه القصيدة هو تناولها ، في آن واحد وبطريقة خاطفة ، صورا لابي ماضي في مراحله كلها ، وفي حالاته كلها . فكأنها ، ان شئنا ، قصيدة عمره . فيها نراه شابا وكهلا وشيخا ، مرحا وكئيبا ، متسائلا ومقررا ، ناصحا ومؤنبا ، مصرحا وملمحا ، راضيا وساخطا ، هادئا وثائرا ، فاخرا ومنذرا ، خياليا وواقعيا ، يائسا وآملا .

وقبل تقديم هذه القصيدة الى القارىء احب ان اقول اني تركتها بلا عنوان كما تركها الشاعر ، اما نصها فقد سمحت لنفسي بترتيب اجزائه بعد ان لمت اطرافه على قدر المستطاع . وهاكم القصيدة :

من انا ، يا ترى ، في الوجود ؟
وما هو شأني ؟
وما موضعي ؟
انا قطرة لمعت في الضحى قليلا على ضفة المشرع
انا نغمة وقعتها الحياة لمن قد يعي ولمن لا يعي
انا شبح راكض مسرع مع الزمن الراكض المسرع
انا موجة دفعتها الحياة الى اوسع فالى اوسع
ليت الذي خلق الحياة جميلة لم يسدل الاستار فوق جمالها
ذهب الصبا وانا اعالج سرها متحيرا في كنهها ومآلها

سيرت في فجر الحياة سفينتي
واخترت « قلبي » ان يكون امامي
واذا العباب ملاعب ومراقص
و اذا انا من صبوة لغرام
مرت بي الاعوام تتلو بعضها
وانا كأني لست في الاعوام
يا صاحبي !
هيا نجز سجن الرؤى
انا تائــه
انا جائـع
انا ظـامي
واراد « عقلي » ان يقود سفينتي للشط
في بحر الحياة الطامي
واذا الطريق مخاوف ووساوس
واذا انا من هبوة لقتام
ابغي الثراء ــ ولم يكن من مطلبي ــ
وارى الجمال بناظر متعام
واشيد ــ مثل الناس ــ مجدا زائفا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واشد حول الروح ثوب رغام
فاذا انا ـ والارض ملكي والسما ـ
قد صرت عبد الناس ، عبد حطامي
انا آدمي كان يحسب انه هو الكائن الاسمى
وشرعته الفضلى
امن على الصادي اذا ما لقيته وألزمه شكري
ولست انا الوبلا
تتلمذت للانسان في الدهر حقبة فلقنني غيا
وعلمني جهلا
انني اشهد في نفسي صراعا وعراكا
وارى ذاتي شيطانا واحيانا ملاكا
هل انا شخصان يأبى ذاك مع هذا اشتراكا ؟
اين ضحكي وبكائي وانا طفل صغير
اين جهلي ومراحي وانا غض غرير ؟
انني اضحك احيانا ، ولكن ، اي ضحك !
هل انا اليوم انا منذ ليال وشهور ؟
ام انا عند غروب الشمس غيري في البكور ؟
اانا افصح من عصفورة الوادي واعذب ؟
ومن الحية ادهى ؟
ومن النملة اغرب ؟
هل انا قائد نفسي في حياتي ام مقود ؟
هل انا حر طليق ام اسير في قيود ؟
اانا السائر في الدرب ام الدرب تسير ؟
انني جئت وامضي ، وانا لا اعلم
انـا لغز
وذهابي كمجيئي طلسم
وما انا بالغريب الدار وحدي
فكل الناس عندي في اغتراب
انا للارض ، وان طال عن الارض اغترابي
انا نهر لم اتمم بعد في الارض انسيابي
انا روض لم اذع كل عبيري وملابي
انا نجم لم يمزق بعد جلباب الضباب
انا فجر لم تتوج فضتي كل الروابي
انا طائر قد كان يمرح في الربى
وعلى ضفاف الجدول المترقرق
فطوى القضاء مروجه وفضاءه
ليزج في قفص الحديد الضيق
لا ، بل انا ملك
صحوت فلم اجد عرشي ، ولا تاجي ، ولا استبرقي
لم اجد في القصر شيئا ليس في الكوخ المهين
انا في ذاك وهذا عبد شكي ويقيني
انا الشادى ، انا الباكي
انا العاري ، انا الكاسي
انا في الارض جاثم غير اني طائر الفكر
انا كالسنديانة

شوشت اغصانها الريح التي تلويها
انا لولا الشعور لم اتألم
ليت هذا الفؤاد كان جمادا
لم الدهر الذي اخنى علي
انا حمل الاسى لا استطيع
انا لست بـ « الحسناء » اول مولع
هي مطمع الدنيا كما هي مطمعي
ولكم دخلت الى القصور مفتشا عنها
وعجت بدارسات الاربع
فاذا الذي في القصر مثلي حائر
واذا الذي في القفر مثلي لا يعي
سئمت نفسي الحياة مع الناس
قالت : اخرج من المدينة للقفر ، ففيه النجاة من اوصابي
انما نفسي التي ملت العمران ملت في الغاب صمت الغـــاب
فانا فيه مستقل طليق ، وكاني ادب في سرداب
خلت اني في القفر اصبحت وحدي
فاذا الناس كلهم في ثيابي
قيل : اغتنى « زيد » ، فليتك مثله
انا مثله ، ان لم اقل : انا افضل
ما دمت في صحبي ، ودام وفـــاؤهم ، فانا الغني
الحق ، لا المتمول
انا ـ ما عشت ـ سوف اذكر بالشكر جميل الرفاق والاخـوان
يا اخي !
لا تمل بوجهك عني
ـ انا من وجوه العابسين ، ومن الالى عبسوا ، براء
ما انا فحمـة
ولا انتِ فرقد
النجوم التي تراها اراها حين تخفى وعندما تتوقد
لست ادنى على غناك اليها
وانا مع خصاصتي لست ابعد
ان طير الاراك ليس يبالي انت اصغيت ام انا ان غرد
لا يكن للخصام قلبك ماوى
ان قلبي للحب اصبح معبد
انا اولى بالحب منك
واحرى من كساء يبلى ، ومال ينفد
انا بالحب قد وصلت الى نفسي
وبالحب قد عرفت الله !
انا مثل الناس طرا
لي في الصحة آراء
وفي العلة اخرى
من احب الله جبارا وفتاكا وقاهر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فأنا اهواه رساما وفنانا وساحر
انا غيث
فان وجدتك حقلا فانا العشب والشجر
ان تغب في فراشة الواني فأنا زهرة تطير
واذا انحل في الشعاع كياني فأنا في الضحى عبير
وانا الاقحوان
سيان عندي عشت يوما او بعض يوم

ايها السائل عني من انا ؟!
انا كالشمس
الى « الشرق » انتسابي
انا كالسوسن
لو لم ينتقل لم يتوج زهره راس كعاب
انا في « نيويورك » بالجسم
وبالروح في « الشرق » على تلك الهضاب
انا في « الغوطة » زهر وندى
انا في « لبنان » نجوى وتصابي

وطن النجوم !
انا من مياهك قطرة فاضت جداول من سنا
انا من ترابك ذرة ماجت مواكب من منى
انا من طيورك بلبل غنى بمجدك فاغتنى
انا صب متيم ببلادي
ما لقومي ـ لا وهي حبلهم ـ قنعوا من دهرهم بالوشل
انا من امرهم في شغل
وهم عن امرهم في شغل
فأنا على ما ضاع جازع
ان الذي قد ضاع جد ثمين
مرت ليال ما لها عدد وانا حزين باهت كمدا
انا لما بي ساهر لم اهجع

بني وطني !
انا انتم
ان ضحكتم لامر ضحكت
وادمعكم ادمعي
انا واحد منكم ، يا نجوم بلادي
متى تسطعوا اسطع
انا من روضكم قطفت ازاهيري
ومن بحركم غرفت جماني
انا في حماكم طائر مترنم بين الاقاح الغض والنسرين
انا مثل « آدم »
حينما فارقتكم ضيعت فردوسا من اللذات
هيهات اشكو الدهر بعد لقائكم
انا ان شكوت الدهر كنت المذنبا
انا لا اهدي اليكم ورقا
غيركم يرضى بحبر وورق
انا احيي في كهولكم النهى
والطهر والاحلام في الاولاد
انا لا اشتاق كاسات الطلا
لا ، ولا اطلب مجدا او ثراء
انما شوقي الى دنيا رضى
والى عصر سلام واخاء
وانا لشوقي لا يقر قراري
انا ما وقفت اليوم موقفي الا لاندب حالة التعساء
انا امرؤ دين المحبة ديني
انا ـ والله ـ لو ارجع خليا بلا دين
جعلت الحب ديني

انا شاعر ابدا تائق الى الحسن
في الناس والكائنات
احب الزهور
واهوى الطيور
واعشق ثرثرة الساقيات
ورقص الاشعة فوق الروابي
وضحك الجداول والقهقهات
انا شاعر ما لاح طيف ملاحة الا وهلل للجمال وكبرا
انا خير من قال القوافي
في لساني مضاء
انا ملك وجندي الشعراء
انا امام الذين هاموا
واي قوم بلا امام ؟
ما هو الشعر ؟
انني ما رأيت اثنين الا وفيه يختصمان
ما حفز الانسان شيء للشعر كالانسان
انا من اجله بنيت قصوري
وفرشت الدروب بالريحان
انا من اجله شددت الاوتار في عيداني
انا من اجله رجعت من الروضة في راحتي بالالوان
انا لا استعذب الشعر اذا لم اجده روضة او افقا
واذا انا لم اجد حقلا مريعا خلقت الحقل في روحي وذهني
يا رفيقي !
انا لولا انت ما وقعت لحنا

ما للوشاة اذا سكت تكلموا
وتقولوا عني الذي لا اعلم
فأنا مسيء حين اكتم لوعتي
وانا مسيء حين لا اتكتم
قل للوشاة : تقولوا ما شئتم
لا شأنكم شأني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قبلة العيد

★

قبلة العيد وما اطيبها ... قبلة من ثغرك العذب الجميل
كنت لو صحت امانى الهوى ... اخلع العمر على درب الاصيل
وارد الشمس من حيث بدت ... واعيد الفرس في فانا الجليل
ولقاءات الصبايا عمرا ... وحديث الحب في ظل النخيل
آه لو صحت امانى الهوى ... ما بكى طرف ولا اودى قتيل

وديع ديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولا انا منكم
ماذا عليكم من دموعي ان جرت
انا من تسيل دموعه لا انتم
وانا الذي حمل الاسى ومشى به
وانا الذي احشاؤه تتضرم
وانا الذي وهب الكرى لجفونكم
واقام يرعى النجم حين هجعتم
انا كالهزار مضى الهيام بصوته
نظر الجهول فقال : هذا ابكم
انا كالطائر الذي اندفق السحر عليه فغص بالالحان
اني انا الاسد الهصور بسالة
ويل لقوم حاولوا احراجي
ولا انا من يسير على هواه
ويخفق كلما هزته ريح
انا لا تغشني الطيالس والحلى
كم في الطيالس من سليم اجرب
وما انا بالعبد الذي يرهب العصا
ولكنني حر تروع بوادره

أنا من قوم اذا حزنوا وجدوا في حزنهم طربا
انا من قوم اذا ما حكموا طرب المظلوم والعاني ابتسم
واذا ما شهروا اسيافهم خشي الدهر المنايا فانهزم
وما دام في الدنيا سمو ورفعة
فما انا من يرضى ويقنع بالأردا
ان الحياة الروح بعض عطائها
وانا ثمار الروح كل عطائي
انا ما زلت ذا رجاء كبير
ولئن كنت لا ارى ذا رجاء
انا من ضميري ساكن في معقل
انا من خلالي سائر في موكب
انا في الزمان كموجة في زاخر
انا فيه ان يزيد وان لم يزيد
امسي انا
يومي انا
وانا غدي .

واشنطن

جورج ديمتري سليم



احمد حسين الطماوي

في الذكرى الاولى لعلي ادهم

عَلي أدهم وَأبطال التاريخ

بقلم احمد حسين الطماوي

* * *

في كتابة سير العظماء والعبقريين تنبيه للامة بامجاد رجالها الخالدين الذين ساهموا في صنع تاريخها وحضارتها وعملوا على رقيها الفكري والادبي ، واننا عندما نسجل تراجم رجالنا الافذاذ فانما نعبر عن جانب من طمحات الامة وتقدمها .

وقد قدم علي ادهم للمكتبة العربية عدة تراجم طويلة في كتب مستقلة لعظماء من الشرق والغرب نذكر منهم : عبد الرحمن الداخل وعبد الرحمن الناصر والمنصور العباسي ، والمنصور بن ابي عامر ، والمعتمد بن عباد ، ومتزيني ، وتراجم قصيرة ضمتها بعض كتبه من امثال يوسف بن تشفين ، ونابليون ، وتاليران ، وقيس بن سعد ونصر بن سيار وابي مسلم وغيرهم .

وبعض هؤلاء من مؤسسي الامبراطوريات ، وبناة الدول ، ومنهم من قام بادوار كبيرة في تاريخ الانسانية ، ودخلوا في صراعات رهيبة من اجل اعلاء كلمتهم ، وتأكيد ذواتهم ، وفرض افكارهم على شعوبهم ، وعلى شعوب مجاورة لبلدانهم .

ونتساءل ما الذي يحرك هؤلاء الافذاذ الى فعل الافاعيل ، والنهوض بالاعباء الجسام ، وخوض الحروب الدامية ، واثارة المعارك الحامية ، ولا يخلدون الى الهدوء والراحة قبل ان يفرغوا من تحقيق ما جاهدوا من اجله ، وادراك الغايات التي حددوها لانفسهم .

صراع الافكار

ونلتمس الاجابة على هذا السؤال عند علي ادهم الذي فسر احداث التاريخ وهزات وقائعه بما اطلق علية « صراع الافكار » فتنشب المعارك وتشتعل الحروب بين الامم « لتغليب فكرة من هذه الافكار على الاخرى » وهذه الفكرة هي التي توحي للبطل بتصرفاته ، وتدفع به الى الحركة والكفاح ، وتخطي العوائق والصعاب ، والسمو على العوامل المناهضة له ، ويظل البطل يجاهد في سبيل تحقيق « الفكرة » التي آمن بها حتى يدرك غايته ، ويفطن ادهم الى ما يسميه « الغريزة التاريخية » التي تستحث همة الابطال حيث تتوهج عواطفهم ، وتتقد اذهانهم لتغليب الافكار التي عملوا على اعلائها .

وبناء على هذا فان مقياس عظمة الابطال عند علي ادهم هو مدى تحقيقهم للافكار التي تشبعوا بها، وتشيعوا لها ، وادوا مطالب عصرهم واقوامهم بفرضها ، ومن ثم فان عبد الرحمن الداخل او صقر قريش من الابطال العظماء لانه « حقق فكرة عصره » بتأسيس الدولة العربية الاسلامية الاموية في الاندلس ، ولم يقم وزنا لمطالبه العاطفية ، او لذاته الحسية .

وكان لقراءات علي ادهم الغزيرة في الفكر الالماني وخاصة « هيجل » العامل الاكبر في التأثر بما قيل في « الفكرة » التي تستقر في وجدان البطل وتحركه نحو اثباتها اثباتا عمليا ، ويشير ادهم الى ما غلب على التفكير الالماني في بدايات القرن التاسع عشر بقوله : « ان كل امة من الامم ، وكل عصر من العصور ، وكل حضارة من الحضارات لها فكرتها الخاصة الغالبة المستعلية ، وهي تستمد سماتها من هذه الفكرة العامة. ويمكن ان نستخلص الفلسفة والدين والفنون وجميع عناصر الفكرة الرئيسية العامة التي ينبع منها كل شيء كما ينتهي اليها كل شيء » (٢) .

ويقول هيجل : « ان الرجل العظيم في العصر هو الذي يستطيع ان يعبر عن ارادة عصره في كلمات ، ويخبر عصره ما هي ارادته وينيرها . ما يفعله هو قلب وروح عصره . انه يحقق عصره » (٣) . ونستطيع ان نقرأ كلمات مشابهة او اراء مماثلة لعلي ادهم في تقديمه لكتابه « صقر قريش » مما يدل على افادته من الفكر الالماني في هذا الشأن .

ومن ناحية اخرى كان لاعجابه الشديد بالكاتب الانجليزي كارليل صاحب كتاب «الابطال وعبادة البطولة»

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اكبر الاثر في تعميق فكرته عن البطل المحقق لافكاره .

وعندما نقول ان ادهم تأثر بهيجل او كارليل او غيرهما من المفكرين لا يعني هذا انه ينقل آراء الاخرين ، فالانسان لا يستميله شيء او يجذبه الا اذا كان له رصيد في نفسه ، ونداء من وجدانه ، ولا يعضد فكرة او يناصرها الا اذا اقرها عقله ، فحينئذ تجد ارضا خصبة فتنمو وتثمر .

التفسير النفسي

وتجدي مراقبته العقلية الفاحصة لنفوس الابطال في كشف سر عظمتهم وتفوقهم ، وانه اذا كان قد اهتم بالعوامل التاريخية التي يتجاوب معها البطل ، فانه يقف ايضا على العوامل النفسية فيصور لنا نفوس ابطاله ، ويبين شدة عزيمتهم ، ويرى انهم يخضعون « لعاطفة مستعلية عليهم غلابة على نفوسهم ، وحول القوة التي تفيضها هذه العاطفة وتصبها على الفكرة الهابطة على العصر تتركز الحركات التاريخية ، وتاخذ هذه العاطفة عليهم مسالك نفوسهم فلا يستوطئون راحة ولا ينعمون بسعادة وهي السر في الجهود الجبارة التي يبذلونها ونراها نحن فوق طاقة البشر وخارجة عن دائرة الامكان » . وهكذا يلتقي التفسير التاريخي والتفسير النفسي في كتابات علي ادهم عن الابطال فستنير بصائرنا بأحوالهم ، وتتكشف لنا اسرار بطولتهم وفحولتهم .

بل انه يذهب الى اكثر من هذا، حيث يرى ان معرفة العواطف المسيطرة على نفوس العظماء تساعد عقولنا على فهم روايات دستوفسكي وتولستوي وبلزاك وغيرهم . وهكذا يفيد من دراسة التاريخ واحداثه من خلال حركة ابطاله في الوقوف على دقائق الاعمال الادبية الرائعة .

وعلي ادهم لا يخضع ظهور العظماء سواء في الحرب او السياسة او الفنون الى القوانين الجبرية ، وعنده ان الافذاذ يبرزون عند « التقاء المواهب الطبيعية بالظروف المواتية» (٤) ويذهب الى ان القدرات الخاصة والمواهب الكبيرة، غير كافية لاعلاء العظيم وتفوقه، فلابد ان تكون الاحوال والاجواء التي يعيشون فيها موائمة ومناسبة لتلقي افكارهم واثارهم ، واذا كان ادهم يشترط استجابة العصر لمواهب الفذ وعطائه ، فانه يقرر ان « العصر » لا يخلق العظيم ولا يوجد النابغة . وخلاصة الراي ان العامل الاساسي في ظهور الممتازين هو وجود المواهب والملكات ، والعامل المساعد هو نضج الاحوال واستعداد الناس لتقبل ما يأتي به الابطال .

علي ادهم بين كارليل وامرسون

هل البطل جزء من التاريخ او هو صانع التاريخ ؟

هل هو ممثل عصره ومجتمعه او هو صانع عصره ومجتمعه ؟

اسئلة هامة واجهت كتّاب التراجم على مر العصور واختلفت اجاباتهم عليها من حين الى حين . وفي اعتقادي ان هذا يرجع الى شيئين : اولا : شخصية كاتب الترجمة ومفاهيمه للحركة التاريخية ومعتقداته السياسية والاجتماعية . ثانيا : شخصية صاحب الترجمة ومدى تاثيره في الاحداث ، فانه تختلف النظرة من زعيم الى زعيم.

وفي اجتهاد علي ادهم لفهم طبيعة الابطال كما تعرف عليها في تصرفاتهم وجليل اعمالهم ، وفي الوقوف على العوامل المحركة لهم في صنع الجديد . يخيل الينا انه كانت تتجاذبه فكرتان :

الاولى : فكرة كارليل القائل بان البطل هو صانع الاحداث « وان القدر ينطق على لسانه ويستبين في اعماله » . بل يذهب الى ما لا يمكن تصوره في « عبادة الابطال » . وقد كان علي ادهم معجبابكارليل وكان يصف بعض ارائه بانها « لامعة ومضيئة » مما يعني تعاطفه مع كارليل . ولكنه يختلف مع كارليل في « عبادة البطولة » يقول في كتابه على « هامش الادب والنقد » :

« وكاتب التراجم الحديث لا يحفل بجلالة قدر العظماء ، ولا يسدد بصره ضخامة شهرتهم ، ولا يتخشع امام هيبتهم ، ولا يسمو بهم الى مراتب الالهة والارباب ، ولا ينزههم عن الاهواء والاخطاء» فهو يضع البطل في نطاقه الانساني وان ذكر افاعيله العظيمة ، ونظراته العالية .

الثانية : فكرة امرسون الكاتب الامريكي صاحب كتاب « ممثلو الانسانية » والذي يؤكد فيه ان الابطال هم نواب الانسانية وان الشعوب والجماعات تمهد لهم سبل النجاح والرقي . وفكرة امرسون لا تخلو من صواب ودقة نظر ، ولكن البطل لا يمثل فقط القوى الشعبية والاجتماعية بل قد يوجدها ويوجهها ويستحثها على الحركة والفعل في كثير من الاحيان .

ويعلق علي ادهم على كتاب امرسون بقوله : « .. العظمة في راي امرسون ليست شيئا قائما بذاته منفصلا عن الانسانية ويلزم ان يكون العظيم متصلا بنا وتتلقى منه حياتنا ما يعدها بالبيان والتفسير (٥) وهذه الكلمات تعكس لنا تفهم ادهم لاراء امرسون . وارى ان علي ادهم قد افاد من الفكرتين فحينما يغالي في تقدير العظمة عند الابطال متاثرا بافكار كارليل ، فان امرسون يطامن من غلوائه ، فتأتي كتاباته عن الابطال الذين ترجم لهم متوازنة فيها الاشادة بالعظمة وذكر المواقف الحاسمة ، والمناقب الجليلة ، وفيها تصوير البطل الممثل لعصره ولبيئته مع سرد معايبه .

واذا كان لنا كلمة في هذا المقام فاننا نرى انه من الصائب الا نفرض نظرية بعينها في تفسير البطولة والعظمة، وذلك راجع الى اختلاف الظروف والعصور التي ينشأ فيها الابطال ، واختلاف نفوسهم وقدراتهم ، وتباين انجازاتهم ومدى ما تشتمل عليه هذه الانجازات من رصيد اخلاقي . فنظرية امرسون قد تنطبق على ابطال بعينهم ،

ونظرية كارليل قد تتناسب مع طبقة اخرى من الافذاذ الصناديد .

الحتمية والارادة الحرة

واذا كان علي أدهم يؤمن بحتمية حدوث بعض الوقائع الا انه لا ينكر حرية الارادة عند ابطاله . والارادة الحرة تنبثق من الذات وتتجه نحو الهدف لتحقيقه ، وترتبط قدرات البطل بارادته ونوع فعله ، فان الارادة بغير قدرات لا تعد شيئا ولا تصل الى نتيجة ، لذلك فأدهم يفيض في ذكر تضافر قوى العظماء ، وامكاناتهم في تحريك الاحداث لصالحهم ، وفي تحويل مسار الامور في اتجاههم . وقد بين في جلاء عزيمة عبد الرحمن الناصر وقوة ارادته في اخضاع زعماء الاسبان ، ومغالبة الفتن والثورات وتحقيق ارادته وادراك غايته والسمو الى عنان المجد والقمة .

وان القائلين بالحتمية التاريخية او بالحتمية الاجتماعية انما يلغون حرية الارادة عند الانسان او عند البطل التاريخي ، ويجعلونه يتصرف وفق معطيات تاريخية محددة ، وظروف اجتماعية معينة ، وكأنه لا يملك من امر نفسه شيئا ، وهذه الحتمية التي يقول بها الماديون تنكر على العظيم المسؤولية التي يضطلع بها ، وهؤلاء الماديون بما يذهبون اليه انما يجافون الحقائق ويزيفون الوقائع الشاهدة بأثر البطل في الاحداث الكبرى التي تتطلب الارادة الحرة .

انواع البطولة

والاستاذ علي ادهم الذي كثرت دراساته للرجال الافذاذ ، واتسعت مداركه لهم ، وتنوعت معارفه عنهم ، حتى كأنه يعرفهم ، استطاع بألمعيته وثقافته التاريخية ان يميز بين عدة انواع من مشاهير القواد الذين اثروا في حركة التاريخ فنراه يفرق بين من يبني منهم ومن يهدم ، او يميز بين تقدير العظمة وتقدير القوة . وعنده ان العظيم من يترك الدنيا احسن حالا مما كانت عليه وفي هذا القول : « والقوة الروحية والامتياز الفكري هما اساس العظمة والبطولة الصادقة ، وفي بعض الاحيان تعد القوة الاخلاقية معيار العظمة » ومن خلال هذا المفهوم يتردد في اضفاء صفة البطولة والعظمة على رجل مثل تيمورلنك لانه ترك العالم بعده اسوأ مما كان عليه قبله . وفي هذا المجال يفصل ادهم بين نوعين اخرين من الرجال . رجال صنعوا التاريخ ووجهوا مسار احداثه ، ورجال صنعتهم الظروف وتسنموا مكانة عالية بغير جهد او عناء . او بين رجال اشادوا الصروح ورجال وجدوا الصروح مشيدة ، وكان ثناؤه وتقديره للكبار الصانعين وليس للصغار المصنوعين .

اجتهاد كاتب التراجم

ومما يجدر ذكره ان دواوين التاريخ وموسوعاته لا تحفل بكل دقيق وجليل عن عظيم من العظماء ، فانها قد تغفل الكثير من النقاط التي يراها المؤرخ القديم قليلة الاهمية ، او قد يفقد مرجع اساسي يشتمل على اخبار معينة عن بطل نترجم له . وهنا لا بد للمؤرخ الحديث او كاتب التراجم التاريخية من التخيل لاستظهار الخفايا ، وعلاج الموقف ، وايضاح الاحداث ، وعلي ادهم يعطي نفسه هذا الحق في وصف الصراعات الداخلية ، وتصوير التيارات الخفية في نفوس بعض شخصياته ، ولكنه لا يناى عن الاطار العام للوقائع وشواهد التاريخ . وعلى سبيل المثال نقرأ في كتابه عن الخليفة العباسي ابي جعفر المنصور قصة ابي مسلم الخراساني مع امير المؤمنين « ابي جعفر » والحوار النفسي الداخلي الذي دار في نفسي كل منهما . وبين اهمية كلمات ابي جعفر ومواقف ابي مسلم في انماء الصراع الذي دار بينهما حتى انتهى بمقتل الاخير . والكاتب النجيب بما له من يقظة الذهن ، وسمو الخيال ، والتفقه في فهم نفوس الابطال ما يجعله يفطن الى مفهوم كل اشارة ، ومدلول كل كلمة ولمحة ، فقد صور ادهم الجو النفسي الذي تمت فيه فصول هذه المأساة بدقة المؤرخ وذوق الاديب ، حقا انها صفحات تاريخية فنية نفسية في وقت واحد تحرك عقولنا وعواطفنا جميعا .

وان هذه السير التي نطالعها عن الابطال لا تمثلهم تماما ، لانها لا تسجل كل حركاتهم في حيواتهم ، ولا تتضمن طبيعتهم على الوجه الاكمل . وانما الكاتب يتطلع الى الكمال في تراجمه عندما يكتب عنهم بقدر ما تمده به المصادر التاريخية ، وبقدر ما تسعفه قريحته وخياله في سد الثغرات ، وجلاء الغوامض . او بعبارة اخرى ان ما يصوره كاتب الترجمة هو محاولة جادة للتعرف على سمات تلك الشخصيات ومقوماتها حسب ما يتوسم وما يتصور وتراجم علي ادهم يحاول فيها ان يضع البطل في منظوره السليم ، وفي موقعه الخليق بان يوضع فيه ، والسير التي دبجها عامرة بالحياة الانسانية في نواحيها المتعددة ، فلم يقف عند المحاسن فقط، بل صور الاشخاص بما كانوا عليه من ضعف وقدرة ، ونقص وكمال . وفي ترجمته للخليفة عبد الرحمن الناصر يذكر قصته مع جاريته وقد اسرف في الشراب ذات ليلة واكثر في تقبيلها فتبرمت وتضجرت فأغضبه هذا « فأمر الا يزال وجهها يلثم بألسنة الشمع وهي تستغيث فلا يرحمها حتى هلكت » وعلي ادهم ينتقد في شدة الذين يصرفون النظر عن نواحي النقص في شخصيات العظماء ويرى ان الحقيقة بجمالها احق واولى .

وخلاصة القول في تراجم علي ادهم انه كانت تسيطر عليها روح الصدق والامانة ، والاعتدال في الراي ، والاتزان في القصد . وهي مقومات لازمة في كتب التراجم وكتابها .

١ ـ الاستاذ علي ادهم من كبار الكتاب المعاصرين ، واحد الشوامخ البارزين في الحركة الفكرية ، وكان لاتقانه اللغة الانجليزية والمامه باللغة الفرنسية اكبر الاثر في تعريف القارىء الشرقي بآداب

سحرية الأهداب

يا طمي النشوان ، يا ارجا ... لولاه لم يتـاود الزهـر
في ثغرك الاغـداق مفتـر ... وبهدبـك الاشراق مخضر
ان تبسمي بزك الربيع شذى ... او تنظري، ينهد لك الطهر
ولأنت، في دنياي ، اغنيـة ... ينساب في اهيائها السحر
لا تذبـل الايام نضرتهـا ... من قال : يذبل خافق بكر
سحرية الاهداب، في شفتي ... بعض الذي يشتاقه الفجر
بي ثغرك المجنون، بي حرق ... من خصرك الوثني، بي سكر
بي انت، يا انت التي خطرت ... فالارض زهر ، والحصى درر
ولرب ليـل جـاء مرتجـلا ... ما لا تحـب الانجم الزهر
وسالتني ، والهدب منكسر ... ايموت في نسيانـه العطـر
ونثرت در الدمع، فارتعشت ... فـوق الورود لألىء سمـر
اشجـاك ان الورد مكتئـب ... في الوجنتين ؛ وهالك الامر
سر ، اذا الانثى تفتقـه ... لله كيـف يفتـق السر
حتى اذا مـا قبلتي رشفت ... ما افتر عنـه ثغرك الحر
مات السؤال ، فكل خاطرة ... في كفهـا من حبنـا قطر

فوزي عطوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الغرب ، فنقل اليه ما كان ينقصه منها ، هذا غير استيعابه للثقافة الادبية العربية متمثلة في شعرائها المتازين ، وللحضارة الاسلامية في مظاهرها العديدة ، فجمع بين التالد والطريف ، وبين الادب والتاريخ، فامتزجت في مؤلفاته افكار الاوربيين بثقافة الشرقيين ، والتقى في كتبه القديم والحديث .

ولد علي ادهم في الاسكندرية في ١٩ يونيه ١٨٩٧ وتلقى العلم في عدة مدارس بالاسكندرية والقاهرة ، ونال شهادة البكالوريا ، وعمل موظفا بجمارك الاسكندرية ، ونشر اوائل بحوثه في مجلة « البيان » التي كان يصدرها الشيخ عبد الرحمن البرقوقي ثم والى نشر مقالاته في مجلة الرجاء والهلال والمقتطف والثقافة ثم انتقل الى وزارة المعارف عام ١٩٢٤ وظل بها حتى احيل الى المعاش عام ١٩٥٧ .

وقد ساهم علي ادهم في النشاط الثقافي بقدر كبير ، فالف وترجم ما يقرب من ثلاثين كتابا في كل نواحي المعرفة ، ومن مؤلفاته : « نظرات في الحياة والمجتمع » « لماذا يشقى الانسان » « الجمعيات السرية » « تلاقي الاكفاء » « شخصيات تاريخية » « صور تاريخية » « صور ادبية » « على هامش الادب والنقد » هذا عدا تراجمه للعظماء ومئات المقالات في مختلف الدوريات . وقد فارق الحياة في الثامن من يناير عام ١٩٨١ . رحمه الله رحمة واسعة .

٢ ـ تراث الانسانية المجلد الاول .
٣ ـ كتاب « ما هو التاريخ » لادوارد كار وترجمة ماهر كيالي .
٤ ـ مجلة « العربي » عدد يناير ١٩٧٥ .
٥ ـ المجلد الثالث من تراث الانسانية .

القاهرة — احمد حسين الطماوي



وديع فلسطين

موكب الراحلين في عام

بقلم وديع فلسطين

* * *

انتهى عام ١٩٨١ وفي احشائه نهايات طائفة غير قليلة من رجال الفكر والقلم تفاوتت حظوظهم في الدنيا واصبحت آثارهم في ذمة الضمير الادبي .

ومن غريب التصاريف ان اثنين من كبار المتتبعين لاخبار وفيات الادباء كانا من جملة المحصودين في العام الفارط . ففي اوله غاب وجه يوسف اسعد داغر اعظم من خدم فن البيلوغرافيا الادبية في الضاد ، وفي آخره غادرنا نجيب العمفيقي الطويل الباع في التراجم الادبية العربية والغربية . ومن مكرمات السماء علي اتني عرفت هذا بذاك ودللت واحدهما على الاخر ، وان كان كلاهما لبنانيا .

ولكثرة ما اتلقاه من استفسارات عمن ذهب وعمن تخلف من الادباء ـ ولا سيما بعدما تقطعت اوصال امة الضاد واختلطت حقائقها بزيوفها ـ فاني مورد هنا بيانا بالادباء الذين رحلوا في العام الذي انفرط عقده ، وتاريخ وفاة كل منهم وهي منقولة من صفحة المناعي ـ اصدق صفحات صحفنا السيارة .

العلامة المفهرس يوسف اسعد داغر ـ توفي في اول يناير .

الصحفي محمد رشاد الشبرابخومي ـ توفي في ٦ يناير .

الفقيه القانوني الدكتور زهير جرانة ـ توفي في ٧ يناير .

صفي العقاد الكاتب الكبير علي ادهم ـ توفي في ٨ يناير .

شاعر آل البيت محمود جبر ـ توفي في ١٠ يناير .

العلامة المحقق الكبير محمد ابو الفضل ابراهيم ـ توفي في ١١ يناير .

السفير ابراهيم امين غالي ، وله طائفة من المؤلفات والمترجمات ـ توفي في ٢٦ يناير .

الصحفي رشيد خوري ـ توفي حزنا على ابنته الصحفية النابهة التي اجهزت على حياتها بيديها جاكلين خوري ، وكانت وفاته في ٤ فبراير .

العلامة المحقق عبد الستار فراج ـ توفي في الكويت في ١٦ فبراير .

عبد العزيز سيد الاهل ـ توفي في اول مارس .

الصحفي حامد عبد العزيز ـ توفي في ٩ مارس .

الشاعر القاص المهجري الياس قنصل ـ توفي في الارجنتين في ٢٠ مارس .

الدكتور نجيب فرح ، الطبيب البحاثة في مرض السرطان ـ توفي في الاسكندرية في ٢٢ مارس .

الشاعر والبحاثة الفولكلوري محمد فوزي العنتيل ـ توفي في ١٢ مايو .

العلامة الازهري الشيخ ابو الوفا مصطفى المراغي ـ توفي في ٢٢ مايو .

الشاعر الغنائي الكبير احمد رامي ـ توفي في ٤ يونيو

شاعر البلاط السعودي الشيخ احمد بن ابراهيم الغزاوي ـ توفي في شهر مايو ولا اعرف اليوم على وجه التحديد .

العالم الزراعي الدكتور عبد الله زين العابدين (زوج الكاتبة امينة السعيد) ـ توفي في ٢٣ يونيو .

العالم الازهري الشيخ عبد الجليل عيسى ـ توفي في ٢ يوليو .

المربي الجليل محمد عطية الابراشي ـ توفي في ١٧ يوليو .

صاحب « العرفان » نزار الزين ـ توفي في يوليو ولم استطع التحقق من اليوم الذي وقعت فيه الوفاة .

العلامة المعجمي محمد العدناني ـ توفي في ٥ اغسطس.

الشاعر صلاح عبد الصبور ـ توفي في ١٤ اغسطس.

الشاعر الكبير بدوي الجبل ـ توفي في ١٩ اغسطس.

الدكتور ابراهيم جمعة ـ توفي في ٢٠ اغسطس .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بوح الشفاه

طلعت علي كمطلع الشمس ... فانجاب عني غيهب النحس
تبدو الحياة كانها مقل ... لم تكتحل بلمى ولا بؤس
حسناء في وهج السنى اتشحت ... وتميزت برهافة الحس
ترف الصبا يزهو بقامتها ... وتارجحت بنعومة اللمس
اضمامة من زهر رابية ... ماجت بنفح الطهر والقدس
ارج الصبابة نشه فمها ... فنسيت ما كابدت بالامس
ورنت الي فغاب عن نظري ... شبح من الاحزان واليأس
بحر الحنان طفى بمهجتها ... فتحدرت في موجه نفسي
يستاف ثغري طيب مرشفها ... فاطوف في دنيا من العرس
قد اسكرت روحي الشقية اذ ... فاضت بخمرة حبها كأسي
هبة السماء ويالها هبة ... اضفت علي مباهج الانس
فدعوا الملامة قد شغفت بها ... حبا سما عن نزوة الرجس

بغداد — خضر عباس الصالحي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الدكتور محمد حسن فايد (المدير السابق لجامعة الازهر) ـ توفي في ١١ سبتمبر .

الناشر للكتب الدينية وصاحب « الفرقان » محمد محمد عبد اللطيف المكنى « بابن الخطيب » (وهو زوج المحامية مفيدة عبد الرحمن) ـ توفي في ٢٤ سبتمبر .

الصحفي طلعت يونان ـ توفي في ٢٤ سبتمبر .

الصحفي المشرقي عزيز لاوندي ـ توفي في واشنطن في ٢٥ سبتمبر .

المدير الاسبق لادارة الترجمة بوزارة المعارف فؤاد اندراوس ـ توفي في لندن ونشر نعيه في الصحف في ١٥ اكتوبر .

الشاعر السوري عمر ابو قوس ـ توفي على الاغلب في اكتوبر ولم استطع التحقق من اليوم .

الاديب الحجازي عبد السلام طاهر الساسي ـ توفي في ٢٢ اكتوبر .

الدكتور يعقوب خوري ـ وله دراسات ومؤلفات بالعربية والفرنسية عن قضية فلسطين ـ توفي في ١٢ نوفمبر .

الدكتور طاهر درويش ـ الاستاذ بكلية دار العلوم ـ توفي في ٢٨ نوفمبر .

الكاتب الساخر محمد عفيفي ـ توفي في ٥ ديسمبر .

طبيب القلب المشهور الدكتور محمد ابراهيم ـ توفي في ٧ ديسمبر .

المؤرخ الجزائري محمود علي دبوز ـ قرات نعيه في صحف مصر في ١٢ ديسمبر .

استاذ القانون الدولي الدكتور عبد الله العريان ـ توفي في هولندا حيث يعمل قاضيا في محكمة العدل الدولية في ١٢ ديسمبر .

نجيب العقيقي ، صاحب « المستشرقون » و«الادب المقارن » ـ توفي في ٢٤ ديسمبر .

الصحفي المصري فتحي خليل ـ توفي في بغداد في ٢٧ ديسمبر .

الاديبة ايمي خير صديقة « مي » وموضع سرها ـ توفيت في ٢٩ ديسمبر .

القاص حسين القباني ـ لم ينشر له نعي في الصحف والارجح انه توفي في ٣١ ديسمبر .

فان كان قد فاتني شيء ، فاهلا بالمستدركين لكل فوات .

مصر الجديدة ـ ٦ شارع الامام علي — وديع فلسطين

تحقيقات عرضية

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر

● ● ●

(١)

الدكتور يوسف مصطفى القاضي ـ مناهج البحوث وكتابتها ، دار المريخ للنشر ، بالرياض ، دار الجيل للطباعة بالقاهرة ١٣٩٩ ـ ١٩٧٠ ، ٢٣١ ص .

١ ـ ص ٢٠ « الترمزي » الصحيح الترمذي ـ وهو من الخطأ الذي يقع فيه الطباع المصري اذ يكتب ما يلفظ فتأتي الذال زايا ، ومثل المصري السوري والحجازي ...

٢ ـ ص ٢٨ « يتوجه الى مكان تواجد النبات الذي سيدرسه »

كلمة « التواجد » بهذا المعنى ليست فصيحة وهي مما شاع في العصر الحديث ، وربما في النصف الثاني من القرن العشرين ، (واول ما سمعتها في الرياض خلال الستينيات ، ولعلها وردت من مصر ، لعلها) .

الصحيح : يتوجه الى حيث يوجد النبات ، او الى المكان الذي يوجد فيه النبات ..

واستعمال التواجد لا يليق بالكتب ..

٣ ـ ص ٣٢ « ابن البيطاري » : ابن البيطار .

٤ ـ ص ٣٤ من الخطأ المطبعي اتتدع : ابتدع ، ص ٤٩ بحديد : تحديد ، وتنظر ص ٢٠٥ .

٥ ـ ص ٧٠ ان الاول معدا ومقررا الصحيح : معد ومقرر .

٦ ـ ص ٧٣ « هي .. لا تتطلب الوقت والجهد الكبيرين اللذان تتطلبهما الرسالة » الصحيح : اللذين .

كان هذا في كلامه على « الطريحة » ويا حبذا لو وضع مقابلها باللغة الانكليزية لنعرف قصده اكثر .

٧ ـ ص ٩ التذيل Footnotes

ص ١٢٧ التذييل // ، ص ١٣٥ التذييل التذييل او الحاشية ، التذييل ١٤٢ ـ الكلمة الانكليزية واحدة والمفروض ان يتوحد مقابلها باللغة العربية .

٩ ـ ص ١٧٩ « ارجو مراجعة بعض المراجع في علم المكتبات »

وفي الذيل : « للمؤلف مرجع جيد في علم المكتبات » وليس المفروض بالمؤلف ان يثني على كتابه ..

١٠ ـ ص ٢١٤ « ويستعملان ليضمان عبارات التفسير .. »

الصحيح : ليضما ، ومثلها في السطر الثامن من الصفحة نفسها .

(٢)

طرق البحث العلمي في التاريخ والاثار تأليف طه باقر والدكتور عبد العزيز حميد ، بغداد ، وزارة التعليم العالي مطابع مؤسسة دار الكتب في جامعة الموصل ١٤٠٠ـ١٩٨٠ ٢٠٣ ص

١ ـ طرق ، هكذا شاعت وانتشرت وفرضت نفسها وان كان الصحيح طرائق .

٢ ـ من الفوائد ص ٧ « تعني كلمة التاريخ العربية تحديد الزمن . من مادة « أرخ يؤرخ » التي ترجع في اصلها الى كلمة « ارخ » او « ورخ » التي تعني الشهر في اللغات العربية القديمة (السامية) .. وعرف الاله القمر في جنوبي الجزيرة العربية باسم « ورخ » ..»

٣ ـ ص ٢٩ « ان احدهم لو اتمن على بيت مال لكان به امينا » اؤتمن .

٤ ـ ص ٣٦ « الدنيوري في مصنفه الشهير الاخبار الطوال » : الصحيح الدينوري ، ولا بد من عزو ذلك الى الخطأ المطبعي .

٥ ـ ص ٣٧ « كلما كان الراوي شاهد عيان كلما كان اميل الى التصديق من غيره » ـ لا بد من حذف « كلما » الثانية في التعبير العربي السليم .

٦ ـ ص ٤٠ « كتاب السيوطي .. طبقات اللغويين والنحات »

أ ـ صحيح النحات : النحاة .

ب ـ اسم كتاب السيوطي : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة .

٧ ـ ص ٤٢ « في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ظهر ما يعرف في تاريخ اوربة باسم النهضة .. وقد بدات هذه النهضة في دويلات المدن الايطالية الشمالية الشهيرة مثل البندية وجنوا وغيرها » .

لا معدى من ذكر فلورنسة .

٨ ـ ص ٤٢ « فعمت في اوربة تلك الحركة المعروفة بمصطلح الانسانيات .. »

المشهور في اسمها : الحركة الانسانية. وكذا ترجمت وشاعت في العربية الحديثة .

٩ ـ ص ٤٢ ـ ٤٥ « فولتير .. كتابه عن تاريخ عرب المغرب المعنون Essai sur les Maeurs (١٧٥٦) الذي انصف العرب واشاد بفضلهم في نقل الحضارة الى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اوربة »

ليس لفولتير كتاب خاص بتاريخ المغرب . والعنوان الذي يذكره هنا ـ له ـ المؤلفان لا يوصل الى حكمهما ، لان ترجمته الحرفية : مقال في التقاليد الحرفية : مقال في التقاليد . ولا بأس في ان نتصرف في الترجمة فنقول : مقال في الحضارة . وليلاحظ ان العنوان الاصلي الكامل هو : « مقال في التقاليد وروح الشعوب واحداث التاريخ الرئيسة منذ شارلمان حتى لويس الثالث عشر »

الفه فولتير استجابة لطلب المركيزة شاتله التي قصدت الى دليل دائم لقراءة التاريخ الحديث من غير جهد فكان الطلب فرصة لفولتير يفسر فيها التاريخ في ضوء العقل الخالد ، ولم يقم التاريخ على مراحل سياسية ولم يمجد الحروب او الابطال ، قدر تمجيده الحضارة ، لانه كان يريد ان يري خلال الفوضى العامة حبا للنظام ينعش الجنس البشري ويؤدي في تدرج وبطء الى المعرفة العقلية الكاملة .

الاثر موجز .. وعني فيه ـ الى جوار ما عني ـ بتاريخ الشرق .

الخلاصة ان فولتير لم يؤلف كتابا خاصا عن تاريخ عرب المغرب ، وفرق بين Mœurs التي تعني التقاليد والعادات و Maures التي تعني المغاربة .

١٠ ـ من مصادر الكتاب العربية ص ١٩٨ « حسين محمد عبد الغني : علم التاريخ عند العرب (القاهرة ١٩٥٤) »

الصحيح : حسن ، محمد عبد الغني ..

١١ ـ الكتاب مقسم الى اربعة ابواب ، والابواب مقسمة كلها الى احد عشر فصلا .. متصلة التسلسل ١، ٢، ٣ .، ١١ على الرغم من اعتراض الابواب . والمناسب ـ بل الصحيح ، الواجب في كتاب يعلم طرائق البحث والتأليف ان يشمل الباب الواحد فصولا معينة ينتهي تسلسلها بانتهاء الباب . هكذا : الباب الاول ، الفصل الاول ، الثاني ، الباب الثاني ، الفصل الاول ، الثاني ، الثالث . الباب الثالث ، الفصل الاول ، الثاني . الباب الرابع ، الفصل الاول ، الثاني ، الثالث ، الرابع .

(٣)

مناهج البحث في الادب المقارن ـ شوقي السكري ص ١١ ـ ٤٠ من مجلة عالم الفكر (مجلة دورية تصدر كل ثلاثة اشهر عن وزارة الاعلام في الكويت) ، ١ كتوبر ، نوفمبر ديسمبر ، المجلد الحادي عشر ـ العدد الثالث (خاص بالأدب المقارن) ١٩٨٠

١ ـ ص ١٦ « اول من قسم الشعر الى انواع او اجناس هو المعلم الاول ارسطو .. وفي كتابه عن الشعر نجده يفرق بين الملحمة والتراجيديا »

لم يكن ارسطو اول من قسم الشعر الى انواع او اجناس ، لانه نشأ فوجد الشعر مقسما الى انواع او اجناس ، والمواطنون له يعرفون ذلك وراثة اجتماعية لان الانواع او الاجناس حقيقة قائمة في الحياة اليومية فهناك الملحمة وهناك التراجيديا .. فضلا عن القصيدة الغنائية والكوميديا . والشعر التعليمي

ومن يقرأ افلاطون ، يجد هذه الانواع او الاجناس ، مصطلحا قائما ما به حاجة الى تحديد او تعريف .

اما ارسطو ، او كتاب ارسطو فهو اقدم ما وصل الينا وفيه التفريق بين الانواع (الملحمة ، التراجيديا) على هذا الوجه من المنهجية والتوسع .. وفي هذا فضل الرجل . وقد تكون في الفروق وجهات نظر خاصة

لم يكن ارسطو ـ اذن ـ اول من قسم الشعر الى انواع . ولكن ..

٢ ـ ص ١٩ « سومرست موام » : سومرست موم

٣ ـ ص ٢٠ « والحركة الادبية ، التي تعتبر مدينة لعلم النفس بشكل مباشر صريح ، هي الحركة السريالية التي اسسها اندريه بريتون .. اثناء الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) بعد ان قابل فرويد في مدينة فينا » .

اما ان اندريه بريتون مؤسس السريالية فهذا هو المقبول ، ومعه اخرون . ولكن تاريخ (١٩١٤ ـ ١٩١٨) تاريخ مضلل هنا . وصحيح جدا انه تاريخ ما بين بدء الحرب وانتهائها . ولكنه ليس تاريخا للسريالية . ولا بد من الوقوف من تاريخ السريالية عند وجهين ، الاول الحركة الدادائية (حوالي سنة ١٩١٦) وابرز اسم يذكر فيها تريستان تزارا وقد انضم اليها اندريه بريتون ، ولم يكن مؤسسا .

اما السريالية فبدؤها بعد ذلك ، حوالي عام ١٩١٩، وقد حملت الاسم (السريالية) رسميا سنة ١٩٢٤ .. .

٤ ـ ص ٢٣ « وفي عصر النهضة الاوربية تم ايضا وضع الاساس لعلم البلاغة وتم تطويره الى علم النقد وخاصة على يد الناقد الفرنسي تين .. الذي اكد على اهمية الزمان والمكان والبيئة والناقد الفرنسي لانسون .. الذي اكد على اهمية النص ذاته . وقد شهد العصر الحالي تيارات نقدية تدفع بالقارىء بعيدا عن النص الادبي » .

معلوم ان عصر النهضة (في ايطاليا) في القرن الرابع عشر ، وفي فرنسا في السادس عشر .. وجاءت عبارات الكاتب وكأن تين ولانسون من ابناء عصر النهضة ، وذلك غير صحيح ، والمؤلف يعرف ذلك ، ولكن التعبير يوهم به ويمكن ان يقع في الخطأ القارىء « العادي » .

والا فان تين من القرن التاسع عشر (١٨٢٨ـ١٨٩٣)

ولانسون من القرن التاسع عشر ـ العشرين (١٨٥٧ ـ ١٩٣٤) .

هذا وقوله تين « الذي اكد على اهمية الزمان والمكان والبيئة » ملتبس ايضا لان المكان والبيئة متقاربان ان لم يكونا شيئا واحدا ولا سيما لدى الرجوع الى

المصطلح الفرنسي الذي نترجم عنه .
صحيح يؤكد على اهمية : يؤكد اهمية .
وصحيح الزمان والمكان والبيئة : الزمان والمكان (البيئة) والجنس (العنصر) ـ تنظر ص ٢٤ .
٥ ـ تتكرر ص ٢٥ وغيرها « ما ان حلت » « ما ان جاءت » بفتح همزة أن ، والصحيح كسرها .
٦ ـ ورد في البحث اسماء « كتب » مهمة في بابها ، ذكرها الكاتب في لغتها الام ، وقد يكون نافعا ان نشير الى ان بينها ما ترجم الى العربية ، ففي هذا ما ينفع القارىء العربي ، ومن ذلك :
الادب المقارن لفانتيم .
الادب المقارن لجويار ـ وقد قدم له كاره .
ازمة الضمير لبول هازار .
نظرية الادب لرينه ولك واوستن وارين .
٧ ـ ما اجدر ان يوسع الاستاذ الفاضل (شوقي السكري) بحثه ويحوله الى كتاب ليزداد نفعه ويسهل تناوله ، وتملأ ثغراته ويتوضح جوهر الادب المقارن .

(٤)

مع المذيعين في لغتهم

١ ـ في رابعه النهار : والصحيح في رائعة النهار .
٢ ـ اشغل فلان المنصب الفلاني اشغالا : والصواب شغل المنصب شغلا (بفتح الشين) .
٣ ـ يلفظون الفوى (بكسر القاف) والصحيح : ضمها (القوى) .
٤ ـ ويقولون حلقة (بفتح اللام) والصحيح : السكون (حلقة) .
٥ ـ ويقولون هراوة (بفتح الهاء) والصواب : هراوة (بكسرها) وكذلك جمعها هراوات (بكسر الهاء) .
٦ ـ ويقولون عمل بفتح الميم والصواب عمل بكسرها
٧ ـ ويقولون يحفل ، محفل بفتح الفاء والصواب : يحفل ، محفل بالكسر .
٨ ـ ويضطربون من عمد يعمد ، في حركة الميم في الماضي والمضارع ، والصواب : عمد ، بفتح الميم ، ويعمد المضارع بكسرها .
٩ ـ اما هرع فبضم الهاء وكسر الراء ، ويهرع بضم ياء المضارعة وفتح الراء ـ على ما لم يسم فاعله .
١٠ ـ ومنهم من يخطىء في لفظ ١٠٠ ، ٢٠٠ ، ٣٠٠ عندما يراها مكتوبة هكذا : مائة ، مائتين ، ثلاثمائة ، فيقول ماءة ، ماءتين ، ثلاثماءة . وقد يكون الانسب في هذه الحال ان نعدل من طريقة رسم الكلمات فنكتبها هكذا: مئة، مئتان ، ثلاثمئة (او ثلاث مئة) .

(٥)

الرواية الانجليزية المترجمة الى العربية ١٩٤٠ ـ ١٩٧٣ ـ الدكتورة انجيل بطرس سمعان استاذة بقسم اللغة الانكليزية ـ كلية الاداب ، جامعة القاهرة ، ص ٤١ ـ ٨٤

من مجلة عالم الفكر (دورية تصدر كل ثلاثة اشهر عن وزارة الاعلام في الكويت) اكتوبر ـ نوفمبر ـ ديسمبر المجلد الحادي عشر ـ العدد الثالث (خاص بالادب المقارن) ١٩٨٠

عملت الكاتبة قائمة ودراسة لما بين ١٨٨٠ ـ ١٩٢٥، وما بين ١٩٤٠ ـ ١٩٧٣ .
١ ـ العنوان غير دقيق ، لان الكاتبة اقتصرت على الترجمة في قطر عربي واحد هو مصر ، ولذا وجب ان يكون : « الرواية الانجليزية المترجمة الى العربية في مصر »
٢ ـ جاء ص ٤٧ « هيئة التاليف والترجمة والنشر » الصحيح : لجنة ..
٣ ـ وجاء ص ٤٧ ، ٤٨ « دار الكاتب العربي » ، الصحيح : دار الكاتب المصري .
٤ ـ ص ٤٨ « العالم الطريف الجديد » ترجمها الاستاذ محمود محمود في سنة ١٩٤٧ : الصحيح العالم الطريف فقط ترجمها الاستاذ محمود محمود ، ورد اسم الرواية صحيحا ص ٨١ ، وورد المترجم محمد محمود ، وصحيحه محمود محمود .
٥ ـ تحدثت عن روايات الهلال ص ٤٨ مثلا وكان المناسب أن تذكر ان « السائد » في ترجمات الهلال الاختصار ، وتضرب الامثلة (مغامرات مستر بيكويك ، اليفر تويست ..) .
٦ ـ ص ٥٦ « فيكتور هوجو وجان جاك روسو .. كانوا من اوائل من ترجم من الروائيين الفرنسيين الى العربية » .
أ ـ كانوا : كانا .
ب ـ ما الذي ترجم لجان جاك روسو ؟ انه روائي برواية واحدة هي « ايلوئيز الجديدة » فهل ترجمت هذه ؟ لا احسب ذلك ، لقد ترجم الزيات فصولا منها وفي زمن يعد متأخرا .
٧ ـ ص ٧٤ « سكوت ، والتر ـ الطلسم : لجنة التاليف والترجمة والنشر ١٩٣٨ » .
أ ـ لم تذكر الكاتبة اسم المترجم وهو « محمود محمود محمد خريج جامعة اكستر بانكلترا » .
ب ـ تاريخ مقدمة المترجم ١٩٣٧ ، وتاريخ المطبعة ١٩٣٨ ، وقد كانت الترجمة « العدد الثاني » من سلسلة « عيون الادب الغربي » ، وجاء اسم المؤلف « سير ولتر سكت » ووردت « تعريب » بدل ترجمة ـ تلك فوائد للقارىء والدراسة .
٨ ـ ص ٨١ « تس سليلة دريدفيل » من مؤلفات هاردي ، توماس ، ترجمة « فخري ابو السعود ، الالف كتاب ١٩٦١ » .
الحقيقة ان هذه طبعة ثانية ، وكانت الطبعة الاولى في سلسلة « عيون الادب الغربي » الصادرة عن لجنة التاليف والترجمة والنشر ، العدد الاول ١٩٣٨ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٩ ـ كان المناسب ان تبين الاستاذة الفاضلة طبيعة الترجمة في « روايات الجيب » وقد « اغرقنا » عمر عبد العزيز امين بها ، وكذلك الشأن في ضرورة بيان طبيعة الترجمة في سلسلة « اولادنا » التي تقوم ـ غالبا ـ على الاختصار والتبني اكثر مما تقوم على الامانة في الترجمة . اما ترجمات كامل كيلاني فهي ـ عادة ـ اعادة تأليف والملاحظ على « عيون الادب الغربي » غلبة ـ او طغيان ـ الانكليزية .

١٠ ـ نأمل ان تدرس ـ لنا ـ الاستاذة الفاضلة المرحلة التالية لعام ١٩٧٣ من ترجمة الرواية الانكليزية الى العربية في مصر . ويتولى اخرون دراسة الترجمة هذه في اقطار اخرى ولا سيما لبنان . وسيرى الدارس ان لبنان اعادت طبع كثير من روايات الهلال ، كما سيرى مترجمين وهميين ، واسماء لا تعرف اللغة التي تترجم عنها ، مع احترام خاص لمترجمين من طراز منير بعلبكي .. ولا شك في ان من « يفهرس » للرواية الفرنسية يلقى تعبا اكثر ويرى عجبا اكبر في لبنان .

ولا بد من معجم اخر للرواية الروسية المترجمة الى العربية ، ولن يعدم الدارس ان يرى مترجما الى العربية في لبنان لا يعرف لغة اجنبية .. ومع الروسية ترد الفهرسة للرواية السوفيتية .

لقد آن اوان هذه المعجمات خدمة للباحث ، واستدراكا للفائت واحتياطا للمستقبل .

ثم لم لا نفهرس (او نمعجم) للمسرحية المترجمة ؟!

ولي مشروع صغير يقوم على معجم لمجموعات من القصة القصيرة المترجمة .

يحسن نشر هذه المعجمات ـ اولا ـ في المجلات المتخصصة ليمكن سد ثغراتها والتنبيه على فواتها .

ثم تجمع هذه المعجمات الجزئية في معجم كلي .. يكون مرجعا امينا للدارس من كل نوع ، ودارس الادب المقارن على وجه الخصوص .

١١ ـ ص ٤٨، ٨٣ « طعام الالهة » .. في الترجمة العربية ، العنوان الكامل : « طعام الالهة وكيف جاء الى الارض » فمن اين جاءت هذه الزيادة ؟ ولماذا ؟

١٢ ـ هناك روايات مترجمة الى العربية (بمصر) لم تدخل في البحث ، وقع بيدي منها : في سلسلة روايات الجيب : « الشرك بقلم الكاتب الانجليزي روفاييل ساباتيني ، ترجمة عباس حافظ ، مطابع الاهرام ١٩٧٠ » ـ والا ، حسن التعليق بعد الذكر .

١٣ ـ ولاحظت ان الكاتبة الفاضلة لم ترجع ـ في مصادرها ـ الى كتاب « جامع التصانيف الحديثة » تأليف يوسف اليان سركيس الدمشقي ، القاهرة ، مكتبة يوسف اليان سركيس ، المطبعة العربية لصاحبها خيرالدين الزركلي ١٣٤٥ ـ ١٩٢٧ » في الجزء الاول مطبوعات ١٩٢٠ ـ ١٩٢٦ ـ ١٣٣٩ ـ ١٣٤٥ . ومما لاحظته فيه مما يدخل في موضوعنا :

روايات لم ترد على قلم الكاتبة الفاضلة ، وكان مناسبا ان ترد ، ولا بأس ، بعد ذلك ، بالتعليق المناسب ، ومن هذه :

أ ـ ابن الشيخ او غرام في الصحراء ، تعريب عمر عبد العزيز عن مؤلفه اديت مودهول ١٩٢٦ ص ٢٩٢ ـ ورد ذلك على ص ١٢٥ من جامع التصانيف .

ب ـ « ضحايا الكوكايين قصة مترجمة عن مؤلفة انكليزية بقلم محمود صادق سيف وسليم خوري صاحب مجلة الروايات المصورة ، ص ٢٦٤ » .

ج ـ « كنلورث تأليف ولتر سكوت تعريب عمر عبد العزيز امين مطر ، ١٩٢٦ » .

د ـ « المملوك المفقود ، قصة انكليزية تصف حالة مصر في اواخر القرن الثامن عشر ايام المماليك ترجمة احمد افندي ابو الخير ص ٤٤٤ » .

وورد في هذا الجزء (الاول) من جامع التصانيف ، بين المؤلفين اسم : شارلس جارفس . وكان من آثاره :

أ ـ « ازمرلدا ـ تأليف المستر شارلس جارفس ، تعريب محمد علي ، نشرت تباعا في جريدة الاهرام . مط. التقدم ١٩٢٦ ـ ١٣٤٥ ، ج ٢ » .

ب ـ « ملاكي الحارس او المصورة الحسناء تأليف المستر شارلس جارفس ، تعريب محمد علي ، مط. التقدم ١٩٢٦ ـ ص ٣٢٠ » .

ومما يلاحظ ان الكاتبة الفاضلة عرضت لاسم « جارفيس » ص ٢٦ وقالت في الحاشية « من المعروف ان له بعض الترجمات ولكن نظرا لتعذر التحقق من العناوين الانكليزية المترجمة فقد حذف من الببلوغرافيا ادناه » .

واقول ان هذا الحذف غير صحيح ، ويحسن ان يذكر ما ترجم له باسمه العربي الذي ورد عليه ليعلم القارىء بالترجمة اولا ، وليحاول ، من يقدر ايجاد الاصل ثانيا ، ولا يستحيل على الكاتبة الفاضلة العثور على الاصل ، ثالثا ، بالرجوع الى احداث القصة ، ولم يكن اسم ازمرلدا مما يصعب تحديد الرواية به .

وفي الجزء الاول من جامع التصانيف روايات وردت لدى المؤلفة الفاضلة ولكن « الجامع » يزيد فوائد جديرة بالذكر .. او المناقشة :

أ ـ ورد على ص ٦٤ من المقالة :

كوريللي ، ماري : « الانتقام العادل » محمد السباعي ١٩٠٩ .

وورد في الجزء الاول من جامع التصانيف :

« الانتقام العذب ، تأليف الكاتبة الانكليزية داري كورلي تعريب اسعد افندي خليل داغر »

ب ـ وورد على ص ٦٤ من المقالة :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ستيفنسون .. « جزيرة الكنز : رياض رزق الله واحمد صادق ١٩٢١ » ، وينظر هامش ص ٧٣ .

وورد في الجزء الاول من جامع التصانيف :

« جزيرة الكنز ، معربة عن الانكليزية بقلم رزق الله شمس واحمد صادق ، مط. الهلال ١٩٢١ ص ٢٠٤ » .

ج ـ وورد على ص ٦٤ من المقالة : « ديفو ، دانيال: روبنسون كروزو ، احمد علي عباس ١٩٢٣ » .

وورد في جامع التصانيف : « حياة روبنسن كروزي ومخاطراته ، ترجمة احمد علي عباس خريج جامعة اكسفرد ومدرس التربية بمدرسة دار العلوم بمصر ، مط. النهضة ، ١٣٣٤ ـ ١٩٢٣ ص ٣٤٠ »

وورد على ص ٦٤ من المقالة : « ديكنز ، تشارلز ، الثورة الفرنسية او قصة المدينتين ، محمد السباعي ١٩١٢ » وفي جامع التصانيف : « قصة المدينتين تأليف شارل ديكنز ترجمها محمد السباعي ، مط. التقدم ١٩٢٤ ، جزء ٢ ، ص ٤٠٠ و٣٦١ » .

ومما وجدت في الجزء الثاني من جامع التصانيف الحديثة : ص ٢٥ « الاميرة المصرية او فتح مصر القديمة ، ترجمها عن الانكليزية الاستاذ احمد فهمي ابو الخير . وهي تمثل دخول الفرس في مصر في عهد الملك ابسامتيك ـ اعيد طبعه في ص ٥١٠ » ـ وكان مناسبا ان تعرفنا الكاتبة الفاضلة مكان هذا الاثر من بحثها ـ سلبا او ايجابا .

١٣ ـ وعلى ذكر اسعد خليل داغر نرجع الى كتاب يوسف اسعد داغر : مصادر الدراسة الادبية، الجزء الثاني بيروت ١٩٥٦ فنجد له ترجمة وتعريفا بالاثار ص ٣٥١ ـ ٣٦٠ ويذكر له الرواية التي ذكرناها هكذا : « الانتقام العذب ، (تأليف الكاتب الانكليزي كورلي) ـ مصر ١٩٢٥، ص ٣٠٦ » ويذكر له مترجمات اخرى كان يمكن ان تفيد منها الاستاذة الكاتبة لو وقفت عليها . وفي اعلان عن هذه الرواية في كتاب من مطبوعات المكتبة العصرية ـ القاهرة انها « احسن رواية نقدمها لقراء مطبوعاتنا في شهر فبراير ١٩٢٥ ـ الاعلان في الجزء الاول من كتاب نقولا الحداد (علم الاجتماع) ، وصاحب المكتبة العصرية هو الياس انطون الياس .

لقد كان مناسبا ان تقف على هذا المصدر (اي كتاب يوسف ..) ففيه الكثير مما ترجم ، وبين هذا الكثير ما كان قصصا . ونذكر من اعلام الكتاب نقولا الياس الحداد ص ٣٠٤ ـ ٣٠٩ ، ثم تنظر الاجزاء الاخرى بعده . وفهارس « دار الكتب » المصرية ، وقوائم دور النشر والتوزيع ، والاتصال المباشر بمن هو حي من المترجمين والناشرين ..

١٤ ـ تجمع الكاتبة « حقبة » على حقبات (ص ٤٧ وغيرها) والقياس صحيح ، ولكن المستعمل « الحقب » « كعنب » .

١٥ ـ ومن الروايات التي لم ترد على قلم الكاتبة : « كفاح الاحرار للكاتب الارلندي ليام افلارتي ترجمها الاستاذ محمود مسعود ، وراجعها وقدم لها الدكتور عبد القادر القط ، نشرتها لجنة البيان العربي ١٩٥٦ سلسلة الـ ١٠٠٠ كتاب »

ايرجع السبب في الاهمال ايرلندية الكاتب ؟ كان مناسبا ان نعرف ذلك منذ المقدمة ، على اننا راينا الكاتبة الفاضلة تثبت ما ترجم لجولد سمث (قس ويكفيلد) وسويفت (رحلات جلفر) ، وقد ولد جولد سمث في بلاس من ايرلندة ١٧٢٨ وتوفي في لندن ١٧٧٤ ، من اصل ايرلندي . وولد سويفت في دبلن من ايرلنده سنة ١٦٦٧ وتوفي فيها سنة ١٧٧٤ ويوصف بالايرلندي .. اللهم الا ما كان من فارق زمني .. واوسكار وايلد الم يكن من مواليد دبلن ؟

ولمناسبة الايرلندية نذكر ان عملا لبرنارد شو ترجم الى العربية على انه قصة بعنوان « البربرية تبحث عن الله، القاهرة ، مطبعة الاعتماد ، ص ١٣٦ » . ولم يكن هذا العمل ـ في اصله ـ قصة وانما هو مقال مطول ـ ان شئت ـ ترجمة عنوانه : مغامرات زنجية شابة في البحث عن الله » (١٩٣٢) . ومن المناسب ان يبين من يبحث في الترجمة للقارىء العربي حقيقة هذا الكتاب . وترجم لبرنارد شو رواية قصيرة في سلسلة روايات عالمية غاب عني اسمها .

١٦ ـ ان جهد الاستاذة الفاضلة بين ، نافع ولكن القارىء ـ والباحث ـ يطمع بالزيادة غير مقدر للصعوبات الجمة التي تكتنف العمل . اما التعليق فهو اسهام بنية السعي نحو الاكمل خدمة للموضوع والقارىء . ولا شك في ان هناك ـ كما في اي موضوع ـ تعليقات اخرى لا يستغنى عنها . وهي مما يسوغ النشر في المجلات قبل ان يكون البحث « كتابا » .

١٧ ـ الاصل والنافع ، في معجمة الكتب الاحتفاظ بأكبر قدر من المعلومات التي تخدم الباحث من بعد ، وتجنبه صرف الوقت فيما يدخل في « مادية » الكتاب ، وقد راعت الباحثة ذلك ، ولكن المتابع يلاحظ تضحية ببعض المواد ، وفي مقدمة هذه المواد ما عرف « بالمراجع » يوضع اسمه على غلافي الكتاب (الرواية) الى جوار المترجم ، وفكرة « المراجع » في حقيقتها ، وكما يجب ان تكون فكرة سليمة لانها تجعل المترجم حذرا ، ولانها تستدرك على المترجم ما فاته . وهذه امثلة على روايات انكليزية مترجمة لم تذكر الباحثة لها اسم المراجع : بتلر ، طريق البشر ، مراجعة مصطفى حبيب . جرين ، الامريكي الهادىء ، مراجعة محمود ماجد . فورستر ، المنزل الريفي ، مراجعة فؤاد اندراوس . هاردي ، نافخ البوق ، مراجعة علي ادهم . وولف ، الامواج ، مراجعة احمد خاكي . اوستن ، اما ، مراجعة محمد سامي عاشور

اما دراسة « الرواية » فتقتضي دراسة « المراجعة » في خيرها وشرها .

يتضح هذا « التغصير » ـ من ابسط طريـــق ـ بالرجوع الى قائمة المطبوعات التي اصدرتها الهيئة المصرية سنة ١٩٧٤ ، ويمكن ان ينبه الرجوع الى هذه القائمة الى اسماء اخرى من الترجمات ، ومـــن ذلك : اوركزي ، سآخذ بثاري ، ترجمة غبريال وهبة ١٩٦٨ ، ٢٦٧ ص (روايات عالمية ـ ٤٩٢) ، وتستطيع الباحثة بما لديهـا من علم غزير بالادب الانكليزي ان تكتشف اسماء اخرى ، ولعلها تكتشف اسماء انكليزية وضعت خطأ مع الاسماء غير الانكليزية ، فقد وضعت القائمة ـ مثلا ـ فرنسيـــا (دوهاميل) مع الانكليز .. والعكس يمكن ان يقع .

١٨ ـ لدى مراجعة في كتاب « معجم المطبوعـات العربية والمعربة » وجدت ص ١١١٦ زيادة على المعلومات التي ذكرتها الباحثة ص ٦٤ عن رحلات جلفر ١٩٠٩ : « صبري (بك) عبد الفتاح المدرس العام للتعليم بمجلس مديرية الدقهلية .. ص ١٦٠ »

(٦)

الف ليلة وليلة في الغرب . تاليف د. محسن جاســـم الموسوي ، بغداد ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الجاحظ للنشر سلسلة الموسوعة الصغيرة ـ ٩٢ ، ص ١١٧ ، مايس ١٩٨١ .

١ ـ في العنوان ، اي في كلمة « الغرب » توسع ، لان البحث يقوم على انكلترة (في القرن الثامن عشر) .

٢ ـ يتكرر ـ مرارا ـ اسم اول مترجم لالف ليلة وليلة في الغرب (فرنسا) كالان Galland ولكن المؤلف يرسمه بالعربي كما لو كان اسما انكليزيا اي انه يلفظ الدال الاخيرة ويزيد على ذلك ياء بعد الكـــاف فيقول : كيلاند على حين صار لفظه الصحيح غير غريب على العرب ولا سيما بعد ان كتبت الدكتورة سهير القلماوي كتابها « الف ليلة وليلة » .

٣ ـ ص ٣٠ « اوائل الرومانسيين » ، الصحيح : الرومانتيكيون قبل الرومانتيكية ، او السابقـــون على الرومانتيكية ، او الرومانتيكيون قبل المصطلح ، لانهم في الحقيقة ليسوا رومانتيكيين .

٤ ـ ص ٣٨ « الثقاة » : الثقات .

٥ ـ ص ٥٣ اوفيد . كان يمكن رسمه (رســـم حروفه) بالعربية ، وهو معروف للقارىء العربي .

٦ ـ ص ٥٩ « لم يتغاظ » : لم يتغاض .

٧ ـ ص ٦١ « ان كتابه يؤشر شحة المعلومات » : يدل على ، او يشير الى ..

٨ ـ ص ٦٤ « كان جيمز دلاوي قس وطبيـــب السفارة البريطانية لدى البيت العالي : الصحيـــح .. الباب العالي .

٩ ـ ص ٧١ « حكاية اخ الحلاق الخامس » : حكاية اخي الحلاق الخامس . ثم اننا نرد الحلاق الى لفظهـــا الاصلي في الحكاية : مزين . مثلها ص ٤٠ حلاق بغداد : مزين بغداد والشائع المعروف في « الاربعين لصا » ص ٤٠، انهم « الاربعون حرامي » .

١٠ ـ ص ٧٣ « كان يشارد كاف .. مبينا » ان بعض اكثر الناس جدية ومعرفة ما زالوا يستعيدون بفرح الانطباع والاثر اللذين تركتهما قراءة هذه المجلـــدات ، ويحيل بالرقم (٥١) ، والاحالة طويلة ص ١٠٧ ـ ١٠٩ نقرا في اخرها بالانكليزية : انظر احمد حسن الزيات ، في اصول الادب (١٩٣٥) ٤٢/١ .

فلم لم تكتب هذه السطور من الاحالة باللغة العربية؟ ثم اهي من يشارد كاف ام من الدكتور الموسوي ؟

لنتذكر ان الكتاب ، كتاب الموسوي ، مشتق اصلا من رسالته للدكتوراه سنة ١٩٧٨ ، وقد كتبت بالانكليزية.

١١ ـ ص ٨٠ « التوسع الكولونيالي » .. وتكررت من قبل ، افما كان ممكنا القول : التوسع الاستعمـاري (وما اشبه) ؟

١٢ ـ ص ٨٧ « كلما . كلما .. » يكتفي بـ « كلما » الاولى .

١٣ ـ ص ١٧ « تخلى » كالان عن المقدمة التي تكررها دنيزاد على اختها تمهيدا لكل حكاية . « تخلى عن دنيزاد وشهرزاد » : صحيح دنيزاد : دنيازاد ولسنا مقيدين لدى الكتابة العربية باللفظ الاجنبي الذي يغير ويبدل (ويشوه) على حسب جهازه الصوتي .

١٤ ـ ص ٣٣ « أيكات ماء » صحيحها : بدلالـــة التعبير الفرنسي المرسوم ازاءها ، نافورة . نافورة .

١٥ ـ ص ٥٢ « حكايات الجني وموت Abel » كذا بقيت بالحرف الاجنبي ، والذي اعرفه ان الكلمة بالفرنسية تعني « هابيل » اخا قابيل ، ونقول ـ اذن ـ موت هابيل.

(٧)

مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ـ الجزء الرابع ، المجلد الخامس والخمسون ، ذو القعدة ١٤٠٠ ـ تشرين الاول ١٩٨٠

١ ـ في ـ ص ٨٠٢ « في شعر النابغة الذبياني بتحقيق الاستاذ محمد يحي زين الدين: اصدرت دار المعارف بمصر مؤخرا ديوان النابغة الذبياني بتحقيق الاستاذ محمد ابي الفضل ابراهيم .. اعتمد المحقق على عدة نسخ خطية ، منها بشرح الاعلم الشنتمـــري ورابعـــة بشرح ابي بكر البطليوسي واخرى بشرح ابن السكيت الا ان عمله هـذا لم يخل من بعض المآخذ والهنات . انه كثيرا ما يغفـــل الاشارة الى رواية الاصول او يتصرف فيها دون ما اشارة الى مصدر الرواية التي يأخذ بها . وقد يخطىء في نقـــل الروايات او عزوها او يأتي ببعض الاختلافات في روايـة بيت واحد ويذر بعضها الاخر .

وقد يغفل عن ذكر الرواية في بعض الابيات عـلى

مخالفتها لرواية الاصل . او انه يخطىء في قراءة النص او فيما ينقله من الشروح مما افسد الكلام واحاله ..

تضمن ذيل الديوان طائفة من الشعر المنسوب الى النابغة مما لم يرد في النسخ المعتمدة غير ان المحقق .. اثبت في هذا القسم عددا من الابيات التي وردت ضمن بعض قصائد الديوان ومقطعاته ، ووضع المحقق في هذا الذيل ابياتا ليست للنابغة منها ما هو للحطيئة ، ومنها ما هو للنابغة الجعدي او للسرادق السدوسي او محمود الوراق او الاعشي .. على حين غفل شعرا اخر للنابغة ورد في ايصادر نصا ولم يثبته في الذيل الذي عمله .. الى اخطاء في الفهارس

٢ ـ بحث الاستاذ محمد يحي زين الدين جاد ، يا حبذا لو جرى مثله ـ وامثاله ـ مع التحقيقات الاخرى، اذا لاضطر المحققون الى شيء من « الاخلاص » .

ب ـ لقد صدرت عشرات الدواوين والكتب (الضخمة) بتحقيق الاستاذ محمد ابي الفضل ابراهيم . ترى كيف حالها من الضبط وحاله من الاخلاص ؟

واذا كانت الاخطاء التي لاحظها الاستاذ زين الدين وحده استغرقت ما بين ص ٨٠٢ ـ ٨٣٣ ولا شك في ان هناك مجالا لملاحظات اخرى ، كل هذا والديوان ـ ديوان النابغة ـ صادر عن دار محترمة هي دار المعارف ومحقق على اصول مذكورة .. ترى ماذا كان يفعل الاستاذ محمد ابي الفضل ابراهيم عندما يحقق لدار « تجارية » دون ذكر للاصول او دون اعتماد للاصول !!

المسألة اخطر مما تبدو !

٣ ـ من فوائد الجزء الرابع من المجلة « ترجمة المتنبي في تاريخ ابن عساكر » وكان من مواد المقالة هذه النص الذي نقله الدكتور شاكر الفحام « كما جاء .. في كتاب ابن منظور الذي اختصر به تاريخ ابن عساكر » عن مخطوطة ابن منظور التي يحتفظ بها المجمع ، نقله وحققه.

٤ ـ ص ٩٠٦ « مطبوعات المجمع . صدر .. شعر ابي هلال العسكري من جمع وتحقيق الدكتور جورج قنازع وطبع باشراف الاستاذ قدري الحكيم » .

اقول سبق للدكتور محسن غياض (العراق) ان جمع شعر العسكري وقد نشرته له دار عويدات بيروت ١٩٧٥ .

وهذا مثل من كثير لازدواجية العمل (وربما ثلاثيته) وتضييع الجهود ، ودليل جديد على الحاجة الى التنسيق ونشر الخبر العلمي .

واعلن المجمع عن تعاقده على طبع « شعر ابن ميادة » واعلم انه جمع كذلك (ولم يطبع) في ليبيا .

(٨)

مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، الجزء الاول ، المجلد السادس والخمسون صفر ١٤٠١ ـ كانون الثاني ١٩٨١

١ ـ من بحوثه المهمة : قضايا حول الشعر العربي الاستاذ محمد عبد الغني حسن ص ١٠٥ ـ ١٢٧ ، منها ما يتعلق بالوزن ومنها ما يتصل بالنسبة .

أ ـ قال في مطلع كلامه : فصرنا كما قال شاعرنا القديم :

ولو كان هما واحدا لاحتملته ولكنه هم ، وثان ، وثالث

والاستاذ محمد عبد الغني حسن حجة في محفوظة وسعة علمه .. ولكني اروي البيت هكذا :

ولو كان سهما واحدا لاتقيته ولكنه سهم ، وثان ، وثالث

وتبقى نسبة البيت مجهولة .

ب ـ قال ص ١٢٠ « الصوفي الكبير سيدي احمد الرفاعي المغربي الاصل العراقي المولد المشهور صاحب الطريقة المعروفة بالاحمدية ، او البطائحية ، او الرفاعية والمتوفي سنة ٥٧٨ هـ .

وازيد ـ من باب الفائدة ـ العراقي المولد ، والمدفن، فله قبر يزار في بلدة اسمها الرفاعي .. (تابعة الى محافظة ذي قار) .

ولا بد من ان تكون البطائحية نسبة الى البطائح في جنوب العراق .. وربما كانت بلدة الرفاعي منها او قريبة منها ، لان البطائح كانت بين واسط والبصرة .. وبلدة الرفاعي قريبة من واسط

٢ ـ من فوائد الجزء : « التعريف والنقد : كتاب المدخل الى علم العدد وصنعه نيقوماخوس الجاراسيني ـ ترجمة ثابت بن قرة ـ تحقيق الاب ولهلم كوتش » بقلم الاستاذ عبد الكريم زهور عدي .

٣ ـ لدى تلخيص «وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة » ورد ان الاستاذ عبد السلام هارون قال ص ١٧٢ : « ان كلمة (ايوه) العامية لها جذر فصيح هو : اي والله » .

واحسب في الامر غير قليل من المبالغة. واذا صدقت بقية مبادىء اولية لي بالتركية قلت ان (ايوه) وهي مصرية جاءت عن التركية : ايفت (وقد تقلب الفاء واوا) ، ولا نكران للتغلغل التركي في مصر خلال تاريخ طويل ـ كما لا موجب للابتعاد وللايغال لدى التعليل والبحث عن الجذور .

(٩)

١ ـ الى الاستاذ عبد العليم القباني ـ تحية واحتراما وشكرا ـ وبعد

فقد جاء في « تحقيقات عرضية » عدد نوفمبر وديسمبر ١٩٨٠ « لم يكن طه حسين مديرا لجامعة الاسكندرية »

فتفضلتم بالتعقيب على ذلك في عدد مارس وابريل ١٩٨١ بما يفيد ويثبت انه ـ اي الدكتور طه حسين كان مديرا لجامعة الاسكندرية بين ٦ سبتمبر ١٩٤٢ واكتوبر ١٩٤٤ معتمدين في ذلك على ما ورد في تقويم جامعة فاروق الاول (الاسكندرية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولا اشك في ان صلتكم الوطيدة بجامعة الاسكندرية تجعلكم اهلا للتحقيق والتصحيح ولكن الذي اود ذكره (مستأنسا بالكتاب الذي اشرف على اعداده الدكتور عبد الرحمن بدوي : « الى طه حسين في عيد ميلاده السبعين » ١٩٦٢) ان الدكتور طه حسين كان في وظيفته الاصلية « مستشارا » في وزارة المعارف ومقره في القاهرة . وقد عين ـ وهو في هذه الوظيفة ـ مديرا لجامعة الاسكندرية .

والذي اعرفه ان المرء ـ عادة ـ لا يمكن ان يجمع وظيفتين يكون فيهما كلتيهما اصيلا في وقت واحد ، فاذا كانت الوظيفة الاصلية للدكتور طه حسين « مستشارا » فلا بد من ان يكون عمله في جامعة الاسكندرية اداريا فقط (وليس مديرا) او وكالة وليس اصالة .

هذا الذي فهمته ـ وافهمه ـ وما زلت آمل تبين وجه الصواب على الدقة .

لقد ادار الدكتور طه حسين جامعة الاسكندرية (فاروق) وما في ذلك شك ، واني لاعرفه جيدا .. ولكن هل كان مديرا بمعنى الكلمة ، وظيفته الاصلية : مدير جامعة فاروق الاول .. او كان مكلفا بالادارة « اضافة » و « زيادة » على عمله مستشارا بوزارة المعارف بالقاهرة ؟

واعرف ـ كذلك ـ ان مقر اقامته الدائم بقي في القاهرة .. ويروح ويغدو الى الاسكندرية على مقتضى العمل الاضافي .

وهذا نص كتاب « الى طه حسين في عيد ميلاده السبعين » ص ١٦ : « وعاد الوفد الى الحكم في فبراير سنة ١٩٤٢ فعينه نجيب الهلالي وزير المعارف مستشارا لوزارة المعارف ، ثم انتدب مديرا لجامعة الاسكندرية في اكتوبر سنة ١٩٤٢ ، واستمر في هذين المنصبين حتى ١٦ اكتوبر ١٩٤٤ »

والنص يقول : انتدب مديرا .. والمنتدب غير المدير .

وهذا ما ترويه سوزان طه حسين في كتابها « معك » الترجمة العربية ، دار المعارف ، ١٩٧٩ ص ١٣٦ ـ ١٤٢ « عين طه مراقبا عاما للثقافة .. اما طه فقد انصرف برغم مدافع العدو (الالماني) القريبة الى تأسيس جامعة الاسكندرية . وبعد ثلاثة أشهر سقطت وزارة النحاس ، ولم يعد طه مراقب ثقافة ولا رئيس جامعة الاسكندرية . وكان بوسعي ـ بمعنى ما ـ ان استمتع بذلك . فقد كانت مهمته في الوزارة اصلا . ولكن عندما افكر في انه كان يذهب الى الاسكندرية يومين في الاسبوع يقوم خلالهما بعمل ستة ايام والمكافأة الضئيلة التي كانت تدفع له والتي لم تكن تسمح له بالذهاب الى الفندق لقضاء الليل ، الامر الذي يضطره للنوم في الادارة المؤقتة للجامعة ، في غرفة صغيرة وضع فيها سريران حديديان من اسرة المستشفى ، وانه كان يأكل كيفما اتفق ، عندما افكر بكل ذلك اعايش الامر من جديد .. »

وما زال بالمسألة حاجة الى البت . اهو مدير . ام مؤسس . و « مأجور » لعمل اضافي ؟

٢ ـ **الى الاستاذ عبدالله كنون ـ** تحية واحتراما وشكرا ـ وبعد

فقد جاء في « تحقيقات عرضية » عدد نوفمبر وديسمبر ١٩٨٠ ما يأتي :

نظرة في منجد الاداب والعلوم ـ عبد الله كنون ..

١ ـ ص ١٣ « الاخطل . اهتم في نشر مخطوطاته الاب انطون صالحي : والصحيح اهتم بنشر ديوانه بالباء.

صحيح صالحي : صالحاني .

ونظرة سريعة الى هذه « التحقيقة » تبين ان التصحيح ، تصحيح كاتب التحقيقات العرضية ـ انما يقع على « صالحي » ولا يبعد ان يستنتج القارىء ان الخطأ فيه خطأ مطبعي .

وهذه النظرة السريعة يمكن ان تدله على ان يضع قوسين (هلالين) صغيرين بعد كلمة (بالباء) يسد بهما الهلالين الاولين ليحصر كلام الاستاذ مؤلف كتاب نظرة في منجد الاداب والعلوم ـ عبد الله كنون .

وينتهي حينئذ كل اشكال ، ويفهم ان التصحيح الاول هو تصحيح الاستاذ عبد الله كنون ، والتصحيح الثاني ـ وليكن مطبعيا ـ هو تصحيح ـ او تنبيه ـ كاتب التحقيقات العرضية .

المسألة اذا ـ مسالة سد القوس ، وتنتهي . هكذا فهمتها عندما وصل الي اديب نوفمبر وديسمبر ، وكنت اود لو اني فهمتها على غير ذاك ، اذا ، لكنت اسرع من الاستاذ عبد الله كنون الى التصحيح مع الاعتذار الشديد.

ثم

صدر عدد يناير ـ فبراير ١٩٨١ فكان في « بريده»: تصحيح غير وارد .

قرات ..

نظرة في منجد الاداب والعلوم ، عبد الله كنون ـ القاهرة ـ معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣ ١ ـ ص ١٣ الاخطل .. اهتم في نشر مخطوطاته الاب انطون صالحي : والصحيح اهتم بنشر ديوانه بالباء.

صحيح صالحي : صالحاني .

ونظرة سريعة الى الصورة التي رويتم بها خبر التحقيق توقع القارىء في اوهم ذلك انكم ـ في صورة روايتكم :

ا ـ لم تحتفظوا بصورة كاتب«التحقيقات العرضية»

ب ـ فلم تفتحوا قوسا تنصيصيا لكلامكم في منجد الاداب والعلوم فتقولوا كما قال كاتب التحقيقات العرضية:

١ ـ ص ١٣ « الاخطل ..

وحينئذ لا يتنبه القارىء الى ضرورة سد القوس .

إنها بانتظاري

فاجاوني بالقول جاءت اليا ... واتتني لتطمئن عليا
ويقولون انها بانتظاري ... تحمل الحب ، والوفاء النقيا
افحقا كلامهم ام خيال ؟ ... لم اصدق ـ وحقها ـ اذنيا
كان ليلي من قبلها سرمديا ... فاطلت عليه فجرا نديا
طرزته من حبها بخيوط ... جعلته معطرا ذهبيا
سكبت فيه لمحة من سناها ... فبدا مشرق الرؤى شاعريا
والتقينا ، فلفنا الصمت نستا ... هم منه في الحب لحنا شجيا
هل رايتم صمت المحبين ؟.. ... يبدو فيه سر الهوى الدفين جليا
فالكلام الذي تزاحم في صدر ... ي ليحكي لها الغرام العتيا
كل الفاظه لروعة مرآها ... تهاوت نشوى على شفتيا

بغداد ـ ص.ب ٢٢٠٣٨ — محمد جواد الضبان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ج ـ وضعتم كلام مؤلف « نظرة في منجد .. » مع كلام كاتب التحقيقات العرضية في سياق واحد وسطر واحد .

وهذا يزيد في اضطراب القارىء فلا يميز كلاما من كلام .

ومن ثم يكون مجال للقول بأن « التصحيح غير وارد لان الخطأ في كلام المنجد ، وقد صححته فلا داعي لتصحيحه من جديد ، بل ما يفهم من كلام الدكتور ان الخطأ من كلامي » .

واشهد بهذه المناسبة ان تصحيح « اهتم في » بـ « اهتم بـ » من تصحيح الاستاذ عبد الله كنون وان الخطأ ليس في كلامه وانما هو في كلام « المنجد » .

وعذرا لما كنت فيه ـ ولا اقول لما كان فيه سد القوس ـ من اسباب قلق الاستاذ الفاضل ، الباحث الكريم عبد الله كنون .

٣ ـ تهيىء هذه الفرصة لكاتب « تحقيقات عرضية » ان يزجي جزيل الشكر للافاضل الذين يرون اي خلل او خطأ او ابهام في تحقيقاته . ويتفضلون ـ خدمة للعلم والادب والحقيقة ـ بالتصحيح والتنبيه والتعليق .

الشكر على الملاحظات السابقة . الشكر على الملاحظات اللاحقة ، ولا ـ ولن ـ تؤدي التحقيات ما اريد لها ما لم تخضع للدرس ، فاذا مر خلل او خطأ أو ابهام ولم ينبه اليه من يقع عليه فان الاستهانة ـ ولا اقول الاثم ـ ترد الى مسؤوليته ـ وشكرا مرة اخرى . وشكرا خاصا مباشرا الى الاستاذ عبد العليم القباني على ملاحظة له سابقة ـ في اديب يناير ١٩٨٠ ـ بعد زيادة المعلومات عن ترجمة أديب اسحق لقصة الباريسية الحسناء تأليف الكونته داش » وهكذا يمكن ان تستكمل جوانب المعرفة المترامية .. وقد تعدت ملاحظات الاستاذ القباني حدود اديب اسحق بما ينفع ويفيد ويغني .

بغداد ـ الجادرية — علي جواد الطاهر



ايليا حليم حنا

كيف نفيد من تجاربنا ؟

بقلم ايليا حليم حنا

* * *

يحلو لي بين حين واخر ان ارجع الى مذكراتي ، استعرض ما مر بي من احداث وتصرفات من الناس ومني واحاول ان ازن الامور بعيدا عن الثورة والانفعال من خلال ما كتبته .

انها صفحات من كتاب حياتي استمرىء اعادة قراءتها ، واحس كلما عاودت قراءة هذه الصفحات كأنني انظر الى مرآة تنعكس عليها حياتي ودنياي ، او كأنني امر في حديقة زرع فيها النجاح والفشل ، الراحة والالم ، الهدوء والثورة ، وغيرها من اعشاب الحياة وزهورها متعددة الانواع والاشكال والالوان .

كثيرا ما اسير في حديقة ذكرياتي هذه بين احواضها وخطوطها وتحت الظلال التي تلقيها اشجارها واحس بما تجلبه نسائمها من اعماقي البعيدة والقريبة .

ودفتر مذكراتي هو متنفسي .. اسجل فيه كل تجاربي واصداءها في نفسي ، اصورها حارة نابضة بالحياة .. اصور فيه كل ما اهاج اعماقي واثار تفكيري ورايي الصريح في كل شيء ، ونقدي وتعليقي حسب وحي اللحظة واثر التجربة ، وانفعالي بها . صور قلمية حية نابضة لحياتي وللاحداث والناس ودنياي .. تجارب تتنفس وتنطق وتضحك وتبكي وتصرخ وتحب وتكره . كلما رجعت الى حديقة ذكرياتي هذه احس انني اعيش فيها بكل حواسي لانها قطعة من حياتي وتجاربي ، انها اعماقي وظروف حياتي . انها افكاري وتأملاتي . انها افراحي واحزاني ومتاعبي . انها مرآتي التي ارى فيها نفسي .. انها حياتي الخفية والظاهرة صورتها في كلمات صريحة نابضة . فيها الكثير من اسرار حياتي واسرار الناس . فيها افكاري التي لم افرض عليها رقابة . فيها صراحة لا يقبلها كثيرون . وكثيرا ما ترددت في ان اعري نفسي واعري اصدقائي واقاربي وانا اكتبها ، اشفاقا على نفسي وعلى احبائي . انها كل تجاربي رصدتها وهي حية تنبض في كياني .

عندما اقلب محتويات مستودع الذكريات هذا استعيد اياما واحداثا وآلاما وقلقا واحجاما وترويا واندفاعا وخوفا ، وجهلا بالناس ، ونقصا في الخبرة ، وعدم انتفاع بالفرص ، وظروفا كانت اقوى مني خضعت لها ولا مفر وانا آئن مغلوبا على امري ، وآمالا ولت ولم يتحقق منها شيء ، وصورا جميلة للحياة كانت تنسجها احلام اليقظة ، واحساسا حيا حارا نابضا لا غش فيه ولا تزويق .

كلما تسللت خلال حديقة ذكرياتي هذه جست خلال ذكريات يختلط فيها الرضا والغضب ، الذكاء والغباء ، الاستقرار والضياع ، امور صغيرة صعدتها او صعدها غيري تصعيدا مثيرا ، معالجات خاطئة متعجلة .. استجابات متناقضة ، زوابع ما كان يجب ان تثار ، مبالغة في احزان وافراح ، سوء فهم ، احكام فيها تحيز للنفس او لمن نحب ، مشاكل يولغ فيها وضاع منا الطريق لحلها حلا سليما .. نسيج عجيب . خيوطه متعددة الالوان والاشكال !!. ليس فيه شيء يبقى على حاله . مفاجآت ومباغتات وتقلبات ليست في الحسبان . مسكين الانسان، انه يسكن تحت سقف يخشى ان ينهار عليه في اي وقت !

اننا نواجه في كل لحظة من حياتنا مشاكل الحياة ومنغصاتها . وما احوجنا الى الدروس الحية المستفادة من تجاربنا والتي ترينا الطريق الى الحلول الصائبة والى العمل الاكثر اتقانا ، وتعيننا على حل مشاكلنا . لا قيمة لتجاربنا وكل ما انفقناه فيها من آلام وآمال وعرق ودموع وضيق وقلق وحيرة وجهد ومخاوف ان لم يكن لها اصداء في تعديل مسلكنا ونظرتنا الى الامور ، وغذاء لعقولنا ووجداننا ..

حرب بلا نهاية ، ولكن يخفف من ضراوة هذه الحرب ان نجدد حياتنا ونعمق فهمنا لدنيانا وللناس حولنا ، بهضم تجاربنا واستخلاص الجوهر الذي توحي به . وعندئذ نصل الى النضج والوعي والادراك السليم .

تجاربنا نقط ابتداء جاهزة ، لها اسس واقعية ،

ومشاعل تضيء لنا الطريق الى حياة افضل ، وفكر انضج، وتأمل واع وعواطف ارقى وتعطينا القدرة على مواجهة الحياة مواجهة صحيحة ، فالخبرات لن تكون لها فائدة الا اذا واجهنا انفسنا وادرنا عيوننا في المواقف السابقة .

التجارب تثري حياتنا وتعطينا ما نتفادى به الاخطاء والحماقات ، ولا يمكن ان ننضج حياتنا ونثريها الا اذا فكرنا فيها ، وحللناها اكثر مما نجملها ، او نتركها تمر دون تفكير ، لا بد من تنسيق عناصر التجربة الشخصية ، انه جوهري ان نستقرىء تجاربنا ثم نذهب ننشد ما نستطيع ان نفعله للتغلب على موقف او حل مشكلة ، او تكوين راي ، بغير هذا لا نستطيع ان نواجه الظروف مواجهة موضوعية .

واتساع افق النفس بالتجارب يؤدي الى القدرة على احتمال المتاعب ومعرفة السبيل الى التخلص منها او التغلب عليها . والقدرة على الاحتمال ـ كما يقول انورين بيفان ـ من طليعة الفضائل التي يتميز بها العقل المجرب المتحضر .

الحياة عملية هضم وتمثيل ، نمزج فيها بنفوسنا كل ما يدخل فيها ، والتجارب الانسانية الواعية تصقلنا وتساعد على تكوين ذاتنا الخاصة ، ونعمل على نضجها وتنميتها ، وتثري نظرتنا الى الناس والكون ، وتبعدنا عن التخبط والتلقائية ، وتجنبنا الاحكام المتسرعة ، والتعميمات المختلة ، وتمكننا من سرعة البت في الامور والوصول الى نتيجة افضل ، ومسلك اسلم ، وتجعل ارادتنا واعية خلاقة .

لا يمكن ان تنمو الحياة وتتقدم اذا اغفلنا تجاربنا . وخسارة كبيرة الا يضع الكبار تجاربهم امام نظر الشباب، لتعينهم كأساس صحيح سليم في امور حياتهم ، تكون زادا وركيزة لهم في العبور بين الحلم والواقع ، بين النظريات والتطبيق .. (خبرة ستين عاما في حياة العاملين في كل نواحي الحياة اين تذهب بعد ان يحالوا على المعاش؟ من المؤسف ان تضيع خبرة ستين عاما او اكثر ولا يفيد منها الناس ، فالى ابن الستين اقول : لقد امضيت ستين عاما اكتسبت فيها كثيرا من الخبرات ، ومن الخطأ ان تعتقد انه لا عمل لك بعد الستين ، اننا في اشد الحاجة اليك في مثل هذه السن .. لم لا تكتب خبراتك في الحياة؟ لم لا تكتب عن خبرتك في حياتك العملية ، وحياتك الزوجية ، وفي تربية الاطفال ، وفي معاملة الناس و ..؟

انه من السهل عليك ان تقدم لنا هذه الخبرة فانها تعيش في اعصابك وعقلك وعواطفك ، ولا يهم ان تكون مالكا لناصية اللغة لتكتب هذه الخبرات القيمة .. ان دور النشر يمكنها ان تقدم انتاجك هذا الى من يضعه في القالب اللغوي الصحيح .

لا تعش في فراغ ، ولا تضيع ايامك الباقية سدى ، ولا تقبر خبرتك .. ارشدنا فنحن في حاجة الى تجاربك في الحياة لتضيء لنا الطريق . اكتبها لنا وستجد انك تستمتع بالوقت وانه ما زالت لك اهميتك في الحياة . لا تقل انها خبرات عادية لا تستحق التسجيل ، انها عادية بالنسبة لك لانك عشتها ولكنها مجهولة تماما لمن لم يمر بها . حرام ان يذهب معك هذا الكنز الثمين من التجارب ويقبر دون ان يفيد منه الذين يقفون في اول الطريق ليقطعوا نفس الرحلة التي قطعتها انت ، وفضلا عن ذلك فأنت ستقضي بهذا النشاط على الضجر الذي يستولي عليك عندما لا تجد ما تملأ به ايامك ولياليك .. قدم لمواطنيك خبرتك وانر لهم السبيل وعش .) *

خبراتنا وخبرات الغير تمكننا من ان نلتحم بالحياة ونمشي بثقة في رحابها الواسعة نحمل مشاعل تضيء لنا الطريق وترينا ما يمكن ان نعمله ومعنا زاد لا غش فيه بعيد عن الخيال والتوقعات التي لا اساس لها .. الشخص الذي لا يأخذ من تجارب الحياة وخبرات الاخرين ، يقف جامدا او عند حد لا يتعداه ، يأتي عليه وقت يجف فيه ولا يجد عنده شيئا يثري حياته او ينميها .. ترقى حياتنا وتعظم بقدر ما ترتبط بتجاربنا الناضجة .. بدون المعرفة الموضوعية يتيه الانسان في متاهات الحياة ويخطىء .

انني كثيرا ما اعود الى دفتر مذكراتي استعيد ذكرياتي واتأمل تصرفاتي واحلل تجاربي ، واستقرىء ما حدث لي في حياتي واتأمل في مسلك لي ونتائجه ، واعرف ما كان يجب ان يعمل وما كان يجب الا يعمل . من الحكمة ان ننظر الى ماضينا على انه درس نعرف منه اخطاءنا ثم نركز اهتمامنا في الحاضر لنستغل فيه تجربة الماضي .. لا بد من استعادة احداث حياتنا اولا بأول ومراجعتها في لحظات نسترخي فيها ونتأمل بهدوء بعد ان تكون العاصفة قد مرت وخف صخب العاطفة حتى نرى الاحداث على حقيقتها على ضوء النتيجة التي وضحت لنا . وبهذا نستخلص النتائج والعبر ونرى كل شيء بمنظار الواقعية التي تفيدنا في حياتنا ويكون حكمنا على الامور اقرب الى الحقيقة ، وبهذا نكتسب القدرة على مواجهة الحياة مواجهة صحيحة ونتخلص من نظراتنا وتصرفاتنا الانفعالية غير الموضوعية التي تسيطر على سلوكنا الفكري والوجداني وتقودنا الى الخطأ .. الحياة الناضجة هي محصلة تجارب واعية تقرها عقولنا قبل ان تقرها غرائزنا ، ولا يصنع الحياة الناضجة الا اعادة النظر في جوانب حياتنا المختلفة، اعادة بناء عاداتنا وفكرنا وسلوكنا وتصوراتنا واذواقنا ، وقيمنا ، على ضوء تجاربنا الواعية والخبرات الناضجة صانعة القيم الطيبة والنهايات العظيمة. التجارب المصقولة تعين على اكتساب مهارات جديدة وتنمية الشخصية المتكاملة وفهم طبيعة العالم وطبيعة الناس .

لا قيمة لتجاربنا ان لم نراجعها ونحللها ونستلخص الجوهر الذي يوحي به التأمل والتحليل . لا يمكن تجديد حياة الواقع والتطابق مع الحقيقة الانسانية الا اذا حللنا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لزوم ما يلزم

كان الشاعر يقضي ـ وعلى مدى عشرين عاما ـ ايام الصيف بين نبع بقين ، والجرجانية ، وبلدة مصايا ، والزبداني وبلودان .. بصحبة عائشة اللحام ـ ام فداء ـ ام اولاده .. وبعد مرور « سنة » على وفاتها ، وكانت قد وقعت اوائل خريف ١٩٨٠ م تذكر الشاعر ـ وهو في دمشق ـ اماكن المصيف .. فكانت هذه القطعة المؤسية وقد التزم فيها الشاعر اسم « عائشة » في القافية فكرره في اكثر الابيات ..

من سفح « بقين » اتتني نسمة ... فيها رؤى .. من ذكريات جائشه
قالت / وقد غصت بها حنجرتي ... ـ جاء الخريف .. لم تزرني عائشه
جاوبتها ودمع عيني جرى ... قد داهمت عشي رياح طائشه
يا نسمة الصيف ب بقين .. الم ... تخبرك اشعاري .. بفقدي عائشه؟
قد حرم الصيف علي بعدها ... فحدثي يا نسم عني .. عائشه
باتني .. والحزن يجري في دمي ... ابكي على (بقين) كرمى عائشه
فادمعي دفاقة كنبعها ... وغنوتي بـ آآه اسست عائشه
ولم تعد ترتاد قلبي فرحة ... وفرحتي بالامس .. كانت عائشه
يا لوعة .. اشربتها قاسية ... قد صيرتني عاشريا .. عائشه
في البيد .. امضي سائبا لا ارتوي ... من لفحها الجمري .. عقبى عائشه
في الرمل ، في الكثبان يطو رسمها ... في النجم .. في الارياح تبدو عائشه
من زرقة الآفاق .. من عمق المدى ... ياتي الى ـ منفاي ، طيف عائشه
يا نسمة النبع التي هلت .. الا ... يكفيك اني قد فقدت عائشه
قولي لـ بقين التي تشتاقنا ... عاد الخريف .. لم تزرنا عائشه
اما فتاها في دمشق جرحه ... لما تزل تدميه ريح طائشه
يبكي على رحيلها كما النسا ... وتعتريه .. الذكريات الجائشه

دمشق

اسماعيل عامود

تجاربنا ونظرنا الى مسلكنا من مختلف الزوايا وتصرفنا بمقتضى النتائج التي نصل اليها . بهذا نستطيع ان نصوغ اساليب جديدة للحياة ونصل الى النضج والوعي والقدرة على فهم الناس ودنيانا بشكل اعمق واصدق وافضل .

الانسان الذي يستطيع ان يرى الهوة بين ما هو كائن وما يجب ان يكون يعمل بتمييز افضل والذي تسوقه غرائزه وعاطفته الهوجاء ويتشبث بعاداته الثابتة المعوقة، يتصرف بغير تمييز وبغير تفكير . يقول (توماس بين) ما اعجز الانسان ان لم يستطع ان يرفع من قيمة نفسه .. وما اتفه العقل اذا شل وظيفته بموروثات تنقصها الحقائق الساطعة .. ولم يستفد من التجارب الناضجة .

* من كلمة نشرت لي بجريدة الجمهورية المصرية بتاريخ ٢٥ـ٢ـ٦٨

القاهرة

ايليا حليم حنا

إبراهيم ناجي بين ناقدين

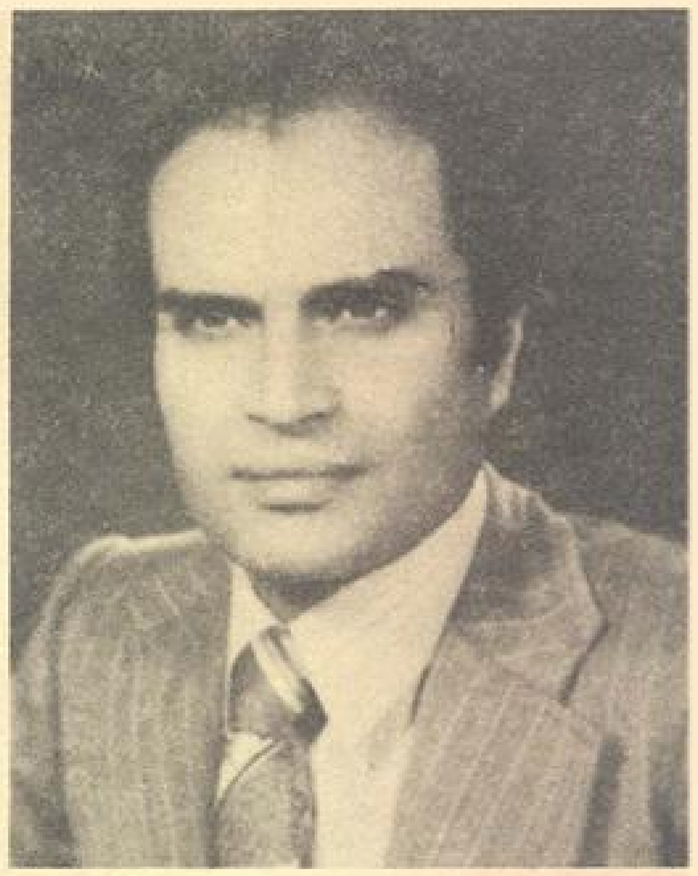
بقلم الدكتور متولي محمد البساطي
مدرس الادب والنقد بكلية اللغة العربية بالمنصورة

* * *

طه حسين ومحمد مندور علمان من اعلام النقد العربي الحديث ، وقد كان لهما دور رائد في توجيه حركة النقد، وارساء دعائمه ، ونقدهما للشاعر ابراهيم ناجي يحتاج الى وقفة ، لانك تجد في نقدهما له اختلافا بعيدا في الرأي، فأحدهما قد هوى به الى الحضيض ، وثانيهما قد رفعه الى الاوج .

ومناسبة حديث طه حسين عن ناجي صدور ديوانه الاول « وراء الغمام » سنة ١٩٣٤ ، الذي جاء ضمن سلسلة مقالاته « حديث الاربعاء » (١) .

ويبدا طه حسين نقده بثناء شهد فيه لناجي بانه من العلماء « الذين اغراهم العلم بالادب ، فأقبلوا عليه وزاحموا فيه اصحابه الذين انفقوا فيه حياتهم ، ووقفوا عليه جهودهم . زاحموهم مزاحمة الموفق المنتصر الذي لم يظفر من النجح بحظ قليل » .



متولي محمد البساطي

ثم اهدى الى الشاعر الطبيب اجمل التحية واحسن الثناء لبلائه الحسن الذي ابلاه في خدمة آلهة الشعر في وقت قل فيه الخدام المخلصون لهؤلاء الالهة . « وانما هو فوق هذا كله موفق الى حد بعيد فيما حاول من ارضاء الشعر واصحابه ، موفق فيما قصد اليه من المعاني، موفق فيما اصطنع من الالفاظ ، وموفق فيما اتخذ من الاساليب » . وجريا على عادته يخرج من الاجمال الى التفصيل اذ يقول :

« فمعانيه جيدة تصل احيانا الى الروعة ، وان كانت تنتهي الى الابتذال ، والفاظه جيدة قد يعظم حظها من المتانة والرصانة ، وقد تكره اذن السامع على الالتفات والاعجاب والشعور بهذه اللذة الموسيقية التي يشعر بها الناس احيانا بآذانهم ، وان لم تصل الى عقولهم ، واساليبه جيدة ايضا عظيمة الحظ من الصفاء، لا يفسدها العوج ولا يفسدها الالتواء في كثير من الاحيان . وان كنا سنقف مع الشاعر وقفات عند الفاظ لا تخلو من خطأ ، واساليب تبرأ من عوج ، ومعان لعلها تبعد عن الصواب . ولكن الذي يطالب الشاعر بالاجادة المطلقة في الالفاظ والمعاني والاساليب يكلفه شيئا عسيرا لا يحتاج الا لجماعة معدودين من الشعراء الذين ميزهم النبوغ وسما بهم الى حيث لا يكاد يرقى اليهم النقد الا في مشقة وجهد وعسر شديد » .

وفي ظني ان الاجادة المطلقة لا تتوفر لاي شاعر او اديب حتى لو كان نابغة ـ كما يقول طه حسين ـ .

ويحكم للشاعر بالنبوغ لانه صار قريبا منها ، وهو يختلف عن باقي الادباء اختلافا في الدرجة ، حيث لا يسلم احد من اخطاء او هنات ، كما انه لا يوجد شاعر او اديب لا يكاد يرقى اليه النقد الا اذا فهم النقد على انه التعرف على العيوب والاخطاء والحرص على اذاعتها ، اما اذا فهم على انه البحث عن جوانب النضج الفني في النتاج الادبي عن طريق الشرح والتعليل ثم الحكم عليها بعد ذلك فان النابغين من الشعراء هم في مقدمة من يرقون الى النقد . ثم ينفي عن ناجي النبوغ او انه عظيم الحظ من الامتياز فيقول : « انما هو شاعر مجيد تألفه النفس ، ويصبو اليه القلب ، ويأنس اليه قارئه احيانا ، ويطرب له سامعه دائما » ، ولكنه على الرغم من هذا كله ـ عند طه حسين ـ اذا نظر اليه نظرة الناقد المحلل لم يكد يثبت او يصبر على النقد ، ويفر عنه الجمال الفني .

والحكم السابق لا يستقيم مع ما سبق من ثناء وشهادة بالشاعرية والظفر في ميدان الشعر بحظ من النجح غير قليل ومع ما وصف به شعره من جودة المعاني والالفاظ والاساليب وكأنه يتطلب منه الاجادة المطلقة . بل اننا نقع في حيرة من امرنا امام احكام طه حسين ، فكيف يكون الشاعر مجيدا تألفه النفس ، ويصبو اليه القلب ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويأنس اليه قارئه ، ويطرب له سامعه ثم لا يثبت على نقد، ويفر عنه الجمال الفني . ان حسب اي شاعر ان يصل الى هذه الدرجة ، وما الذي يتطلبه الناقد من الشاعر بعد ذلك خاصة اذا كانت مهمة الناقد مهمة مزدوجة ، لانه يقوم بدور المرشد للاديب والمتلقي معا ، كما ان ناجي لم يكن يطلب منه ان يصفه بالنبوغ ، وانما ينتظر منه الحكم المنصف بعد التحليل والتعليل . فأي ظلم اوقعه الناقد بالاديب !!

وفي فقرة اخرى ندرك كأن طه حسين يتطلب من ناجي ان يكون ضد طبعه حيث يذكر انه من الشعراء الذين يحسن ان يقراوا في رفق ، لانه فطر على رقة لا تحتمل العنف وشدة الضغط « هو شاعر هين ، لين ، رقيق ، حلو الصوت ، عذب النفس ، خفيف الروح ، قوي الجناح، ولكن الى حد » ثم يأخذ على عادته في تفصيل ما تقدم بعبارات فيها ايلام ووخز ، وكان قصاراه ان يكتفي بما تقدم ولكنه يأبى الا ان يستعرض قدرته في الوصف والتصوير باسهاب وينبه بعد هذا الى ان في شعره هنات وانه لم يعرف شعرا « اشد حاجة الى ان يبرأ من العيب من هذا الشعر الوادع الذي يمتاز بالرقة والرفق ، والذي يتحدث الى النفوس المحزونة والقلوب المكلومة، والضمائر التي تريد ان تستريح » .

لقد كان ناجي حييا ذا حساسية مفرطة ، مرت حياته بمنعطفات حادة كان لها اثرها على نفسه ، فطبع شعره بالرقة والحزن في غالبيته ، وجاء شعره متفقا مع هذه الطبيعة ، وهو ليس مطالبا بأن يقول في كل الاغراض والمعاني ، وانما حسبه ان يجيد في جانب حلبما اوحت اليه طبيعته وملابسات حياته .

ويسم طه حسين شعر ناجي بالتكلف، والحرص على اقامة الوزن واقرار القافية ، وعلى مجاراة جماعة من الشعراء والمفكرين ، ويذكر ان ما تقدم هو اول العيوب مما يوحي بأن هناك عيوبا اخرى وراء ذلك وان لم يذكرها (٢) .

ثم يتناول بالتطبيق قصيدته « قلب راقصة »

وعنده ان الشاعر نظم هذه القصيدة مجاراة للشعراء والمفكرين الذين تناولوا هذا الموضوع « لم ينظمها الا ليقال انه نظمها في هذا الموضوع او ذاك » ، والقصيدة ليست شيئا فليس فيها جديد ما ، وانما هي كلام مألوف قد شبع الناس منه حتى كاد يدركهم الملل ، ويعرض لستة ابيات من بدايتها ليؤكد قوله السابق وهي :

امسيت اشكو الضيق والاينا	مستغرقا في الفكر والسأم
فمضيت لا ادري الى اين	ومشيت حيث تجرني قدمي
فرايت فيما ابصرت عيني	ملهى اعد ليبهج الناسا
يجلون فيه فرائح الحسن	ويباع فيه اللهو اجناسا
بغرائب الالوان مزدهر	وتراه بالاضواء مفمورا
فقصدته عجلا ولي بصر	شبه الفراشة يعشق النورا

ويأخذ عليه قوله في البيت الاول : « مستغرقا في الفكر والسأم » حيث ان المعنى لا يستقيم للشاعر المجيد هكذا ، « فالمفكر لا يسأم والسئم لا يفكر » ، والصورة في البيت الثاني لا تلائم شعرا ولا تلائم لغة « فالقدم لا تجر صاحبها ، وانما تحمله » ، والشطر الثاني من البيت الثالث كله لا معنى له ، فهو جاء ليقيم الوزن والقافية .

« وامعن في قراءة القصيدة فتنتقل من كلام مألوف الى كلام مألوف ، وستمر بضعف لتتجاوزه الى ضعف آخر » . ويستمر في عرضه لاخطائه النحوية في القصيدة لينتقل الى بعض المعاني الاخرى التي وردت في قصائد غير هذه القصيدة معيبا على الشاعر ومقبحا له في قوله ، ويختم حديثه ونقده بأنه لم يفهم عنوان الديوان ! قائلا : « واخشى ان يكون العنوان متكلفا ، كما ان كثيرا من المعاني والالفاظ والقوافي متكلف ايضا » .

اما محمد مندور فقد عرض لشعر ناجي عند حديثه عن جماعة ابوللو لان الشاعر احد اعضائها (٣) . ويبدأ حديثه عن ناجي ذاكرا انه كان اشد تأثيرا في الشبان من رائد الجماعة احمد زكي ابو شادي ، لانه جارى طبعه وغذاه بمطالعاته في الاداب الغربية فتميز بالطابع الوجداني وبالحب المثالي واشواق الروح ، ثم تحدث عن حياته لينتقل من ذلك الى الحديث عن شعره ودواوينه .

فشعر ناجي يدور حول الحب وتباريحه والاشواق اليه ، ومع ذلك لا نمل حديثه ، لان الشاعر كالنحلة التي تطير من زهرة الى زهرة ، وتأتينا من كل زهرة بعطرها الخالص . ويركز نقده حول طبيعة ناجي ، ولذا جاء نقده منصفا بعيدا عن التحامل ، ويعرض قصيدته « العودة » ويحسبها من روائع النغم في الشعر العربي الحديث ، وهي « تقطع بأن الدعوة الى التجديد كانت قد نضجت واستقام فهمها ، وذلك لان القصيدة تندرج تحت فن عربي قديم رائع هو فن بكاء الديار . ومع ذلك اي جدة في هذه القصيدة واي اصالة واي جمال في هذا التصوير البياني الرائع الذي جسم المعنويات اروع تجسيم واقواه » ، ومضى مندور يستعرض بعض تلك الصور .

ويصاب المرء بالدهشة والاستغراب عندما يقرأ نقد الاول فيجد فيه ازراء وتهجينا ، وكأنك بازاء انسان لا يحسن قول شيء ، وتقرأ نقد الثاني فتجد شيئا اخر تماما ، اذ يشهد له بالاصالة والابتكار والبراعة .

وجاء نقد مندور هادئا مركزا فيه تحليل وتعليل وان عنف الى حد ما في رده على طه حسين حيث يذكر بانه على الرغم من انه من كبار الادباء لكنه لم يستطع ان يتحرر من معاجم اللغة ودلالاتها المتحجرة ، وهو في نقده يجري على منطق الفقهاء ، « وهو ابعد ما يكون عن الفهم الدقيق

يا ريف

★

يا ريف انقذتني من ضنك حاضرة ... ومن ضجيج بها يطفى على الفكر
فالله في قريتي لا غيره ابدا ... انا اسبح والعصفور في الشجر

* * *

البدر في الليل يلقاني بمفرده ... والشمس في الصبح تهفولي ببسمتها
هذي الطبيعة تصفو لي بهداتها ... كانما لي واحدي حلو بهجتها

السعودية — علي دمر

لحقائق النفس البشرية » وقد جاء رده فيه انصاف للشاعر وللغة الشعر .

ولننظر اليه وهو يرد على بعض ما اثاره طه حسين في نقده السابق :

ـ « فالسأم كما يكون نتيجة لفراغ النفس من كل فكر واحساس قد يكون ايضا من اطالة التفكير واجتراره، بل قد يكون منصبا على السأم نفسه . كما ان التعبير بالقدم التي تجر صاحبها تعبير رائع ودقيق لانه يوحي بالحالة النفسية التي كانت مسيطرة على الشاعر اكبر الايحاء ، فهو لا يسير عن قصد وارادة وهدف ، بل يتحرك في شبه آلية ، وعندئذ تجره قدمه لا العكس » .

ويخرج مندور من ذلك الى ان موضوع الغرام او الشوق اليه او الاحتراق بلواعجه لم يكن ولن يكون وقفا على ناجي ، ولكن ميزة ناجي انه استطاع ان يستخرج من هذه المشاعر العامة الدارجة فنا رفيعا ، وان يواتيه في هذا الفن طبع اثيري خفيف بل ساذج احيانا سذاجة حلوة تشرق من خلال تعابيره المصورة اشراقة نضرة كوجه الطفل . ثم يعرض لابيات تصور ذلك من قصيدة «الوداع»

ويختم بملاحظة وردت للسيدة نعمت فؤاد في كتابها عن ناجي تعيب فيها قوله : « واذا الفجر مطل كالحريق » قائلة بان الفجر لا يمكن ان يشبه الحريق وهو بطبيعته ندي ورطب . ويرد عليها بان الشاعر لا يقصد الفجر الذي تعرفه ، وانما يتحدث عن الفجر الذي وضع حدا لليل الجميل الذي يضمه هو وحبيبته ، فراى في ضوء الفجر حريقا يوشك ان يلتهم لحظات السعادة التي كان ينعم بها في ظلال الليل ، « وهذا التعبير وحده يعدل ديوانا من الشعر التقريري الدارج » .

★ ★ ★

ان نقد مندور فيه انصاف وحيدة ، وسوق الاحكام مبررة تبريرا فنيا ، بعيد عن الاهواء ، ولذا جاء موضوعيا مركزا ، نستطيع من خلاله ان نتعرف على شخصية الشاعر من خلال شعره ، بل انه القى بعض الاضواء على اسلوب ناجي في فن التعبير مما يساعد على تفهمه والاقبال عليه، وان جاء نقده خاليا من ذكر اي مأخذ ، ولو ذكره لما انتقص من قدره في شيء ، وكاننا نرى ناجي يحلق مرتفعا في سماء النقد عند مندور .

اما طه حسين فقد تحامل عليه في قسوة ، وجاءت احكامه عامة ، وحتى عندما اثنى عليه فاننا نشعر انه اشبه بالصقر الجارح الذي اخذ الفريسة بين مخالبه ، وحلق بها عاليا ، ثم تركها تهوي بين القمم لتسقط اشلاء متناثرة . ولعلها كانت احدى بدوات طه حسين في زمن كانت الحدة هي طابع كل شيء فيه .

١ ـ انظر حديث الاربعاء للدكتور طه حسين ج ٣ ص ١٥٠ ـ الطبعة العاشرة ـ دار المعارف بمصر .

٢ ـ المرجع السابق ص ١٥٢ .

٣ ـ انظر : الشعر المصري بعد شوقي الحلقة الثانية للدكتور محمد مندور ص ٨١ ـ دار نهضة مصر .

المنصورة ـ مصر — متولي محمد البساطي

الشاعر الياس قنصل
بين الذكرى والنسيان

١٩١٤ – ١٩٨١

بقلم : الدكتور محسن جمال الدين

* * *

لا ادري كيف عنّ بخاطري منذ سنوات قريبة العهد ، ان اكتب كلمة عن حالة ادب المهجر ، الذي عشقته ، وحفظته ، واقتنيت بعض ما نشر عنه وله من دراسات وابحاث ومقالات ومؤلفات . وراسلت نخبة من رجاله الذين احببتهم ، وقدرت ادبهم ، واكبرت حياتهم ، وعظمت جهادهم ، في سبيل اللقمة ، والكلمة ، وفي سبيل الحرية والانعتاق . ودامت بيني وبين من راسلتهم وراسلوني صلة المودة ، وروح الاخاء على تباعد المسافات ، وصعوبة الظروف ، ومشاكل الحياة .

كانت تلك المقالة الصغيرة بعنوان (الادب المهجري) بين ما ضيه وحاضره ، قد نشرت في (الاديب) لشهر نوفمبر سنة ١٩٧٣ . واصبحت باعثا لفاتحة مراسلات بيني وبين الاستاذ الشاعر الملهم المرحوم الياس قنصل . الذي كرمني بلطفه وقرأ كلمتي المنشورة في ندوته ، مع نخبة من اخوانه واخواته من ادباء واديبات المهجر في الارجنتين .

ولم تمض الا شهور قليلة حتى وردتني رسالة مرسلة من الندوة الادبية عن طريق الاخت الفاضلة الاديبة دلال كباس .

واستمرت المراسلات والكتابات بيني وبين الشاعر الياس قنصل الى اشهر قليلة من وفاته . ولقد زار العراق ، واطلع على ما فيه من تقدم وحضارة واداب . واخذت وزارة الاعلام والثقافة العراقية على نفسها مسؤولية طبع بعض مؤلفاته . وكرمت فيه ادب المهجر وصدق العروبة في نفسه وادبه ، ودفاعه عنها بما كتبه ونشره ونظمه في تكريم لغة الضاد ، مع شقيقه الشاعر الكبير زكي قنصل الذي لا يقل عنه اندفاعا وعبقرية شعرية ، لانهما ينهلان من معين عذب نمير ، لم تشبه لكنة الاجانب ، ولم تدنسه كلمات الذل والخداع .

وكم حز في نفسي بومذاك ان لا اراه ، وهو ضيف في ديار اهلي واهله بلد الرافدين ، وهو في زيارة وطني ووطنه الثاني قطر العراق ، لظروف كانت خارجة عن ارادتي .

وانني اذ استعرض صورة الشاعر الياس قنصل تجدني قد دهشت من خبر موته المفاجيء . وهو بصحة جيدة ، ولا ادري لعل في لفظة هذه (الدهشة) شيئا من المبالغة !! لان الموت لا يعير اهتمامه عندما يسطو على الاجساد ولا يفرق بين من كان بصحة حسنة ، او بعلة مزمنة . وصدق الشاعر بقوله : « اخذ السمين وعوفي المهزول » .

* * *

كان الشاعر قنصل نشطا ، دائم الكتابة شعرا ونثرا. فماصدر ت مجلة جديدة في الوطن العربي والمهجر ، الا ووجدت رائعة شعرية من روائع شعره . او مقالة او قصة او رسالة ، من بدائع قلمه المبدع ، وخياله السامق .

كان – رحمه الله – حريصا على تخير المفردات العربية الواضحة ، والمعاني الكريمة الاصيلة ، ينتقي من تراث اللغة العربية ، ما يراه اهلا للخلود والبقاء ، مقاوما للاندثار والفناء .

كتب بحثا جامعا شاملا في مجلة (الفيصل) بعنوان (الشعر الاصيل . والشعر الحديث) – العدد ٣٩ السنة الرابعة ١٩٨٠ تكلم فيه عن بعض القضايا الادبية التي تخص الشعر القديم – والحديث . منها :

١ – المآخذ على القديم بما يدعي خصومه .
٢ – النقد للحديث بما يراه الشاعر .
٣ – الترجمة الشعرية ومشاكلها .
٤ – الوزن والقافية واثرهما .
٥ – خصوم العربية واعداؤها .
٦ – اللغة العربية وانتشارها .
٧ – قضية الشعر الحديث وتراثنا الخالد .
٨ – اندفاع الشباب وحماسهم .
٩ – شعر المناسبات واثره .
١٠ – مظاهر الحياة وصورها .

ويلذ لي ان اقتبس بعضا من مقاطع بحثه القيم اذ قال عن (اللغة العربية) :

« ان الضاد التي قدرت على ان ترافق امتها في جميع ادوار التاريخ ، ستماشي هذه الامة في مراحلها الى الامام. لانها جزء منها تكشف لابنائها كل يوم دنيوات جديدة تعمر بأشكال من الروائع » .

ومما ذكره عن (التراث العربي) قوله :

« انهم تأكدوا من ان هذا التراث هو الذي حمل

نبل العروبة الى انحاء الارض ، ورفع عن النفوس ظلمات من الجهل والهمجية . وما دام هـذا التراث حيا في خواطرنا فلا خطر على تيار المجد الذي يتدفق في بنيتنا . وقد تلاقي في مسيرتها عثرات وعثرات ، بيد انها لن تترنح ولن تتهاون ، لانهم علموا ان تراثنا هو النبالة مجسمة تتعزز فيها اركان الاخلاق ، وتبنى عليها صروح السيادة والكرامة » .

وتكلم عن (شعر المناسبات) مدافعا عنه بقوله :

« لو كنا منصفين لوجب ان نشكر للمناسبات ما اتاحته لنا ـ وللخلود ـ من قطع فنية . لولا المناسبات القومية والاجتماعية لما تسنى لشعراء المغتربات الاميركية ان يؤدوا الرسالة التي ادوها ويسجلوا المغامرة الفكرية التي لا شبيه لها في آداب العالم .

وختم حديثه عن (مظاهر الحياة) اذ قال :

« من علامات الشاعر الحقيقي انه يمر بالمشهد الذي يمر به الناس ولا يرون فيه الا صورا لا تستحق ان تشغل فسحة من تفكيرهم ، فيرى هو مشاهد فنية تتلاحق زاخرة فيعرضها من خلال الكلمات عرسا للفكر والقلب » .

واردف قوله :

« ان لم نكتشف مظاهر الحياة في مظانها ، فالذنب علينا لا عليها ، عيوننا هي القاصرة ، وخيالنا هو العاجز » .

واشار الى مدعي الهام الشعر العربي ، وهو براء منهم ، والى خصوم اللغة العربية واعدائها بقوله :

« ذلك الهراء الذي يدعيه اعداء الشعر العربي الاصيل ، جاعلين من ابياتهم (اعياد مساخر) كلمات وافكار هي براقع من الورق الملون ان غسلتها حالت بين يديك هباء مبلولا ! »

ومن روائع شعره في اواخر سني حياته قصيدتان الاولى بعنوان (خالد بن الوليد) والثانية (بيتي) نشرهما في مجلة (الفيصل) لسنة ١٩٧٩ م ـ العدد ٢٣ والعدد٣١

ويطيب لي ان اقتطف بعض نماذج من رائعته الاولى التي صورت شخصية قيادية اسلامية عربية فريدة في عالم المعارك ، والشجاعة ، والبسالة اليعربية . قال في مطلعها :

رفعت لمجد العرب ذكرا مخلدا ... وكنت لدين الله سيفا مجردا

ومنها :

كتاب تمنى الدهر بعض خلوده ... بسوراته ليل الفساد تبددا

ومنها :

تعد عتاد الحرب غير مقلد ... وتنجز اسلوب الهجوم مجددا
اذا ضرب الاعداء للكاس موعدا ... ضربت بساح السيف والرمح موعدا
وما خسرت كفاك حربا كانما ... عقدت وغار النصر حلفا مؤبدا
جراح غدت من مجدها كل قطرة ... وساما على صدر العروبة سرمدا

ومنها :

صحابك بين الفتح والحكم معشر ... تبارت سجاياهم جهادا وسؤددا
كنوز الثرى ان يرغبوا رهن امرهم ... وما بسطوا الا لمكرمة يدا
باخلاقهم ساسوا النفوس فاذعنت ... وامسى طريق النبل فيها ممهدا

ومنها :

احبوا ضمان الخير باللطف والنهى ... وراحوا ينادون الشعوب تودددا
على سنن الاصلاح قام نظامهم ... وبالعدل والتهذيب بات مؤيدا
تفجر ينبوع المساواة منهم ... فطاب حياة مثلما لذ موردا
فما عرفوا في الجد فقرا وثروة ... ولا عرفوا في الخلق عبدا وسيدا

وختمها بصيحة عالية :

الا قائد ثان لامة يعرب ... يحرك فيها عزمها المتجمدا
تتالت عليها الحادثات وزعزعت ... بناء على اس الكفاح توندا
يخادعها النذل الذي كان جده ... كما هو، من سامي الصفات مجردا
الا قائد ثان يداوي اعتلالنا ... ويجعل دنيا العرب صفا موحدا
الام نغض الطرف عن ربوة العلى ... ونلبث في سفح الكلال تردد!
اما حان ان نجري على نحو خالد ... اما حان ان نرضي النبي محمدا ؟

★ ★ ★

اما قصيدته الثانية (بيتي) فهي من الادب الذاتي الوجداني الفريد ، يعطي ما للبيت من قيمة ـ وهو جنة الانسان ـ كما قالوا اذا كانت الاسرة متماسكة ، والزوجة صالحة والزوج حكيما ، والابناء مخلصين ! والحياة هنية مستقرة فيه ، بعيدة عن الحوادث والدماء والدموع والاوجاع !!

قال في مطلعها :

بيتي وكم بيت يماثله بما ... فيه من الاحجار والاخشاب
لكنه في خاطري ذخر اذا ... ثمنته لم ينحصر بحساب
هو متحف للذكريات اروده ... خلوا من الحراس والحجاب
آوي اليه ان الم بي الاسى ... وتجهمت بالنائبات شعابي
ان ابتعد عنه فليس يلذ لي ... ما ابتغي من ماكل وشراب
ويهزني طرب اليه حافل ... وتشوق ينساب في اعصابي
آثاره تاريخ عهد فائت ... كان الرواء به وكان شبابي
لو اغمضوا عيني شممت مكانها ... فمكانها في مهجتي وصوابي

ومنها :

بيتي وليس فخاره ما فيه من ... لبن وما يحويه من ابواب
هو من يشاركني مدى العمر الذي ... اقضيه بين رفاهة وعذاب
هو من يحط تعاستي عن كاهلي ... ويعيد لي بسمات ماض خاب
ويرد ما سلبته مني ضجة ... عاشت بظفر في الفؤاد وناب
ما فيه زاوية خلت من لفتة ... متت الي باوثق الاسباب
هذي الرفوف وكم سالت ضيوفها ... فاذا طرائفهم اجل جواب
هذا السرير وكم رآني ساهرا ... متقلبا في قبضة الاوصاب
هذي الدواة وكم ظننت بناتها ... دررا ولم يسك ثم غير تراب
اني لتجمعني اليه الفة ... اسمى من التقدير والاعجاب

وختمها بقوله :

بيتي فصيلته تباهة مدرك ... ما في العدول عن الندى من عاب
هو في مساحته الضئيلة ضيق ... لكنه ما ضاق عن اصحابي

★ ★ ★

ان قضية اللغة العربية في المهجر العربي ، تعتبر من اهم قضايا الصراع مع اللغات الاجنبية الاخرى . ولقد نادى الكثير من ابناء المهاجرين المغتربين ، ومن قادة فكرهم هناك بان عليهم الحفاظ على تلك اللغة ، وصيانة ذلك الادب ، الذي تميزوا به وعرفوا في ميدانه . والذي يمتهم

بصلة الرقابة والنسب بجذورهم العربيـــة وباخوتهم في المشارق والمغارب !!

اليس عجيبا ـ مثلا ـ الا يخلف شاعر كأبي ماضي ابنا يتكلم اللغة العربية بطلاقة او سهولة ـ كما يتكلـــم الانكليزية ؟

اليس غريبا ان رواد تلك القوافل العربية الفريدة ، الذين اشادوا صروح المجد العربي الادبي في الولايـــات المتحدة ، واميركا اللاتينية ، لم يبـــق من صروحهم الا الاطلال التي توشك على الفناء والاندثار ؟

كم نادى الاخوان الشقيقان الشاعر الياس قنصل وزكي قنصل بحماسة وجدية حول معالجة هذه الحالة ، ودعوا اخوانهم العرب المسؤولين وغير المسؤولين ، لانقاذ ما يمكن انقاذه ؟

كم كتب الشاعر المرحوم جورج صيدح والشاعـر القروي والياس فرحات وآل المعلوف حول هذه المشكلة ؟ وكم حرر الاخ الدكتور عيسى الناعوري امين سر مجمـع اللغة العربية في الاردن ، من بحوث ودراسات حـــول المهجريين وادبهم ومستقبل حياتهم ؟ وكم اصدرت مجلة (الضاد) الحلبية لصاحبها الاستـــاذ الشاعر عبد الله يوركي حلاق من اعداد خاصة بشعرائهم وادبائهم وحياتهم؟ وكم اشار الاديب الكاتب المرحوم البدوي الملثم في كتاباته عنهم عما يلاقونه ، وما يحيط بهم من اوضاع اجتماعية ، وسياسية ، وصحافية ؟ وغير هؤلاء الاخوة ، في العراق ، ومصر ، وسورية قد كتبوا ودرسوا قضايا المغتربـــين العرب .

★ ★ ★

ان من صالح خصوم المهاجرين العرب ـ من اعداء الوطن العربي ـ ان تضعف شوكة اخوتنا السياسيـــة هناك وتنطفىء شعلتهم الادبية. وتموت صحافتهم العربية، ويتلاشى وجودهم العلمي ، وصرحهم الادبي ، في تيارات المجتمعات الاوربية والاميركية ـ وكذلك القارة الافريقية السوداء .

ونحن اذ نركز دائما على جاليـــات المهاجريـن في الاميركتين ، يجب ان لا ننسى الدرس والعناية والبحـث والحديث عن ادباء المهاجرين العرب في اماكن من القـارة الافريقية السوداء . فان لديهم الكثير من الاثار الادبيـة والشعرية التي تحتاج الى دراسات جامعية وميدانيـة . والذين تزخر بانتاجاتهم الادبيـــة وقصائدهم الرائعـــة صفحات المجلات (كالعرفان ، والاديـب ، والاداب) ، وغيرها في سنواتها الماضية .

★ ★ ★

كانت هجرة المرحوم الياس قنصل سنة ١٩٢٤ الى الارجنتين على حد قول المرحوم جورج صيدح ، في كتابه عن ادب المهجريين واشتغل في عالم التجارة المتجولة ، ثم انصرف للصحافة ، فاصدر سنة ١٩٣٧ ـ ١٩٤٠ مجلـة (المناهل) . ووصف صيدح شعره بقـوله : « تعجـب بالعاطفة الوطنية الملتهبة ، وبالفكرة المنطلقة على الصراط المستقيم » .

« اما آثاره النثرية فأغنى بالجمالات ، فيها يسيطر الكاتب على البيان ، ويلبس المعاني ما شاء من الحلـل والالوان . ويشغف القارىء برشاقة الاسلوب ، واناقـة التصوير وحرارة الحوار وطرافة الحوادث والمفاجآت ».

ترك الشاعر الياس قنصل من الاثـــار الشعريـة والنثرية المطبوعة في المهجر ، والعراق ، وسوريا ، وتونس العديد من المؤلفات ، ومن دواوينه المعروفة :

١ ـ الاسلاك الشائكة .
٢ ـ السهـــام .
٣ ـ على مذبح الوطنية .
٤ ـ العبرات الملتهبة .
٥ ـ بسمات الفجر .
٦ ـ رباعيات قنصل .

ومن آثاره النقدية ، والقصصية ، والفكاهيـة ، والصحفية :

١ ـ في سبيل الحرية .
٢ ـ على ضفاف بردى .
٣ ـ ادب المغتربين .
٤ ـ بين معارك الثورة .
٥ ـ العبقري المجنون .
٦ ـ في مهب الريـح .
٧ ـ البقايـــا .
٨ ـ اصنـام الادب .
٩ ـ عساف شوفان .
١٠ ـ صديقي ابو حسن .
١١ ـ غالب افندي المغلوب .
١٢ ـ من مناهل الحياة .
١٣ ـ هنـا وهنـاك .
١٤ ـ مجلة المناهـل .

والان وقد ودعنا الشاعر المهجري العربي الصديق المرحوم الياس قنصل اترانا نذكـره دائما في نفوسنا ، وقلوبنا وعقولنا وفي دراساتنا وادابنا وجامعاتنا ام ترانا ننساه ـ كعادتنا ـ في نسياننا لنوابغنا ورجالنا ، الذين خدموا الامة العربية بتجرد واخلاص . في اقلامهم وادابهم واشعارهم ونثرهم خدموها بشجاعة ، وصبر ، وبسالة ، وتجرد ، لا تقل عن بسالة الشجعان ، وصبر البواسل ، وتجرد الكرام ، الذين يرابطون في الثغور والجبهات ، بيقظة وحذر ، ويقاتلون اعداء الامـة والوطـــن العربي بارادة وحماسة ويصدونهم دفاعا عن عروبتهم ولغتهم وقوميتهم وتاريخهم .

قلبي والحبيب

القلب يسحره الحبيب ... ويهزه امل عجيب
فكأنما هو شادن ... يشدو بالحان طروب
فمضى يصيح كأنما ... جن الصغير فلا رقيب
قد قال هذا شعرها ... ذهب الاصيل ولا لغوب
والغصن يحكي خطوها ... او ما تراه بدا يذوب
قد جن قلبي لا محا ... لة .. او ارى هذا قريب
ما لي اراه يهيب بي ... داني اللقاء ولا غريب
فاريح كفي فوق صد ... ري كي يكف ويستجيب
لكنه كالطفل يصـ ... ـرخ في عناد .. لن اجيب
وارى الحبيب يهل من ... بعد تسابقه الطيوب
فيصيح قلبي ها انا ... ويفر يتركني سليب
يجري فيسكن في ثنا ... يا صدرها فعل الاريب
فاذا انتهى زمن اللقا ... ء .. وهبت قلبي للحبيب

طنطا ـ مصر — عبد الله السيد شرف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وليس لنا من تحية نقولها في شاعر عزيز صديق عبقري اجمل من قول شاعر الرقة والعذوبة الشاعر العربي الكبير المرحوم الاخ بدوي الجبل في احدى روائعه الخالدة في رثاء شاعر مثله اذ قال :

لا الامس يسلبك الخلود ولا الغد ... هيهات انت على الزمان مخلد
تتجدد الدنيا وقلبك وحده ... دنيا تعيد شبابها وتجدد
في كل قافية حياة تجتلى ... ومنى تضوع وزفرة تتردد
العبقرية شعلة من نارها ... حمراء ناضرة اللظى تتوقد
والشعر والنغم الشجي ورحمة ... تسع الوجود ونغمة تتوعد

★ ★ ★

يا شاعر الدنيا نديك حافل ... والجمع مصغ والمواكب حشد
يتنظرون السحر من جباره ... هيهات دون السحر باب موصد
يشكى اليك وانت رهن منية ... وتزار في عنت الخطوب وتقصد
ولقد يرجى السيف وهو مثلم ... ولقد يهاب الليث وهو مصفد
فاذهب كما ذهب الربيع على الربى ... منه يد وعلى القلوب له يد

★ ★ ★

سلاما وتحية لادباء المهجر ومحبيه !! ولاخي الشاعر العزيز الصديق ، وعطرا وزهورا لارواحهم الطيبة ، ونفوسهم الكريمة !! وتقديرا واجلالا لافضالهم على اللغة العربية وتاريخها وادابها . فلولاهم لما وجدنا هذه الروائع من آثارهم ولولا جهادهم العظيم ما نعمنا ببدائع نثرهم واشعارهم .

وارجو الا تطوى صفحاتهم المجيدة بيد النسيان . وتتوارى اثارهم الخالدة بتراب الاهمال وتقلب الدهور والازمان .

اهم المراجع

١ ـ ادب المهجر ـ للدكتور عيسى ابراهيم الناعوري ط ـ ٣ دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٧ م
٢ ـ ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية للاستاذ جورج صيدح ـ ط ٣ ـ دار العلم للملايين ـ بيروت لبنان ـ ١٩٦٤ .
٣ ـ ديوان بدوي الجبل للشاعر بدوي الجبل ـ ط ١ دار العودة بيروت لبنان ـ ١٩٧٨ .
٤ ـ مجلة (الفيصل) السعودية ـ الرياض ـ الاعداد :
العدد ٢٢ سنة ١٩٧٩ م .
العدد ٣١ سنة ١٩٧٩ م
العدد ٣٩ سنة ١٩٨٠ م .
٥ ـ رسائل شخصية .
٦ ـ مجلة الاديب ـ سنة ١٩٧٣ وسنوات اخرى .

جامعة بغداد ـ كلية الاداب — محسن جمال الدين

نظرات في قصيدة حلم البعث

لعبد الرحمن شكري

(١٨٨٦ ـ ١٩٥٨ م)

بقلم الدكتور محمد سعد حسن فشوان

★ ★ ★

نبغ عبد الرحمن شكري في الشعر صغيرا ، ونظم في الموضوعات الجديدة ، محتذيا شعراء الافرنج ، والف كتابا في الشعر نم عن اطلاعه الواسع في هذا الباب ، وقد تحدث عن وظيفة الشاعر طويلا ، وحمل على شعراء الصنعة الكاذبة ، والبهرج الزائف ، واشاد بالشعر الذي يتفق على نسجه الخيال والفكر ، ايضاحا لكلمات النفس، فالشعر عنده كلمات العواطف والخيال السليم .

وقد لفت شكري بحديثه عن الشعر ، وبنظراته الصائبة في الادب عموما ، وبنبوغه في فرض القصيد انظار الباحثين والدارسين ، ولا يزال فكره وادبه قبلة انظار حتى اليوم .

قال عنه الدكتور مندور في كتابه عن الشعر المصري بعد شوقي : « انه شاعر التأملات والاستبطان الذاتي » وتحدث عنه وعن شعره ايضا في هذا الكتاب .

ويقول الدكتور احمد زكي ابو شادي عنه ايضا : « عني شكري بالجانب الفكري والتأملي ، وبتجديد ما خلفه امثال المعري وابن الرومي وجون ملتون وغيرهم ، وبالمزاوجة بين هذه التأملات الفكرية والنفسية والتأثرات الوجدانية ، والانطباعات الصوفية والعاطفية والطبيعية .

واذا كانت وثبات مطران الرومانسية قد شجعته ، وربما ألهمته ، غير انه بدل ان يعب من الادب الفرنسي كما صنع مطران لجأ الى الادب الانجليزي من منابعه الاصيلة (١) .

وقال عنه الدكتور شوقي ضيف : لعل مصر لم تعرف في تاريخها شاعرا متشائما ضاق بكل ما حوله حتى ضاق بنفسه ايضا مثلما عرفت عبد الرحمن شكري ، ودواوينه تصور لنا قصة سوداء من التشاؤم ، فقد تراكمت الظلمات من حوله ، واسودت الدنيا في عينيه ، وتعقدت نفسه تعقدا شديدا يشبه ان يكون محنة .. »

وقد تحدث الشاعر عن نفسه في كتابه «الاعترافات» الذي الفه على لسان صديق ، وجزم صديقه المازني بأن هذه الاعترافات هي اعترافاته نفسه : « كان رحمه الله شابا يحب القراءة والتفكير ، وكانت تلوح في عينيه علامات السأم والحزن والتفكير ، وقد تقلصت شفته السفلى تقلص السخر ، ولكن كان يلوح على وجهه بالرغم من ذلك كثير من الحنان ، رقيق القلب ، واحيانا كنت لا ترى في وجهه شيئا من الحزن والالم .

وفي بعض الاحايين كان وجهه مثل السماء التي تراكمت سحائبها ، وتلبدت غيومها ، وكأن كثير من الناس يسيئون به الظن فهم اساءوا فهمه فأساء فهمهم كما هي الحال بين الناس قاطبة ، كان احيانا شديد التواضع ، واحيانا شديد التكبر ، كان لا يعرف كيف يعاشر الناس ويداريهم ويأخذ ما صفا ويتغاضى عما كدر ، ويحتال للحياة لاستجلاب السعادة ، فضاقت بنفسه الصحراء بعد ان ضاقت بها المدن كما يقول هو عن نفسه » .

فشكري في هذه السطور يطلعنا على جانب من حياته ، ويظهر لنا كيف كانت حيرته وضجره ، وكيف كان تأله من نفسه ، وتبرمه بمن حوله ، حتى انه ليطلب بيئة غير بيئته ، وعالما آخر غير عالمه ، فتشاؤمه ويأسه لا ينبعان من نفسه وحدها ، بل منها ومن مجتمعه ايضا .

هناك عدة عوامل اثرت في نفسية شكري ، وصبغتها بتلك الصبغة التشاؤمية ، النافرة من الحياة ومن الناس، وجعلته شديد الاحساس فبكى في ضحكه ، وضحك في بكائه ، واكثر من التضجر والشكوى ، وبرم بالحياة وبالناس ، وزاد من حساسية نفسه المتشائمة ما كان يقراه في الاداب الغربية ، حيث كان يؤثر في قراءاته شعراء الحركة الرومانسية الذين ادركهم نفس الداء ، هذا بالاضافة الى ايثاره شعر ابن الرومي وابي العلاء ، حيث صادف شعرهما هوى في نفسه ، وكان شعرا مملوءا باليأس ، طافحا بالالم ، مجللا بالتشاؤم ، ولا نستبعد بعد ذلك ان تكون الاحوال المتقلبة بينه وبين زميله المازني قد تركت في نفسه جرحا غائرا ، لم تداوه تلك المصالحة التي سعى العقاد اليها ليجمع بين الصاحبين ، فاصطبغت روحه بتلك النزعة ، وامعن في التشاؤم والسخط ، واليأس والحيرة ، والشك والقلق .

ولا ندعي في هذه الدراسة اننا سنحلل نفسية شكري التحليل الواسع المستقصي ، الذي نقف من خلاله على اسرار تلك النزعة عنده كاملة ، ولكننا نلقي الضوء على بعض اسرار حياته ومحنته ، من خلال قصيدة له بعنوان « حلم بالبعث » يقول فيها :

رايت في النوم اني رهن مظلمة ... من المقابر ميتا حوله رمم
ناء عن الناس لا صوت فيزعجني ... ولا طموح ولا حلم ولا كلم

مطهـر من عيوب العيش قاطبة ... فليس يطرقني هـم ولا الـم
ولسـت اشقى لامر لست اعرفه ... ولست اسعى لعيش شانه العدم
فلا بكـاء ولا ضحـك ولا امـل ... ولا ضمـير ولا يـاس ولا نـدم
والمـوت اطهر من خبث الحياة وان ... راعت مظاهـره : الاجداث والظلم
ما زلت في اللحد ميتا ليس يلحقني ... نبـح العـدو وبي عن نبحه صمم
مـرت علي قرون لست احفظهـا ... عـدا ، كان مر بي الاباد والقدم
حتى بعثت على نفـخ الملاثـك في ... ابواقهم وتنـادت تلـكم الرمـم
فـذاك يبحث عن عين له فقـدت ... وتلـك تعـوزها الاصداغ واللمـم
وذاك يمشي على رجل بـلا قـدم ... وذاك غضبان لا سـاق ولا قـدم
ورب غاصب راس ليس صاحبـه ... وصاحب الراس يبكيـه ويختصم
ويبحثـون عن المـرآة تخبـرهم ... عن قبـح ما تترك الاجداث والعدم
جاءت ملائكـة باللحم تعرضـه ... ليلبس اللحم من اضلاعنا الوضم
رقـدت مستشعرا نومـا لاوهمهم ... اني عن البعث بي نوم وبي صمـم
فاعجلـوني وقالوا قم فـلا كسـل ... ينجى من البعـث ان الله محتكم
قد مت ما مت في نوم وفي دعـة ... وقد بعثـت فماذا ينفـع النـدم
استغفر الله من لغو ومن عبـث ... ومن جنايـة ما ياتي بـه الكلم (٢)

★ ★ ★

قد تكون الابيات في مجموعها صورة ساخرة مـن مسألتي البعث والحساب ، وقـد يطعن على الشاعر في تدينه ، غير ان ما ورد في البيت الاول من كونه راى ذلك مناما يخفف من امر الطعن عليه في قصيدته ، وربما احس الشاعر بمثل ما احسسنا به ، فكان بيته الاخير :

استغفر الله من لغـو ومن عبـث ... ومن جنايـة مـا ياتي به الكلـم

والابيات في جملتها من الشعر الرومانتيكي المغرق في الحديث عن الذات ، وفيما يعانيـه الشاعر من آلام واحزان ، وقد كان شكري وزميلاه (المازني والعقاد) من رواد الحركة الرومانتيكية في ذلـك الحـين ، على ان رومانتيكيتهم كانت تختلف عن رومانتيكية مطران ، ثم عن رومانتيكية شعراء ابوللو من بعد .

فالرومانتيكية عند شكري وزميليه قد تأتي العاطفة فيها وراء الذهن ، على ان العاطفة حين تتضح تكون من لون مفعم باحاسيس الاسى ، مليء بمشـاعر المرارة الجياشة بالحزن والضيق ، الذي يبلغ احيانا حد اليأس، وكثيرا ما كانت تطغى على اشعارهم في تلك الناحية برودة الذهن وجفاف العقل ، ولكن يبقى طابع النفس الانسانية وقلقها وعدم رضاها وطابع الفكر الممزوج بالعاطفـة او العاطفة التي يساندها الفكر هو الطابع الغالب على شعر هؤلاء بينما مال غيرهم الى تجنيب شعرهم الرمانتيكي عن تلك النزعة الذهنية .

وكان شكري وزميلاه يحاولون النفاذ من الامـور الى الجوهر ، غير مكتفين بالظواهر ، ولا واقفين عنـد المحسوسات ، يفعلون ذلك ، وان ادى الى برودة الشعر او افضى الى شيء من الجفاف فيه .

★ ★ ★

وقد برع شكري في رسم الظاهرة الحركية على هذا النحو الساخر ، فالابيات في جملتها صورة مفعمة بالمؤثرات النفسية الكابية ، والساخرة ايضا ، والتي تعطي للصورة كل ابعادها لتظهر كما عاشت في ذهـن الشاعر وترددت فيـه .

وفي راينا ان شكري قد تأثر بابن الرومي ، وكان ممن قرأ شعرهم وتأثر بهم كما قدمنا ، وكانت براعة ابن الرومي في التصوير محط انظار الناس في عصره ، وبعد عصره ايضا .

والتعبير بالصورة فن جميل ، يبث في الشعر الحياة والحركة ، ويجعله يتدافع الى نفوسنا على غير استئذان، ولا شك في ان المرء يدرك في هـذا النمط الشعري لذة ومتاعا ، وتلك وظيفة الشعر كما كان يراهـا شكري ، وانبأنا عنها في العديد من مقالاته ودراساته الجيدة ، فلقد كان من رايه رحمه الله ، ان الشعر هو ما اتفق على نسجه الخيال والفكر ، ايضاحا لكلمـات النفس ، وان الشعر هو كلمات العواطف والخيـال والذوق السليم ، فأصوله ـ عنده ـ ثلاثة متزاوجة، وعنده ايضا ان الشاعر هو الذي لا ينظم حتى تنوبه تلك النوبة التي تدفعه الى قول الشعر بالرغم منه في الامر الذي تتهيأ نفسه له .

★ ★ ★

والشاعر في هذه القصيدة يفرغ ما في جعبته من كل المؤثرات النفسية التي تشكل احاسيسه المتراكبة بكل ما فيها من اسى وحزن وتشاؤم ويأس .

فهو يدير ظهره للناس ، ويصم اذنيـه عنهم ، ثم لا يضغط على اعصابه بالتفكير في شيء ، اي شيء ، ولا يرنو الى رغبة يود لو تتحقق له في المستقبل القريب او البعيد ، فلا احلام في حياته ولا كلام .

وهناك كلمات لا تقف عند البعد الظاهري لهـا ، بل نجد فيها من الايحاء ما يجعلنا اشد استمساكا بها في موضعها ، ومن امثلة ذلك : « مطهر » من عيوب العيش قاطبة ، ففي الموت « طهر » ونقاء من عيوب الحياة ، وما فيها من اوصاب ، وما اكثرها في نظر الشاعر ، وقد اكد هذا المعنى حين قال في البيت السادس :

والموت اطهر من خبث الحياة وان ... راعت مظاهره : الاجداث والعدم

ومن ذلك لفظـه « نبـح » في البيـت السابـع التي تؤكد ان اعداءه كلاب نابحات ، وهي صورة ساخرة شديدة السخر ، لاذعة شديدة اللذع بلا شك .

اما قوله : « لست احفظها عدا » بعد « مرت علي قرون » فهو تجسيد قوي للحالة النفسية المعقدة والمتراكبة في نفس الشاعر ، تلك التي جعلته ينسى الحياة ، ثم لا يذكر بعدها كم مر عليه من الدهور بعد انرزاه البـين ، واصبح ميتا او في عداد الاموات .

وقوله : « ويبحثون عن المرآة تخبرهم .. » يخرج من حيز البث المباشر الى الرمز ، فهو فيما نرى يرمز الى قضية جد خطيرة في حياتنا الاجتماعيـة المعاصرة هي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ناعسة العينين

ناعسة العينين لا تغضبي ... على سؤالاتي ولا تعتبي
فانني يا حلوتي شاعر ... اصنع من سر الهوى مركبي
اخوض في البحر وان زمجرت ... امواجه يوما ، ولم ارهب
وغايتي في الحب ان ارتوي ... من كل ما فيه ، وذا مذهبي
وانني ـ يا حلوتي ـ لم اكن ... يوما خؤونا غادر المارب
فانت في عيني قارورة ... اعب منها اعذب المشرب
وانت لي اغنية عذبة ... ارشف من رحيقها الطيب
وانت ان دمدم قصف الهوى ... في جسمي الناحل والمتعب
وصرت اعدو في متاهاته ... في ليلة الموحش والمجدب
كنت ـ وما زلت ـ لهاث الضحى ... ودفقة الفجر ومسرى نبي

كربلاء ـ العراق — علي كاظم الفتال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قضية « المظاهر الخادعة » فالناس تغريهم او تغرهم تلك المظاهر ، او ذلك الطلاء اللامع للاشياء علما بان « المرآة » سرعان ما تكشف ـ ان هم نظروا اليها ـ عما يغلف وجوههم من بهرج زائف ، وطلاء مخادع ..

★ ★ ★

والمتتبع لديوان شكري يرى ان تشاؤمه كان تشاؤما طبعيا ، يصور النفس المصرية ، وما كان يثقلها وينقض ظهرها في تلك الحقبة من آلام ، وعلى الرغم من ذلك تفلتت منه ومضات كثيرة آملة في شعره ، وفي ذلك يقول الدكتور شوقي ضيف : « فتشاؤم شكري لم يكن تشاؤما محرقا، يريد صاحبه ان يحرق الحياة من حوله فتصبح رمادا او هباء ، وانما تشاؤما خيرا طامحا حتى ما قد يبدو عنده من شك في الدين والعقيدة نراه يعود فيخفف من حدته ، ويسلم امره لربه فيقول :

جهلنا فما ندري على العيش ما الذي ... يراد بعيش نحن فيه نقاد
سوى ان عيش المرء بالشك فاسد ... وان يقينا في الحياة رشاد

هو تشاؤم فيه السواد ، ولكن للبياض فيه مكانه ، اذ يشرق الامل ، ويضيء في كثير من جوانب شعره وقصيده (٤) .

هكذا كانت حياة شكري مصطبغة بتلك النزعة المتشائمة ، والنظرة الكابية للحياة والاحياء ، وقد خلدها في شعره الوجداني الصادق ، ولكنه ضواها بشعر ظهرت فيه احيانا بوارق الامل ، ولمحات الرجاء .

١ ـ شعراء العرب المعاصرون ، ط الاولى ١٩٥٨ ص ٤٥ .

٢ ـ ديوان شكري ط منشاة المعارف بالاسكندرية ١٩٦٠ ط الاولى ص ٢٤١ ، ٢٤٢ والقصيدة من ديوانه الثالث المنشور عام ١٩٥١ م بعنوان « اناشيد الصبا » .

٤ ـ دراسات في الشعر العربي المعاصر ط الثالثة ، ط دار المعارف بمصر ص ١٢٠ . ومن مراجع الدراسة التي لم تذكر في الهامش ايضا :

ا ـ دراسات في الادب العربي الحديث ومدارسه للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي .

ب ـ ابو شادي وحركة التجديد في الشعر الحديث للدكتور كمال نشات .

ج ـ الاتجاهات الفنية في شعر عبد الرحمن شكري للدكتور محمد السعدي فرهود .

د ـ في النص الادبي الحديث للدكتور محمد سعد نشوان .

سكاكا ـ الجوف ـ السعودية
ص .ب ٢٦٩ — محمد سعد حسن فشوان



سعيد ابو الحسن

ميراث على القمم
سيرة ذاتية

بقلم سعيد أبو الحسن

* * *

– ٧ –

الغارات الجوية

عرمان وقتل الجنود الاتراك في مضافة ابراهيم الجرمقاني، ثم عرمان ومعركة الخراب المشهورة ، التي ابيد فيها جيش تركي ، ثم عرمان ومعركة سامي باشا الفاروقي وترويع جيشه في الكفر هذه بالذات ، وانتقامه الوحشي باعدام حملة البيرق ، ثم عرمان واسقاط الطائرة وانطلاق الثورة الجديدة وابادة كتيبة الكفر ، كل هذا ابرز اسم قريتنا وجعلها هدفا رئيسيا لطائرات الفرنسيين . ودخلنا مرحلة القصف الجوي ، كانت الطائرات تجيئنا باعداد مختلفة تتراوح بين الطائرتين والعشرين طائرة . عددتها بنفسي عشرين اكثر من مرة . كلفت نفسي مهمة رصد الطائرات ، واعطاء العلم بوصولها وهي على بعد خمسة عشر كيلومترا من القرية ، اي حينما تكون فوق الكفر . فقد كانت تلك الطائرات من ذوات المحركات والجناحين المتوازيين وكان بصري حديدا ومقدرتي على الرؤية من بعيد لا تحتاج الى دليل . ودارنا منفردة . وحينما تكون السماء صافية – وهو الوقت المفضل للغارات الجوية – كنت اشاهد الطائرات قادمة ، فاخبر اهلي فتسرع والدتي واخوتي الى الاختباء في الباكية (الاسطبل) على اعتبار ان جدرانه سميكة وكلها من حجر البازلت الاسود وكذلك سقفه ، اي انه مسقوف بالربد – وهو حجارة بازلتية سوداء عريضة مستطيلة تقوم مقام الاخشاب – ويصعد والدي الى السطح وبندقيته بيده ، كما يفعل كل رجال القرية : فالرجال المسلحون لا يختبئون ، بل يقاومون . ويبدا اطلاق النار منذ الدقيقة التي تصبح الطائرات فيها ضمن المدى المجدي للسلاح . وهذا السلاح الالماني والعثماني المعدل كان ذا فعالية ممتازة . وقد اثبت ذلك بخاصة في معركة المزرعة . وكانت هذه المقاومة من جميع جهات القرية توقع الطائرات في الارتباك فتلقي قنابلها كيفما اتفق ، وقليلا ما تصيب اهدافها . وكنت اكثر الاحيان ابقى مع والدي ، فانا لا اريد ان اختبىء ، ولماذا اخاف ما دام والدي يطلق النار وانا الى جانبه : ولي به اسوة . وكان احيانا يشجعني بان يسمح لي بالضغط على زناد البندقية وهو يصوبها فتنطلق الرصاصة واعتز بذلك ايما اعتزاز . وقد حاولت مرة ان اطلق رصاصة من دون مساعدته فاوقعني ارتداد البندقية ارضا . لقد كنت قصيرا صغيرا في تلك السن ولا قبل لي بالبندقية الالمانية السواري .

ولكن الرجال لم يكونوا دائما في القرية ، فقد كانوا يذهبون للاشتراك في حصار القلعة . وهناك كانوا يمنعون كل اتصال بين القلعة والخارج . ويمنعون الطائرات التي تنقل المؤونة الى المحاصرين من ان تستطيع انزال حمولتها فوق القلعة تماما ، بل كانت الحمولة تقع خارج اسوار القلعة فيأخذها الثوار . وكثيرا ما اسقطوا الطائرات الناقلة . حتى اصبح المحاصرون في حالة بؤس ويأس . وعندما عاد والدي من احدى مناوباته في حصار القلعة وصل متعبا يعلوه الغبار ، فنضا عنه بعض ثيابه بعد ان علق بندقيته واحزمة الفشك ، واحضرت له والدتي الماء ليغتسل ، فتنفس الصعداء وقال :

– « انهم لا يخجلون هؤلاء الذين كان صراخهم يبلغ السماء ، لقد وجدناهم ونحن عائدون سيرا على اقدامنا ، وجدناهم مقيلين تحت اشجار السنديان بين الرحى والكفر وسيجيئون غدا ويقولون انهم ابلوا حوالي القلعة البلاء الحسن . وانهم قتلوا العشرات » .

لقد قطع حوالي خمسة وثلاثين كيلومترا ذهابا منذ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ايام وها هو يقطعها ايابا اليوم . فمن حقه ان يغضب لتلكؤ البعض وتهاونهم في اداء واجبهم . قبل ، حينما كان شابا ، كان مشهورا بمقدرته على المشي حتى انه رافق في احدى المرات حملة من الخيالة سارت الى الصحراء لترد غزوا عشائريا مسلحا ، رافق الخيالة ذهابا وايابا ولم يقبل بأن يسير مع المشاة . اما الان فالامر مختلف . انه لا يملك الطاقة نفسها وفكر في ان يتصل بشريكه في الفرس ليأخذ الام او احدى بنتيها ، ولكن الخبر الفاجع ما لبث ان وردنا بمقتل شريكنا وافراسه الثلاث بقنبلة واحدة في غارة جوية تعرض لها مخيمه بسبب لجوء بعض الثوار اليه .

المهم انه ، حينما كان الرجال غائبين في مهمات قتالية ، كانت الغارة الجوية اشد فتكا . كانت تصيب القرية فتهدم البيوت ، وتقتل الافراد ، والحيوانات . فجارنا الشاب داود ابو هدير ، الذي كان يعمل مكربلا (مغربلا للتبن) ، كان يعود من عمله ذات صباح ، وكان طريقه يمر فوق السطوح المتصلة في القسم الشمالي الشرقي من القرية ، فأصابت قنبلة السطح الذي كان عليه فطيرته ومزقته ، فسقط على الارض اشلاء جمعت في كيس ، كل عضو من مكان . والسطح الذي تهدم من الربد ، وبلغت القنبلة ارض ذلك الاسطبل ، وهدمت جدرانه . اذن ليس الاختباء في الاسطبلات مجديا . يجب الخروج من الابنية والاختباء في الكروم بعيدا عن المساكن . وهكذا صرنا نذهب الى كرمنا الشمالي (الفضيلي) وكان مسيل ماء شتوي (قناة) يخترقه من الشمال الى الجنوب محاذيا جداره الغربي . فكنا نجلس في هذا المسيل حتى تنتهي الغارة . وفي احدى المرات وصلت بعض الشظايا الى جوارنا . وكانت الشظية اوسع من الكف مهتمة الاطراف، من الصعب ان يشفى من تصيبه . وكنا احيانا نلتقي وجيراننا في الملجأ ، في كرمنا . وفي احدى المرات كان القصف شديدا ، والطائرات العشرون تلف وتدور وتقصف وتقصف ، فاذا ابنة جيراننا تغطيني بطرف فستانها الصغير ـ يا للسذاجة ! يا للطفولة البريئة ! هكذا اعتقدت ان رداءها يحميني . ولعله فعل !.. فانا حتى الان ما زلت اذكر تلك الحركة العفوية ، ذات الاثر العميق في نفسي .

وكنا احيانا نفاجأ بوصول الطائرات ، فلا نجد متسعا من الوقت للذهاب الى الكرم فنلجأ الى الاسطبل

وفي احدى المرات ، حدث هذا ، فصعد والدي الى السطح وصعدت معه . وكانت سطوح القرية غاصة بالمقاتلين وحين انتهاء الغارة رأينا ، والدي وانا ، ان خرافا وجداء صغارا لنا قد جفلت ونزلت الى كرم مجاور لبيتنا ، يخص اناسا من آل الدبيسي . وكانت قد لجأت الى جوار جدار احد البيوت الملاصقة للكرم . فنزلت وراءها لاعيدها الى البيت ووالدي ما يزال على السطح يرقبني ، وبندقيته بيده .

وفيما انا اقف جانب الجدار اجمعها لاسوقها ، اذا شيء ينفجر في الحجر الذي فوق راسي تماما فيحطمه وينتثر حطامه في شعري ، وتعتريني هزة شاملة . لقد كانت رصاصة . واذا والدي الذي كان يرقبما حدث يصيح بي « هل انت سليم » . فأمر بيدي على راسي وانفض شظايا الحجر من شعري واجيبه : « نعم سليم » وعدت الى البيت مشدوها ، ووالدي يذرع السطح جيئة وذهابا ويقول : « لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم » لقد كانت رصاصة مقصودة اطلقها احد اولئك الرجال المجتمعين فوق سطح المنطار ، وهو اعلى سطح في مجمع القرية مجاور لبيوت آل الدبيسي . وفهمت من والدي انه يريد اطلاق النار عليهم . ثم ، لما رآني سالما عدل . ولكن المسألة لم تنته عند هذا الحد . فقد كان على المذنبين ان يأخذوا علما بان والدي لا يسكت على هذا العمل العدواني . وقد اخذوا علما بالفعل ، وجاء رجال العائلة جميعا لزيارة والدي والاعتذار منه . مبررين عمل احدهم، بعذر اقبح من ذنب ، وهو اعتقادهم انني كنت شخصا اخر ، ولم يعرفوني . رحم الله ذلك الشاب الذي اوشك ان يقتلني ، فلقد قتل في احدى المعارك ، لقد مات ميتة الابطال ..

وفي احدى الغارات الجوية كانت دارنا هدفا مباشرا للقنابل : فقد انفجرت قنبلتان قرب الجدار الغربي للاسطبل فاطارتا شجرات التين من كرم الجيران، وسقطت قنبلة في كرمنا الواقع امام الدار فغارت في ترابه العميق ولم تنفجر ، وظلت هذه الحفرة اكثر من سنة قبل ان يهال التراب فوقها وتردم بفعل الفلاحة . وكنا نحاول ان نسبر غورها بعصا طويلة او حبل ولكن بلا جدوى . وسقطت قنابل اخرى في كرمنا الشمالي (الفضيلي) ، وسقطت قنبلة في مدخل القرية الغربي ، فأحدثت حفرة كبيرة ، ظلت القرية سنين طويلة ترمي فيها بالقمامة حتى ردمتها. وكانت قد طارت من قلب هذه الحفرة صخرة كبيرة سقطت على بعد امتار منها ، وهذه الصخرة كانت شبه كروية لا يقل قطرها عن مترين بجميع الاتجاهات . وكان ولد مشرد من بقايا اللاجئين ايام الحرب العالمية الاولى ، اسمه صابر نصر ـ على ما اذكر ـ قد جلس وتمدد فوق الطريق المجاورة ، حينما سقطت هذه القنبلة ، ففمره التراب والحجارة غمرا كاملا وانتشل حيا بعد انتهاء الغارة .

وفي فترة من فترات اشتداد الغارات الجوية المتلاحقة على عرمان ، اخذت العائلات تهجر القرية وتلجأ الى القرى المجاورة لبعض الوقت ، فحين تشترك عشرون طائرة دفعة واحدة على قرية صغيرة كقريتنا ، وحين تقذف هذه الطائرات قنابل ضخمة كالتي تحدثت عنها ، ويكون اثرها كالذي وصفت ، وحين تبدو امام الاهلين بعض القنابل التي لم تنفجر بحجم البرميل الكبير ، فيفكونها ويعبئون من عبوتها ثلاث تنكات من البارود يصبح

البقاء في القرية امرا عسيرا ، بالنسبة للنساء والاولاد على الاقل . وكان لوالدي ولاخوالي ، اصدقاء اقرب من الاقارب في قرية « تل اللوز » الواقعة الى الشمال الشرقي من قريتنا . وهي مبنية فوق تل كبير ، وبجوارها الكثير من الكهوف والمخابىء ، ولم تكن مستهدفة بالضرب ، حتى ذلك الحين . فصعدنا الى تلك القرية ونزلنا ضيوفا على اصدقاء والدي واخوالي : صعد النساء والاولاد من دارنا ودار جدي لامي ، وظل الرجال في القرية للدفاع عنها وللاشتراك في اية معركة محتملة . واعجبتني القرية التي لجأنا اليها ، اعجبتني كرومها ذات الارض الرملية والعنب الممتاز ، والتين واللوز ، بقدر ما اعجبني لطف اترابي من ابنائها وبناتها . فكنا نصعد معا نحو الشمال على ظهور الدواب لجلب الماء من عيون « الفجفجيات » الواقعة في جبل عرمان ، ونمرح ونضحك كثيرا ، كاننا في نزهة في صميم السلم والطمانينة ـ وكنت انزل الى عرمان لابقى بضعة ايام الى جانب والدي ، فلم اشأ ان احسب على الصغار اللاجئين بصورة نهائية ، ووالدي كان يرحب بي، الا انه كان يرتبك لوجودي خلال الغارات التي لم تنقطع . فيطلب الي ان اختبىء ، بينما هو يصعد الى السطح ليقاوم الغارة مثل غيره من رجال القرية . ولكني كنت ارفض واقول له : « لن اتركك وحدك ، فما يصيبك يصيبني » .

على ان فترة اللجوء لم تطل كثيرا : ذلك انا كنا قد تجاوزنا معركة المزرعة باكثر من شهر وصارت الاحاديث عنها مشهورة ووقائعها معروفة ، وقصة ابادة الالاف من الجيش الفرنسي اصبحت واقعة تحدث العالم كله عنها . وانتشر الشعر الشعبي يروي ويصف ويمجد البطولات الفردية والجماعية . وغارات الطائرات المزعجة التي كان يتخللها اسقاط طائرة هنا وطائرة هناك اصبحت امرا عاديا .

وذات يوم .. كنا قبيل الغروب في البيت حينما دخل علينا فجاة يوسف المتني ، ابن عم والدتي دخل وبندقيته معلقة بكتفه اليمنى واحزمة الفشك تغطي وسطه وتتصالب على صدره وظهره مثل اكثر المحاربين ، وتتدلى من محزمه ايضا بضع رمانات (قنابل يدوية) . وبعدما سلم وجلس ، اخبرنا بانه وصل لتوه من السويداء وانه عائد اليها فورا ، فقد جاء ليأخذ مقص الشريط الشائك الذي كان لديه لانه سيحتاج الى استعماله في معركة وشيكة الوقوع . كنا نحب يوسف ، كأنه واحد من بيتنا ، لما كان يتصف به من شهامة ، وشجاعة ، وصدق، واستقامة .

لقد كان مثالا للفتى العربي ، ايام كانت الفتوة والفروسية تعنيان عالما من الفضائل يضيق عنه عالمنا الحاضر .. جاء وجلس معنا فترة قصيرة وودعنا وانصرف عائدا الى السويداء ، سيرا على الاقدام ـ كما جاء منها ـ ولم نكن ندري اننا كنا نراه لآخر مرة . قطع سبعين كيلومترا جيئة وايابا ، ثم سار من السويداء الى المسيفرة ، مع المهاجمين فمن اجل معركة المسيفرة التي كان قد تقرر مباشرتها ، جاء ليأخذ المقص فعلى المهاجمين ان يفتحوا لهم طريقا عبر الاسلاك الشائكة الى خنادق العدو (استحكاماته حسب التسمية الشائعة عندنا) .

وظهر اليوم التالي بدات الاخبار تصل عن معركة كبرى يحتد مواوارها في المسيفرة . لقد هاجم الثائرون الجيش الذي كان يتجمع لغزو الجبل في القرية الحورانية السهلية ـ المسيفرة ـ هاجموه فرسانا ومشاة قبيل الفجر ، لا تحميهم صخور ولا شجر . وانطلق عيار ناري ايقظ الجيش ، فاطلق في الجو اضواء كاشفة وراح يحصد الثوار برشاشاته ومدافعه ودباباته وسائر اسلحته . فمن الثوار من نكص على اعقابه ، ليحمل موجة الاخبار الاولى، والاكثرية الساحقة رات ان الهجوم اسلم وانبل فتابعت هجومها ، على الرغم من الخسائر الكبيرة التي مزقت الصفوف . ودارت معركة شرسة طوال ذلك اليوم ، من الفجر حتى الليل ، برز فيها من ضروب البطولة ما لا مثيل له الا في الملاحم والاساطير : داخل الخنادق دار القتال ، على جدران الخنادق قتل المهاجمون ، واحتل عدد كبير منهم سطوح القرية ، ومن على السطوح بداوا يقتنصون الجنود في اعماق خنادقهم ـ وحينما جن الليل خرجوا من القرية تفاديا للتطويق من قبل قوات جديدة لنجدة العدو. خرجوا حاملين معهم الكثير من اسلحة الجيش ، وعتاده ، وخيوله ، وبغاله . ولكن الخسائر بالارواح كانت كبيرة جدا ، كبيرة وغير معقولة بالنسبة الى ثورة شعب صغير على دولة كبيرة . كان يجب عليه ان يقتصد بالرجال ما امكن له الاقتصاد . ولكن البطولة ـ كما كانوا يفهمونها آنذاك ـ لها قوانينها التي لا تنطبق على قوانين الثورات المنظمة التي جرت ابان الحرب العالمية الثانية وما بعدها .

لا اريد ان انتقل من الرواية الى الفلسفة : ففي ضحى اليوم الثالث ، كنا حوالي الطبق نتناول الطعام ، حين دخل علينا حسن صيموعة ، زوج احدى خالاتي ، ويده مضمدة ، لانه اصيب فيها برصاصة ، وبندقيته بيده ـ وراح يروي لنا ما جرى في معركة المسيفرة : « يوسف اعطاكم عمره » ـ ووقعت اللقمة من يد كل منا وكففنا عن متابعة الاكل ، واخذت الدموع الصامتة الصابرة تسيل ـ « والشيخ ابو محمد سعيد الحجلة ـ وفارس ابو خير ـ وداود الصغير ـ وفندي جابر ـ وسلامه صيموعة حامل البيرق ـ وتناوب على حمل البيرق ثلاثة من آل صيموعة قتل منهم اثنان وجرح الثالث (حسن)ـ وجبر الجرمقاني .. وعشرات غيرهم ـ استشهدوا جميعا بين اكثر من ثلاثمائة قتيل من مختلف انحاء الجبل » ـ كل بيوت القرية كانت مصابة ـ من اذكر ومن لا اذكر ؟ كان لا بد لي من تذكر الاقارب ـ وهذا طبيعي ـ ولكني ذكرت المرحوم الشيخ ابو محمد سعيد الحجلة لقد كان شيخا

حناهل النور

خلقت للشعر ، لا للمال والنشب ... فدولة الشعر لا تبنى على الذهب
عودت عيني ان ترتد عن طمع ... فصار قلبي مشدودا الى هدبي
تطير بي في سماء الوحي قافية ... والف قافية جذلى تحلق بي
اسقي الفؤاد ندى الانسام صافية ... واستقي ذوبها من منهل عذب
ما حاجتي لثراء ليس ينفعني ... ان الثراء .. ثراء العلم والادب
التبر عندي اخلاق معطرة ... والف اهلا بعيش الجوع والسغب
ضعني على ضفة خضراء وارفة ... واخلع علي رداء الزهر والعشب
وابعد الهي رنين الفلس عن اذني ... اني الفت انين الناي والقصب
ماذا تفيد كنوز الارض نملكها ... والقلب يغفو على الاهات والكرب
لم يعم باصرتي تبر ولا ذهب ... ولم يكن مذ رايت النور من اربي
المال كالشوك يدمي كف حاصده ... ويستبيه بلا داع ولا سبب
بئس الدنانير كم راجت تجارتها ... وكم اضاع هواها كل ذي حسب
درب الحياة قصير دون مطلبنا ... انا لنطلبه ، والعمر في الطلب
الام نركض خلف المال نجمعه ... والعيش بالمال لم ينعم ولم يطب
اروي بحرف مصفى ناغم ظمأى ... وهم يروونه بالدر والنشب
غسلت نفسي من داء ومن دنس ... ورحت اسمو بذاتي غير محتسب
لم يثنني المال والالقاب عن ادبي ... فعزة النفس فوق المال واللقب
التبر يسلب وحي الشعر من قلمي ... ويسرق العزم من صبري ومن دابي
نفسي الابية لم تفقد تواضعها ... ولا توانت ، ولا مالت الى التعب
نقاؤها الصرف لم يعبث به طمع ... وعزها السمح لم يضعف ولم يشب
يا عابد المال ، ليس الله من ذهب ... فكيف تعبد ربا ليس من ذهب
مهر الطموح الى مال ، متاعبه ... اغلى من المال عندي صحبة الكتب

فنزويلا

جورج يوسف شدياق

مهيبا وقورا تقيا ، عمري ما نسيت وجهه الواسع الابيض المستبشر ، وعينيه الواسعتين المملوءتين عطفا وانسانية ، والشعرات البيضاء تتخلل لحيته السوداء فتزيده جمالا وتأثيرا ـ اذكر انني حملت له شيئا ما مرة ارسله اليه والدي مغي ، فلاطفني ملاطفة لا انساها ، وملأت صورته البهية نفسي حبا واعجابا ، وقدم لي قطعة من البقلاوة احسب اني لم اذق اطيب منها في حياتي . وهو اذ يختتم حياته النقية بالاستشهاد يكبر في نظري ، ويكبر في عيون الناس ، حتى لينتصب عملاقا لا يدانيه احد . ام اذكر فارس ابو خير (ابو حمد) ، ذلك الشيخ الوقور ذا الوجه الصبيح المشع نورا ، وهو شقيق زوجة الشيخ الحجلة . ام اذكر داود الصغير (ابو سليمان) وهو بطل من الابطال استشهد وجرح ولده سليمان في ساعة واحدة ـ ام اذكر فندي الصغير الذي نقلوا عنه انه ظل يقاتل اثنتي عشرة ساعة كاملة ، افرغ خلالها صندوقين من الفشك ، من وراء مدحلة (مدحاة) فوق احد السطوح ، وحينما غابت الشمس وقف وقال باعلى صوته : « اذا كان بينكم من هو اشجع مني فليصعد الى هنا : « لقد نسي رحمه الله انه كان على مسافة امتار معدودة من خنادق العدو وان العدو لم يكن ينتظر غير هذه الاطلالة ليرميه فيصيبه في جبهته الشماء فيستشهد . ـ من اذكر ولا اذكر ؟ لم اذكر الا بعض الوجوه التي كنت اعرفها وصورتها لا تفارق مخيلتي .

السويداء ـ سوريا

سعيد ابو الحسن



عبد الرزاق الهلالي

رسائل صيدح المطوية أيضاً

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم عبد الرزاق الهلالي

* * *

قرات في عدد سابق من (الاديب) الاغر ، كلمة للاستاذ الفاضل عيسى فتوح دعا فيها بعض اصدقاء المغفور له ، الشاعر المهجري الكبير ، جورج صيدح ، لنشر ما عندهم من رسائل كانت قد تبودلت بينه وبينهم في شتى المناسبات ولكنها لا تزال مطوية ، فهو اي الاستاذ فتوح ، يرى ان في نشر هذه الرسائل ثروة ادبية لا يستغنى عنها ولا بد لقراء الجيل الجديد من الاطلاع عليها .

وقد استجاب لدعوة الاستاذ هذه ثلاثة من الاساتذة حتى الان ، هم الدكتور عبد السلام العجيلي والاستاذ وحيد الدين بهاء الدين والدكتور فوزي عطوي ، فكان ما نشروه منها ذا اهمية حقا في دنيا النقد والفكر والادب ، لان هذه الرسائل وان كانت في طبيعتها اخوانية ، الا انها قطع ادبية ممتازة ، فكرة ومعنى ، وهي بمجموعها ذخيرة جيدة لا بد من اذاعتها ونشرها ليفيد منها الجميع ، لا سيما بعد ان اصبح كاتبها في ذمة التاريخ .

واليوم وبعد ان قرات ما قرات منها ، ارى لزاما علي (وان لم اكن واحدا ممن دعاهم الاستاذ فتوح) ان ادلي بدلوي في هذا المجال ، وابعث ثلاث رسائل كان قد بعث بها الي هذا الشاعر الكبير منذ ان تعارفنا على البعد ويعود الفضل في ذلك التعارف الى الكاتب الكبير الاستاذ وديع فلسطين ، فقد اقترح علي هذا الصديق الوفي الوديع ان اتصل بالاستاذ صيدح المقيم في باريس لانه كثيرا ما يسأله عني ويرغب في التعرف بي .

فاستجابة لهذه الرغبة الكريمة وبمناسبة صدور كتابي الموسوم بـ (الشاعر الثائر الشيخ محمد باقر الشبيبي) بعثت له بنسخة منه مصحوبة برسالة ، فما هي الا ايام حتى جاءتني الرسالة الاتي نصها :

باريس ٨-١٢-١٩٦٥

سيدي العزيز الاستاذ عبد الرزاق الهلالي - بغداد

يطيب لي ان احييك بعد ان فرغت من مطالعة مؤلفك النفيس عن الشاعر الثائر الشيخ محمد باقر الشبيبي ، فأصبحت ممتلىء الذهن بما علمت من سيرته المثالية الرائعة ، وممتلىء النفس بما قراته من الشعر الرائق الصادق ، وصار علي ان اكرر لك الشكر مرارا على عدد الاسباب الداعية اليه .

علمني كتابك ، كيف يكون التحقيق في السير ، واستخلاص العبر ، وتجويد البيان ، حتى يحصل القارىء على المنفعة من طريق المتعة .

وعلمني الشاعر المدروس ، كيف يكون الثبات على العقيدة من مطلع العمر الى ختامه . وكيف يكون بلاغ الرسالة الوطنية الى قلوب الشعب ، نغما ساحرا وحوارا آسرا .

ولا اكتم عليك اني كنت اعرف الشاعر ، اسما وشهرة ، واجهل كل شيء عن سيرته واثاره ، حتى جاءت دراستك عنه ، غنى لمعارفي ، وهوى في نفسي ، فيها وقعت على نوع الشعر الذي احب وعلى خلق الشاعر الذي اجل، في عصر قلت فيه جزالة القول ومتانة الاخلاق .

يعز علي ان يكون محصول الشاعر الكبير هذا المقدار الصغير المنشور في الكتاب وان يكون معظم المنشور من الشعر السياسي ، كأن قيثارة الشاعر قليلة الاوتار رتيبة الاصوات .

ان من يقرا قصيدته الرائعة عن (ملاك المسرح) (١) صفحة ١٥١ - ١٥٢ يوقن ان الوتر الفني ، لا السياسي هو اقوى الاوتار في شاعريته . ولا بد من وجود قصائد من هذا الطراز العالي لم يحصل عليها الدارسون بعد ، وهي في شرعي من اغلى اللآلىء جوهرا ومظهرا ، ويليها في الاهمية شعر الفكاهات ، فهو دليل على رهافة الذوق،

وحدة الذكاء وقوة البديهة ، وهو ابلغ اثرا في النفوس، من كل شعر ، بمثله تخلد شعر ابن الرومي ، وابي نواس قديما وشعر حافظ ابراهيم والياس فرحات حديثا . فدارت دعاباتهم الشعرية على ألسنة الزمن كما تدور الان قصيدة الشبيبي في أم كلثوم (٢) (فاني في الهوى وفدي) وقصيدة المستشار (٣) والوزير الذي يعربد كلما شرب المستشار الطلا .

عفوك يا سيدي عن ثرثرتي ، عفوا ، استجديه بشفاعة مودتي .

جورج صيدح

وحين اصدرت كتابي الموسوم بـ (دراسات وتراجم عراقية) سنة ١٩٧٢ نشرت فيما نشرت فيه عددا اخر من قصائد الشاعر الثائر الشيخ محمد باقر الشبيبي كما نشرت هذه الرسالة المطوية في ذلك الكتاب ، ولما بعثت له بنسخة منه ، جاءتني بعد اشهر الرسالة الاتي نصها :

باريس ٢ـ٨ـ١٩٧٢

سيدي الغالي ، عبد الرزاق الهلالي

حالت الوعكات الصحية التي منيت بها، دون الاطلاع على كتابك القيم (دراسات وتراجم عراقية) وهو في حقيبتي منذ شهرين يطوف معي مرابع الاستجمام والاستشفاء ولا يظفر بساعة انشراح ولقاء ، حتى هونها الله وعدت الى قواعدي ، عودة الابن الشاطر ، مجبور الخاطر . فجعلت هذا الكتاب ، سميرا ونجيا لي ، في ليلتي البارحة ، واصبحت اليوم مدينا له بمتعة روحية وبذخيرة ادبية ، افيد منها في دراساتي وتأملاتي ، كما اني مدين لك بهذا الالتفات الكريم نحوي ، للمرة الثانية ، لا بالاهداء فحسب ، بل بالاهتمام بكلمتي عن هديتك الاولى (٤) وبتعليقك عليه في هديتك الثانية . لقد تكرمت باثبات تلك الكلمة في كتابك فأوليتني شرف الذكر في هذا السفر ، وتكرمت بالاستجابة الى رغبتي في جمع اكثر ما يستطاع جمعه من روائع هذا الشاعر ، كما اشرت الى ذلك في صفحة ٨١ ، فاضفت ما فاتك منها واكملت ما كان منقوصا في الكتاب الاول .

وما اسعدني الان ثلاث خرائد ترفل في مطارفها الكاملة ، كما كنت اشتهي ان اقراها وهي (الدالية) (٥) الموجهة الى مستر كراين و (اللامية) الموجهة الى همفريز (٦) و (الرائية) (٧) اليتيمة التي اعتبر كل بيت منها حسنة من حسنات الشاعر حرام ان يحرم منه قارىء معاصر .

انني اكبر همتك في التأليف والنشر ، بعد الجهد الجهيد في التحقيق والجمع ، حريصا على اداء الرسالة الادبية بامانة وشمول واريحية .

اهنئك على نجاح مساعيك بالوصول الى مراميك في كتابك الجديد ، كما اهنىء نفسي بالحظوة التي نلتها من قلمك ومن مودتك ومن اهتمامك بما اكتبه اليك ، فصرت اشعر بتعاطف وتجاوب معك كأن تعارفنا يرجع الى عهد قديم او الى تعامل مستديم .. هكذا تتآلف الارواح الخيرة وتتفاهم الضمائر النقية دون اعلان ولا ترجمان .

لا اتصدى للحكم على الابحاث الاخرى في كتابك ، لان معارفي لا تؤهلني لتقييم ادب الاعلام في العراق او لمناقشة من ينتقدهم ، كل ما استطيعه هو الافصاح عن اثر الكتاب في نفسي فأقول ، انه من الاعمال الادبية النافعة المثمرة ، وان شعر محمد باقر الشبيبي هو احسن الشعر المنشور فيه ، وان المجال لم يزل مفتوحا للبحث عن قصائد (فكاهية) لم تنشر بعد ، وهي في شرعي تمثل جانبا مهما من جوانب عبقريته ، فلا يجوز اهمالها .

وتجد لمحات في كتابك مثل التعليق على زواجه :

ان شئت ان ترد المنون فمرج ودع العزوبة جانبا وتزوج

هكذا يريد ذوقي الخاص ، وهو الذي يتحكم بي وانا لا افرضه على غيري ، ولكني اجاهر به ورزقي على الله .

جورج صيدح

هامشية :

من عادتي عند الانتهاء من مطالعة كتاب ان اكتب على غلافه الداخلي ، الحسنات والنكات التي استوقفتني فيه ، حتى اعود اليها ، واستشهد بها متى عرضت المناسبة دون عناء في البحث عنها ، لذلك سجلت على غلاف كتابك هذه الابيات :

ان شئت ان ترد المنون فمرج ودع العزوبة جانبا وتزوج

وهو من شعر الشيخ محمد باقر الشبيبي .

الى ان يعود الماء في النهر جاريا ويخضر جنباه تموت ضفادعه

وهو من شعر السيد محمد القزويني .

رام بدنو عرسه فراته ليس يستطيع فالتقى ساكنان

وهو من شعر السيد محمد القزويني .

فالقلب من دين ابن مريم وحيه والفكر من لغة النبي محمد

وهي من شعر الشيخ مهدي مقلد ، من قصيدة يرثي بها الاب انستاس ماري الكرملي .

وهذا البيت الاخير هو لسان حال الالوف من المهاجرين المسيحيين النازلين في اقطار اميركا وافريقيا . ونزلت لغة القرآن في نفوسهم منزلة الدين فوقتهم شر التأمرك والاستعجام . وتجدني واحداً منهم ، اقول لكل من يلومني على هذا الايمان « بأي آلاء ربكما تكذبان؟»

جورج صيدح

وهكذا كانت كتبي او ما انشره من قصائد في بعض المجلات من حين لاخر ، دافعا لحمل هذا الشاعر الكبير ، على الكتابة الي ، وكانت اخر رسالة تلك التي كنت قد تسلمتها بعد ان وقف على قصيدتي الخاصة بـ (اشبيلية) المنشورة على صفحات مجلة (البلاغ) التي يشرف على تحريرها الاستاذ البحاثة الشيخ محمد حسن آل ياسين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فكتب الي بعد قراءتها الرسالة الاتي نصها :

اكس ليبيان ٧-٢-١٩٧٦

الى سيدي الاخ المفضال شاعر الاقوال والافعـــال

الاستاذ عبدالرزاق - بغداد

سيدي :

ابتهجت برسالتك الكريمة ، بعـد ان شغلتني على مقاطعتك الصامتة ، على غير ما عودتني وما اشتهر عنـك من كرم التلبية والتزام الوفاء ، الى ان تنسمت اخبارك من الاخ وديع فلسطين في القاهرة ومن مراسلي في بغداد اما من جهتي فقد حملتني امراض الشيخوخة القاسيـة الى الاستجمام والاستشفاء خارج باريس كما ترى ، ولن اعود الى مقري الا بأمر الطبيب وقد يصدر عن قريب .

سياحتك الامبراطورية الاندلسية (٨) ، جمة المنافع والروائع ، سرني ان تكون تمليت عنها ، واطلت الوقوف على اطلالها ، كما فعل قبلـك شعراء العربية الاعـلام وانفلاسفة العظام . انا زرتها لماما، عام ١٩٥٢ في سياحة جماعية لم تشف غليلي فأعدت الكرة بمفردي في سيـارتي عام ١٩٥٧ ، وشاء القـدر ان يوقفني قبـل وصولي (سانتاندير) على اثر حادث سيارة في مدخل المدينة ، فلم اكمل السياحة ، ولا عندي في ديواني شعر يسجـل انطباعاتي سوى مقطعة واحدة منظومة على قمة جبـل غرناطة :

غرناطة تحتي وما عيـدت ... للفاتـح القـادم من جلـق
ترتـد عـن (حمرائها) مقلتي ... حمـراء من دمـع بهـا مهـرق
والثلج من حولي بشاشاتـه ... تفتـر عـن تاريخنـا المشرق
امسكتـه ، اهمس في اذنـه ... اوذيـك او ترحـل عن مفرقي

أفانت حفظك الله ، بوقوفك على المرقص العـالمي الشهير ، متأنيا متوجعا ، كما فعل جميع شعراء الاحساس المرهف والوطنية الصادقة .

اسكرني هذا التعبير الملهم في البيت القائل :

وان رطنـوا وغم عليـك امـر ... ففي سيماهم ابـدا كلـوم (٩)

صورة لم يسبق اليها ، وكلنا شاهدناها في مـلاح الاسبان في اشبيلية .

عندي الان مشكلة شعرية تزعجني ، خلتـها الاخ الدكتور صفاء خلوصي في قصيدة بايعني فيها بـ (امارة الشعر) في هذا العصر ؟؟ فاستهجنت هذه المبالغة التي تخفض من عزتي وتنال من كرامتي ، كأنها تسخر مـن شاعريتي ، فكان ردي هادئا وتنصلي عارما مع المبالغـة في التواضع كيلا تظن بعقيدتي الظنون . وما ان فرغت من هذه المهمة حتى فاجأني اديب فاضل من بغداد هو الاستاذ عبد المجيد لطفي الذي لا اعرفه شخصـيا ولا سماعا ، بقصيدة مبايعة بامارة الشعر ، كأنها تكملة لقصيدة الدكتور خلوصي ، فثارت نفسي من جديد وعدت اتوسل الى مادحي ان يرفق بي ولا يكون جارحي .

اني ابعد الناس عن الغرور وحب الظهور على حقيقتي فكيف ارضى ان يصورني شاعر صورة زائفة غريبة عني ؟ ولا اعرف مجلة يتسع صدرها لمثل هذه المساجلة بـين شعراء ثلاثة قد يكونون من اصحابك ولا يرتاحون للنشر في بغداد .

اهتمامي بهذا الموضوع راجع الى احداث هجرتي في الارجنتين ، حيث ألفت « الرابطة الادبية » التي جمعت شمل الادباء والشعراء في منزلي ، وكنا نتندر بغبـاوة ، (دعي شبه امي) حشر نفسه بيننا وراح يخطب في كـل مقام فأصبح مضحكتنا ومحور نكاتنا .

وبعد ان خطب في احدى الحفلات الكبرى ، وقـف الياس قنصل يطلب من الحضور جميعا مبايعة الرجـل بامارة الشعر فأجابوه بتصفيق الاستحسان وكتبـوا له (فرمانا) وقعه اربعون اديبا يصبح بموجبه امير الشعراء السابقين واللاحقين ، والى الان لم يزل (المعتوه) يفاخر في اللقب انى ذهب . وهو الان في دمشق يطالب الحكومة باستضافته وطبع شعره على حسابها احتراما لمنزلته العليا في المهاجر ، لذلك اخشى الوقوع في الفخ مثله لا سمح الله.

اسم هذا الرجل (...) ربما تعرفه وتقرفه واليك ازكى سلامي واصدق احترامي .

جورج صيدح

هامشية :

علمت من اصدقاء دمشق ان الرجل حل ضيفـا ثقيلا وطبع ديوانا جديدا ، يوزعه على كل عابر سبيـل ويهديه الى كل عنوان يقع في يده والى اليوم لم نعرف قارئا واحدا فتح ديوانا له وقراه . بل كتب الى صديـق (عيسى فتوح) انه يوزع مع الديوان اقلام حبر ، هدية لكل قارىء ويسب صيدح في كل مجلس لانه اهملـه ولم يذكره في كتابه المهجري بين شعراء المهجر .

جورج صيدح

كانت هذه اخر رسالة تسلمتها من هذا الصديـق الوفي ، وحال دون التواصل والتراسـل بيننا مرضي واصابتي بعجز كلي عن العمل ، ومرضه الاخير الذي انهى حياته الغالية .

وبعد ، فأرجو ان اكون قد ارضيت الاستاذ فتـوح بنشر هذه الرسائل المطوية ، كما ارجو ان اكون قـد اسهمت في خدمة الفكر والادب ومن الله التوفيق .

الهوامش :

١ - (ملاك المسرح) - هي الفنانة الين رزق ، التي قال فيهـا الشبيبي قصيدته عندما زارت بغداد مع فرقة يوسف وهبي والتي مطلعها :

عبـقي المسرح ريـا ... واعيـدي الفـن حيـا

٢ - ابو كلثوم الوفدي : هو الشاعر الشيخ محمد باقر الشبيبي جاء ذلك في قوله بقصيدته التي القاها في نادي القلم العراقي سنة

لها مشتري الرجال

روع النجم وادلهم الفضاء ... وتداعت اطوادها الغبراء
واستجارت بربها امم الارض ... ونادت معبودها الضعفاء
دول لا تروم الا احتكارا ... اينما تعتدي يسود البلاء
كم لها تشتري الرجال عبيدا ... كي توالي استعمارها العملاء
والوف الاطفال في قبضة الموت ... تغشى فيها الطوى والفناء
تملأ الافق والصحارى نداء ... هل اغاثت نداءها الصحراء
فاستجارت بالشمس من حلك ... الالام حتى عم الفضاء النداء
علها تحجب الشعاع عن الدنيا ... فتجتاح ارضها الظلماء
كي يسود السلام في كل ارض ... او يسود الردى بها والفناء
لهف قلبي على العروبة تستجدي ... حقوقا خانت بها الاقرباء
كل عقل من حكمة الله ظل ... يتهادى فيه السنى والسناء
ونشاط العقول علم ومال ... وقياد الورى هم الاقوياء
ليت من ركب الهيولى عقولا ... كان من طبعها الصفا والوفاء
انما العيش في الانام صراع ... يتبارى فيه الشقا والرخاء
وقوي السلاح يزداد نصرا ... وسلاح المستسلمين الدعاء
ليس الا العلوم تبني رجالا ... حطها الجهل والخنا والعياء
مزقتها الاهواء في طلب الشهوات ... حتى اودت بها الاهواء
فغدت تقتل الرجال .. المناكيد ... وتلهي الانذال منها النساء
خذ دليلا هذي المعارك في «لبنان» ... حاكت فصولها البغضاء
كم تمادى الفجور والحقد فيها ... واستبدت جرائم حمقاء
لا تبالي الجهال ان احرز الاخوان ... نصرا ... ام احرز الغرباء
هو حكم المستعمرين قرونا ... هدمت خلقنا بها الشحناء

سان باولو ـ البرازيل

فارس بطرس

١٩٢٨ والتي مطلعها :

وفاء بعهدي او نزولا على وعدي ... وقفت احيي معشري وبني ودي

٣ ـ اشارة الى البيت الذي جاء في قصيدته التي حيا بها المستر كراين والتي مطلعها :

حقا تقوم لك البلاد وتقعد ... وتشيعد باسمك يا وفي وتنشد

وقال فيها مشيرا الى وزراء ذلك العهد :

المستشار هو الذي شرب الطلا ... فعلام يا هذا الوزير تعربد

٤ ـ اشارة الى كتاب (الشاعر الثائر الشيخ محمد باقر الشبيبي) المشار اليه آنفا .

٥ ـ هي القصيدة التي قالها بالترحيب بالمستر كراين كما ذكرنا آنفا .

٦ ـ هي القصيدة الموجهة الى المندوب السامي البريطاني المستر همفريز الذي عاد الى بغداد من لندن انذاك ومطلعها :

هل في حقيبته شيء من الامل ... ام المزيجان من سم ومن عسل

٧ ـ هي القصيدة التي رثى بها اباه المرحوم الشيخ محمد جواد الشبيبي والتي مطلعها :

اذكرك ام هذي القيامة والحشر ... فديناك هل انت الفقيد ام الذكر

٨ ـ اشارة الى سفرتي الى الاندلس التي كنت زرتها في سنة ٧٥.

٩ ـ اشارة الى قصيدتي في اشبيلية التي نشرتها المجلة وقلت فيها مذكرا بان الاسبان هم عرب قائلا :

فهم اخواننا حسبا ودينا ... وان فتكت بهم محن جسام
وان هم غيروا اسما ودينا ... فهم عرب بيوتهم الخيام
وان رطنوا وغم عليك امر ... ففي سيماهم ابدا كلام

١٠ ـ لقد ذكر اسم هذا الرجل الا اني حذفته .

بغداد

عبد الرزاق الهلالي

محمد الخضر حسين في عالم الشعر

بقلم الدكتور محمود محمد لبدة

مدرس الادب والنقد في كلية اللغة العربية بالمنصورة

* * *

خواطر الحياة عنوان الديوان الذي جمع بين دفتيه خلاصة ذوق هذا الشيخ الجليل ، والفقيه الكبير والقول الفصل في هذا الديوان لا يتم تمامه الا اذا رجع به الباحث الى منابعه الاولى ، ليعرف مبلغ انبعاثه ، وقوة جريته ، والى الروافد التي غذته ، وجعلته تام التركيب ، من حيث معرضه ، وجمال صورته ، ودقة لمحاته ، ليتبين اخلاق منشئه ، وشمائله وآرائه ، وفلسفته في الحياة والاحياء .

والمعروف عن الشيخ ـ رحمه الله ـ انه رجل شريعة اقترن اسمه بها ، فهو يجيد الحديث فيما يتعلق بالكتاب والسنة ، فقها وتفسيرا وتأويلا ، وكانت مجلة « الهداية الاسلامية » التي يراسها ، ويشرف عليها ، هي المجال الخصب لآرائه ، والمتنفس الرحب لمقالاته ومقالات الائمة البارعين ، كالشيخ محمد ابي العيون وغيره .

وقد قلده هذه الصفة منصبه الرسمي ، فقد كان شيخا للجامع الازهر ، وعلما من اعلام الاسلام الذين يشار اليهم بالبنان .

ولكنه جمع الى صفته الدينية ملكة ادبية ، جعلته يضرب بقلمه في اودية الفكر المختلفة ويحلق بفنه في سماء الخيال الخصيب ، يقول عنه الاديب الناقد الدكتور محمد رجب البيومي (١) (وقد راينا الان في هذا العصر من تضلع في العلوم اللسانية تضلعه في العلوم الشرعية ، حتى لتحار اين تذهب به مرجحا كفة على كفة ، ومن هؤلاء استاذنا الاكبر محمد الخضر حسين رضي الله عنه ، اذ كان يناقش معضلات اللغة والنحو والادب ، كما يناقش معضلات الفقه والاصول والتوحيد بشموخ يرتفع عاليا في الميدانين، دون ان تقصر مئذنة عن مئذنة في سموقها الناهض ، وارتفاعها البعيد) .

وكتاباته المتنوعة ، وبحوثه العلمية والادبية اعظم متحدث عنه ، واقوى شاهد له فهي تدلنا على انه متعدد المواهب ، جيد التحصيل ، حاضر العقل والقلب ، وانه ما وجه همته الى شيء ، ولا صرف نظره الى موضوع الا اسعفته عقليته بكل ما اراد ، وامدته قريحته بصنوف الزاد .

وقد كان الشيخ ـ رحمه الله ـ غيورا على لغة القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، فحينما كتب الدكتور طه حسين « في الشعر الجاهلي » بعد ان القاه محاضرات على طلبته في كلية الاداب سنة ١٩٢٦ ، كان الشيخ محمد الخضر حسين من بين العمالقة الذين تصدوا له ، ووضعوا الحق في نصابه الصحيح ، مما يدلنا على ان مؤشره الاسلامي كان يتحرك لادنى الملابسات التي تمس الدين والعقيدة ، وان لسانه كان الاداة التي تدفع الامة الى المعالي وتردها عن سفاسف الحياة وتوجهها بدقة الابرة المغناطيسية الى الافاق الرحبة الكريمة .

والمتصفح لديوان « خواطر الحياة » يرى بوضوح انه على درجات متفاوتة ، وضروب متنوعة من حيث التفكير ، والتصور ، والتعبير ، وهذا شيء طبيعي لان الشعر زفرات روحه ، ورسول عقله وقلبه في اطوار حياته المختلفة ، وبه يترجم لغة ما في نفسه الى الاخرين من حوله ، ولا شك ان الملكة الفنية لا تولد كاملة ، وانما تجري عليها سنة النشوء والارتقاء حتى تستحصل وتقوى، لذلك كان من الاشياء التي افلتت من بين اصابع الشيخ ـ رحمه الله ـ ولم يفطن لها انه رتب القصائد والنتف والمقطوعات التي جمعها من مذكراته الخاصة ، ومن الصحف والمجلات التي نشرت فيها على الترتيب الابجدي، ربما لانه كان ينظر الى شعره كله ـ وهذا من باب الاعتزاز ـ على انه عنده كالحلقة المفرغة لا يدري اين طرفاها ، ولو انه عدل عن هذا الترتيب الابجدي الى الترتيب التاريخي لكان في ذلك هداية اي هداية للباحثين في آفاق فكره ، والقارئين بين سطوره آماد بصره ، ولتغير الموقف النقدي تغيرا كبيرا ، ومعظم شعره جيد ، ولكن مقياس الجودة فيه يختلف من قصيدة لاخرى ، ففي بعض قصائده او مقطوعاته نجد الشعر عنده يأخذ لونا من الوان الترف الذهني وفنا من فنون الامتياز الادبي والعقلي فهو لا يقوله صناعة ، ولا ينطق به تكلفا ، وانما تأتيه المعاني ارسالا ، وتنشال عليه الالفاظ انثيالا ، فيلتئم منها جميعا عقد نظيم ، تقل حباته وتكثر ، ولكنها مع قلتها او كثرتها تحتفظ بجمالها ، وحسنها ، ورقتها ، من هذا النوع قوله يناجي النبي صلى الله عليه وسلم :

احييك والامال ترسل مدمعا ... كاني احدو بالسلام مودعا
وما ادمع البشرى تلوح بوجنة ... سوى ثغر صب بالوصال تمتعا
وقفت بمغنى كان يا اشرف الورى ... لطلعتك الحسنى مصيفا ومربعا

فذا موقف لامست فيه باخمعي ... اجل من الدر النفيد وارفعا
وذلك مرقى كنت تصدع فوقه ... بما حاز في اقصى البلاغة موقعا
وذاك مصلى طالما قمت قانتا ... به ، ويقوم الصحب خلفك خشعا
وذي حجرة كان الامين يؤمها ... بوحي فكانت للشريعة منبعا

الى ان يقول :

واروع ما شق الفؤاد بحسرة ... وهاج به الاشجان حتى تقطعا
تخاذل حال المسلمين وما اتى ... من الخطب في ارجائهم وتجمعا
وما شاننا الا كعقد تناثرت ... جواهره في سطح احدب انزعا
فهذا يحاذي في قضاياه نزعة ... تخط وراء الحق للناس مرتعا
وهذا يصوغ القول في قالب يرى ... بجانبه قول الشريعة اوسعا
وذاك ينادي بالضلالة ماسحا ... بصبغة دين كي يغر ويخدعا

وهذه الحرارة الروحية الشديدة التي بلغت بالشاعر مقصده ، امام قبر النبي صلى الله عليه وسلم وباعدت بينه وبين الفلسفة وابهامها ، واللغة والغازها ، فجاءت واضحة في ألفاظها ومعانيها ، سهلة في قوة ادائها ، رائعة في تأثيرها ، جهورية في قافيتها التي انتهت بأنصع الحروف العربية واجلاها وهو حرف العين ، هذه الحرارة الروحية نجدها شديدة الفورة في قصيدته التي قالها امام قبر صلاح الدين الايوبي في دمشق سنة ١٣٦٣ هـ وفيها يقول:

لو لم تبلغك الحياة مناكا ... لكفاك انك قد قهرت عداكا
لك سيرة كادت تمثل للنهى ... بشرا ينافس في العلا املاكا
ومفاخر يوم استغاث الشرق من ... خطر الم ولم يجره سواكا
صرخوا النفير واطمعوا احشادهم ... في تل عرشك والتحام حماكا
حملوا الصوارم والقنا بحماسة ... واتوا ميادين القتال وشاكا
قلت « الجهاد » فماج حول لوا ... نك السامي فيالق لا تهاب عراكا
ولقيتهم بعزيمة لا تنثني ... والراي نبراس يؤم خطاكا
واذا البطولة عززت بدراية ... كانت لانقاذ الشعوب ملاكا
عادوا بخيبة امل وتملات ... من مجتنى النصر المبين يداكا
عادوا ولم يخلد بهم وهن الى ... يأس وظلوا يفتلون شباكا
حتى اذا اخذ الكرى بجفوننا ... زحفوا وما لاقوا قنا كقناكا
او ما سمعت رطانة الافرنج من ... حول الضريح تخوض في ذكراكا
وكاتني بك قد هممت بوثبة الـ ... اسد الهصور لو استطعت حراكا
جاسوا المدائن والقفار وارصدوا ... في كل واد غاشما فتاكا

وفي هذه القصيدة الصادقة نجد شبها كبيرا بينها وبين القصيدة السالفة التي القاها امام المقام النبوي الشريف ، على الرغم من البون الزمني الكبير بينهما ، فقد نظم القصيدة الاولى سنة ١٣٣١ هـ ، ونظم الثانية سنة ١٣٦٣ هـ ، ولكن مادة الشعر فيهما امتزجت بروح الشاعر وقلبه فكانتا للتاريخ وللسياسة مادة ، وللروح تأثيرا وبلاغة وتصويرا .

فقد بكى في الاولى حال المسلمين، وما آل اليه امرهم من الضعف والتخاذل ، بينما كانت ثقافته التاريخية تسعفه ، وتشد من ازر دعواه في قصيدته الثانية ، فهو يشير الى النصر العظيم الذي حققه صلاح الدين الايوبي في موقعة حطين الفاصلة بينه وبين الصليبيين ، ثم فتحه بيت المقدس ، وابرام الهدنة بينه وبين الفرنج ، ثم وفاته بدمشق عام ٥٨٩ هـ قبل التمكين لدولته ، ووضع النظم لها ولحكمها ، ويذكر ان الامور قد عادت سيرتها الاولى فهاهم اولاء الفرنج في دمشق يجوسون الديار ، وكانهم يقولون : ها نحن اولاء قد عدنا يا صلاح الدين ، ثم يستحث الهمم ، ويتمنى ان يجود الزمن بصلاح الدين الجديد ، ليذود عن حمى الشرق فلول المستعمر الغاصب:

يا ليتني ادري ومثلك يفتدى ... بمثاله بين الورى ويحاكى
ايتاح للشرق المعذب ذائد ... يرمي ويبلغ في النضال مداكا

اما ظرفه ورقته ، ورؤيته المتجددة للفن ، وفهمه العميق للحياة ، ونظرته النافذة لحقيقة التجديد في الشكل والمحتوى ، فيبدو اكثر وضوحا في هذا الضرب الذي ما زلنا بصدده في النتف والمقطوعات التي بلغ فيها غاية الدقة في الوصف ، والذي عول فيها على احساسه اكثر من تعويله على فكره مما زاد من رونقها وبهائها ، من ذلك قوله تحت عنوان « كلانا ناظر وردا » :

انشدتنا شعر لهفان على ... وصل ليلى وليالي الرقمتين
قلت : خلي ذكر من قال ولم ... يبرز المعنى : رات بدرا بعيني
واذكري يوم تلاقينا على ... ربوة والماء صاف كاللجين
غادة ترنو الى ورد الربا ... وفتى يلحظ ورد الوجنتين

يشير بذلك الى قول القائل :

رات قمر السماء فذكرتني ... ليالي وصلها بالرقمتين
كلانا ناظر قمرا ولكن ... رايت بعينيها ورات بعيني

ومثل هذا في ديوانه كثير فهو يعارض مجددا ، ويسابق فيسبق ، ويرى كل من سابقه غباره ، ثم يمضي متقدما ، ومعظم ديوانه من هذه النتف والمقطوعات التي تنبىء عن اصالته في فن القريض وتدل على براعته في التنويع ، فلم يكن نمطا واحدا ، وانما كان يترسل في شعره ليدخل حنايا النفوس ويمتزج بالارواح ، ولا يفتأ بين تضمين حكمة ، او تدوين خطرة ، او فلسفة نظرة ، او معارضة معنى .

كما كانت هذه النتف والمقطوعات الكثيرة امارة التشاغل بغير الشعر ، والتفرغ للغة العربية وعلومها ، والشريعة الاسلامية وفلسفتها ، فاذا قرض الشعر فانه يخرج منه مخرج الشيء الطريف ، الذي يتعجب منه في وجوده ، اكثر مما يتعجب منه لقلة وجوده .

ولو اننا اردنا استقصاء هذه المقطوعات ، والنتف الشعرية في ديوان « خواطر الحياة » لاعيانا ذلك ، وكلفنا الكثير ، وخرج بنا من حدود المقالة المركزة الى دروب البحث الموسع الشامل ، وعنوان الديوان اصدق شاهد على صدق ما قررناه ، فهي خواطر ولمحات يزجيها في قالب شعري ، ليرينا صفحته البيضاء النقية ، ويعكس لنا حسه البياني المرهف ، وذوقه الذي يتسقط الهام الغيب بالايماءة واللحظة .

وفي بعض قصائد الديوان نجد لونا اخر من الجودة يختلف تماما عن اللون الذي سلف الحديث عنه انها جودة اللغة ، وجزالة السبك ، واتقان الصنعة ، بحيث يلمس القارىء الواعي بوضوح في القصائد التي تنطبق عليها تلك الصفات انها حصاد علوم ومعارف ، وثمرة قراءات ،

وفلسفة عقل ، وان الشاعر بما اوتيه من قدرة لغوية ، وحصافة عقلية ، كان يعد الشعر احيانا ارض الواقع التطبيقي لما تعلمه من علوم ، ورزقه من صناعة ، وذلك لا يعني اننا نلغي الروح البيانية من هذا الشعر ، او انه هو كان يلغيها ، ويستبدل بها شيئا اخر يدخل في نظم العلوم ، فذلك ما لم يحدث ، وانما نعني أنه كان يترجم الخاطرة كما تصلح ان تكون فكرا وتعبيرا فهو يأخذ بأسباب القوة قبل الاخذ بأسباب الرقة ، ويعمل ليوجد حقيقته وكيانه العلمي ، قبل عمله لابداع خياله الفني ، فهو موفق ـ بلا شك ـ في التعبير عن افكاره ومعانيه اكثر من التوفيق في مشاعره وخواطره التي لا تزال تحتفظ بحرارة الحياة في جو القصيدة العام ، فدروبها متصلة ، وخيوطها غير منقطعة .

واذا كان الشيخ يشق للشعر طريقه ، ويعبد سبيله على نحو عربي خالص ، يجمع بين دقة المبنى ، ورصانة المعنى .

واذا كان ينزع في بعض معانيه وتعبيراته البيانية نحو الثقافة العربية التي اشرب حبها وروحها .

واذا كانت الروح الدينية تمتزج بشعره في كثير من القصائد والمقطوعات ، وتنفذ الى اعماق هذا الشعر متصلة بما يفضي به من اسرار ، وما يكشفه من استار .

اذا كانت كل هذه المقومات والخصائص تظهر واضحة في ديوان الشيخ الخضر ، فانها تزيده اصالة وعمقا ، وبعدا حضاريا وروحيا ، وتعكس بوضوح قدرته على اختراق حجب الماضي السحيق ، والملاءمة بينها وبين الحاضر القريب ، والمستقبل المرتقب ، والاصالة والمعاصرة من اخص خصائص الشعر الذي يريد له ناظمه الحياة في ضمير الزمن ، والبقاء عبر الاجيال والعصور ، اذ يستحيل ان تعيش امة من الامم لحظتها الحاضرة منقطعة عن جذورها التي منها تستمد وعليها تعتمد .

ولكن الذي نريد بيانه ، والتركيز عليه ان الشعر خطفة من خطفات الوجدان ، وقبسة من قبسات الرحمن وفن يأتي الالهام في مقدمته ، لانه الاداة السحرية التي تجعله مفزع القلوب ، ومهوى الافئدة ، فاذا فقد هذه النفحة الالهية ، او ظهرت فيه واختفت ، او صرحت ثم لوحت ، فانه ينزل درجة او درجات بحسب ما احتواه من مادة الالهام في نسيج اللغة ، وعالمها المتموج بألوان الشعاع والرونق والجمال .

ولنذكر من هذا اللون الثاني قصيدة « مشاهداتي في الحجاز » فهي ـ في تصوري ـ نموذج حي لما اسلفت الحديث عنه ، ومثلها في ديوانه غير كثير .

المجد لا ينال القاطنين ... ودع الركب وحيا الظاعنين
شام في وجهته يمنا ولو ... زجر الطير لمرت باليمين
لا تلوما في النوى من هاجه ... للنوى لاعج شوق في الكنين
شاقه البيت وقبر المصطفى ... وربوع الخلفاء الراشدين
سار شوطا وهو لا يدري اني ... حلم ام في زمان لا يخون
ذكر « الخضر » و «موسى» اذ اتى ... مجمع البحرين مرتاد السفين
ركب « الطائف » يطوي البحر في ... جدل والبحر كالشيخ الرزين
واذا هبت جنوب طردت ... ما يلاقيه الندامى من شجون
هم سكارى ما احتست آذانهم ... حكمة القرآن في نطق رصين
ودنوا من « رابغ » فاستبقوا ... يذكرون الله جهرا محرمين
في بياض ناصع تحسبهم ... بادىء الراي زهورا في الغصون

وهذه القصيدة التي ذكرت عددا من ابياتها تربو على الثمانين بيتا من الشعر ، وقد طال نفس الشيخ فيها، لانها صادفت نفسا تمر فيها صنوف المعاني والافكار فتخلقها خلقا جديدا ، وتجعل لها مع الحياة في نفسها وفي نفوس الاخرين حياة من نفس الشاعر وروحه ولان موضوع القصيدة لم يقتصر فقط على مشاهدة تاريخية ، او رؤية فنية دينية ، وانما كان تسجيلا حيا لرحلة الحج في الاراضي المقدسة من بدئها الى نهايتها ، او بتعبير ادق كان تطبيقا روحيا ، ووصفا فنيا لهذه الرحلة المباركة التي شاهدها بنفسه ، وتملأ مواقعها بعيني راسه ، فاجتمعت لها الروافد التي تغذيها ، والمنابع التي ترويها، فجاءت على سياقها من العقل ، وعلى ترتيبها في مناسك الحج ، وعلى مغزاها في سر التشريع الالهي ، وعلى طبيعتها المتدفقة بالحب الخالص ، وعلى تصويرها الذي زاحمت فيه عينا المعاني عيني البصر .

ومن هنا بدت براعة الشاعر ، وقبضته على زمام هذه الروافد الكثيرة ، والمنابع المتعددة كما بدت الوحدة الموضوعية بين ابيات القصيدة من غير كلفة او تصنع .

والشاعر على ما افرغه في هذه القصيدة من معان تنم عن علمه المستفيض ، وثقافته الدينية العميقة ، فان له الى جانب ذلك تصويراته البيانية ، وخطراته الروحية التي انفرد بها ، وتميز بابداعها ، ولنستمع اليه يقول في القصيدة نفسها :

شاهدوا الكعبة وهنا فجرت ... عبرات البشر من بعض الجفون
مقلة الدنيا فان ابصرتها ... في سواد فعيون الغيد جون

وذلك تصوير نقله الشاعر من باب الوصف الحسي الى باب نظر اليه بقلبه ، واستعان على تصويره تفكره ، فالكعبة مقلة الدنيا ، وانسان عينها ، لانها مهبط الرحمة ، ومنبع الحكمة ومستقر الامن والايمان ، ومتطلع الانظار في جميع الاصقاع والبقاع من مشارق الارض ومغاربها، ينضاف الى هذا المعنى الروحي الذي تمثله الكعبة في مستقرها ، ذلك المظهر الشكلي وهو كسوتها السوداء فيقول : ان ابصرتها مجللة كساء اسود فلا تعجب ، فانها مقلة الدنيا وعينها ، وعيون الغين سود ، وذلك مما يزيدها حسنا ، ويملأها مهابة ووقارا وتشريفا وتعظيما ، وذلك تعليل غاية في الملاحة ، وآية في الطرافة ، ونهاية في الابداع فهي سوداء شكلا ، بيضاء معنى ، وخروج النور من قالب ضده من اسرار اللطيف سبحانه .

ومهما يكن من شيء ، فان هذه القصيدة ذات قيمة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نفثة

★

يمالئني بلا صدق عدوي ويخدعني بلا كذب صديقي

وقد بلغت مدى السبعين سني ولم اعرف فريقا من فريق

فلما ان عرفت لزمت داري ولم اخرج الى عرض الطريق !

مصر الجديدة عامر محمد بحيري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تاريخية ولغوية رفيعة ، فهي وثيقة جد مثيرة لاماكن ومناسك عظيمة وخطيرة ، وهي كذلك المصباح الذي انار الطريق امام اعيننا ، وجعلنا نستمتع ونحس ونميز ما امامنا من نتاج فكري وفني .

وفي ضوء هذا المصباح استطعنا ان نمسك بخيوط رفيعة ، تحول احيانا بين حقيقة البحث عن الاصول الادبية والنقدية وبين الحقية اللغوية المبنية على الاعجاب بالبرق الخلاب .

واخيرا فاننا لا نزجي آيات المديح ، ولا نخفي السمات الحقيقية لوجه العمل الادبي ولا نغض من شأنه، وننزل بمستواه ، فان كل هذا يعد من الغيوم التي تحجب كل اثر وتضيع كل جهد ، ولكنا نقوم العمل الادبي بقيمته الحقيقية في كل لون بدا فيه ، او ثوب لبسه ، ونتذوقه على اصوله التي اعدت له ، او بني هو على اساس منها ، لنجلو حقيقة الشاعر ، ونجني ثمار شعره فجة وناضجة ناقصة ومستوفاة ، وقد كانت بضع ابيات من هذه القصيدة كفيلة بالوفاء بالغرض الشعري والشعوري بما فيه الكفاية ، ولكنها جاءت مبثوثة في تضاعيفها ، فاختلطت طاقات الشاعر الفنية ، بذكرياته التاريخية الخصبة ، بانطباعاته الاسلامية القوية ، وجاء منها جميعا هذا الحشد الهائل من الابيات المطبوعة والمصنوعة .

وعلى كل حال فقد غطت – في رأيي – اشراقة الذكريات ، ومشاعر المحبة روح الكلفة والتصنع .

---

١ – مدرسة المسجد ص ٩٥ للدكتور محمد رجب البيومي

كلية اللغة العربية – المنصورة محمود محمد لبدة

انا والشعر لرينه كارجو

ترجمة سعد صائب

* * *

١

الشعر كلام منفتح ، يؤثر التمرد باخائه ، بايثاره الحماسة او التأمل !
انه حدس العمق الانساني في التوصيل !

٢

اين الديموقراطية اذا ؟
انها تبدأ حيث تستوفي « انا الاخر » نهايتها من ان تغدو ذات اهمية (بغيضة ؟)
وحيث تمسي عند المجابهة ذات شجاعة حقيقية .
اما الاوثان الجديدة فهي المذاهب .. هي حروف الكلمة الاولى .. هي المجردات :
انعكاسات شرطية في كلمات !

٣

ما القصيدة الا تذبذب بين قطبين :
بين حلم وواقع !
ومدينة وطبيعة !
وباطن وظاهر !
واحساس ودعابة !

٤

لكم تتملكني الحيرة بين الاغراء الهندسي المعماري (نظام ، وضوح ، ثقة) والطموح الى الحرية . الى المطلق . الى المغامرة (الماء ، النبات ، عالم الاحياء) الى الجامد والسائل . الى القاسي واللين . الى الجزيء والخلية !.

٥

تمثل في خاطر الشاعر النهاية المديدة (مدينة فاضلة UTOPIE) فيثب عبر المراحل (سياسة) .. لذا فلا جناح على الشعر ان عني بالمرحلة اللاحقة ولو خسر قوته . حسبه انه حشد طاقته في حلم حر !

٦

يحول تراكم الصور (في القصيدة) دون العثور على مدى فريد ، اذ يلفي نفسه وحيدا ، حائرا ، بمسيس الحاجة الى نشدان شيء او شخص !

٧

علينا (نحن الشعراء) ان نعثر على النبض (تسارع ، اغماء ، سكينة)
اذ ما من كلمة جيدة الا والايقاع ينقلها !

٨

لكم بدا شعري سهلا ، لانه يأبى المحسنات اللفظية ، والكلمات الاضافية ..
انه شفاف ، وعليك ان ترى عبره !

٩

اني اسعى الى التغيير البسيط ..
انشد الوقوف عند جملة ..
التمس اضافة بعض كلمات ينشأ عنها الواقع بقوة !
فنحن الشعراء من دأبنا التحرر من الونى ، من العادة ، من الشيء المبتذل ..
ومن ديدننا التجانف عن الانفجار والاسهم النارية !
حسب بناء الجملة في قصائدنا ، انه يعيد الى الفكرة حيويتها وانفعالها ..
حسبه انه يعدل كلاما يقظا غاية اليقظة في الحركات الداخلية !.

١٠

ثمة انامل كثر يتذرعون بالحداثة ، فيدمرون القيم الانسانية الجوهرية !

١١

انا محتاج الى ولوج الاشياء بوساطة الكتابة ،
ولولا الكلمات ما كان الامر لي ممكنا !

١٢

ما من واقع الا ويحتويه الشعر !

١٣

عبر اللاواقعية ، والسريالية ، والواقعية المدركة الجزئية التي تحابي التجربة المعاشة ،
ثمة الشعر الصادق الامين للواقع ..
اعني لحمة وجودنا نفسه ..
الواقع والحلم ممتزجين ..
السطحية والامل ..
العادة والتمرد !.

١٤

ان المبدع هو ـ تحديدا وعبر كل اسناد وكل مذهب ـ من يوحي للاخرين بالثقة ،
اولئك الذين يبنون وجودهم ، ويشيدون فاعليتهم على اسنادات ثابتة ومذهب ، ناشدا فيها التوضيح بأوفر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دقة ممكنــة ..

ان المبدع من لا ينشد سوى اثبات القيم الانسانية دون تحديد او باعث منهجي ..

لانه يتحـــــدد عبر الظاهر (١) APPARENCE والحالية (٢) ACTUALITE لذا فانه لا يفهم ، غامض في فعل الابداع نفسه ، يبدو كأنه لا يقدم اي شيء للمباشر ، ولا يرتبط بأية فاعلية .. كما ان ثمة ، اشفاقه من المضي بعيدا في ذاته نفسها ، مجابها عزلته الخاصة ، طارحـا وجوده للبحث ثانية !

١٥

الشعر ـ في استعارات مقيدة ـ اشبه بكرة الطاولة، وهي لعبة عقلانية ، لذا وجب عليه ان يعيد سير الحيـاة في تعقيدها . في حيرتها . في تناقضاتها !

١٦

انكفىء عائدا الى قضية « الاستعارة » اوليسـت سهلة ميسورة ؟

اوليست براعة خداع ؟

تتشوف الى تحقيق وحدة العالم وانسجامه وتناغمه اعني « ان العالم قاطبة جميل ! »

اولم يكن اللاواقعي صريحا كل الصراحة ، بقـدر انبعاث ما تحت الشعور Subconscient في حياتنـا اليوميـة ؟

١٧

لقد ازكت الحياة اوار معركة بين رغائبنا (الاوفر والاقل خفاء) والواقع الطبيعي ، فاصطدمنـا معـه ، واضطررنا الى نشدان حلول له ..

اما بالقياس الي ، فاني اعتبر ان الشعر شاهد هذه المعركة ، وليس عليه ان ينسى او ينفي منها جانبا دون آخر ..

اعني اني ارفض ما هو كائن فينا ، ولا احجـب الالوان البراقة الا لكي ادرك التخلي الكلي Renloncement Total اذ ليس في ميسورنـا في النيرفانا (٣) Nirvana الهروب الى هذا الصراع ..

اوليست احلامنا نفسها تعبر عنها ؟

اعني انها تتموضع في منحى فكري فتحسر عـن شعر يزخر بالحرية والحقيقة معا ..

الا اني لارى الشعر اشبه باقتراب .. اشبه بمشاركة في تحرير الانسان واغنائه ، لا نظـيرا للخداعيـة (٤) Illusionnisme

١٨

الا ان الشعر وضوح ، ويوشك الناس ان يمتنعـوا عن البوح في موضع ، ويلذ لهم الاختناق بصيغ جوفـاء بكل ما تحمل من مظاهر الوقار ، حتى اذا ما شع هذا الوضوح فانهم لا يقوون البتة على الهذر فيلهون بالجدارة، ولا يكادون يثبتون على شيء !

ان اللاارادية (٥) Automatisme ـ في شتى اشكالها ـ ضرورية حتى نقطة معينة ، مهينـة في شرط التحرر نفسه !

اما الكلمات الادبية المعادة ، فهي اشبه بالشعارات السياسية لا قيمة لها ، لانها ليست مظهرا انسانيا جوهريا عميقـا !.

واما الشعر فهو ما كان شخصيا بعم ق، دون اي ضرب من التأثير ، او التنازل ، لذا يتعين عليه ان يكـون هو نفسه في عالم ينمو كل يوم !

٢٠

حين تفرض حقيقة اساسية نفسها علينا ، معناه انها قادرة على ان تتيح لنفسها ، بأن تمسي ـ في تلك اللحظة ـ بسيطة وغير متوقعة معا !

٢١

يعدل الالهام رعدا صامتا مفيدا يعظم الصدى ..

فلننظر في نهاية المطاف عبر ضباب :

العادات

والانعكاسات

والضرورة !

٢٢

نكتشف خلال الكلمات انتقالا نحو الجوهري !

٢٣

الشعر معركتي ضد السطحية والجبن والنذالة !

٢٤

ليس ثمة ازهـار ولا بذاءات ، وما مـن شيء يستغنى عنه ،

بل ان الكل قادر على ان يمسي خـلاف ذلك .. بتغيير موقفه !

٢٥

من فرط ما يرتضي الشعر الغموض وما لا يوصف يضحي فطيرة بالقشدة ..

يمسي شيئا ما يبتغي قول كل شيء دون سواه ..

انه ينشد التعبير والتوصيل بأجلى وضوح ..

اما الكلمات فتجيء في الان نفسه ، مفسحة المجال لانطباعاتنا واحاسيسنا وامورنا ، وطريقتنا في الرؤيـة والتفكير ..

ما الشعر الا حوار بين انسان وانسان !

٢٦

يعاني الناس من تقييد التعبير : مأساة القمع

ويهابون المجازفة بأنفسهم ، فيحتمون خلف بعضهم مؤلفين جمعيات سرية ..

انه قانون الصمت !.

٢٧

ليس من المعقول نشر الديموقراطية ما دام التعبـير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مع الحروف

أبيـــت اكرع آلامي فتسكرني ... ودون نشوتها يعشوشب الغضب
وللحروف مـراح يلتظي ضرمـا ... في كل ناحيـــة مني فاكتئـــب
وضاق مما رأى صحبي فقلت لهم ... انـا كحاطب ليـل فاته الحطب
هذي الحروف نرويهـا فتظمئنا ... وكم مشى حين يغذوها بنا السغب
عشنا لها حرس ان مسهـا جنف ... يومـا ، وثبنـا وكل دونها حدب
عاشت بافكارنـا جذلى ونحن بها ... نشقى واعصابنا الاوتـار والطرب
فيا رعى الله من اضلاعه طويـت ... على فـؤاد لغير الحرف لا يجـب

كربلاء ـ العراق — عدنان حمدان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لا يبرح مقيدا ، ليس من السلطات العامة فحسب ، بل ضمن المهن والجماعات التي يمارسون فيها الصمت الدائم ، ورطانة التقنية الفلسفية المجردة الجوفاء: Technico-Philosophique, abstrait et creux ، التي ليست سوى تهرب ، سوى قناع نموذجي .. بينما تظل « الانا » بغيضة ممقوتة ، لانها محمولة في البعد التاسع عشر Conçu dans la perspective 19e من الريبة والمعارضة .

وما دام التعبير شخصيا دقيقا ، عميقا ، فليس من حقنا مقاضاته ، لان الفكرة ستظل اسيرة النماذج التقليدية (معارضة ، برهنة ، استقراء) منظورة كأنها مسؤولة عن « الموضوعية » وليست قادرة على الكلام في الحرية والازدهار ..

واذ اننا بدورنا في عصر الاذعان الاداري للسلطة ، والانقياد للخبرة او الخضوع للجمهور ، وعلى الرغم من علم النفس المعاصر والانظمة اللاموجهة ، فان الفرد سيظل مرفوضا ، ولن تكون طاقته المبدعة معروفة دوما !

٢٩

ايها الشاعر !
لقد ابت عليك التقنية ان تقلب طرفك وتردد لحظك
لذا وجب عليك ان تحيا الامل ، او تعيش القلق ،
في لحظة الحركة نفسها !.

٣٠

على الانطباع المضني ان يكون مذعنا لما لا طائلة فيه..
انه ركام من الاشياء التي تتسلق فوقك !.

٣١

ان شعراء اليـــوم ـ بالقياس الى الرومانسيين والرمزيين والسرياليين ـ يسهمون في ابداع شكل جديد من الفكرة ، ساعين الى ان يمسوا واقعيين !.

٣٢

على الشعر بخاصة ، ان يكون القضية الشائكة ..
الهدف المباشر نحو خفايا اللحظة !.

٣٣

ان قصيدة جيدة ، هي لحظة صداقة ،
فعليها ان تتجه الى انسان ما ،
عبر الكلمات !..

١ ـ فلسفيا : ما يبدو من الشيء في مقابل ما هو عليه في ذاته .
٢ ـ كون الشيء من واقع الحال او ما يدعى بالمعاصرة .
٣ ـ الفناء المطلق .
٤ ـ توليد احداث تبدو مناقضة للنواميس الطبيعية .
٥ ـ صفة ما هو آلي غير متعلق بالارادة .

دمشق — سعد صائب

مكتبة الاديب



احمد الزيات ومجلة الرسالة

تاليف الدكتور علي محمد الفقي

سلسلة اقرا سبتمبر ١٩٨١ ـ دار المعارف بالقاهرة ـ ٢٠٠ صفحة

المجلات التي كان لها دور الريادة في حياتنا الفكرية في امس الحاجة لوضع كثير من البحوث عنها وتقديم الرسائل الجامعية حتى يتسنى لجيل لم يعاصرها ان يعرف اثرها ويدرك تاثيرها . وقد كان لكتاب قيم فيه جهد طيب ، وتحليل موفق ، الفه الشاعر الباحث محمد عبد الغني حسن والدكتور عبد العزيز الدسوقي عن « مجلة روضة المدارس » اثر لا ينكر في التعريف بهذه المجلة وما ادته للثقافة . فمن الضحالة الفكرية التي يعاني منها الشباب الا يعرفوا العروة الوثقى والمنار والمقتطف والبصائر والبيان والفتح ، فبداهة ، ان يجهلوا جمال الدين الافغاني ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا ويعقوب وفؤاد صروف والبشير الابراهيمي وعبد الرحمن البرقوقي ومحب الدين الخطيب . فهذه المجلات وهؤلاء الاعلام منارات اضاءت طريق الفكر ، وعبدت سبيل الحرية . ولهذا كان اغتباطي شديدا حين اصدر الدكتور علي محمد الفقي كتابا عن « احمد حسن الزيات ومجلة الرسالة » جعلني استرجع اياما خلت . واحسست كان نورا دافقا انداح بين جوانحي . وقد جعل الدكتور كتابه في فصلين . الفصل الاول فيه ذكر اسرة الزيات ومولده ثم النشاة وبعض سماته، وعمله معلما ومحررا للرسالة . وقد احسن المؤلف اذ قام بالاتصال ببعض اهله. ومن عملوا معه . فالارتحال في سبيل التعرف والمعرفة وتتبع وتقصي اخبار الاعلام الراحلين بعض ما نؤمله من كتابنا لان هذه الخاصية كانت احدى الفضائل التي اندثرت والتي جعلها قدامى مفكرينا نبراسا لهم . وفي الفصل الثاني تحدث عن الرسالة وموضوعاتها واشهر كتابها وبعض المعارك الادبية التي جرت على صفحاتها . واثرها في البيئة الادبية حتى احتجابها . والانطباع الاول الذي يخرج به المتلقي لهذا العمل ان المؤلف قد اطنب في الفصل الاول في ذكر التواريخ وضرب الامثلة ونقل النماذج مما تضيق به صفحات هذا الكتيب المحدودة . وفي الفصل الثاني اخذ يعدو مهرولا ومقتضبا ، مما جعل الكثير من الحقائق الادبية الواضحة المعالم تبدو باهتة او مطموسة . وربما كان للتوقيت الذي كتب فيه البحث وهدف السلسلة التي كتب لها : التبرير والعذر . فمثلا حين نقرا للزيات من كتابه « تاريخ الادب العربي » « كان المنفلوطي قطعة موسيقية في ظاهره وباطنه ، فهو مؤتلف الخلق ، متلائم الذوق ، متناسق الفكر، متسق الاسلوب ، منسجم الزي ، لا تلمح في قوله ولا في فعله شذوذ العبقرية ، ولا نشوز الغدامة » الا نحس ان الزيات يتحدث عن نفسه من خلال هذه الكلمات . فما مدى تاثره بالمنفلوطي ووجه الشبه بينهما في الاسلوب ؟ ثم قضية من اهم القضايا الفكرية التي تمس الامانة الادبية وتاريخ الفكر . ما الحكم الادبي على ما حذفه الزيات من عبارات وجمل من مقالاته في الرسالة حين اعاد طبعها في كتابه « وحي الرسالة » ؟ وقد كانت هذه الفقرات حين كتابتها معبرة عن الصدق . جميلة وآسرة . وغير هذا كثير كان من الممكن بحثه والتعليق والتعقيب عليه . ولعل بعض التجاوزات العابرة ، نشير الى بعضها في ص ٨٣ « واشرف على مجلة الرسالة الجديدة التي ردت لهفة الادب والادباء بين سنتي ١٩٦٣ و١٩٦٥ » والتي اشرف عليها هي « الرسالة» التي اعادت اصدارها وزارة الثقافة والارشاد ايام الدكتور عبد القادر حاتم . وقد كان للزيات الاشراف الاسمي وللدكتور الشاعر عبده بدوي الرئاسة الفعلية للتحرير . اما « الرسالة الجديدة » فحررها يوسف السباعي . ويعود لتكرار هذا التجاوز مرة اخرى وفي ص ١٥٢ « ومن الملاحظ على كتابتها ان بعضهم التصق بها التصاقا تاما ظل حتى اخر ايامها كالرافعي والمازني » كيف يكون ذلك . والزيات رثى الرافعي ابلغ الرثاء قبل احتجاب الرسالة بسنوات . بل ان العقاد لم يتصل بالرسالة الا بعد وفاة الرافعي وفي ص ١٥٣ « وممن ارتبط بالرسالة من ميلادها الى احتجابها انور المعداوي .. » ابدا . فالمعداوي بدا كتابة بابه المشهور « تعقيبات » ودراسته المطولة عن الشاعر المهندس علي محمد طه قبيل الاحتجاب بسنوات . واعجب ما يتصوره منقف ان يكون الحديث عن الرسالة ويتوارى سيد قطب ومقالاته العديدة عن العقاد وبحوثه الادبية . وعلي الطنطاوي الذي كتب كثيرا واشرف على التحرير فترات طوالا هل تكتب عنه فقرة ؟ ومعارك الدكتور محمد احمد الغمراوي مع الدكتور زكي مبارك التي كانت ايماءة لبعد مبارك عن الحياة الادبية . وبداية لانهياره الفكري ؟ والسلسلة التي استمرت فترة طويلة وكانت الاولى من نوعها . واعني ، احمد عرابي الزعيم المفترى عليه . لمحمود الخفيف . وجمعت بعد ذلك في كتاب ، اضحى مرجعا في موضوعه . وعبد المنعم خلاف و« اومن بالانسان » وغير هذا .. لقد سبق ان قال كاتب هذه الكلمات في مجلة « الفكر » التونسية العدد العاشر يوليو ١٩٨٠ « .. فمجلة «الرسالة» التي ظلت فترة طويلة منارة للفكر في كل انحاء العالم العربي مغربه والمشرق . وكتب فيها اعلام الفكر العربي يجب الا تكون مجهولة لباحث او اديب يتصدى للكتابة عن اي ناحية من نواحي الفكر العربي المعاصر » . فهل ارتقى كتاب « احمد حسن الزيات ومجلة الرسالة » الى هذا المستوى . آمل ان يكون تمهيدا لبحث اكثر عمقا واحاطة حتى لا ينصرف شبابنا عن الثقافة الرفيعة حين لا يجدون ما يروي الغلة ويشبع الشوق .

شاهر ـ القاهرة — محمد الساذلي حسن

★ ★ ★

ديوان « الموج في جزيرة العيون »

شعر فوزي عطوي ـ ٩٦ صفحة من الحجم الوسط ـ منشورات دار الرائد ـ بيروت ـ مطابع الكرمل الحديثة

ديوان جديد عدد صفحاته ٩٦ من القطع المتوسط ، صدر في العام



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا من سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ٥٠ ليرة لبنانية

●

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٣٠٠ ل.ل.

●

في الخارج العربي : ١٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

سائر الاقطار :

٥٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية : ١٠٠ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج ٢٠٠ ل.ل. أو ١٠٠ دولار كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء انشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

☎ الادارة : ٢٢٣٨١٩ Dir. 223819

☎ المنزل : ٢٢٥١٣٩ Dle. 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨ـ١١

بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

ألبير اديب

١٩٨٠ ، عن دار الرازي في بيروت ، للشاعر والمحامي الشاب فوزي عطوي ، مكتوبة صفحاته كلها بخط اليد الرقعي الجميل ، وكل كلمة فيه مشكولة شكلا يكاد يكون تاما ، حتى عناوين الفهرس ، وخصص ريعه لجمعية الصليب الاحمر اللبناني .

على الغلاف الاخير اقرا تعريفا بالشاعر ، ليس فيه تاريخ ميلاده، ولا فيه شيء عن دراسته ، ولا عن عمله ، ولا عن انتاجه الادبي وما اصدره من دواوين ، ولكن فيه بعض التعريف بالشاعر من خلال ادبه فقط . وفي هذا التعريف اقرا ما يلي :

« فوزي عطوي وحده رابطة ، فان فيه من الحيوية الدفاق ما يكفي لاتيان العمل الكبير . فهو الشاعر ، والكاتب ، وابن المجتمع ، ورجل القانون . اذا خلا لنظم ، فالثورة فيه ، والرقة فيه ، وفيه الاطلالة الميسورة على الوجود . واذا قعد لكتابة ، فبشراسة المقتنع يكتب ، وبعناد المؤمن . واذا وقف لخطابة ، فكان سحبان مر من هنا .

« وفوزي عطوي يمثل جيلا من المعاناة ، جيلا من الثورة الرافضة بتعقل ، ويتطلع الى مناظرة القمم ، وليس كالقمم ما يستهوي الطامحين » .

اترانا عرفنا فوزي من خلال هذا الذي اقتبسته ههنا من خطبة المحامي عصام كرم في الاحتفال بتقليد فوزي وسام الارز الوطني ؟

ليس هذا كافيا ، ولا نرضى بان يكون كافيا . فنحن لا نصدق الا اذا وضعنا الاصابع في مغارز المسامير ، وفي فتحات الجراح النازفة ، لنقيس مدى عمقها ، وحرارة الدم المنبجس منها . عند هذا فقط نصدق . وهذا ديوان فوزي عطوي الجديد امامنا ، وكله قصائد حب ووجد ، قصائد رقة واناقة ، يبدو لنا من خلال قراءتها ان فوزي شاعر انيق رقيق حقا . ولكن ما هو اهم من الرقة والاناقة ، ان فوزي « شاعر انسان » تترقرق الانسانية في لنايا شعره، ومن خلال ابيات الغزل والحب في قصائده .

القصيدة الاولى في الديوان الجديد ، عنوانها « اليوم عدت اليك» ويستهلها الشاعر بقوله :

اتصدقين باننـي اكتـب ... ما كان قبل اليوم لا يكتب ؟
ارجعت للينبوع رقته ... ورجعت من سلساله اشرب

الغزل والحب من الاشياء المالوفة جدا في الشعر ، ولا يكون الشعر شعرا حتى يكون عاطفة تنشال ، وحسا يتوقد ، وسلسالا يترقرق . ولكن الحب لا يكون جميلا وفاعلا ومؤثرا حتى يكون هو « الانسان » وهو « حس الانسان » .

ومن خلال نجوى الحب الحنون نقرا قول الشاعر في لنايا القصيدة عينها :

انسيت اني الحلم اذ ارضى ... وباني الغفران اذ اغضب ؟
واحرقتي من نفسي الولهى ... واشقوتي من قلبي الطيب !

« الحلم في الرضى ، والغفران في الغضب » : هذا المعنى جميل وجديد في شعر الغزل ، لانه يصدر من قلب « انسان » لا من عاطفة ، عاشق ولهان . وانا افرق كثيرا بين قلب « الشاعر الانسان » وقلب « العاشق الولهان » ، ولا ادخل في التفاصيل وفي بيان الفوارق ، لانني احسها بعمق ، ولا احب ان اسيء الى قدسيتها بتمييزها بالالفاظ .

ويعود الشاعر شاعرا عاشقا كغيره من العاشقين ، حين يختم قصيدته بقوله :

اليوم عدت اليك ، لا تسلي ... هل بعد لي من حبنا مهرب ؟
ما ضاع منا لم يكن عمرا ... ايام ذاك العمر لا تحسب !

ان هذا من كلام الشعراء العشاق ، ومن الغزل المالوف . واما « الحلم في الرضى والغفران في الغضب » فشيء اخر ، هو الحب ، ولكنه فوق الغزل والعشق .

وليس من الحتمي ان يخلو كل غزل مالوف من الجمال والرقة، ومن جدة العبارة واناقتها . تظل الرقة ، ويظل الجمال والاناقة حين يعرف الشاعر كيف يعبر عن عاطفة ، وعن تجربة حية ، بالعبارة الشاعرة ، وباللفظة الشاعرة . وفوزي عطوي غني بالشاعرية حسا وعبارة ولفظا .

في القصيدة الثانية من الديوان ، وعنوانها « الوتر القدسي » يقول الشاعر مناجيا من يحب :

هل كان نيسانا ايماءة عبرت ... هل كان غيمة صيف ضمها افق
ام كان نيسان فوق الحرف نكتبه ... وكان فوق جبين النجم يائلق ؟!

ليس هنا غنى في الشاعرية فحسب ، ولكنه الغنى الذي ترافقه الاناقة ، وتهدهده حلاوة الموسيقى ، واناقة وموسيقى ايضا قول الشاعر في ختام القصيدة :

غنيت اشرف الحاني ، فكل سنا ... اضحى من الوتر القدسي ينبثق
ما كان للفجر ان يجتاحه غسق ... وبعد لم يرتسم في افقه شفق !

في بعض الاحايين ، وانت تقرأ الشعر ، لا تقف لتسأل عن تركيب العبارة ، وما يمكن ان تحمله الالفاظ من معنى كبير او صغير ، لانك تحس المعنى في اعماقك ، ولا تبحث عنه في التركيب وفي الالفاظ : اناقة العبارة وموسيقيتها تخطفك من صيغة الكلمات ، وتنسيك تركيب العبارة ، فلا تعود تذكر ان جميع الالفاظ موجودة في بطون القواميس. فالقواميس مقابر للالفاظ الجامدة ، في حين ان الالفاظ هنا ترقص وتغني للحياة .

اين من حبي لحن ذائب ... في كياني ، يا فما يهفو لفم !

هنا نداء من لون جديد وطعم جديد : « يا فما يهفو لفم ! » فيه الحنان وفيه الرقة ، وفيه الغنى الموسيقي ، وفيه الخيال الملون الموهوب المترف . وهذا البيت من قصيدة « الحزن والغيارة » . وفي هذه القصيدة عينها يقول الشاعر :

يا التي لم تهو الا قممي ... لست القاك على غير القمم
ان حبك الحب مثلي نغما ... اين لي مثلك في الحب نغم ؟

ومن جديد نعود الى الانسانية ، والى الخلق الناعم في الشعر، فاذا نحن مع الشاعر في قصيدته « اضراب على الورق » حيث يقول :

يا عذبة الروح، لو احزنت اغنيتي ... ما كنت احقد، ليس الحقد من خلقي

في هذا البيت الصغير الكبير تجتمع ميزتان شعريتان : لطف الصورة ورقتها في « احزنت اغنيتي » ، ونبل الخلق في عجز البيت كله . والشعر والحقد ضدان لا يجتمعان : الشعر حب واحساس انساني ، والحقد ظلمة وسواد في النفس يترفع عنهما الشعر ، وباباهما خلق الانسان .

وفي قصيدته « كرامة المهزوم » يقول الشاعر :

انا ما رجعت الى رحابك شاكيا ... متعثرا في حبي المكتوم
لكنما نبل القلوب يصونها ... فترى الوفاء احق بالتكريم
غيري ينافس او ينافس في الهوى ... ولقد يبوح بانة المحروم
اما انا فلقد حفظت عن العلى ... الا ابيح كرامة المهزوم !

الحب لا ينسى النبل ، ولا الوفاء ، ولا الكرامة ، وكلها مجتمعة في اربعة ابيات من قصيدة واحدة ، لتدل على ان هنالك انسانا ، قبل الحب وبعده .

ومرة اخرى نعود الى العبارة الموسيقية التي تدغدغ الحس ،



مجلة فصلية متخصصة
تهتم بالكتاب وقضاياه

المؤسسان :
عبد العزيز الرفاعي
عبد الرحمن المعمر

رئيس التحرير :
يحيى محمود ساعاتي

هذه المجلة للمشتركين فقط
لكي تشارك أرسل ١٠٠ ريال
عن سنة كاملة على العنوان التالي

دار ثقيف للنشر والتأليف
الرياض - ص.ب ١٥٩٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فنقرا قول الشاعر في قصيدته « انا ربيعك » :

انا ربيـــعك لم يدفـا لنا حلم لو لم تذيعي على اعطافـــه اللهبا
اما عقدنـــا على نيسان عمر هوى لا رق نيسان لولاه ولا عذبـــا
ما نغمـــة الحب الا دفء اغنيـة تادب الحـب اذ رفرفتهـــا طربا
نثرت بعض شمـوخ الحب في نغمي فرحت انثـر في الحـاني الشهبا

لن امضي مع الديوان الى نهايته ، فهذه قصة تطول ، وبعض ابيات الديوان يدل على جميع قصائده : احلام هوى ، واحاسيس دافئة ، ونغمات موسيقى ، وزخات من انسانية ونبل .

هذه خلاصة ديوان « الموج في جزيرة العيون » الذي تفضل الاخ الشاعر فوزي عطوي فاهدى الي نسخة منه من لبنان الجريح ، وتكرم الاخ الكبير الاستاذ اكرم زعيتر فاوصلها الي ، كدابه في ان يمتعني باكرم الهدايا .

وشكرا لاكرم ، وشكرا لفوزي على الهدية الشعرية الرقيقة .

عمان ـ الاردن عيسى الناعوري

★ ★ ★

الكلمة التي قدم بها المشرف الدكتور جبرائيل جبور اطروحة

محمود بن الحسين البغدادي

المعروف بابي الفتح كشاجم

للدكتورة ثريا ملحس

وبعد ، فلست ادري كيف ابدا حين احاول التعريف بالسيدة الدكتورة ثريا ملحس ، مؤلفة هذه الرسالة القيمة في محمود بن الحسين المعروف بابي الفتح كشاجم في اثاره واثار الدارسين ، حياته وديوانه . فهي والحق اديبة عالمة قبل خوضها في هذا الموضوع ، وقبل انجاز دراستها لهذا الشاعر المغمور واثاره الرائعة . فلها الكثير من المؤلفات الادبية والعلمية التي تؤهلها لان تعد في طليعة العالمات الباحثـات في شرقنا العربي . وقد مارست التعليم في المعاهد العلمية العالية من الكلية الجامعية ، وانتهاء بالجامعة اللبنانية حيث تدرس الادب الاموي وغيره من المواضيع الادبية .

وقد شاءت أن تدرس الشاعر محمود بن الحسين المعروف بابي الفتح كشاجم ، اطروحة الدكتوراه ، فعمدت الى كل ما استطاعت ان تصل اليه يدها من مخطوطات ديوانه ، ومن مخطوطات وكتب ، فيها شيء عنه ، وتناولت كتب المحدثين الذين كتبوا عنه او ذكروه ، ودرستها فرات ان مجال القول في هذا الشاعر اكثر بكثير مما كتب عنه . ولاحظت ان هناك اخطاء ارتكبها بعض المؤلفين القدماء والمحدثين بصدد شعره ، وما نسب منه لغيره ، وبصدد ولديه وما نسب من شعر احدهما اليه . وبذلت جهدا عظيما في درس شعره ، وتصحيح هذه الاخطاء ، وتوضيح ما غمض من حياته ، سالكة سبيل البحث العلمي في دراستها وفي نقدها للروايات والاخبار المتباينة عن حياتـه جانحة في اغلب الاحيان الى ادق التفاصيل بحيث اظهرت نسبـه الصحيح ، وكشفت عن اسرته ، وعائلته وصحبه من الامراء والاشراف، وتتبعت تنقلاته في رحلاته المختلفة ما بين مصر والشام والعراق ، وارت القارىء من هذا الشاعر ، الذي كاد يكون مغمورا الا عند المتخصصين، شخصية فذة نادرة ذات ثقافة واسعة ، جمعت فنونا من العلـوم والمهارات التي كان يحسنها من كتابة وشعر وادب وتنجيم وتلحين ، هذا عدا المامه بالطب البشري والحيواني ، والطبخ ، وهوايتـه بالصيد ، وعلمه بشؤون البيزرة . بل ارتنا كيف كان يجمع احيانا في تلك الشخصية بين المتناقضات من تقوى واثم ، وكيف ان صاحبها كان يرى في رحمة ربه وغفرانه ما يشجعه على الجنوح الى مركـب اللهو العنيف ، والفسق الفظيع .

ومن يقرا هذه الرسالة يجد فوق ذلك اخبارا منثورة هنا وهناك عن عصر هذا الرجل (القرن الرابع الهجري ـ العاشر الميلادي) ، وعن زملائه ، وعن الفرق الاسلامية ، وفروعها ، وكيف نشات ، وعـن صلته بها ، وعن كثير من الشخصيات التي ورد ذكرها في سيـاق الحديث . كل ذلك باسلوب علمي موثق ، تستند المؤلفة في ايراده الى اصول تذكرها بدقة وتفصيل بحيث لم تترك مجالا لمستزيد .

★ ★ ★

الدخول الى الضفاف

شعر عزيز الواسطي ـ ١٢٠ صفحة ـ مطبعة الجامعة ـ بغداد

عندما يثق الانسان بنفسه ويجد فيها الكفاءة ، والاقدام فانه يحقـق احلامه على دروب الحياة التي تتطلب الثقة بالنفس والاصرار الحـاد والشاعر الشاب عزيز الواسطي واحد من الذين يجدون ولا يلهثون ويعمل بصمت خلال ساعات فراغه من اجل القصيدة الشابة المبرعمة التي تتفتح تحت رقصات الظل المجدولة بعطور الحدائـق في الصباح المشرق الجميل ... والدخول الى الضفاف ديوانه البكر الذي يضم تسع عشرة قصيدة بل زنبقة راقصة باشذاء الربيع موزعة على مائـة وعشرين صفحة .

الشاعر الشاب يحب الانفتاح على الطبيعة فهو يغني للنهـر والاشجار والشمس المشرقة على الحقول والازهار بعيدا عن عذابات المدن المزدحمة الخانقة وقهر الانسان ومن خلال ذلك يمتلك ناصيـة التعبير والولوج الى الاعماق بكلماته الواعدة :

هوذا النهر وحلمي .. والمذارى والطيور
والرعاة المتعبون
في الحقول يعزفون للغروب
حين عادوا ، والطيور

نتمنى للشاعر عزيز الواسطي النجاح والتوفيق في دروب هـذا الفن من اجل العطاء الوارف بالابداع ..

العراق ـ الكوت كاظم محمد حسين

اشتركوا في مجلـة
الاديـب
تساهموا في نشر الثقافة

كلمة لابد منها

(الاديب) التي كانت تطل على قرائها الاعـزاء في مطلـع كل شـهر يؤسفها ان تكون الظروف والاحداث المأساوية القاهرة قد حالت دون مـا عودت مناصريها ومحبيها على مدى عقود من السنين لم تترك فيها ساحة الجهاد ولم تغب عن اطلالاتها .

والقراء الاحباء يعرفون انها كانت ظروفا واحداثا غير عادية لا يمكن تحاشي ما سببته في تلك الفتنة الهوجاء الرهيبة الطاحنة التي عصفـت بلبنان . ومع ضراوتها التي عطلت كل تحرك بقيت (الاديب) في المضمار بالرغم مما تعرض له منزل صاحبها من تخريب وتدمير بسبب القصف بحيث اضطر الى تركه على حين غرة وترك مكتـب المجلة ومحتوياته من مـواد ومستندات ومراجع دون ان يتمكن من نقل شيء معه . ومع ذلك بقي مصرا على اصدار المجلة من مكان اخر لا تتوفر له فيه الامكانات الضرورية ، عدا ان (الاديب) عانت من توقف البريد في صادره ووارده أشهرا متواصلة ، ومن فقدان رسائل عديدة وكتب وسوى ذلك مما تحتاجه المجلة وقد انقطع عنها انقطاعا تاما . وفوق ذلك كله لم يعد احد متمكنا من الذهاب والايـاب والاتصال في سبيل العمل على ملاحقة المطبعة والمشرفين على تنفيذ مـا يتطلبه اصدار الاعداد .

ونحن نلفت الانتباه الى ان مواد هذا العدد ، الذي هو بين ايدي قرائنا الان ، قد صفت قبل استفحال الحالة التي شلت كل نشاط ، وما تلاهـا من حوادث مؤلمة ومزعجة ودموية ، ولكننا لم نتمكن من طبعه وانجاز كل ما يتعلق به بسبب جمود كل حركة وتعطل كل عمل ..

وما يجدر بنا ان نقوله الان ، وفي كل حين ، الحمد لله الذي نرجو ان يرفع عنا كل كابوس وكل ما افقدنا الكثير من مسببات الحيـاة ، والذي نرجو ان يعيدنا الى بيتنا ومكتبنا بعد ان ننتهي من اصلاح وترميم التخريب والتدمير اللذين لحقا بهما ، فنتابع من مقرنـا الاساسي الرسالة التي نذرنا لها نفسنا ، والتي عليها وقفنا حياتنا .

ان (الاديب) لتعتز بقرائها ومناصريها الكرام الذين بفضل تشجيعهم ومؤازرتهم وصمودهم الى جانبها بقيت في الساحة رافعة الجبين ، مثابرة على خدمة آداب اللغة العربية العزيزة ، وايجاد الصلات وتمتينها بـين ادبائها في مختلف اقطار العالم العربي والمغتربات ، وثقتها كبيرة بالله ليمكنها من التغلب على الخسائر المادية الفادحة التي تعرضت لها ، والخروج من هذه المحنة الحادة ، ومتابعة السير في الطريق الشاقة التي سلكتها ، والتي ترجو ان تظل قادرة على سلوكها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الامام الشافعي شاعراً

بقلم الدكتور محمد سعد فشوان
الاستاذ المساعد في الكلية المتوسطة بالجوف ـ السعودية

* * *

الامام ابو عبدالله محمد بن ادريس الشافعي (١٥٠ـ٢٠٤)هـ واحد من الائمة الاربعة الكبار ، اصحاب المذاهب الشهيرة في الفقه الاسلامي ولد بغزة ، ودفن بمصر ، وتنقل بين اقطار كثيرة ، كالعراق والحجاز واليمن ومصر .

ورغم اشتهاره رضي الله عنه بمذهبه الفقهي في العراق ، ثم بمذهبه الفقهي الجديد في مصر كان دائرة معارف واسعة لشتى العلوم في عصره .

حدث الربيع بن سليمان انه قال : كان الشافعي ـ رحمه الله ـ يجلس في حلقته اذا صلى الصبح ، فيجيئه اهل القرآن ، فاذا طلعت الشمس قاموا ، وجاء اهل الحديث فيسالونه تفسيره ومعانيه ، فاذا ارتفعت الشمس قاموا فاستوت الحلقة للمذاكرة والنظر ، فاذا ارتفع الضحى تفرقوا ، وجاء اهل العربية والعروض والنحو والشعر ، فلا يزالون قرب انتصاف النهار ثم ينصرف رضي الله عنه .

وكان رضي الله عنه قد لزم هذيلا في البادية يتعلم كلامها ، ويأخذ طبعها ، وكانت افصح العرب ، وقد اخبر انه مكث فيهم سبع عشرة سنة يرحل برحيلهم وينزل بنزولهم ، فلما رجع الى مكة جعل ينشد الاشعار ، ويذكر الاداب والاخبار ، وايام العرب ، وقد مر به رجل من الزبيريين من بني عمومته فقال له : يا ابا عبد الله : عز علي الا يكون مع هذه اللغة وهذه الفصاحة والذكاء الفقه ، فتكون قد سدت اهل زمانك ، فقال له : فمن بقي نقصد ؟ فقال له : مالك بن انس ـ سيد المسلمين يومئذ ـ قال : فوقع في قلبي فعمدت الى « الموطأ » فاستعرته من رجل بمكة فحفظته في تسع ليال ظاهرا ، ومن هنا بدا اشتغاله بالفقه ، واصبح افقه الناس بكتاب الله عز وجل ، وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، واشدهم ورعا ، حتى قيل: انه كان يختم القرآن في شهر رمضان ستين مرة ، كل ذلك في صلاة .

* * *

وشهادة علماء عصره له تفصح عن علو منزلته في باب الفصاحة والبلاغة ، ورفعة شانه في الشعر .

فقد حدث الربيع ن سليمان قال : سمعت عبدالملك ابن هشام النحوي صاحب المغازي يقول : « الشافعي ممن تؤخذ عنه اللغة » .

وقال الربيع بن سليمان ايضا : « كان الشافعي عربي النفس ، عربي اللسان » .

وقال احمد بن سريج : « ما رايت احدا أفوه ولا انطق من الشافعي » .

وقال الجاحظ : « نظرت في كتب هؤلاء النبغة الذين نبغوا في العلم ، فلم ار احسن تاليفا من المطلبي ، كان كلامه ينظر درا الى در » .

وقال ابن خلكان صاحب الوفيات : « وقد اجمع العلماء قاطبة من اهل الحديث والفقه والاصول واللغة والنحو وغير ذلك على ثقته وامانته ، وعدله وزهده وورعه وحسن سيرته ، وعلو قدره ، وسخائه » .

وقال عنه ابن دريد في رثائه له :

تسربل بالتقوى وليدا وناشئا ... وخص بلب الكهل منه هو يافع
وهذب حتى لم تشر بفضيلة ... اذا التمست الا اليه الاصابع
فمن يك علم الشافعي امامه ... فمرتعه في ساحة العلم واسع

وقد وقعت على الطبعة الثالثة من ديوان الشافعي الذي جمعه وعلق عليه محمد عفيف الزغبي ، ونشرته مؤسسة الزغبي للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت ـ لبنان (١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٤ م) فرايته على صغر حجمه مفعما بتلك الروح الابية العالية لهذا الرجل ، وقد جمع ديوان الشافعي اولا الاستاذ زهدي يكن ، ويبدو ان الرجلين تركز عملهما في جمع ما تناثر من منسوب الشعر للامام الشافعي في بطون الكتب وخاصة كتاب « المحمدون من الشعراء » للقفطي ، و « حلية الاولياء وطبقات الاصفياء » للاصفهاني ، و « معجم الادباء » لياقوت ، و « وفيات الاعيان » لابن خلكان ، و « البداية والنهاية » لابن كثير ، وكتب التراجم والطبقات .

وقد ذكر الزعبي انه حذف اسانيد بعض القصائد ، واثبت ما وجده لازما ، وان ما فاته الاطلاع عليه تداركه من الديوان الذي جمعه سابقه زهدي يكن فغدا بذلك الديوان بازا قرينه جودة وضبطا وزيادة وتقنينا ـ على حد قوله .

ونحن مع جامع الديوان في انه لا يصح لنا ان نجزم بصحة هذه القصائد كلها للشافعي ، وقد فات جامع الديوان التنبيه على القصائد محل الخلاف في نسبتها اليه ، ولو فعل لكان ذلك ادعى لتقدير ما قام به من جهد ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وادنى الى الكمال الذي نرتجيه .

★ ★ ★

والناظر الى اشعار الشافعي يجد انها لا تعدو فن الحكمة والتسليم بقضاء الله وقدره ، والحض على العلم، واعطاء العبر المستمدة من واقع خبرة الشافعي بالحياة ، وسبره لاغوارها ، بعد ان ذاق حلوها ومرها ، لقد كانت تجاربه وعظاته هي في واقعها بمثابة الاضواء التي سلطها بثاقب فكره على كثير من مشكلاتنا وعلى ما للبشر من معاناة اليمة في الحياة .

ونرى فيها البعد عن السوءات الشعرية التي تزري بالشعر وصاحبه وعن كل ما كان للشعراء من سقطات وتبذل واستجداء ومجون .

والرحيل بالنفس الانسانية الى رحاب العلم ، واستمداد العبرة من الدهر وتقلبه ، وما فيه من صروف ونوب، والارتفاع بها الى ذرى الاخلاق ومدارج الكمال (١).

★ ★ ★

يبدو ان الشافعي رضي الله عنه كان يأوي في مسيرته مع الزمن الى أيكة الشعر ، وفي ظلالها كانت تلك اللحظات الآنسات التي عاد فيها الى نفسه المكدودة فخفف عنها بعض ما كانت تقاسيه من آلام واوصاب الحياة ، واشدها في نظرنا آلام النفس لا متاعب البدن ، حين يخبط الحظ في الناس خبط عشواء ، دون ان يدرك للتفرقة بين صالح وطالح معنى ، استمع اليه يقول في الحظوظ :

تموت الاسد في الغابات جوعا ... ولحم الضان تاكله الكلاب
وعبد قد ينام على حرير ... وذو نسب مفارشه التراب

وفي الاديب :

اصبحت مطرحا في معشر جهلوا ... حق الاديب فباعوا الراس بالذنب
والناس يجمعهم شمل وبينهم ... في العقل فرق وفي الاداب والحسب
كمثل ما الذهب الابريز يشركه ... في لونه الصفر والتفضيل للذهب
والعود لو لم تطب منه روائحه ... لم يفرق الناس بين العود والحطب

وقد ذاق الشافعي الدنيا وطعمها ، وسيق اليه عذبها وعذابها ، ثم لم يرها الا غرورا وباطلا ، وجيفة هائلة تتجاذبها الكلاب :

ومن يذق الدنيا فانى طعمتها ... وسيق الينا عذبها وعذابها
فلم ارها الا غرورا وباطلا ... كما لاح في ظهر الفلاة سرابها
وما هي الا جيفة مستحيلة ... عليها كلاب همهن اجتذابها
فان تجتنبها كنت سلما لاهلها ... وان تجتذبها نازعتك كلابها
فطوبى لنفس اولعت قعر دارها ... مغلقة الابواب مرخى حجابها

وشعر الشافعي في هذا المعنى لا يملك المرء ازاءه ان يسقط منه بيتا ، فالذي يكتب دراسة عن شاعر اي شاعر يجد نفسه مضطرا لاختيار بعض الشعر وطرح بعضه ، وقد يحس بالرضا والقناعة بما وقع اختياره عليه ، ولقد قيل : اختيار المرء من عقله ، ولا كذلك شعر الشافعي ، غير اننا نسوق هنا بعضا من اشعاره ، ونترك للقارىء فرصة الاطلاع على نظيرها في الديوان ، مع ملاحظة ان ما نسوقه هنا يأتي منا على غير اختيار ، فالنفس لا تقنع الا بذكر ما قاله الشافعي من غير حذف او اختصار ، ولكن طبيعة الدراسة تفرض هذا الحذف الذي اردناه .

على ان حديث الشافعي عن عزة النفس ، وعرفان حقوقها ، والذي شغل حيزا لا بأس به في الديوان يدفعنا الى ذكر بعض نماذجه ، لانه يكشف عن جانب مضيء في حياة الرجل ، وهو جانب الاخلاق الفاضلة والخلال النبيلة التي يجب ان يتخلق بها العلماء ، وكان رضي الله عنه علما اشم بين علماء جيله، وشاء الله ان يبقى كذلك بعد ان خلده الزمن ، وبقي على الدهر كما كان .

يقول رضي الله عنه :

يخاطبني السفيه بكل قبح ... فاكره ان اكون له مجيبا
يزيد سفاهة فازيد حلما ... كعود زاده الاحراق طيبا

★ ★ ★

اذا نطق السفيه فلا تجبه ... فخير من اجابته السكوت
فان كلمته فرجت عنه ... وان خليته كمدا يموت

★ ★ ★

لما عفوت ولم احقد على احد ... ارحت نفسي من هم العداوات
اني احيي عدوي عند رؤيته ... لادفع الشر عني بالتحيات
الناس داء وداء الناس قربهم ... وفي اعتزالهم قطع المودات

انه يريد التوسط ، التوسط في كل شيء ، ففيه راحة النفس والبال معا .

ولا شك ان من يروم الكتابة في الجانب الخلقي عند الشافعي لا يجد غنى له عن مراجعة شعره في هذا الغرض، فهو ترجمان صادق عن طويته ، ولا ادل على ذلك من انه رضي الله عنه لم يتخل عن مبدأ اقر بصحته في شعر له ابدا ، انظر اليه يقول في نفس معنى البيت الاخير :

اذ الم اجد خلا تقيا فوحدتي ... الذ واشهى من غوي اعاشره
واجلس وحدي للعبادة آمنا ... اسر لعيني من جلوس احاذره

كان الشافعي معتزا بنفسه ، يعرف لها حقها كاملا دون ادنى تهاون بها ، ولقد قيل :

اذا انت لم تعرف لنفسك حقها ... هوانا بها كانت على الناس اهونا

حدث ابو الفضل نصر بن ابي نصر الطوسي قال : سمعت ابا الحسن علي بن احمد القصري يقول : حدثني بعض شيوخنا قال : لما اشخص الشافعي الى (سر من راى) (٢) دخلها وعليه اطمار رثة ، وطال شعره ، فتقدم الى مزين فاستقذره لما نظر الى رثاثته ، فقال له : تمضي الى غيري ، فاشتد على الشافعي امره فالتفت الى غلام كان معه فقال : ايش معك من النفقة ؟ قال : عشرة دنانير قال: ادفعها الى المزين ، فدفعها الغلام اليه فولى الشافعي وهو يقول :

علي ثياب لو تباع جميعها ... بفلس لكان الفلس منهن اكثرا
وفيهن نفس لو تقاس ببعضها ... نفوس الورى كانت اجل واكبرا
وما ضر نصل السيف اخلاق غمده ... اذا كان غضبا حيث وجهته فرى

ونختم حديثنا عن عزة نفسه وابائه بهذه الابيات :

لقلع ضرس وضرب حبس ... ونزع نفس ورد امس

وقر برد وقود فرد ... ودبغ جلد بغير شمس
واكل ضب وصيد دب ... وصرف حب بارض خرس (٣)
ونفخ نار وحمل عار ... وبيع دار بربع فلس
وبيع خف وعدم الف ... وضرب الف بحبل قلس (٤)
اهون من وقفة الحر (م) ... يرجو نوالا ببـاب نحس

وقد زانه رضي الله عنه تواضعه ، وهو تواضع العلماء ، وكان بلا شك ثمرة من ثمار عرفانه بنفسه دون مبالغة في تفخيمه لها او حيفه عليها ، اليس القائل :

كلما ادبني الدهـ ... ـر اراني نقص عقلي
واذا ما ازددت علما ... زادني علما بجهلي

★ ★ ★

اما حديثه عن العلم واهله ، والترحال في طلبه ، فحديث حافل بحب العلم ، والتفاني في تحصيله ، واحترام اهله ، واعلاء شأنهم ، والاشادة بالصفات التي يتحلون بها من الذكاء والحرص والاجتهاد وغير ذلك ، استمع اليه يقول جاعلا تلك الصفات بعض ما لتحصيل العلم من شروط :

اخي لن تنال العلم الا بستة ... سانبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة ... وصحبة استاذ وطول زمان

وقديما قيل :

من ياخذ العلم عن شيخ مشافهة ... يكن عن الزيف والتصحيف في حرم
ومن يكن آخذا للعلم من كتب ... فعلمه عند اهل العلم كالعدم

★ ★ ★

والذي يلفت نظر المطلع على شعره اشتمال الديوان على العديد من المقطعات الشعرية ، مع قلة القصائد ، واعني بالقصيدة ما حدها العلماء باشتمالها على سبعة ابيات فصاعدا « من حيث الكم طبعا » .

ولعل السر في ذلك هو ان الشافعي كان لا يقول ما لا خير فيه ، وانه قد اشتد حرصه على شرف الكلمة ، دون الوقوع فيما قد يقع فيه غيره من لغو القول وتفاهة المعاني ، فجاءت اشعاره موجزة مفيدة .

يضاف الى ذلك اشتهاره بعلوم الدين والفقه ، وما اتى مغايرا لذلك من شعر وغيره اصبح متناثرا في بطون الكتب ، يؤتى به احيانا للاستشهاد على صحة راي او صدق قضية ، او فسادهما ، او بيان حكم من الاحكام ، او حث على فضيلة من الفضائل او خليقة من الخلائق ، تناثرت اشعاره في بطون الكتب فاصبح من غير الميسور ان نحتويها ، او ان تصل اليها ايدينا ، دون ان يند منها شيء ، وما نصل اليه ياتي وكانه جزء من كل ، او حبة قد فرطت من عقد .

★ ★ ★

وكانت للشافعي احيانا فراسة المفتي. حدث الربيع ابن سليمان قال : كنا عند الشافعي اذ جاءه رجل برقعة فنظر فيها وتبسم ، ثم كتب فيها ودفعها اليه قال : فقلنا : يسأل الشافعي عن مسألة لا ننظر فيها وفي جوابها؟ فلحقنا بالرجل ، واخذنا الرقعة فقراناها واذا فيها :

سل المفتي المكي هل في تزاور ... وضمة مشتاق الفؤاد جناح ؟

قال : واذا اجابته اسفل من ذلك :

اقول : معاذ الله ان يذهب التقى ... تلاصق اكباد بهن جراح

قال الربيع : فانكرت على الشافعي ان يفتي لحدث بمثل هذا . فقلت : يا ابا عبد الله تفتي بمثل هذا شابا ؟ فقال لي : يا ابا محمد هذا رجل هاشمي قد عرس هذا الشهر ـ يعني شهر رمضان ـ وهو حدث السن ، فسأل هل عليه جناح ان يقبل او يضم من غير وطء ؟ فأفتيته بهذه الفتيا . قال الربيع : فتبعت الشاب فسألته عن حاله فذكر لي انه مثل ما قال الشافعي فما رايت فراسة احسن منها (٥) .

ولا يغني ـ في ظننا ـ ما ذكرناه هنا عن الشافعي شاعرا عن مراجعة الديوان ففي كل بيت من جليل المعاني ورائق الفكر ما ينبت غراس الحكمة في قلوب عشاق امثال تلك الاشعار ، فرضي الله عن الشافعي وسلام عليه في الخالدين .

---

١ ـ انظر ص ٢ ، ٣ من الديوان ، تحقيق محمد عفيف الزعبي ط٣

٢ ـ سامراء ـ بلدة في العراق .

٣ ـ خرس ـ لا تنبت زرعا ولا كلا .

٤ ـ قلس ـ جمع قلوس ، وهو حبل السفينة الضخم في اصل الاستعمال .

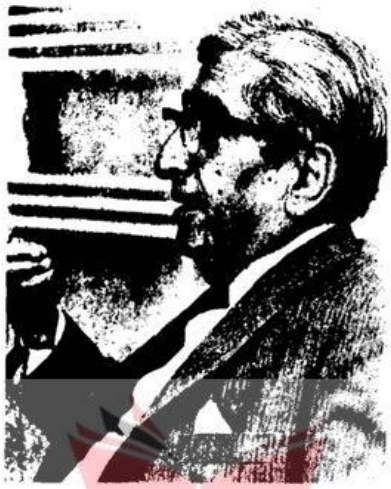
٥ ـ وانظر البيتين ايضا في معجم الادباء ج ١٧/٣٠٥ ط مكتبة البابي الحلبي .

سكاكا ـ الجوف ـ السعودية ... محمد سعد فشوان

في مطلع كل شهر
اطلبوا
الاديب
من الباعة والمكتبات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بدوي الجبل



(محمد سليمان الاحمد)
(١٩٠٥ ـ ١٩٨١)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ونفسي لو ان الجمر مس اباهـا على بشرهـا الريان لاحترق الجمر
«بدوي»

● شاعر جيل ـ كاتب تراث ـ رحالة قديم في مجاهل النفس ، ومذاهب القومية ، وخلجان الموت .

● دفن في قريته السلاطة ـ جارة حصون الخضر ـ جبال اللاذقية كما تدفن الطيور الغريبة في صخرة الريح ..

● مهداة الى اكرم زعيتر ، مفكر مناضل، قلم قضية ، صديق زمن ، تكبر في عطاء نفسه نفسك .

«الياس خليل زخريا»

غنيت حتى أنتشى من قلبك الوتر ومت حتى ارتوى من موتك الحجر
سافرت من جبل الشريين.. من وطني من شاطئي. من ضلوعي. والهوى سفر
سبعون لو زرعت في محل ماحلة لاجتاحها الخصب والافياء والمطر
تمضي كأنك خطف الريح بادية من البوادي يناجي رملها الحضر
سكبت في كل رؤيا سكب منعتق يا عاشق الضوء. انظر. خانني النظر
نفنى ونخلد لا كوخ ولا جدث نشدو وننشد.. لا سمع ولا بصر..

★ ★ ★

ذاك الرعيل ، رعيلي ، اين منزلـه ؟ واين يا شاعري.. التيجان والدرر ؟
وموكب من جـلال الشعر قبتـه فوق القباب بناها الليـل والسهر
وحكمة كجنـاح الضـوء واقفـة وامـة رسلـها الاقـلام والفكـر

★ ★ ★

تلك البطولات صلت في مناسكهـا كما تصلي على اهدابـك الصـور
تلفتت وهي ثكلى ، من ينادمهـا ؟! من يطلق «النسر»؟ من تجثو له العصر؟
من يفتـح الارض ابوابـا مشرعـة على العقول ولا يعنيـه ما الخطـر ؟

★ ★ ★

بني اميـة انا نحـن رايتـكم ونحن نحـن الالى نفـزو وننتصر
في كل قافيـة حصـن وصومعـة في كل بيـت صهيل الحق .. والظفر
تلك المجاهـل في الاعماق ننزلهـا على الجمـال وانتـم حولهـا الاطر
كتابنـا من ضمـير الله مرتشـف وقلبنـا من شفاه الشمس معتصر

★ ★ ★

يا شاعـر الشام ريشي ريشه الوبر يا شاعر الشام نفسي نفسها الحذر
.. صبوا «الحديد» على بيتي فقلت لهم جرحي كجرح الهوى في الود مختصر
ونحن اهل كتاب ، اهلنـا قطـع من القلوب وان جاروا .. وان عثروا

★ ★ ★

نهلت من صوتك الحادي فصاحتـه انا الرمـال وانـت الفيء والشجـر
بداوة من جبـالي ليس يسكنهـا الا الجبـال والا الشمس والسحر
والفكر ، والهودج العالي ، وقافلـة تسري فيسري الى واحاتهـا البشر

★ ★ ★

قل لي بربك هل شاهـدت ساريـة الا وفي راسهـا من راسنـا اثـر
لقبت نفسـك تخفيها وتظهرهـا يا باطـن النفس ان المنتهى وعـر
كيف اقتحمت الذرى والريح جاثمة؟! كيف اعتمرت الردى والقبر مندثر ؟!
قلاعنـا يا رفيـق الحرف اشرعـة على الثلوج .. فداك البحر والجزر
شدوت شـدوك في سهلي وفي جبلي والطير تسكن حيث الغصن والثمـر

★ ★ ★

مررت « بالمرجة » الخضراء وا لهفي امشي ويمشي عليها الدهر والضجر
كانت منابرنا ، كانـت منازلنـا كانت دمشق .. وانت الشاعر الخطر
كانت «عكاظ» وكان النهر بردتهـا متى يعود اليهـا الليـل والسمر ؟

★ ★ ★

اين القصائـد تروينـا وتنشدنا ؟ اين الاهازيـج ؟ اين الدرب والحفر؟
.. وجامع يجمـع الدنيا كان بـه كنز الاساطـير يهديـه ويعتـذر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أقوى من القـــوة الفـولاذ قوتـــه ... هو التراث ونحـــن الســادة الفرر
تبكي على الحجـر التاريـــخ يطمره ... قومي ، ولو سكنوا التاريخ ما طمروا
والخلد ما الخلد الا «البيت» ترفعنا ... فيـه الشهادة ، والتكبير ، والقـدر

★ ★ ★

لبنـــان يـا ازل الآزال جلجلـة ... لبنـــان يـــا الم الالام منتصر
تعشق الموت حتى كنت احسبـــه ... قبرا تقيـــم به الاجيـــال والعبر
وناحـت ينحـت الاقـدار صنعتـه ... مستحدث من رخـام النفس مبتكر
انى التفـت رايت الصخر يسـالني: ... من انت ؟ عفوك اني الزهـو والكبـر

★ ★ ★

يا شاعر الجبـل البيداء هـاك دمي ... قلبي على الشوق والاشراق منفطـر
وامتي امـــة النسيان تائهـــة ... مع الزمان يـلاشي وعيهـا الخـدر
مكانها في شموخ الارض منـــعزل ... ورايهـــا فيّ صراع الراي مندحـــر
تشردت في مصـــب الليل جانحـة ... على الضفاف .. وفيّ ايمانـها خـور
وامسهـا الامس مقـدام ومعتصـم ... ويومهـا اليـوم مرتـــد ومحتـكر
ابراجها لريـاح الثـــار منطلـــق ... وارضهـا لانـــين القهر مختبـــر
.. سالتها عنك قالت : لست اعرفه ... لعلـه فيّ رواق المـوت منتظـر
جدف .. فكم آمر لو رحـت تكتبه ... لجف في الحبر حتى الحبر والخـبر

★ ★ ★

فصحى وانت جنى الفصحى وموسمها ... جادتـك ابرادهـــا الايات والسـور
بلاغـة من بيـان الحـق مشرقـــة ... على القوافي نغنيهـا .. وننصهـــر
وموطن لا يقـــود الشعر رايتـــه ... تزري بأعلامـــه الساحات والسـير

★ ★ ★

يا شاعر الفوطـة الفيحـاء ودعني ... عمري ومـا ودعتني الشـام والذكر
قرات فيهـــا شبابي والمنى حـــلم ... على الجناحين .. استسقي وادخر
وانت في الهاشمي الجيل مقتطـــف ... من البواكير عالي الفصـن مزدهـــر
هوى الإبـاء فلم تجزع وصحت بنـا ... انا الابي ، عقالي : الطـير والزجـر
نسجت كوفيتي الخضراء ساريـــة ... على الاعـــاصير تطـويني وتنتشر

★ ★ ★

وا « فارس الحصن » حدثني انا تعب ... من المسـير ! وبي خوف ، وبي خفر
نذرت «للخضر» نفسي وهي مؤمنـة ... وما انحنيت وما ضاقـت بنا الحجر
سكبت ذاتك فيّ ذاتي وعشت بهـــا ... كما يعيش على خرسانـك الحجـر

بيروت ـ شارع حبيب السعد ـ حي الفرنيني ـ هاتف ٢٥١٦٥٧

الياس خليل زخريا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ايليا حليم حنا

نصائح الآباء لأبنائهم

بقلم ايليا حليم حنا

* * *

من احب القراءات الى نفسي قراءة وصايا الابـــاء الى ابنائهم .. وقـد شغـلت طويلا بهذا الموضوع وقـرات فيه كل ما امكن ان يصل الى من كتب ومن شذرات نشرت في المجلات والصحف ، وقد تتبعت ما قاله الاباء لابنائهم من اقدم العصور حتى وقتنا هذا .. فقد حاول الانسان منذ ان عرف كيف يعبر ، حاول ان يكسب ابناءه خبراته في الحياة ، ليبداوا حياتهم بداية افضل متجنبين ما قـد عاق الاباء عن تحقيق الاهداف أو عن الاستمتاع بالحياة ـ موضحين بما اكتسبوا من خبرات ـ احسن السبـل واقومها الى حياة أفضل ، حياة بكسب اكبر ومعاناة اقل.

هذا النوع من الادب ـ ادب الحيـاة والخبرات ـ مارسته كل الشعوب على اختلاف اجناسها وعصورهـا وحضاراتها ، ادب قديم قدم الحياة نفسها . وان دل هذا على شيء فانما يدل على ان العاطفة النبيلة عاطفة الابوة تريد لحبات القلوب ان تستمتع بالحياة افضـل ممـا استمتعت ، وان تجنبها ما اشقاها وحال دون سعادتها .. يريد الاباء للابناء حياة اكثر نجاحـا دون احزان وآلام ومعاناة وضيق وقلق ، يريدون ان يجنبوهم مزالق الحياة ويحثوهم على انتهاج اقوم السبل .

لقد داب الانسان منذ اقدم العصور ان يقدم كـل خبراته لابنائه وبناته ولا يزال يفعل هذا .. انها عاطفة الابوة التي لم يغيرها الزمن ، وقـد غير الكثير على مـر العصور .

يقول (الدكتور عبد العزيز صالح) عن ادب النصيحة عند قدماء المصريين في كتابه (الشرق الادنى القديم ـ الجزء الاول) : (تكفل بالنصح والتوجيه في مصر القديمة اطراف ثلاثة : آباء مثقفون ، ومعلمون من الكهان والمدنيـين ، ثم ادباء انتحلوا لانفسهم سمات الاباء تارة وسمات المعلمين تارة سواها ، وتفاوتت المستويات الاجتماعيـة للاطراف الثلاثة ، فكان منهم وزراء جنبا الى جنب مع افراد مـن اواسط الكتاب والكهان ، ذلك مما يعني ان الحكمة لم تكن وقفا على طبقة معينة من الناس دون اخرى . وقد تلاقت سبلهم في ثلاث نواح وهي : ان اغلبهم نسب نصائحه الى خبرتـه الشخصية وتجارب أسلافه اكثر مما نسبهـا الى وحي السماء واوامر الارباب ، وان كلا منهم حـاول ان يتجاوب بتعاليمه مع الاوضاع الاجتماعية .

كانت النصائح من اهم فروع الادب الفرعوني وكانت لها منزلة كبيرة عند عامة الشعب ومثقفيه ، وقـد قدر المصري القديم النصائح تقديرا عظيما لدرجة انه جعل هذه النصائح والتعاليم آيات ترتل .

وكانت النصائح في دول الحضارات القديمـة تدور كلها حول العلاقات بين الناس القريب منهم والغريب ، وقد لا تخلو نصيحة لحكيم من حكمائهم من الحث على الاحسان بالوالدين ، ومعاملة الزوجة بالحسنى ، وادب الحديث ، والسلوك الاجتماعي السليم .

ودراسة هذه النصائح يوقفنا على الكثير من افكارهم وسلوكهم وتقاليدهم وما كان يدور في حياتهم اليوميـة ومقومات السعادة في الاسرة والحياة .. ففي اقدم كتاب في العالم كتب منذ اكثر من ٥٥٠٠ سنة ، يقدم (بتاح حتب) نصائحه الى ابنه، وقد كان الرجل من العمر ١١٠ سنوات، وقد ترجمت هذه النصائح إلى عدة لغـات ، ولفائدتهـا العظيمة قررها الانجليز في برامج الدراسة للاطفـال في بلادهم . يحدث (بتاح حتب) ابنه عن مقومات السعادة في الاسرة والحياة ، فيقول :

اذا اصبحت كفئا ، كون اسرتك واحبب زوجتك ، وعاملها بما تستحق كشريكة حياة فعلية .. اسعدهـا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تسعدك . لا تتهمها عن سوء ظن .. ان نفرت راقبها واستمل قلبها بعطاياك تستقر في دارك .. يكيدها ان تعاشرها ضرة في دارها . احذر مخالطة النساء الغريبات .. كم من امرىء ضل عن رشاده حين استهواه جسم براق . اذا دخلت بيت غيرك فاحذر من ان توجه ذهنك الى ضرر نسائه .. واعلم ان بيت الزاني مآله للخراب .

اذا عاشرت قوما فاجذب قلوبهم اليك . كن بشوشا ما دمت حيا .

اذا فاه اخوك بالشر فانصحه لتكون خيرا منه .. لا تتطرف في الكلام ولا تصغ الى الوقاحة ، لانها صادرة عن التهيج والغيظ ، واذا تطرف احد امامك في الكلام فاطرق رأسك الى الارض لترشده بذلك الى طريق الحكمة والتعقل .. من زرع الشقاق بين الناس عاش حزينا ولا يصحبه احد .

لا تخبر احدا بما صرح لك به غيرك لئلا يبغضك الناس . احذر تحريف الحقيقة بين الناس لئلا تزرع الشقاق بينهم .

لا تحتقر فقيرا ، واذا زارك فلا تتركه بغير حفاوة لئلا تخجله ، لا تغضبه ولا تحتقر رايه فان هذا ليس من شيم الكرام .. عندما يواتيك الثراء ينبغي ان يستمتع القلب، فلن يجدي الثراء اذا اهمل القلب والمحتاج .. تذكر ان جميع ما يصل اليك من مال سينتقل منك الى غيرك ولا يبقى لك فيه الا الذكر ان حسنا او سيئا . لا تخن من ائتمنك لتزداد شرفا ويعمر بيتك ..

لا تترك التحلي بحلية العلم ودماثة الاخلاق .. لا تعجب بعلمك لان العلم بحر لا يصل الى اخره اي متبحر مهما خاض فيه وسبح . واعلم ان الحكمة اغلى من الزمرد، لان الزمرد تجده الفعلة في الصخور بخلاف الحكمة فانها نادرة الوجود .

اذا كنت قاضيا فكن لين الجانب مع المتقاضين ، ولا تجعل احدهم يتردد في كلامه ولا تنهره ، دعه يتكلم بحرية كي يعبر عن مظلمته بصراحة تامة ، ان حسن الاصغاء افضل طريقة للكشف عن الحقيقة . اذا حكمت بين الناس فاسلك طريق العدل ولا تتحيز لفريق دون اخر ..

لا تستبد لئد تضل . لا توقع الفزع في قلوب البشر لئلا يضربك الله بعصا انتقامه ..

ليكن امرك ونهيك لحسن الادارة ، لا لاظهار الرياسة والامارة . اجتهد دائما في عملك ، ولا تترك فرصة اليوم للغد ، فمن جد وجد .

رب ابنك حسبما يرضى الله .. واذا شب على مثالك وجد في عمله ، احسن معاملته واعتن به ، اما اذا طاش وساء سلوكه فهذب اخلاقه وابعده عن الاشرار لئلا يستخف بأمرك) .

يتضح لنا من هذه الرصايا ان الاهداف العليا للحياة الانسانية التي تركتها دول الحضارات القديمة في نصائحها وقوانينها تكاد تكون ثابتة وان القانون الاخلاقي والقيم الانسانية شيء موجود في الانسان منذ ان انسلخ من همجيته واصبح يعيش في مجتمع .. اكاد اقول ان صورة الخير والشر لم تتغير ، لم تغيرها الحضارات المتعاقبة ، قد تختلف المقاييس قليلا تبعا لروح العصر ، ولكن جوهرها لا يختلف وان اختلفت طرق التطبيق .

والنصائح مرآة العصر الذي قيلت فيه ، وهي بالاضافة الى ما توقفنا عليه من تقاليد الناس وتفكيرهم ومعتقداتهم وقيمهم ومثلهم العليا ، والحياة الفضلى في تصورهم ، وفن الحياة كما يجب ان يكون ، فانها توقفنا على الشيء الكثير مما تفشى في عصر الناصح من مساوىء وضعفات ونقائص . عندما يوصي اب ابنه بفعل شيء وينهاه عن فعل شيء اخر فانه يفعل هذا لانه يرى اعوجاجا فاشيا في الناس او انه يراه في نفسه ايضا ، ويريد ان يخلص ابنه او شباب عصره منه .. لتستقيم حياته وتكون اكثر فاعلية ونجاحا .. فكثيرا ما تكون الوصايا انتقادا لسلوك الناس وتصرفاتهم ورؤى افضل لتصرفات افضل من اجل حياة اكمل واجمل .

والنصائح تقدر بما تنطوي عليه من المبادىء الاخلاقية وما تقرره من واجبات انسانية تتخذ اساسا للحياة .. انها تهدف الى خدمة الحياة وبيان ما عساه ان يكون فيها من نقص او انحراف ... ولكن هناك نصائح تتسم بالواقعية الصارخة التي لا يدخل الناصح بها ، المثل العليا في حسابه .. انه يلقي بتجاربه كما هي ، يرسم الحياة بواقعها وكما يراها ويغفل الرؤيا المثالية .. ومن هذا النوع ما كتبه الاديب التركي (جناب شهاب الدين) في خطاباته الى ولده ، فهو يقول له ـ مثلا ـ اضرب اذا استطعت الى الضرب سبيلا ، والا امضغ سكوتك بين اسنانك التي تصر .. العدل عندي ما دامت القوة لي .. كنت اظن ان الافكار الطيبة والامور المنطقية تدخل عن طريق القلب والعقل ، ولكن الافكار لا تشق طريقها دائما من الاذن ، فهناك من الافكار ما يدخل في الولائم من الفم، وفي البنوك من الجيب .. لقد كنت في صباي وشبابي اقول الحق ولا ابالي بالنتائج فوجدت ان اكثر الذين قالوا الحق اشتهروا بالجنون .

هذه النصائح عارية من كل ما يغلفها من مثل طيبة ، نأى فيها صاحبها عن محاولة الارتفاع بابنه عن الواقع القبيح الى ما هو احسن وافضل من اجل حياة انظف واجمل .. لقد اراد ان يكون واقعيا ولم يرد ان يكون مبشرا بما هو افضل .. او فيلسوفا يتطلع الى ما هو ارقى من الواقع بترك ما ينغص الحياة ويشقينا فيها وتغيير الوجه القبيح لدنيانا ..!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والنصيحة لا تكون نصيحة حقا اذا دعت الى التشبث بالواقع غير المتطور او الاستمرار في السلبيات المعوقة او التصرفات غير الاخلاقية .. النصيحة المجدية هي التي تدعو الى التزام خلقي كامل ، والتي تنتزعنا من الوحل الذي يغوص فيه غيرنا حتى نسهم في بناء عالم انظف وارقى .. هدف النصيحة هو محاولة تحقيق الهدف الانساني الاعلى ـ ان تنتج السعادة الفردية والاجتماعية وتعمل على انماء الحياة وتقدم الجنس الانساني .. قيمة النصيحة لا تكون الا في النهوض بعقل الشاب وافكاره والسمو بأخلاقه واثارة فكره ليلتحم بالحياة يأخذ منها ويعطيها ما هو اجمل مما يأخذه ، قيمتها في ان يرى ما هو موجود وما ينبغي ان يكون عليه هذا الموجود .

تطور الحياة وتقدمها يحتاج الى حكمة الشيوخ وتعقلهم ووجدان الشباب وتطلعه الى المستقبل .. وقد عبر (كولريدج) عن هذا بقوله : (ما اظلم هذه الدنيا ، واشد كآبتها اذا خلت من الشباب ، وما آلمها واشد حيرتها اذا خلت من الشيب) . ويقول المؤرخ الكبير عبدالرحمن الرافعي : (الوطن احوج ما يكون الى التعاون بين شبابه وشيوخه ليتساندوا ، ويكمل بعضهم بعضا ، ويتضامنوا في الجهاد المشترك ، فالشباب في حاجة الى خبرة الشيوخ وتجاربهم وكفاحهم ، والشيوخ في حاجة الى نشاط الشباب وحماستهم وجهادهم ، ولا غنى لكل فريق عن الاخر) . ويذكر تجربته التاريخية عن هذا التضامن بقوله : (لم يذكر التاريخ حركات تحريرية او اصلاحية كانت مقصورة على الشباب وحدهم ، بل ان نجاح هذه الحركات كان قائما على التعاون بين الشباب والشيوخ فان هذا التعاون ادعى الى توحيد الكلمة والبعد عن الشطط والخطل) .

ولكن هل يأخذ الابناء بنصائح الاباء والمربين ويعملون بها ؟ هل لنصائح الاباء اثر كبير في توجيه الابناء الى الطريق الذي يراه آباؤهم نتيجة خبراتهم وتجاربهم ؟ هل تغير النصائح وجدان وتفكير وسلوك الشباب ؟ وهل تاثر الاباء انفسهم وهم في سن الشباب بما قدم لهم من نصائح ؟

قبل ان نأمل في ان يكمل ابناؤنا وجودنا ، ويجعلوا من تجاربنا اساسا للمضي في طريق حياة ارقى وافضل ، علينا ان نعدهم لهذا ... ان نبني شخصيتهم بناء شاملا متكاملا .. ان نعدهم لحياة اسمى ومستقبل افضل .. ان نربيهم على تقديس الحق وتحقير الباطل . وتقدير الجمال المعنوي . ان نغرس فيهم فضيلة العطاء وان نسمو بغرائزهم وعواطفهم ، وان نجعل من نفوسنا قدوة صالحة لهم . وان نكتشف ميولهم ومواهبهم ونتعهدها بالرعاية والصقل .. وان نعودهم على ان ينهلوا من كل منابع الثقافة وينفتحوا على الدنيا كلها .. فانه بدون هذه الثقافة ينغلق الشاب على نفسه ولا يفهم عالمه المتجدد المتطور ... وبدون هذه الثقافة ايضا لا يستطيع الاباء انفسهم ان يعاصروا ابناءهم . فالثقافة الحية المتجددة هي التي تجعل التقاء الاباء والابناء ممكنا .. الثقافة هي التي تمكن الجيل السابق من ان يدرك ان امسه كان تطورا لامس الاول ، وتمكن الخلف من ان يحكم بادراك وفهم على تجارب السلف ويأخذ منها ما يراه اساسا صحيحا وسليما لتطوره .. والمثقف الواعي له من القدرة ما يمكنه من ان يلاحق التغيير ويسبقه ويؤثر فيه .. والثقافة ـ التي اقصدها ـ ملء ونمو ومعاصرة .. وهي صانعة الذهن المتفتح والعقل الناضج والقلب المفتوح العامر بأرقى المشاعر الانسانية ..

بدون هذه الثقافة المتفتحة الناضجة المثمرة لا يمكن تربية الوجدان الانساني الحضاري .

ويخطىء الاباء عندما يجهلون او يتجاهلون نفسية الشباب وتفكيره في المرحلة التي يمر بها .. ولا يمكن ان يلتقي الاباء مع الابناء الا اذا دخلوا عالمهم وعرفوا ما فيه من خيال ومثالية وتطلعات وقدرات ومواهب ، ونشاط وجداني هادر .. كثيرا ما يتجاهل الابوان ميل الابن .. يريدان له شيئا لا يميل اليه ولا يريد ان يكون عمل حياته .. انهما يريان له الطريق الافضل في نظرهما ، وهو يريد طريق ميله .. يجد نفسه في شيء لا يقرانه عليه ، له تيار يسبح فيه ، وهما يريان له ان يسبح عكس هذا التيار .. ويكون هذا مصدر الصدام .. عندما نتجاهل عالم الشاب وعواطفه وميوله وخصائص مرحلة تكوينه نبعده عنا ولا ننتظر ان يأخذ بوصايانا . يجب ان نفهم الخصائص النفسية للشاب وميوله ومواهبه حتى نستطيع ان نعينه ونغذي ما فيه من بذور طيبة ، نعينه على ان تنبت وتنمو وتصقل وعندئذ نجد انه يقترب منا ولا يبتعد.

يجب ان ننمي كل ما في الشباب من قدرات طيبة ، وقبل النصيحة يجب ان يكون الحب والتفاهم وان تختفي لغة الاوامر والنواهي وان تقوم علاقة الصداقة بين الاباء والابناء .. ولا بد من الحوار الذي يتطور مع النمو الجسمي والعقلي ومراحل الدراسة . يجب ان تتسع صدور الاباء لمناقشات الابناء والا يضيقوا بميولهم ورغباتهم .. والا يسخفوا آراءهم .. كيف يأخذ الابن بنصيحة ابيه وهو لا يسمع له ويسخف رأيه ويستخف بميله ويضيق صدره بأحلامه وتطلعاته بحجة انها هراء لا صبر له ، ولا وقت عنده ، يضيعه في هذه الترهات ؟!

لا بد من الحوار والنقاش ولا بد من اقناع الشاب اقناعا يملأ كل فكره ومشاعره حتى يلتقي بنا .. لا بد ان يتخذ الاب من واقع الحياة واحداثها التي تقع تحت بصر الابن وحسه ، اساسا للحوار والاقناع وبهذا يجعله اكثر تقبلا للنصائح التي يقتنع بها .. نصائح الاباء يجب ان تتحول الى جرعات منطقية تنمي الوعي والادراك .. هذه النصائح التي نحولها الى تجارب محسوسة مدركة كلما اتيحت لنا الفرصة تجعل الناشيء اكثر تفهما لكثير من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحقائق في شؤون الحياة ، وتغرس فيه العادات الفكرية والاجتماعية السليمة وتمكنه من الانطلاق في حياته على اسس سليمة مغروسة في اعماقه ، راسخة في عاداته وافكاره وذوقه وسلوكه .

كثيراً ما لا يعير الشباب نصائح الاباء اي التفات لانها لا تستند على الحوار والاقناع والاقتناع ولا تصل الى عقولهم وقلوبهم .. كما وقد يكون السبب انه فقد الثقة فينا ونحن نطلب منه ما لا يجده عندنا .. والنصيحة لا تمتد الى الاعماق الا بالقدوة . النصيحة لا تغرس فضيلة ولا تزيل رذيلة .. فقد ينصح الاباء بشيء ولا يعملون بما ينصحون به ، لانهم اعتادوا على ما ترسب وثبت وسيطر على نفوسهم ، ويتعذر عليهم التخلص منه ، ولكنهم يؤمنون بضرره او عدم جدواه ، ويريدون أن يجنبوا ابناءهم هذا الضرر .. وعندئذ يرى الابن ان الاب يوصي بشيء ولا يعمل به ، فيضرب بالنصيحة عرض الحائط .. ويعود الاباء بعد هذا يشكون عصيان الابناء ويقولون مع جون روكفلر (ابناء هذه الايام يأخذون النصيحة ثم يفعلون ما يشاءون) .. نصائح الاباء لا تجدي ان لم يكونوا هم قدوة فيما ينصحون به ومثلا يحتذى .

وقد يرى الشاب في نصائح الاباء ما يحد من مسيرته الاندفاعية ويراها معوقة .. انه يريد ان يسلك طريقه ويتذوق الحياة بنفسه ، لا ان تصب له في عقله ووجدانه .. يرفض ولا يستمرىء ان ياخذ خبرات الاباء في اقراص يبلعها ولا يتذوق طعمها .. ونحن الكبار ـ ايضا ـ فعلنا هذا مع آبائنا . انه يفكر في المبادىء ويزنها على ضوء مثاليته المطلقة .. عالمه جديد له طلاوته وحلاوته ، يتطلع الى تحقيق ذاته ومثله وتطلعاته متمردا على كل ما يعترض طريقه ..

انه مما لا جدال فيه ان تجارب الغير لا تغني كثيرا عن ان يجرب الانسان بنفسه ، كأنه قد كتب علينا ان نشقى ونقلق ونتألم ونفشل وننجح ونحن نشق طريق الحياة لانفسنا ، نحب ان نسير فيه بقدمينا ونرى بعينينا ، ونلمس بيدينا ، اكثر مما نسمع من غيرنا . ان ما للشباب من قوة وحيوية وشعور حي وعاطفة ملتهبة وخيال واسع نشاط مندفع ، يجعله يرى انه في استطاعته ان يغير كل ما لا يتمشى مع مثله وتطلعاته وخياله ، انه ينطلق بدون رصيد من التجارب التي تعوقه او تخفف من ثورته وتحد من خياله .. انه حديث العهد بالحياة ودروبها المختلفة ، وله آماله وتطلعاته وخياله وثورته وقوته ، ماضيه قصير ضئيل والمستقبل ممتد امامه .

والشاب في فترة التكوين يعشق البطولة التي تتحدث عنها سير العظماء ، والقمم في مجالات الحياة المختلفة ، يعجب بما انجزوا ، وبالطريقة البطولية التي شقوا بها طريقهم الى المجد ، ويراهم اناسا يختلفون عن باقي الناس الذين يخالطهم ويقف على ضعفاتهم ، ولا يجد فيهم ما يجذبه الى الاقتداء بهم وجعلهم نماذج تهدي خطاه وتلهب مشاعره . يرى من حوله اناسا لا يحلمون ، يرضون من الحياة بما يبقي على الحياة .. حياتهم يوم واحد ممل يتكرر برتابة .. يقبعون عند سفح الحياة ولا يحلقون الى القمم .. عالمهم بارد لا دفء فيه ، ووقع حياتهم بطيء ممل .. عالم فاتر لا سحر فيه ولا جمال ولا آمال تهز وجدانه وتثير مشاعره وترضي تطلعاته .. وهو لهذا ينصرف عن عالمهم الى عالمه عالم القدرة والحيوية والقوة والامال والانتصار .. عالم الابطال .. عالم العلماء والفلاسفة والمفكرين والادباء والفنانين والزعماء وغيرهم ، وبهؤلاء يتأثر اكثر مما يتأثر بحياة وافكار ونصائح والديه.

وتمر الايام وتهدأ ثورة الشباب وتكون دنياه قد علمته اشياء تجعله اكثر واقعية واعتدالا .. وعندئذ يكون مؤهلا ان يختبر دنياه بمقاييس اكثر نضجا ، تمكنه من ان يضع تجارب ونصائح الاباء تحت مجهره يتأملها بتدقيق، يجعلها ركيزة قابلة للتعديل والتحويل والتجديد والاضافة والابتكار .. يعدل فيها ويطورها بما يثبت العلم والمعاصرة والتجربة صحته وضرورته . بالتمعن في تجارب السلف ووضعها اساسا للتجارب المتقدمة يوفر الشباب كثيرا من الجهد الزائد والزمن الاطول في تحقيق ما يهدفون اليه .. ليس من صالح الجيل الجديد ان يهدم بل من واجبه ان يراجع ويعيد الصياغة ، فقد لا يكون ما يرونه من خلل ، في الاسس الثابتة ، بل في التطبيق بأساليب وافكار قديمة كان الجيل السابق لا يعرف غيرها .

تجارب الآباء ونصائحهم زاد لا يجوز تجاهله .. يجب مراجعة هذه التجارب وجعلها اساسا لكل تجربة مماثلة تعترض حياة الشاب ، يتأمل تصرفاته ومشاكله على ضوئها ، ويعرف ما يجب ان يفعله وما لا يجب . يأخذ منها ما يدفعه ويدفع مجتمعه الى التقدم وما يوفر حياة افضل .. لا بد ان يكمل الشباب العمل والانتاج ويضيف الى تراث السلف ما لم يمكنهم عصرهم من تطويره .. وعلى الشاب ان يلفظ كل نصيحة تهدف الى التشبث بما لا يتمشى مع عالمه المتجدد المتطور فان التزام الطريق الواحد هو انسياق قطيع.. ولا احد ينكر حق الشباب في التجديد والارتفاع بالبناء ، فلو ان الخلف لم يطور حياة السلف لتوقفت دنيانا حيث كانت وعشنا في بدائيتنا الاولى حتى الان .

وواجب الشيوخ ان يفرقوا بين الجمود والاصالة ، وعليهم ان يعاصروا الابناء ويفهموا ما يواجههم من تحديات العصر ، فالارتباط بالماضي وحده والتعصب له عزلة عن المنطق والحياة والحضارة ، وينتج عن جفاف في الفكر والنفس .. عليهم ان يضعوا حقائقهم امام الشباب ويعمدوا الى اسلوب الحوار والاقناع . اننا في جميع مراحل

ميراث الحب

لما لقيتك شعت شمس اسعادي ... كانك الماء فيه الري للصادي
وعانقتني الدنى في فيض بهجتها ... كما تعانق اوراد لاوراد
فجرت ينبوع احساسي وعاطفتي ... وما حلا بسوى نجواك انشادي
مضى كلمحة طيف في الكرى عمري ... وحين شمتك اضحى يوم ميلادي
والناس تستقبل الاعياد في فرح ... ورؤيتي لفتاتي خير اعيادي
ودوحة الحب في الدنيا افيء لها ... كيما اغني غناء البلبل الشادي
وارسم الناس والاكوان في صور ... مشحونة بمعان ذات ابعاد
فالحب يخلق ابداعا وتجربة ... في شاعر للذوات الحسن منقاد
وزادي الحب مهما امتد بي عمري ... وهل يظل امرؤ حيا بلا زاد
حدوت للحب مشغوفا بفاتنتي ... وليس غيري لاهل العشق من حاد
والحب عندي تراتيل اترددها ... ترديد شحرورة في سرحة الوادي
صدقت في الحب واستعذبت لوعته ... وقد اقمت عليه صرح امجادي
اذا احب فؤادي الصب غانية ... يغدو لها كسجين بين اصفاد
رتلت للحب كالاطيار اغنيتي ... في كل فرع بظل الروض ميادي
سموت بالحب عن اوشاب موجدة ... والحب يسمو بارواح واجساد
وخمرة الحب من امسى يعاقرها ... سمت به فوق اضغان واحقاد
من مات حبا فان الحب يمنحه ... ذكرا به يتغنى الرائح الغادي
ومن فدى نفسه للحب لاح لنا ... ككوكب في سماء الحب وقاد
والناس ان ورثوا اولادهم ذهبا ... فقد غدا الحب ميراثي لاولادي

بغداد

خضر عباس الصالحي

حياتنا في حاجة الى فكر متكامل متميز وهذا الفكر لا يكون الا بجدل وصراع فكري خلاق ، لا بد من الحوار والنقاش لتعميق الاسس الصحيحة ولاثراء التجارب السليمة وتصفية رواسب الفكر المتخلف .

الشباب هم اصحاب الغد ، وعالمهم عالم سريع التحرك ، ولا يمكن لجيل سابق ان يقرر وحده مصير الجيل الجديد بأفكار قديمة وعادات فكرية وسلوكية قديمة .. تجارب الكبار ونصائحهم تكون معوقة ان تشبثت باسلوب حياة قديم حاربه مصلحون وغيروه ، او اثبتت التغييرات العلمية ضرره او عدم جدواه ، وتتضح الرؤية وتنضبط المقاييس بالحوار المتبادل والدراسة المشتركة بين الجيلين.

نصائح الاباء وتجاربهم حصيلة اكثر الناس اخلاصا لنا ، تمتاز بالموضوعية والصدق ، هدفها تأصيل القيم السليمة ذات الجوهر الانساني الاصيل والكشف للابناء حديثي العهد بالحياة عن موضع الخطأ والصواب وتجنبهم الحفر والمطبات التي تردوا او كادوا ان يتردوا فيها ، واقصر السبل الى النجاح واكمال البناء الحضاري على أساس متين راسخ .. انها ثروة قيمة تمكن الابناء ان يبداوا من نقطة متقدمة عن نقطة البداية التي بدأ منها الاباء .

القاهرة

ايليا حليم حنا

الشاعر عزيز أباظة

بقلم الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

* * *

ـ ١ ـ

ما زلت اذكره : فارع الطول ابيض الوجه ، مشربا بحمرة الشباب على وجهه ابتسامة دائمة ، تحمل معنى الاطمئنان والثقة والامل وفي ايام المحن كانت هذه الابتسامة تعلوها مسحة التفكير العميق ، والتصدي للاحداث ، والتحدي للخطوب .

كنت في اسيوط ابان عام ١٩٤٦ ، وكنا نعقد الندوات الثقافية بجمعية الشبان المسلمين فيها ، وكان مدير محافظة اسيوط هو الشاعر الكبير عزيز اباظة ، وكان يحضر بنفسه ندواتنا ويشارك فيها بالراي والتوجيه والحوار ، وما كان احد من حكام الاقاليم الكبار يفعل ذلك ولا يتصوره في يوم من الايام .

وفي مطبعة مصر ، وكان عزيز اباظه (باشا) رئيسا لادارتها كنت ازوره في مكتبه فيها ، فأشعر بان الاباظي عزيز باشا خلق شاعرا قبل ان يكون اي شيء اخر ، وفي منزله في الزمالك ، وفي فندق عمر الخيام في اول هذه الضاحية الجميلة قابلته مرات ومرات ، حيث كنت اجد فيه روح الشاعر الانسان قبل ان المس منه روح الرجل العظيم ، الذي يحمل على كاهله اعباء المجد والشاعرية والشعراء .

ودعوناه ليحاضر في رابطة الادب الحديث ، في امسية من امسيات الثلاثاء ، فلبى الدعوة ، وحضر وجلس طويلا يتحدث ويطيل الحديث ، ويدور الحوار حول المسرح الشعري بين امسه وحاضره ، وهو لا يمل الجلسة ابدا .

عزيز اباظة الرجل الانسان ، والشاعر المحلق والاديب الكبير .. شخصية فريدة من تاريخنا الادبي المعاصر وقل ان يجود بمثلها الزمان .

بالامس كنت اقرا كتاب « ابي عزيز اباظة » تأليف ابنته عفاف عزيز اباظة ، فراعني بساطة اسلوبه ، وروعة ما احتوى عليه من صدق ودقة في تحليل شخصية الرجل وعرض سيرته عرضا جميلا جذابا مؤثرا .

وما اجدر عزيز اباظه بان تخرج عنه مئات الدراسات فعبقرية هذا الرجل وشاعريته لا يفي بحقهما قلم ، ولا يجحد عظمتهما انسان .

ـ ٢ ـ

ولد عزيز اباظة في قرية « الربعماية » بالشرقية في ١٣ من اغسطس عام ١٨٩٨ م ، وتلقى ثقافته الاولى في القرية ، ثم في مدارس الشرقية والقاهرة ، وظهرت موهبته في الادب والشعر منذ صغره ، وعكف على كتب التراث يتزود منها بقسط موفور من الثقافة الادبية .

وشاهد حركة مصطفى كامل ، وثورة ١٩١٩ التي تزعمها سعد زغلول ، وشاهد كل الاحداث التي مر بها وطنه في القرن العشرين حتى وفاته .

وفي عام ١٩٣٦ انتخب عضوا في مجلس النواب ، وبعد قليل اختير مديرا للقليوبية ، فللمنيا ، وبورسعيد ، واسيوط .. ثم لم يلبث ان انتخب مرة اخرى لمجلس النواب ، فمجلس الشيوخ ، ثم اختير رئيسا لادارة مطبعة مصر ، فعضوا في كثير من الشركات والمؤسسات ، ومقررا للجنة الشعر بالمجلس الاعلى للفنون والاداب .

وظل كذلك يجوب البلاد ، ويقوم بالرحلات الى الخارج ، حتى استأثرت به رحمة الله في الحادي عشر من شهر يوليو عام ١٩٧٣ ، فخسرت مصر وخسر العالم العربي وخسرت دولة القريض علما من اكبر اعلامها ، وشاعرا من اعظم الشعراء ، الذين دعموا نهضة الشعر والادب واسدوا للحركة الشعرية المعاصرة كل ما تعتز به من ازدهار وشموخ وجلال .

ـ ٣ ـ

خلف عزيز اباظة خمسة دواوين شعرية هي :

١ ـ انات حائرة .
٢ ـ من الشرق والغرب
٣ ـ تسابيح قلب .
٤ ـ في موكب الحياة .
٥ ـ في موكب الخالدين .

وترك عشر مسرحيات شعرية ، هي :

١ ـ قيس ولبنى ، وقد نظمها في المنيا عام ١٩٤٢ وكان شوقي قد كلفه بكتابتها قبل وفاته ، وقد قدم لها الاستاذ عباس محمود العقاد وقد مثلت لاول مرة على مسرح الاوبرا عام ١٩٤٣ .

٢ ـ العباسة ، وقد قدم لها محمد حسين هيكل ، ومثلت لاول مرة على مسرح الاوبرا في القاهرة في ٣ نوفمبر عام ١٩٤٥ .

٣ ـ مسرحية الناصر ، وقد قدم لها الاستاذ احمد حسن الزيات .

٤ ـ مسرحية شجرة الدر ، وقد مثلت في مسرح الاوبرا في نوفمبر عام ١٩٤٧ .

٥ ـ غروب الاندلس ، وقد قدم لها د. طه حسين ومثلت لاول مرة على مسرح الاوبرا في القاهرة في ١٥ من نوفمبر ١٩٥٢ .

٦ ـ شهريار ، وقد قدم لها عزيز اباظة نفسه ، ومثلت لاول مرة على مسرح دار الاوبرا في ٣ من نوفمبر عام ١٩٥٥ وقد عاونه في اعداد هذه المسرحية عبد الله البشير .

٧ ـ اوراق الخريف ، كتبها عام ١٩٥٧ .

٨ ـ قافلة النور ، نظمها عام ١٩٥٨ .

٩ ـ سرحية قيصر ، نظمها عام ١٩٦٣ .

١٠ ـ مسرحية زهرة ، وقد كتبها عام ١٩٦٨ .

ولم تمثل هذه المسرحيات الاربع الاخيرة .

وقد درس د. عبد المحسن عاطف سلام المسرح الشعري عند شاعرنا الكبير في كتابه « مسرحيات عزيز اباظة » وللاباظي ملحمة شعرية في السيرة النبوية بعنوان « من اشراقات السيرة الذاتية » نشرت عام ١٩٧١ م .

ـ ٤ ـ

والمسرح الشعري عند عزيز اباظة مسرح جد غني بالشاعرية والموهبة والصراع والحوار الشعري الجميل .

وفي مسرحيات اباظة الست الاول يتناول الشاعر احداثا تاريخية ، وكذلك يتجه الى التاريخ في مسرحيتيه « قافلة النور » و « قيصر » .

اما مسرحيتاه الاخريان : اوراق الخريف ، وزهرة فيتجه فيهما الى الموضوعات الاجتماعية المعاصرة ، وان كان قد تأثر في مسرحية « زهرة » بمسرحية للشاعر المسرحي الاغريقي القديم يوريبيدس ، كانت بطلتها هي قدرة ، التي كتب عنها ايضا الشاعر الروماني الفيلسوف سنكا ، والشاعر الفرنسي راسين .

وفي المسرحيتين الاجتماعيتين بسط شاعرنا الكبير عزيز اباظة لغته حتى صارت اقرب الى اللغة اليومية ، دون ان يتخلى عن فصاحة لغته وجمالها .

والمسرح الشعري عندعزيز اباظة حافل وغنيبالحوار والصراع وبالشخصيات المسرحية .. ويدافع عزيز اباظة عن اتخاذ الشعر لغة للمسرح في العصر الحديث ، بينما يعارض الدكتور طه حسين ذلك .

وحين يرى طه حسين ان التمثيل شب عن طوق الشعر وتمرد على اوزانه وقوافيه ـ (ص ٦٤٧ مسرح الشعر ج ١ عزيز اباظة) ، يرى الشاعر الاباظي ان الشعر انسب للغة الحوار على المسرح من النثر (ص ٨١٥ مسرح الشعر ـ اباظة ـ المجلد الاول) .

ولقد كان ارسطو يعتبر المسرحية قسما من اقسام الشعر ويرى ان المأساة ارقى انواع التعبير الشعري ، فهي ارقى صور الشعر جميعها .

والمسرحيات الاغريقية والرومانية القديمة كانت كلها شعرا ، من مثل مسرحيات : اسخيلوس، وسوفوكلس يوريبيدس ، ارستوفان ، منائدر ، سنكا ، بلوتس .

وفي عصر النهضة وازدهار الكلاسيكية في العصر الكلاسيكي ظلت المسرحية تكتب شعرا ، كما نراه عند امثال : شكسبير ، كورني ، راسين واضرابهم .

وفي عصر تيار الرومانسية ، وتيار الواقعية كتب المسرحيون مسرحياتهم نثرا ، مخالفين بذلك الاصول الكلاسيكية .

وان كان بعض الكتاب المسرحيين ظلوا يكتبون مسرحياتهم شعرا ، من مثل اليوت في امريكا ، كريستوفر فراي في انجلترا ، واندرسون في امريكا ايضا ، ولوركا في اسبانيا ، ييتس في ايرلندا .

ويقول سومرست موم : ان المسرحية النثرية التي وقفت عليها حياتي كلها سوف تموت عما قريب . وقد بدا الجمهور المثقف يعي المسرحية الشعرية ويفتح صدره وذراعيه لها . وقد نقلت مسرحيات الغرب الى العربية شعرا ونثرا .

والمسرح الشعري بدأه احمد شوقي امير الشعراء بمسرحياته الخوالد ، من امثال : كليوباترا ، مجنون ليلى ، عنترة ، وغيرها .

وقد خلف عزيز اباظة امير الشعراء احمد شوقي في امارة المسرح الشعري ، بما قدم من اعمال مسرحية خالدة على امتداد الايام ، وحمل لواء الشعر المسرحي بعد شوقي سنوات طوالا تبلغ الاربعين .

ـ ٥ ـ

وفي الشعر الغنائي يعد الشاعر الكبير عزيز اباظة من رواد الشعر الكلاسيكي الكبار ، ومن اعلام نهضته بعد شوقي رحمهما الله .

ويقول العقاد عنه : عزيز اباظة شاعر من شعراء الطبقة الاولى فياللسان العربي، ومؤلف من مؤلفي القصص التمثيلي المعدودين في هذا الزمان (ص ٢١ المجلد الاول من مسرح الشعر لعزيز اباظة) .

وشهرة ديوان اباظة « انات حائرة » في الشعر الحديث شهرة فائقة ، فقد وقفه على رثاء زوجته التي توفيت في التاسع عشر من يونيو عام ١٩٤٢ ، وضمنه احر العواطف وانبلها واسماها .

يحل يوم ميلاد الشاعر ، فيذكر رفيقة حياته التي ودعت الحياة ، ويقول :

اقول والقلب في اضلاعه شرق بالدمع لا عدت لي يا يوم ميلادي

ويقول من قصيدته « من اطياف الماضي » التي نظمها بعد وفاتها بنحو شهرين :

طوفت بالبيت الحزين مسلما فبكى واوشك ان يرد سلامي

وجعلت اساله فلو ملك البكا ... واسطاعه لبكى بدمع هامي
اعرفتني يا دار ام انكرتني ... نهبه الاسى والبث والالام
يا دار قد مال الزمان بانسنا ... وهوى بموثق شملنا الملتام
يا اخت امال الصبا وفراحه ... والضاحك النشوان من احلامي
ان تبعدي فانا المقيم بلاعجي ... ومودتي حتى يحين حمامي
ويقال لي : اصبر ، ما لذلك حيلة ... والنار بين ترائبي وعظامي

وقصيدته « ليلة وليلة » لا نظير لها في الشعر العربي وقد نظمها الشاعر في الذكرى الاولى لوفاة زوجه ، وفيها يقول :

يا ليلة جمعتنا بعد طول نوى ... ذكراك هاجت لنا الاشجان ألوانا
ذكرت ما كان من عرس جلوت به ... علي اكرم خلق الله انسانا
بيضاء هيفاء تحكي الصبح مؤتلقا ... والروض متسقا ، والبان ريانا
بتنا تضيء ظلام الليل بسمتنا ... وتستثير شجون الليل نجوانا
قالت وقلت ، فلم نفرغ مقالتنا ... الى الصباح ، ولم تهدا شكاوانا
وحولنا الليل يطوي في غلائله ... وتحت اعطافه نشوى ونشوانا
ونحسب الكون عش اثنين يجمعنا ... والماء صهباء والانسام الحانا
لم نعتنق وذهول العرس يغمرنا ... وكم تعانق روحانا ولبانا
ثم انتشينا وما زال الفليل لظى ... والوجد محتدما ، والشوق ظمآنا

اما روائعه في الوطنية والقومية فكثيرة لا تحصى ، ومنها قصائده : وحي الجلاء ـ حريق القاهرة ـ من وحي النكسة ـ ام كلثوم الى الشباب ـ ذكريات المقرن ـ روما وشوق ـ اشواق ـ ليلة في زحلة ـ الاميرة تحفة .

ويطول بنا الحديث عن هذه القصائد وامثالها من قصائد الاباظي العصماوات ، واوابده الخالدات .

ولا انسى شعره الاسلامي في ملحمته الخالدة : « اشراقات السيرة الزكية » التي نظم فيها السيرة النبوية شعرا .

وفي قصيدته دنيا القرآن يقول في كتاب الله الحكيم:

اناف على الفحول فقيل : شعر ... وعز على الفحول ، فقيل : سحر
تعالى الله احكمه كتابا ... فليس لعاقل ان ضل عذر
مطامح حكمة ، ومعين هدي ... وبحر مج فيه الدر در
تحدى ، وهي من الف ولام ... فواصله ، واعجز وهو نثر

ويقول في الازهر وهو يرثي شيخا ازهريا هو العلامة الشيخ محمد علي النجار عضو المجمع اللغوي :

منبر في ثرى الكنانة قدس ... تتمنى لو قد حوته الثريا
ما ارتقى المصلحون اعرق منه ... شرفا سامقا وعنقا سنيا
انه الازهر الشريف اجد الا ... ه في صحنه السنا العربيا
في حمى الازهر الرحيب وفي افنا ... نه الحانيات عشنا مليا
يا ابا الجامعات في الشرق والغر ... ب ، ويا شيخها الوقور الفتيا
كم بنيت الافذاذ فكرا وعلما ... عبقري منهم يلي عبقريا

وعن اقبال يقول الاباظي :

في جلال الهداة من انبيائه ... وسنى الخالدين من شعرائه
حمل الشرق مشعل الفكر في الده ... ر ، وشع الجمال في ارجائه
ايه اقبال انت من لمع الله ... ه على خلقه ، ومن آلائه

ومن حكمه في خواطره « قال صفوان » يقول شاعرنا الكبير :

واجعل الحكم حكم شورى فان ... البغى ادنى الى حكومة فرد
ليس رايان في الامور كراي ... واختلاف الاراء ينجي ويهدي
لست احجى رايا من المرسل ... المعصوم حتى تقول اقطع وحدي
انما تسفر الحقائق كالصبح ... باخذ من الحوار ورد
قد سمعنا عن الطغاة وعسف ... اوقعوه فلم يقف عند حد
حكم فرد حتى وان كان عدلا ... غير مجد في ملتي ، غير مجد

ـ ٦ ـ

وشعر عزيز اباظة بموسيقاه الحلوة التي تأثر فيها باستاذه امير الشعراء احمد شوقي رحمه الله ، وبألفاظه الجميلة وبأسلوبه البليغ الرائع ، وبمضامينه الانسانية النبيلة في شتى اغراض الحياة ، وبكل خصائص الموهبة والملكة والمقدرة الشعرية ، حري بالحفاوة ، جدير بالاكبار والتقدير ، قمين بأن يرفع صاحبه الى ذروة المجد ، وقمة الخلود .

القاهرة — محمد عبد المنعم خفاجي

سعر بيع مجلة الاديب :

العراق	٤٠٠ فلس
الكويت	٤٠٠ فلس
ابو ظبي	٦ دراهم
دبي	٦ دراهم
قطر	٦ ريالات
البحرين	٦٠٠ فلس
الاردن	٤٠٠ فلس
السعودية	٦ ريالات
اليمن	٦ ريالات
عدن	٦٠٠ فلس
مسقط	٦٠٠ بيسه
مصر	٤٠٠ مليم
ليبيا	٦٠٠ درهم
تونس	٦٠٠ مليم
المغرب	٦ دراهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السّيكارة

اذهبي ! اذهبي واغري سوايا ... ليس صدري مضافة للبغايا
هو للحب هيكل ، فتوقي ... ان تظنيه مسرحا للدنايا
نفثة منك في الضلوع بلاء ... كيف لا ينبت البلاء بلايا ؟

حن قلبي اليك ، لكن عقلي ... لم يسلم زمامه لهوايا
جمعتنا الاقدار ثم افترقنا ... ان ليلاي لم تعد ليلايا
كم فراق به تقر عيوني ... ولقاء يهيج نار اسايا
سامني حبك العذاب سنينا ... ثم قلت المتاب يمحو الخطايا

انت سم بين الحنايا زعاف ... كيف تستعذب السموم الحنايا
الجرائيم عششت في ثنياك ... فلا مرحبا بهذي الثنايا
ما انا في هواك اول حب ... خفت ان يخنق الدخان صبايا
كدت لي في الخفاء كيدا عظيما ... لا تظني مرت علي الخفايا

حذرتني غلواء منك ، ولولا ... يد حسونتي لشلت يدايا
نمت ـ منذ ابتعدت عنك ـ قريرا ... مستريحا ، وكان نكدا كرايا
وتمتعت بالفناء ، وكانت ... طيبات الفناء عندي نفايا
رب ليل قضيته في سعال ... وليال قضيتها في رزايا
سؤت اصلا فخاب فيك رجائي ... احمد الله ان ذبحت رجايا
عاتبيني على صنيعي ، ولكن ... لا تغذي خطاك خلف خطايا

يا ابنة الصين اهلك الناس ... اهلوك فهلارحمت ضعف البرايا(١)
وضر انت للقلوب وللايدي ... وسلوى تخفي بذور المنايا
يتهاداك في المجالس قوم ... كيف تستحسن الافاعي هدايا ؟
نمت النار في شفاهك عما ... خلفها من مقاصد ونوايا
فاتقي الله وارفقي بقلوب ... هي في ملكك العريض رعايا
قيل دخن ، فما نهى عنك دين ... قلت يكفي ان قد نهاني نهايا
يقظة العقل انقذتني ، وكانت ... ريحة التبغ فزعة للصبايا
ويح عشاقك المساكين !.. اني ... لست ارثي الا لهذي الضحايا

ربع قرن مضى ، وما زلت اشكو ... في ضلوعي ـ مما نفثت ـ بقايا
ولعي فيك صار كرها وبغضا ... سامحيني .. لقد نبشت الخبايا
حز في النفس ان اعقك ، لكن ... هل اصافي التي تسم دمايا ؟
يا ابنة الصين قد بلوتك دهرا ... فاذهبي ، فاذهبي واغري سوايا !

(١) قيل ان الصينيين هم الذين اكتشفوا التبغ .

بوانس ايرس — زكي قنصل



محمد العدناني

محمد العدناني

١٣٢٠ ـ ١٤٠١ هـ

بقلم الدكتور عدنان الخطيب

* * *

فجعت العربية يوم الخامس من شوال سنة ١٤٠١ هـ الموافق للخامس من اب سنة ١٩٨١ م ، بأحد شعرائها المجودين الكاتب الاديب واللغوي المحقق الاستاذ محمد العدناني احد اعضاء مجمع اللغة العربية الاردني المراسلين.

كان فقيدنا الكبير من انشط معلمي اللغة العربية الغيارى على سلامتها من اللحن والرطانة ، ومن اكثر العاملين على ملاحقة الاخطاء اللغوية والنحوية التي تتسرب الى الفصحى عن طريق اقلام فريق من الادباء والكتاب ومحرري الصحف ، او عن طريق سماع اكثر مذيعي الراد او التلفاز . فكان رحمه الله يتتبع الخطأ ويتحرى الصحيح ولا يتأخر عن استفتاء اهل العلم والمعرفة كلما دق الامر او غام .

كان الفقيد يدبج المقالات المسهبة يعرض فيها الخطأ الذي التقطه ويبين صحته او ما ذكره اهل العلم حوله ، ثم يخص بها احدى مجلات الوطن العربي التي تعنى بالعربية الفصحى او بالابحاث الرصينة والفكر السليم ، وكانت مجلة « الاديب » البيروتية لصاحبها الشاعر الاديب الاستاذ البير اديب ، تليها مجلة « الضاد » الحلبية لصاحبها شاعر حلب الاستاذ عبد الله يوركي حلاق اكثر المجلات ترحيبا بمقالات الفقيد .

ومن جمع تلك المقالات ، استطاع الفقيد ان يخرج للناس معجما ضخما باسم « معجم الاخطاء الشائعة » ويوم لقي وجه ربه كان بسبيله الى اخراج عدد من المعجمات المماثلة .

موجز عن حياة الفقيد وآثاره

ولد الفقيد ـ كما ذكر هو بنفسه ـ ببلدة جنين احدى مدن فلسطين الغالية لايام بقيت من سنة ١٣٢٠ للهجرة ، وفق السادس والعشرين من شهر اذار سنة ١٩٠٣ ميلادية ، في اسرة عربية النجار تنسب الى احد افرادها ، وكان من رجالات الدولة العثمانية اسمه « خورشيد باشا الحسني » .

وفي جنين عاش الفقيد ايام طفولته ، وفيها بدا بتلقي تعليمه الاولي . وكان والده « فريد خورشيد » من موظفي الادارة في العهد العثماني ، مما ادى به الى التنقل مع طفله محمد بين عدد من بلاد الشام ، وما انهى « محمد خورشيد » تعليمه الابتدائي ، الا بعد ان مر على مدارس كل من طول كرم وغزة ودوما ودمشق وصيداء .

اما الدراسة الثانوية ، فقد اتمها الفقيد في «مدرسة الفنون الاميركية » بمدينة صيداء ، ثم التحق بالجامعة الاميركية في بيروت بقصد دراسة الطب البشري .

كان الفقيد ، وهو يدرس الطب ، يتنفس بقرض الشعر كلما تعب من الدراسة او سنحت فرصة ارتاحت فيها نفسه او جاشت وسمع مرة ان امير الشعراء احمد شوقي يزور لبنان فسعى للتقرب منه حتى اسمعه بعض نظمه ، وراقت لامير الشعراء بواكير الفتى فاستزاده ، وما كاد يسمعه معارضته لقصيدة ابن زريق البغدادي وينشده قوله فيها :

رايته عندها ، والدمع مضطرب ... الجفن يحبسه والوجد يدفعه
فخلت نفسك تدري ما الم به ... يوم الفراق ، وما تبديه ادمعه
وفي المآقي دموع لست تبصرها ... وفي الضلوع انين لست تسمعه

حتى وقف الشاعر العظيم تحية لنبوغ الفتى وصاح به : « هذا الشعر لك وتدرس الطب ؟! » فقال الفتى : « وما اصنع وابي يريدني طبيبا ؟ » واجاب امير الشعراء: « ادرس الادا بوتبحر باللغة يا أخي واترك الطب لغيرك والا ضعت واضعت ما انت مؤهل له » .

ولم تنقض سنة ١٩٢٦ ـ ١٩٢٧ الدراسية ، الاوكان اسم الفقيد مدرجا بين خريجي كلية الاداب بالجامعة الاميركية ، ويومها دخل محمد خورشيد ساحة النضال التي اختارها لنفسه دعما للعربية لغة الذكر الحكيم ودفاعا عن سلامتها، وسافر الى العراق ليتولى التدريس في ثانوية بغداد ودار المعلمين فيها ، ثم عادالى فلسطين ليدرس في

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كلية النجاح بنابلس في عامي ١٩٣١ ـ ١٩٣٣ وفي الكلية الرشيدية بالقدس حتى عام ١٩٤٢ .

ولم يستطع محمد خورشيد ، وهو داخل فلسطين والمؤامرات عليها تلفها ، ان يقصر نضاله على تعليم العربية والدفاع عنها ، مما ادى به الى السجن فالنفي بتهم سياسية مرات عديدة حتى كانت سنة ١٩٤٧ التي اعيد خلالها الى وظيفته في دائرة المعارف العامة بالقدس .

ولما كان عام النكبة سنة ١٩٤٨ غادر فقيدنا الارض التي احب ان يموت شهيدا على ترابها ، الى شرقي الاردن ثم الى دمشق فحلب يدرس العربية ويدافع عن سلامتها حتى تقاعد سنة ١٩٦٤ ، دون ان يقرب سيفه ، مختارا مدينة بيروت مقاما ، مواصلا فيها جهاده حتى سقط شهيدا في وسط المعركة (ومن المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) .

رحم الله الفقيد رحمة واسعة وعوض العربية خيرا.

★ ★ ★

حمل الفقيد اسم « محمد خورشيد » صغيرا ، وشب وهو يحمله ، ولم يلبث حتى ضاق به بعد ان عرف صراحة نسبه الهاشمي واصالة قرشيته العدنانية ، فعمل على اثبات ذلك وتغيير اسمه بالانتساب الى جده الاعلى « عدنان » ثم نظم قصيدة عنها « من محمد العدناني الى محمد خورشيد » جاء فيها :

نشأت على هوى الفصحى صبيا ... ومع شعرائها خضت العبابا
فلم تر غير آي الله وردا ... فراح اللب يلتهم الكتابا
وحملت اسم « خرشيد » ولما ... تمت الى الاكاسرة انتسابا
لقد ظلموك ، فالدم عربي ... من الزهراء سال سنى وطابا

بدا الفقيد النظم صغيرا فلا عجب اذا ما غزر شعره وتنوعت اغراضه ، ولا عجب اذا ما رأينا الشاعر يجمع ما تفرق من شعره لينشره على الناس في عدد من الدواوين بحسب غرضه . وامامي الان عدد من دواوين الفقيد المطبوعة ، واهمها في نظري ديوان اطلق عليه اسم « ملحمة الامومة » وهو اول ديوان بالعربية خصه ناظمه بالام مشيدا بما جبلت عليه من رحمة وحنان ، وبما يدفعها اليه حنانها وحبها فلذة كبدها من ايثار وتضحيات في سبيل ان يهنأ ويسعد .

وللفقيد شعر في الغزل فيه رقة وفيه عذوبة بنمان على ما يحمله بين جوانحه من حب قوي وعاطفة متأججة كما له رثاء فيه لوعة وفيه وفاء ينمان على ما في نفسه من ود واخلاص . وللفقيد ايضا شعر وطني فيه فخر بعروبته وفيه اعتزاز ببني قومه يدلان على اصالة وكرم محتد .

وكما كان شعر الفقيد متين السبك حلو الديباجة يحاكي فيه او يعارض الفحول من شعراء العربية ، كان نثره قويا جميل الصياغة فيه سهولة وفيه دعابة تدل على حلو شمائله وحبه للفكاهة والنكتة ، وبه كتب بعض القصص والمقالات الادبية ، وبه دون سيرته الشخصية وفصولا من مذكراته السياسية .

واذا كان « معجم الاخطاء الشائعة » الذي طبع في بيروت سنة ١٩٧٣ ، اخر ما اطلعت عليه من مؤلفات الفقيد، فقد كانت مقالاته الادبية وتحقيقاته اللغوية تطلع علينا بين الفينة والفينة تزين طائفة من المجلات الادبية ، وما كاد الفقيد يشعر بأن متاعب الشيخوخة باتت تهدد حياته ، حتى ضاعف نشاطه يعمل ليل نهار على جمع ما لديه من شعر ونثر ونقد وتحقيق ، بغاية دفعه للنشر ليخرج الى الناس دواوين : لكل فن من فنون الشعر التي نظم فيها ديوان ، او معجمات : لكل نو ع من تحيقاته اللغوية معجم، او كتبا : لكل من السياسة او القصة او السيرة كتاب .

وليس ادل على دوامة النشاط الذي لف الفقيد خلال سنواته الاخيرة ، من الاستشهاد بفقرات من الرسائل التي استمر يواصلني بها طيلة تلك السنوات ، لاطلاعي على جهوده المضنية واستمداد ما يشجعه على مواصلة هذه الجهود ، متحديا بها العلل والامراض التي كان يعاني منها، مستبطئا الاجل المحتوم ، الا ان استوفاه وسقط شهيدا في المعركة التي فرضها عليه ايمانه بالعربية واججتها محبته لبلده وبني قومه ، سقط والقلم في يده وتجارب المطبعة منثورة حول فراشه تغمده الله بواسع رحمته .

★ ★ ★

١ ـ في رسالة مؤرخة في السابع من ايلول ١٩٧٧ كتب الفقيد يقول :

(.. اخي النبيل انني على وشك الانتهاء من تأليف « معجم عثرات الادباء » .. ارجو ان يفوز برضاكم اكثر من توأمه « معجم الاخطاء الشائعة » لانني بذلت في تأليفه جهدا اكبر وصبرا اطول .. هل توافقون على نشر اكثر من اربعمئة ملحوظة او عثرة سجلتها على « المعجم الوسيط » القاهري ، وكتبتها بالاسلوب المهذب الرقيق الذي كتبتم به نقدكم العلمي له ..)

٢ ـ وكتب في رسالة مؤرخة في السادس من نيسان ١٩٧٩ قائلا :

(.. عدت ادراجي الى بيروت لانجز « معجم عثرات الادباء » .. والذي سيباشر بطبعه قريبا ، وقد يقع في نحو الف صفحة من القطع الكبير .

وفي دولة الامارات انجزت « معجم الاسماء » ، و « الفصحى تظلم حواء » : هو مصيب وهي مصيبة ، ونائب ونائبة ، ونازل ونازلة، والقارع والقارعة، والقاضي والقاضية الخ (١) .. وارجو ان اخرج من عزلتي الادبية هذا العام) ..

٣ ـ وكتب في رسالة مؤرخة في السادس من حزيران

١٩٧٩ ما يلي :

(ابشرك بانني عدت الى صحتي الاولى ، وانتهيت من فترة النقه التي حددها الاساة ، وبدات ساعات عملي اليومية العشر يوميا والحمد لله .. وها انذا قد سلمت الحروف السبعة الاولى من « معجم عثرات الادباء » للناشر على ان يباشر بطبعها قبل حلول شهر تموز ان شاء الله وبدات باعادة طبع « معجم الاخطاء الشائعة » وانهيت تاليف « معجم الاسماء » وسانصرف قريبا الى طبع اثني عشر ديوانا ارجو ان تفوز برضاك ..

لقد ارسل الي مجمع عمان المجلة ، وهو يزودني بجميع مطبوعاته ، وقد قرأت بامعان مقالك النفيس ، الذي سافيد من مادته في معجمي « فوات المعجمين » الذي بدات بتاليفه معتمدا على عون الله سبحانه وتعالى).

وكتب في رسالة مؤرخة في التاسع عشر من تموز سنة ١٩٧٩ ما يلي :

(.. ابشرك بقرب البدء بطبع «معجم عثرات الادباء» في نحو الف صفحة من الحجم الكبير ، وقرب البدء باعادة طبع « معجم الاخطاء الشائعة » مع اضافة عشرات الاستدراكات التي اخذتها منك من مقررات مجمع اللغة العربية بالقاهرة التي تلخصها بسهولة ويسر بعد ان تفك المعقدات من بعض عباراتها ..)

٥ ــ ومما جاء في رسالة كتبها في الثامن والعشرين من ذي الحجة سنة ١٣٩٩ قوله :

(.. انني مدين يا اخي لك ولعدد قليل من ادباء العرب الافذاذ كشوقي ، والامير شكيب ، والرصافي ، والزهاوي ، والشبيبي ، والاخطل الصغير ، والحصري ، والنشاشيبي ، والزركلي ، وعبد الرحمن الشهبندر بتشجيعهم اياي على مواصلة النظم الذي مارسته وانا دون العاشرة ، والذي جعلني اقضي جل وقتي في عشر السنوات الاخيرة من عمري في البحث اللغوي ، لكي اضمن ــ قدر المستطاع ــ خلو شعري من الاخطاء اللغوية اولا ، وخلو مؤلفاتي النثرية منها ثانيا .

وارجو في عام ١٩٨٠ ــ ١٩٨١ ، اذا مد الله سبحانه وتعالى حبل الاجل ، ان ارسل اليك اثني عشر ديوانا مفرقة او مجتمعة ، جل قصائدها لما تنشر بعد ، مع بضعة كتب منثورة ، لانني عزمت ــ بعونه تعالى ــ ان احاول طبع معظم مؤلفاتي المخطوطة قبل الرحيل الذي اشعر انني صرت منه قاب قوسين او ادنى .

لقد سلمت مكتبة لبنان معجمي الجديد « معجم الاغلاط اللغوية المعاصرة » وقد ينتهون من طبعه قبل نهاية شهر تموز المقبل ، وقد يقع في نحو الف صفحة من الحجم الكبير ، أرجو ان تفوز كلها او جلها او بعضها برضاك)..

٦ ــ وجاء في رسالة مؤرخة في السادس عشر من نيسان ١٩٧٩ قوله :

(.. الحمد لله على سلامة العودة من مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ولعلني افيد من مقرراته الخالدة التي تلخصونها في مجلة مجمع دمشق باسلوب غاية في الوضوح والبيان ، وارجو ان انقل بعضها الى معجمي الرابع « معجم فوات المعجمين » الذي ارجح انه سيطبع بعد انطفاء السراج ..)

٧ ــ وكتب في رسالته المؤرخة في السادس عشر من حزيران ١٩٨٠ ما يلي :

(.. ارجو ان تكون قد تمتعت بأيام انعقاد مؤتمر اللغة العربية ذلك المؤتمر الذي تنتظره قلوبنا مثل البابنا، لانه يعطينا جرعة لغوية نتمتع بها عاما كاملا ، وتساعدني اليوم في زيادة مواد معجمي الثالث « فوات المعجمين » بعد ان دفعت المعجم الثاني « معجم الاغلاط اللغوية المعاصرة » الى المطبعة ، التي انجزت حتى الان تنضيد الحروف العشرة الاولى والحمد لله .

انتهيت قبل قليل من تحضير قصائد مختارة من اثني عشر ديوانا لتوضع في ديوان واحد كبير قد يقع في ٨٠٠ صفحة ، وانتظر العثور على ناشر امين للبدء بطبعه ، والا طبعته على نفقتي الخاصة .

وساحاول ان اطبع مخطوطاتي : « اللغة العربية والمراة » و « الله وانا » و « عربي في برلين » قصة واقعية و « معجم الاسماء » في الاشهر الستة الباقية من هذا العام)

٨ ــ وكتب ضمن رسالة مؤرخة في الحادي عشر من ربيع الثاني ١٣٩٨ :

(.. انني لم اعثر على كتاب الاستاذ عبد الله يوركي حلاق (٢) بعد ، ولكنني فهمت من رسالتك ، ومن هاتف اخي الاستاذ اكرم زعيتر ، ان الاخ عبد الله كتب عني شيئا حسنا ارضاك ، فطربت له وسررت به ، لانك نبيل، وذو قلب كبير ، ونفس عظيمة تحب انصاف الاخرين ، ولا يعرف الحسد اليها سبيلا ، كما نرى في هذه الايام ، وهذا هو الذي يجعل قلبي يتشبث بمحبتك التي تساوي عندي كنوز قارون ، وانا القائل :

وما انا لولا الاصدقاء سوى فتى عليه الرزايا الكالحات تصول
فاني بجسمي الواهن القلب واحد ولكنني بالاصدقاء قبيل

١ ــ نشرت مجلة الدوحة في عددها ذي الرقم ٦٩ الصادر بشهر ايلول ١٩٨١ مقالا باسم الفقيد تحت عنوان « المعاجم تظلم المراة » ثم نشرت له في العدد ذي الرقم ٧٠ مقالا بعنوان « المراة العربية والنحاة » فيهما شيء من اللغة وكثير من الدعابة والفكاهة كما نشرت المجلة بعدئذ بعض الردود دون اشارة ما الى وفاة الكاتب وكانت قبل اكثر من شهرين على نشر المقال !

٢ ــ عقد الاستاذ عبد الله يوركي حلاق فصلا خاصا في كتابه القيم « من اعلام العرب في القومية والادب » ترجم فيه للفقيد محمد العدناني ترجمة ضافية مع تحليل دقيق لشعره القومي والاجتماعي ولمعارضاته كبار الشعراء ولغزله واخواناته، كما وصف نثره مشيرا الى روح الدعابة والفكاهة المبثوثة فيه ــ انظر الطبعة الثالثة حلب ١٩٧٨ .

دمشق ــ مجمع اللغة العربية **عدنان الخطيب**

تجارب شعرية في شعر محمد الأسمر

بقلم الدكتور حسن عبد القادر مصطفى

* * *

يقف الشاعر محمد الاسمر بين شعراء الكلاسيكية الحديثة مستطيل القامة ، مشرف الهامة ، وقت ان كانت هذه المدرسة تبسط نفوذها على الساحة الادبية في مصر وغيرها من الاقطار العربية ، بعد ان حمل لواءها البارودي ، وروج لها حافظ وشوقي ، وتخطيا بها حدود مصر ، واحتلا مركز الصدارة ، وذاع شعرهما على الالسنة ، ورددته الاندية والمحافل ، فترسم كثير من الشعراء خطاهما ، وتأثروا بمنهجهما الشعري ، وساروا على دربهما الغني المتمثل في جزالة الصياغة ، ومتانة الاسلوب ووحدة القافية ، واستهواء القلوب، واثارة المشاعر، وذلك بالضرب على الوتر القومي والقضايا الاجتماعية .

ولم تكن الاتجاهات الشعرية الجديدة التي بشر بها رواد الرومانسية ، او حمل لواءها زعماء مدرسة الديوان، او ساقتها رياح الغرب من المهجر الاميركي ، لم تكن هذه الاتجاهات لتشد اليها ذوي الاتجاهات الشعرية المحافظة، الذين تشربوا الثقافة العربية ، وتتلمذوا على شعرائها ، وشاقهم في الشعر جمال الصياغة ، ورونق الاسلوب ، وروعة الموسيقى من امثال الاسمر وغيره ، ممن كانت ثقافتهم ثقافة عربية خالصة ، تأدبوا فيها على التراث العربي ، وتشربت روحهم روائع الشعر في عصوره الذهبية فنا وصياغة ، ونهجا واسلوبا .

واذا وضعنا في الحسبان ان شاعرنا نشأ واستوى عوده ، واكتملت اداته في فترة كان الاحتلال فيها يجثم على انفاس الامة ، ويكبل خطاها ، وينفث سمومه في اجوائها ويعيث فسادا في كل جوانبها ـ علمنا ان مقاومة التغريب، والاعتزاز بالمأثور ، والحرص على التراث كان ضربا من ضروب المقاومة ضد الاستعمار ومظهرا من مظاهر العزة القومية التي كان الشعراء والكتاب يضربون على اوتارها لايقاظ الهمم الغافية ، وايراء الحماسة الوانية ، واضرام الثورة على الغاصب المحتل لاقتلاعه من قلاعه ، وتحرير الوطن منه .

وقد كان هذا الاتجاه عاما لدى جمهرة كبيرة من ادباء مصر وغيرها من البلدان العربية التي كانت كلها او جلها تعاني ما تعاني مصر من اوصاب وخطوب ، فاتجهوا الى التراث يستلهمون منه صور البطولة ، ويقبسون منه معالم الفداء ، ويبرزون ما فيه من مجد شامخ ، وتاريخ حفيل ، وما لرجالاته من أياد في شتى المجالات الفكرية والعسكرية ، وفي بناء الحضارة، وتأسيس الدول، وميادين السبق والابتكار والتجريب . برز هذا واضحا في الاعمال الاسلامية لهيكل والعقاد والرافعي واحمد امين وغيرهم ، كما ظهر جليا في الشعر الاسلامي لمحرم وعبدالمطلب وحافظ وشوقي ومن لف لفهم .

ولم يكن الاسمر واضرابه بمعزل عن هذا الاتجاه ، فكان ترسمهم للتقاليد الشعرية الموروثة ، ومحافظتهم على الاطار الشعري القديم ، وسماته الفنية لونا من الوان المقاومة وضربا من ضروب الاعتزاز بالتراث ، والتعلق بما للاباء والجدود من مجد باق ، وتاريخ حفيل .

لقد اشار الاسمر غير مرة الى هذا الماضي الحافل بالامجاد على نحو ما يقول :

سلام على الماضي وان طال عهده ... وسلطان قوم حاضر الباس غائبه
سلام على ميراث قوم مضيع ... تلعثم مطريه ، واخطا حاسبه (١)

واذا وضعنا في الحسبان كذلك ثقافته العربية التي اشرنا اليها ، والتي تدفقت روافدها من ينابيع الادب العربي عبر عصوره المختلفة ، منذ نعومة اظفاره ، وعبر تقلبه في قاعات الدرس على امتداد سني دراسته ، وقت ان كان طالبا في معهد دمياط الديني ، ومدرسة القضاء الشرعي ، وبعد اشتغاله بمكتبة الازهر ، واذا عرفنا انه كانت تشوقه دواوين القدماء ، ويحبب اليه النظر في المطولات الادبية ، وتستهويه النماذج الشعرية المختارة ، فينعم النظر فيها ، ويأخذ نفسه بمحاكاتها والضرب على منوالها ـ علمنا انه كان مشدودا الى التراث بسياج متين، يجد فيه متعة روحه ، وزاد فكره ، وغذاء وجدانه . وقد ساهم هذا وذاك في اثراء حصيلته اللغوية والبيانية ، فاصطبغ اسلوبه بالاحكام والمتانة، وجاء شعره حصاد هذه الثقافة العربية الخالصة ، وصدى هذا الاعجاب بالتراث، ومرآة لروح شاعرة ، وقلب فياض ، وطبيعة مواتية .

وقد أثنى على الاسمر كثير من ادباء عصره ، واعلام جيله ، مما نراه مبثوثا في مقدمة الديوان، ومتناثرا في بعض المقالات . غير انه ليس لنا ان نتخذ من ذلك وسيلة لتقديمه ، او تنصيبه اميرا للشعراء كما حاول البعض ان يفعل (٢) ، لان هذا الثناء في مجموعه لا يخرج عن كونه مجاملات رقيقة ، صيغت في عبارات عامة ، واحكام كلية وصيغ مبهمة اراد بها اصحابها التعبير عن تقديرهم لصاحب الديوان ، وسرورهم به وهي عبارات تذكرنا بما كان يتردد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على السنة النقاد قديما من احكام عامة مما نراه مبثوثا في كتب الادب ، وان كنا لا نفتقد في بعضها صدق الراي ، وحسن التعليل مما يجعل لها قيمة نقدية في تقويم الديوان، والحكم له او عليه . ومنها ما قاله انطون الجميل : «شعر الاسمر في معظمه مزيج من الحقيقة والخيال ، يرتفع الشاعر حينا في جو القصور ، فيصور ما يجلوه له الخيال ويغوص الى اعماق النفس حينا فيروي ما يشعره به حسه، ويدرج حينا في عالم الحقائق المجردة ، فيصف شؤون الحياة كما هي جميلة او شوهاء ، سعيدة او مبتئسة ، مفترة الثغر او مقطبة الجبين ، ولما كان شاعرنا خبيرا بأساليب النظم عليما باسرار القوافي ، فان التعبير يجيئه في هذه المواقف الثلاثة طيعا ، ويلبيه مؤيدا لما يريد » (٣).

واذا كانت رياح التغيير قد عصفت بكثير من المفاهيم السائدة ، وطورت كثيرا من النظريات والفلسفات ، فان الكلاسيكية قد اهتز نفوذها، وضعف تأثيرها بتغير الظروف السياسية والاجتماعية ، وتطور المفاهيم الادبية ، وارتقاء الاذواق ، وتنوع الثقافات وازدهار الفنون والاداب ، مما جعلها مستهدفة للهجوم من انصار المدارس الحديثة التي تعد الثقافة الغربية اهم روافدها ، بدعوى انها لم تعد تواكب روح العصر ، وان جل اتباعها ليس لهم فلسفة ولا نظرية ، وان اعمالهم الشعرية ما هي الا تقليد ومحاكاة للقدامى ، او هي تعبير عن الحياة اليومية بصورة سطحية.

واذا كان الاسمر من اعمدة الكلاسيكية اسلوبا وصياغة ، فانه كان نتاج عصره في الفكر والشعور ، اذ انه كان حادي امته ، وشادي كفاحها ، ومصور آمالها وآلامها وهو وان نظم في الاغراض التقليدية الشائعة كالمدائح والمراثي ، فقد نظم في غيرها ، وكما عبر عن قضايا امته صور خلجات نفسه ، ونبض مشاعره ، وقد جاء كثير مما قال استجابة لاحاسيسه المضطرمة ، وصدى لشعوره القوي ، وتعبيرا عن خواطره المهتاجة ، وتجسيدا لهذه الخواطر ، حتى ليعد مثل هذا الشعر تعبيرا صادقا عن تجارب شعورية وجدانية مما يكسبه بعدا انسانيا لما فيه من نظرات صادقة للناس والكون والحياة .

لكن المتصفح للديوان يجده قد صنف تصنيفا وزعت فيه صفحاته الوفيرة العدد على ابواب تمثل موضوعاته المختلفة كالملكيات والسياسيات ، والشرقيات ، والسودانيات والمدرسيات ، والاخوانيات والاجتماعيات وغيرها . وتتخلل هذه الابواب مقطوعات تتفاوت طولا وقصرا ، تناول فيها بعض الاحداث العابرة ، والخواطر السانحة ، مما يعطي انطباعا بان شعر الاسمر كان تسجيلا لحياته اليومية ، وعلاقته الاجتماعية ، وان ديوانه يفتقر الى النظرية المتكاملة ، او الفلسفة الشاملة التي تجعل للشاعر وزنا فكريا ، ونظرية واضحة ، وفلسفة معلنة .

فقد كتب الاستاذ الدكتور شوقي ضيف نقدا للديوان في مقال قيم المح فيه ضمنا الى ان هذا الديوان لا يعدو كونه تسجيلا للحياة اليومية ، وان الشاعر يفتقر الى الفكر العميق ، والتأملات الطريفة في عصر يؤمن بالنظريات ، ولا يكتفي بالنظرة السطحية العاجلة (٤) .

وقد اراد الدكتور الناقد ان يكون حديثه عاما شاملا لكل عناصر هذه المدرسة التي يمثلها الشاعر ، فاشار الى ان المهم ليس طرافة الموضوع ولا جدته ، وانما المهم روعة التصوير ، واتساع الايحاء ، واستدل على ذلك بالشعر العباسي ، فقد نهج الشعراء فيه منهج القدماء ، الا اننا نجد فيه طرافة الفكر العباسي ، ومقدرته على التوليد والاختراع في الصورة والفكرة ، ويتجلى ذلك عندهم في وضوح الثروة العقلية والفلسفية التي ظفر بها العقل العربي آنذاك .

وعنده ان الانحياز الى الصياغة القديمة لا ينبغي ان يحول بين الشاعر والفكر العميق ، والتأملات الطريفة حتى يرى الناس في ديوانه حياتهم قد صيغت صياغة فنية دقيقة .

ويتساءل عما ينبغي ان يكون عليه الشعر . ايكون صعوبة وشيئا معقدا وعملا مركبا، ام يكون سهولة وانطلاقا وجريا مع الطبع ، ومحاولة لقول ابيات منظومة في كل موضوع يعرض ، وكل بادرة تفاجيء ؟ ويجيب عن تساؤله بقوله : اننا نعيش في عصر يؤمن بالنظريات ، ولا يكتفي بالنظرة السطحية العاجلة ، بل ما يزال يتعمق اصحابه في ميادين العلم والمعرفة ، ويصبغ هذا الاتجاه التراث الانساني المعاصر اصباغا مختلفة ، ويؤكد ما ذهب اليه بقوله : وديوان الشاعر ان لم يسع به صاحبه الى نظرية او اتجاه معين ، بدا في هذا العصر انه ناقص وانه ليس الواحة التي نطمئن عندها في دنيانا .

ويكاد يجرد الديوان من كل قيمة بقوله : « واخشى ما اخشاه ان يتحول الشعر عندنا الى ما يشبه الصحف اليومية ، فهو حوادث واخبار عن الشاعر ، وليس فيه شعر ، وليس فيه تأملات ولا احلام ولا اوهام ولا عالم جديد ، بل ليس فيه نار نجتمع عندها او عليها ، فنشعر بشيء من الدفء يروح عن عواطفنا وافكارنا » .

واحسب ان الاستاذ الدكتور حكم ببعض الديوان على كله ، والتمس لهذا الحكم ما يؤيده من بعض ما جاء فيه من مقطوعات وقصائد ارتبطت بمناسبات عارضة ، وجاءت مفتقرة الى التجربة الصادقة ، والنظرة المجردة ، والفكر الجديد اذ ان الشاعر لم يكن في جميع ما قال يسجل احداث عصره ، حتى نحكم على الديوان بانه يحاكي الصحف اليومية في سرد اخبار وحوادث لا شعر فيها ، ولا تأملات ولا احلام ، لان تعميم الاحكام يفقدها الدقة والاحكام .

وليس من العدالة ان نحاكم الشاعر بغير قانون

العصر ومنطق الواقع . فلم يكن الاسمر نسيج وحده في شعر المناسبات الذي جاء استجابة لاحداث سياسية او اجتماعية ، او تعبيرا عن خواطر حول الناس والحياة كما يراها ويحسها ، لان كثيرا من هذه الاحداث اتخذت ابعادا خطيرة ، وكان لها تأثيرها في اجواء المجتمع وعواطف الناس، فالهبت المشاعر ، وفجرت القلوب بالغضب حينا والحزن حينا ، فجعل الشعراء يعزفون على اوتار القلوب التي تمور بالغضب او تموج بالحزن ، ويسجلون ادق مشاعرها، وابرز خوالجها ، لانها مشاعرهم وخلجاتهم قبل كل شيء فهم جزء من نسيج الامة المطحونة ، وهم حداة الشعب ، وطلائعه المثقفة ، وألسنته الناطقة ، ولا نستطيع ان نحجب عن هؤلاء الشعراء حقهم في الانصاف اذا كنا جادين في ان تكون للشعر رسالة ، وان يكون للشعراء دور قيادي في استشراف الافاق ، وتوجيه الابصار والبصائر .

واذا كانت مقولة الفن للفن تشد كثيرين من النقاد ، وتغري كثيرا من الشعراء بان يكونوا لانفسهم اولا ، وان يبتعدوا عن قضايا أمتهم ، فان مقولة الفن للحياة ينبغي ان تتسع ، ويتردد صداها، وتظفر بما تستحقه من اهتمام النقاد والمفكرين ، لان التزام الشاعر بقضايا امته حيوي للغاية ، وبخاصة في مراحل بنائها ، وتدرجها في مراقي التطور ، لان الشاعر يرتاد الافاق ، ويحلق في جنباتها ليقع على خاطرة جديدة ، او يجلو مشهدا انسانيا ، او ينبه الى قيمة خفية فهو بشعره فصل في كتاب تطور الامة ، وترقية ذوقها ، وتحريرها من قيودها .

من هنا لا نعد الشعر السياسي والاجتماعي ضربا من الاخبار الا اذا خلا من العاطفة والروح ، وكان سردا يفتقر الى الفكرة الصائبة ، وقوة التأثير ، أما اذا مس مشاعرنا ، وارضى اذواقنا وعقولنا ، وعمق تجاربنا ورؤانا فاننا لا نبعد به عن ميدانه ، ولا نغمط صاحبه حظه من الصنعة والشاعرية .

وحسبنا ان نطوف بالديوان ، ونتجول في بعض رياضه ، ونقتطف شيئا من ازهاره وورود لنقف على ما فيها من جمال وايحاء ، وما تنطوي عليه من صدق يكسبها الخلود والبقاء .

فالامتيازات الاجنبية مثلا ، وهي من موضوعات الديوان التي احتفل بها الشاعر ، لا يمكن ان نتمثل حجم الاحساس بها الا اذا عشنا تجربة الشاعر وعصره ، وتمثلنا ما كانت تشكله تلك الامتيازات من مهانة وهوان ، وكيف انها كانت جرحا غائرا في قلب كل مصري ، لانه ليس اشد على النفس من ان تستشعر الضياع في بلدها ، والخوف في مأمنها ، وتفتقد الري والماء بين يديها .

فهل يعد الشاعر في تصوير هذا الظلم ، وتنفير الناس منه ، ودعوتهم للثورة عليه ناسجا لاخبار ، ومسجلا لاحداث ؟

لا اراك الا مشاركا للشاعر في الانفعال ، ومستجيبا لما دعاك اليه من ثورة على الامتيازات، ولا اخالك الا راضي النفس سعيدا لان مصر تخلصت من تلك المهانة ، وطرحت عنها اغلال الاستبداد بكفاح ابنائها ونضالهم في سبيلها .

ولنتأمل هذا الاستهلال الذي يشف عن نفسية قائله ، ويقتحم به قلب موضوعه :

ما ظل عندك من معنى ومن كلم ... جل المقام عن القرطاس والقلم
ارض الفراعين ذلت بعد عزتها ... من جرا الذل حتى حل بالاجم

وعن الوضع المعكوس الذي آلت اليه البلاد بعد ان استبد بها الاجنبي الدخيل يقول :

جاء النزيل فاكرمنا وفادته ... واليوم نساله شيئا من الكرم
فاعجب لمصر وكم في مصر من عجب ... وانظر الى القلب في الاوضاع والنظم

كدنا لما صار من عكس الامور بها ... نمشي على الراس لا نمشي على القدم
كنانة الله تلك اليوم حالتها ... وجودها اشبه الاشياء بالعدم
لهو الاجانب فيها لهو منتصر ... عاثت كتائبه في ارض منهزم
يملون عليها من حقائقهم ... ما لا يمثله الكابوس في الحلم

وهل تقرأ هذه الابيات فلا تتفجر عروقك بالثورة ، او يمور صدرك بالغضب ؟

لو لم نكن رمما في الناس ما ظفرت ... بنا عصائب للغربان والرخم
حامت علينا ولو الفت بنا رمقا ... لاجفلت مثلما جاءت ولم تحم
حطت جياعا فلما اتخمت نهضت ... كيما تطير فما استطاعت فلم تقم
لا يدفع الضيم قول انت قائله ... بل يدفع الضيم عزم غير منفصم
ويدفع الضيم باس لا مرد له ... ويدفع الضيم شعب غير منقسم
خاطب بكفك ان لم يستمع احد ... لعل في اليد ما يشفي من الصمم
لا ينزل الظلم عن قهر طواعية ... ان لا يزل عنه رغم الانف لا يرم (٥)

فهل يفتقد مثل هذا الشعر عنصر التأثير من العاطفة القوية وروعة التصوير وامتداد الايحاء ؟ وهل نعد مثل هذا خبرا صحفيا وحدثا عابرا ؟

ولقد كانت الحرب العالمية الثانية لمن عاشوا احداثها، وقاسوا ويلاتها واكتووا بلهيبها ـ كانت هذه الحرب عبئا ثقيلا على النفوس ، وكابوسا مخيفا يطارد النوم من الجفون وكانت الغارات الجوية المتلاحقة تثير الخوف والاشفاق .

وقد عاش الشاعر ليلة من ليالي الحرب بكل اثقالها واحتمالاتها ، والتقط بمرآته الشعرية صورة فنية للطائرات المغيرة وهي تبحث عن فرائسها والاشعة تحاول رصدها ، وتحديد مواقعها لتصيدها الاسلحة الارضية وهذه الصورة لا تخلو من جدة وابتكار وامتداد ، وهي تشكل لوحة متكاملة الخطوط متشابكة الظلال والالوان ، فقد صور الطائرات بأبابيل طير عملاقة تحمل الشر ، وتبذر الدمار ، وهي تحاول الهروب من الاشعة فلا تكاد تظهر ، وهذه كأنها سواعد اعمى يقلبها في الليل عساها تعثر على ما لا تبصر العين ثم يعود فيصور الطائرات بالسحب التي تمطر الصواعق فلا تبقي ولا تذر .

يقول الشاعر في قصيدته « ليالي الغارات الجوية » (٦) :

ابابيل طير كالقلاع اذا سرت ... سرى الموت منها محرق ومدمر

نظرت لها بين الاشعة يرتمي سناها عليها فهي تخفي وتظهر
اذا كشفتها لم يطل كشفها ، لها وميض كلمح البرق او هو اقصر
كان شعاع الكاشفات سواعد يقلبها في الليل من ليس يبصر
يقلبها من لا يرى ما يريده عساها بما لا تبصر العين تثمر
سحائب شر حاملات صواعقا اذا امطرت فالويل ساعة تمطر

وفي قصيدته « فجر السلام » يصور لنا تجربة جديدة يمتزج فيها الفكر بالشعور والعقل بالعاطفة ، وهذه القصيدة تعكس خبرة الشاعر بالحياة ، ووعيا دقيقا بأحداث التاريخ وتجارب البشر ، صاغها بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وانقشاع سحبها الداكنة من سماء مصر ، فتنفس الناس الصعداء ، وهبت بلابل الشعر تغرد مع حمائم السلام على اوتار القلوب التي اشقتها ويلات الحرب وانعشتها تباشير السلام ، لهذا نعد قصيدة « فجر السلام » استجابة طبيعية لخواطر نفسية ، ومشاعر فياضة ، وهي ابعد ما تكون عن كونها حدثا يوميا ، او خبرا صحفيا . فهو يقول فيها مشيرا الى ويلات الحرب وآثارها (٧) .

سنون مضت مثل الدهور تلاعبت بنا مثل موج الهائج المتلاطم
وكنا الفناها على قبح وجهها كما الف الحاوي وجوه الارقم
اذا طال حمل العبء هان احتماله ولو كان هذا العبء بعض القواصم
تروض الهموم الناس ان طال عهدها فهم تحتها كالخيل تحت الشكائم

ويشير الى ان الحرب عائدة ما دام على الارض مظلوم، وأن فجر السلام الذي لا يقوم على العدل فجر كاذب ، ووهم ضائع .

وهيهات ما ليل الحروب بمنته ولا فهمها في كل آن بصائم
اذ اما مضت عدت كسابق عهدها بمائم وجه فيه انياب قاضم
ستحدث حرب بعد تلك وغيرها واخرى واخرى جاحما بعد جاحم
كذلك حال الناس لا السلم طبعهم ولا بعضهم من شر بعض بسالم
هو الظلم ان لم ينقشع كل ليله فلست ارى فجر السلام بدائم

وهذه الملاحظة الذكية من الشاعر ، الا تثير اعجابك، وتوافق اعتقادك في ان الظلم يضرم نار البغض في القلوب ، ويشعل الحروب التي تحرق اغصان الزيتون فيقول تارة:

وهيهات ما فجر السلام بصادق اذ هو وافى بين ليل المظالم

ويقول اخرى :

وما اوقد البغضاء في كل مهجة سوى ظهر مظلوم ومهماز ظالم

وهذا الوصف الدقيق للقنبلة الذرية التي تمخضت عنها تلك الحرب . الا تجد فيه لمحة خاطفة ، وفطنة ذكية، وتصويرا رائعا ، وقدرة على التوليد والابتكار . يقول :

وذرية ان مست الطود قائما تطاير ذرات فليس بقائم
بها انتهت الحرب الضروس فان يكن من السحر شيء فهي بعض الطلاسم
عجبت لها من (بيضة) طار فرخها حمامة سلم وهو شر القشاعم
لها في غد شان ، فما هو شانها وشان سواها قادما بعد قادم
غرائب ما مرت على البال مرة ولا خطرت يوما باحلام نائم

ولم يخل الديوان من قصائد كانت استجابة لتجارب شعرية ذاتية ، عبر فيها الشاعر عن خواطره المهتاجة ، سواء كان ذلك في علاقته بالمرأة ، او في معاناته وكده في معترك الحياة ، أو في غربته عن مسقط راسه (دمياط) او في تأملاته في الكون والحياة . وهي قصائد لا ينقصها عنصر الصدق ، ولا يعيبها ضحالة الفكر ، ولا يمكن ان تدرج في شعر المناسبات العارضة ، والاحداث الطارئة .

واذا كنا ما زلنا نذكر قول المتنبي في تصوير حظ الاديب اللبيب من دنياه . ذلك الحظ المعاند الذي يتنكب للادباء ، ويسد عليهم المسالك ، وكأنه والذكاء نقيضان اذا كنا نذكر قوله :

وه الجمع بين الماء والنار في يدي باصعب من ان اجمع الجد والفهما

فان الاسمر يقول (٩) :

تشابهت الدنيا علي واظلمت فلا نحسها نحس ولا سعدها سعد
وضاقت بآمالي بلاد عريضة فياليت شعري هل يضيق بها اللحد
عرفت نجوم الافق وهي كثيرة وحبب لي وجه الدجى وهو مسود
وفارقت حتى قيل لم يعشق النوى واقدمت حتى قيل ليس له رد
وعدت كاني لم اشمر لمارب وماذا يفيد الجد ان لم يكن جد

ولم يعدم الاسمر حاسة الفنان ، وهو يلتقط المشاهد فيصورها ، ويبدع في تصويرها وله في ذلك لفتات تأخذ بالالباب ، وتثير الاعجاب كقوله في بعض قصائده :

قف على الشط وانظر البحر تجده بما على الشط هائما
وانظر الموج كلما ابصر الفيـ ـد ترامى يقبل الاقداما (٩)

وقوله في انثى نائمة :

رقدت والحس فيها يقظ وغفت وهو عنيد الطرف صاح
واذا نام الورى اجمعه في الدياجي لم ينم حسن الملاح

وبعد . فما بنا أن نستقصي الديوان في هذه العجالة وهو عظيم الحجم غزير المادة ، وما يعجز القارىء عن ان يجد فيه ما يمتع فكره ، ويثير وجدانه وما اخال الا ان الشاعر قد حاول من خلال ما قال ان يكون له فكره ورايه في الناس والحياة ، ولا احسبه قد اخفق في امتاعنا ببعض ما في الديوان ، وشدنا اليه .

وقد نخالف الاستاذ الدكتور شوقي ضيف في حصره الشعر الجيد في دائرة الصعوبة والتعقيد والتركيب ، لانه اذا كان ذلك مطلبا في هذا العصر الذي تنوعت فيه مصادر المعرفة ، وبلغ العقل مبلغه من النضوج والاكتمال ، فان ما جرى مع الطبع وجاء سهلا رائقا لا ينبغي ان نحكم عليه بالسطحية والضحالة ما دام الشاعر قد احس ، وانفعل بالتجربة ، وصاغها صياغة فنية موحية .

ولقد كان الشاعر متنبها الى اهمية الثقافة العريضة لكل من يتعاطى هذا الفن ، فأبان من خلال مقدمة الديوان عن فهمه لاداة الشعر التي بها ينبغ الشاعر ويتبوأ مكانا رفيعا ، واشار بصفة خاصة الى ضرورة الاطلاع على اللغة وادابها ، والى اهمية التجربة الشعورية ، والى الصياغة الفنية التي تبرز التجربة في ثوبها اللائق بها (١٠) .

واذا كنا نوافق الاستاذ الدكتور في ان بعض ما في الديوان لا يرقى الى مستوى الاعمال الفنية الكبيرة ، وانه لا يعدو كونه تسجيلا لاحداث يومية فاننا لا نوافقه في الحكم على الديوان كله بما حكم به ، لان الشاعر حاول ان يقدم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



جميلة العلايلي

الطّير الفنّان

غنني يا طير واجهر بالنغم ... انت تدري ما اقاسي من الم
واسكب الالحان في اذن الفضا ... علّ في اللحن دواء للسقم
عل في اللحن نوالا للمنى ... عل في اللحن شفاء للضرم
انت شادي الحب يا طير الربى ... انت طيف النور في داجي الظلم
ارشد الفنان يا طير الهوى ... في المغاني والاماني والنغم

ايها الفنان اني في الورى ... اسمع الصم ولا ادري الصمم
طر كما شئت ولا تخش الملا ... انت حر فوق اوهام الندم
هاتها يا طير انغاما شجت ... علّ في الاشجان برءا للسقم
ارسل الصيحة يحدوها المنى ... وابعث الثورة في مسرى الهمم
راهب هل انت في دنيا الهوى ... بت لا تدري سبيلا للحرم
كيف تقضي الليل يا طير الفلا ... هل ليالي الطير تخلو من الم

ايه يا طير الهوى اين المنى ... اين من باح بحب او كتم
هل جفاك النوم فيمن قد جفا ... وجفاك الصحب فيمن قد صرم
ذاك نجم الحب يهفو لامعا ... أتراه ؟ ام تراءى في الحلم
يبعث الاضواء في صدر الدجى ... يرسل الاصداء في قلب النهم
طر بوحي الحب لا تخشى الورى ... واسم لا تنكص اذا الخطب الم
انما يا طير انت الحر في ... عالم قد ضاق ذرعا بالامم

عين شمس ـ مصر — جميلة العلايلي

لنا فكرة في حدود ثقافته التي اشرنا اليها ، ولم يعدم الاداة المصورة او الالة اللاقطة ، او الحاسة الفنية .

واخشى ما اخشاه ان تتخذ بعض الاحكام الادبية صفة التعميم ، وتعتمد على مبدأ التصنيف ، فتنحاز لكل ما صادف هوى في نفوس اصحابها ، او تعارض كل ما لا يتفق وما تدين به من تيارات فكرية ، ومدارس ادبية .

على اننا اذا احتكمنا للمبادىء التي قررها الدكتور في مقاله والتي اشرنا اليها آنفا فلن نعدم الشاعر موطنا من مواطن الاعجاب ، ولن نعجز عن وضعه في الاطار الذي يستحق ، والمكانة التي هو اهل لها بين شعراء مدرسته خاصة ، وشعراء العصر الحديث بصفة عامة .

١ ـ الديوان : ص ٤٤٨ .

٢ ـ راجع مجلة الازهر المجلد ٢٢ ص ٣١٢ .
٣ ـ مقدمة الديوان ص : ط .
٤ ـ راجع مجلة الكتاب عدد ابريل سنة ١٩٥١ ص ٤٣٣ المجلد ١٠
٥ ـ الديوان ص ٧٤ ـ ٧٦ .
٦ ـ الديوان ص : ١٤٨ .
٧ ـ نفسه ص : ١٧٠ .
٨ ـ الديوا نص : ٢٤٣ .
٩ ـ نفسه ص : ٣١٩ .
١٠ ـ راجع مقدمة الديوان ص : م .

المنصورة ـ مصر — حسن عبد القادر مصطفى

اهدي هـذه القصة الي بطلتهـا « ناهد » وانا ديها بهذا الاسم المستعار بعد ان كتبت قصتها كما روتها لي ، وحكت احداثها بلسانها ذات يوم .. في رواق (نادي القصة) ..

لعلي افي بعهـد عاهدتها عليه ، ولعلها ترضى .. وهذا حسبي .

(...)

لم يقرب النوم جفني في تلك الليلـة منذ اويت الى مخدعي ، اذ عادت بي الذكريات الى الوراء سنوات . واي ذكرى . حب . كراهية . سعادة ام شقاء . من ناحيتي سأعتبرها ورقـة سقطت رغما عني من كتاب ضخم يحتوي كلاما فارغا .. وقد يحتوي قصة عظيمة انا فيها البطلة رغـم ارادتي . فانا .. وانت، وكل الناس لا نصنع حياتنـا ، وانما نعيشهـا فقط .

كنت اعيش مع والدي على وفاق تام عيشة سعيدة ، هانئـة ، حتى مرت على منزلنا سحابة سوداء قاتمة .. فقد توفى والدي، مات بعد مرض عضال ، انفق في سبيل علاجه كل ما لديه من المال حتى ساءت ماليته فباع نصيبه في متجره لشريكه ، تركني انا وامي حائرتين ضائعتين دون عائل، او رصيد لولا امتدت الينا يد شريـك والدي ـ الذي كنت ادعوه عمي ـ وانتشلنا من المصير المجهول .

وبدانا نعيش بالاعانة المادية التي حددها لنا عيشة مرضية قانعة .. وتلاشت السعادة التي كنت احياها انا وامي في ظل والـدي ، واصبحت بالنسبة لنا سرابا .

وتمر الايام تلو الايام ، والاشهـر عقب الاشهر ، واكتملت الشهـور عاما .. وفوجئنا ذات يوم بزيـارة عمي ـ شريك والدي ـ وزوجتـه وابنهما الوحيد « ممدوح » وكانت لي قصة معه ، فلقد كان شابا مستهترا بالحياة ، خليعا مدللا، خائبا لا يتقن من فنون الحياة الا تسريحة الشعر وترفيع الشارب ، وركوب سيارتـه المكشوفة الحمراء والسلسلة الذهبية التي تطوق عنقه ، والسـوار الذي يلتف حول معصم يده اليسرى .

فكثيرا ما كان يحـاول تقبيلي او الخروج معي ، فقد دعاني اكثر مـن مرة الى نزهة بسيارتـه فرفضت ، كنت لا اطيق رؤيته ، ولا اتحمـل النظر اليه ، بل ولا سماع احاديثـه التي كان يذيلها بكلمات اجنبية تدل على ميوعته وثقل دمه .

وفي تلك الزيارة عرض علينا عمي ـ شريك والدي ـ ابنه ليكون زوجا لي ..

والجمتني انا وامي المفاجـأة ، وظللنا معقودتي اللسان وهو وزوجته وابنه يحملقون في سحنتنا التي علت عليها الجهامة ، والاكتئاب والذهول.

وبغتة قام عمي من جلسته هـو ومن معه في ضيق وخيرنا بين امريـن

فلنبدأ الحياة

بقلم : رستم كيلاني

*

اما الزواج من ابنه، واما انقطاع صلته بنا الى يوم الدين .

ووقفت انا وامي حائرتين امام هذين الامرين ، ثم اخترنا الامر الثاني وهو انقطاع الصلة متحملتين ما سيجري لنا بعد ذلك .

واخذ عمي الوحيد يفيض بما عنده من الوان التحقير والمذلة.. ولم ينبس احدنا انا وامي بكلمة واحدة وتركناه يناجي صداه ثم خرجوا من البيـت وعيونهم الساخطة علينا تشع ببريق متقد ..

ورب قائل يقول .. ولماذا رفضت الزواج من ابن ـ شريك والدي ـ فأجيب على الفور لسببين : اولهـما لانني كنت اكره ممدوح كرها شديدا لتفاهته وعدم مسؤوليتـه للحيـاة ، وثانيهما لان في حياتي « رفعت » ذلك الانسان الذي ساقتني الاقـدار اليه والايام اثبتت لي شخصيته مـن اخلاص ومحبة ووفاء واخلاق طيبة، فلقد كان يحمل في نفسه قلبا عامـرا بالحنان والحب معا ، كان شريفا معي ومنحته اخلاصي مقابل هذا الشرف الانساني الذي احاطني به ، وقبلت انتظاره حتى يعود من غيبته في الخارج حيث كان يعد رسالته العلمية .

سعيت حتى ظفرت بعمل ممرضة باحـد المستشفيـات الخاصة ، واصبحت اعيش بين العقاقـير التي كنت اكرهها وبين الدماء والجراح .. مقابل راتب معقول بدات انـا وامي نعيش به عيشة راضية .

ومرت الايام .. كما مرت عـلى حياتي سحابة ثابتة قاتمة ، فبعـد مرض قصير اختفت امي من حياتي ، لقد كان موتها ضربة قاسية مـن القدر ، ومهما وصفت هول الفجيعة المؤلمة فلن تخرج مني سـوى كلمات قليلة لا تعبر عن الحقيقة المؤلمة .

واصبح لا يؤنسني في وحدتي بعد وفاة امي سوى ذكريات وخطابـات رفعت التي تحمل كل معاني الحـب والامل ..

وفي يوم عطلتي رأيته امامي ، رايت ابن ـ شريك والدي ـ ممدوح الذي انقطعت صلتنا به وبأهله منذ رفضي الزواج منه .

ولما رأيته كان من الواجب ان اصافحه طالما هو تقدم ومـد يده لمصافحتي

.. ومن سياق حديثنا العابر علم بوفاة امي كما علمت انا ايضا ان والده مريض منذ فترة ، ويجب ان اقوم بزيارته .

فضربت له موعدا ..

وجاء اليوم الموعود ، وذهبت الى المنزل في ضاحية من احدى ضواحي العاصمة ..

وعندما طرقت الباب استقبلني ممدوح فرايت في عينيه نارا تتقد وعلى شفتيه رعشة مجنونة لم اشهدها من قبل ..

وتقدمته الى الداخل وشعرت وانا اتقدمه انه ينظر الى ساقي واحسست بعينيه تطوقان بثنايا جسدي وقد آلمتني نظراته ثم دخلت غرفة الضيافة وعند المدخل التفت اليه فوجدته يتأملني بنهم شديد ، وعندما سألته التفت الي فجاة كانني ايقظته من حلم جميل :

ـ اين والدك يا ممدوح .

وقبل ان اجلس على اول مقعد قال :

ـ البركة فيك يا ناهد .

ـ ماذا تقصد ..

ـ اقصد ان والدي ووالدتي قد توفيا الى رحمة الله في حادث سيارة منذ اكثر من شهرين وقد نشرت الصحف صورهما .

وبغتة وقفت وقلت على الفور :

ـ ولماذا انكرت علي وقلت ان والدك مريض ..

وكالوحش الضاري مد يده القوية ودفعني نحوه واحاطني بين ذراعيه في قوة وقسوة قائلا :

ـ لانتقم منك لكبريائي ولكبرياء والدي صاحب الفضل عليك ..

فحاولت ان اصرخ فاذا به يحاول ان يطبق يده على فمي مهددا بكتم انفاسي اذا لم الزم الصمت ..

ووجدت في نفسي القدرة على المقاومة رغم ما كان يبذله من جهد جهيد ومحاولات عنيفة لحملي على الاستسلام .

وظللنا بضع دقائق في صراع عنيف ولم أشعر الا وانا اصفعه بشدة ، وتخلصت منه وجريت الى الصالة اتلمس سبيلا الى الهرب ، فلحق بي وطوقني بذراعه فدفعته بكل ما استطيع من قوة ، وانا العنه اشد اللعنات ، فالقاني على الاريكة التي توضع في البهو الخارجي للشقة .

ولست ادري بعد ذلك على وجه التحديد ماذا حدث لي ، لانه كان اقرب الى كابوس مروع منه الى حقيقة واقعة .

عدت الى المستشفى ورجفة مخيفة تسري في كياني وظلام موحش يتسلل الى روحي وبكيت هذه الليلة كثيرا



رستم كيلاني

*

وانهمرت دموعي تغسل وجهي وانا استدر منها المزيد علها تغسل فضيحتي ..

كنت حائرة شاردة التفكير ، وفي هذه الليلة كفت الاجراس عن الدق كأنها خبيرة بما في صدري من هموم واحزان فتركتني وحيدة ، وكان الوقت ليلا والقمر قد حاذى النافذة فتسللت اشعته الواهنة من خلالها فركعت على ركبتي ورفعت يدي الى السماء اطلب الستر وعدم الفضيحة.

ومرت ايام ، واتصلت بممدوح ، وصارحته بكل شيء ، وافهمته انه يجب اصلاح الخطأ الذي وقع فيه بأن يتزوجني ، فضحك ساخرا ، واعطاني ظهره بعد ان اتهمني بهذا الخطأ ..

ولم اخرج بنتيجة من تلك الزيارة .. بل خرجت مطرودة بقسوة ونذالة ..

وعدت الى المستشفى مطأطئة الراس، كأنني عائدة من ميدان حرب منهزمة أجر اذيال الفشل ، والخيبة، والعار .

واستسلمت للامر الواقع وكان لزاما علي ان اخبر رفعت بكل شيء، ولكنني فضلت ان اجعله يكرهني ، وينساني ويتزوج غيري من ان اراه حزينا ، يائسا من اجلي ، وبالرغم من ان الصدمة ستكون قاسية على نفسه ، صممت ان اقطع علاقتي به مهما كلفني ذلك من آلام ، فكتبت له خطابا شرحت له فيه انني اساق الى الزواج لظروف عائلية رغما عني .. وفي نهاية رسالتي تمنيت له السعادة من صميم قلبي مع الانسانة التي تتجاوب معه عقلا ، وقلبا ، وروحا .

ولم تمض ايام حتى وصلت برقية من رفعت وقرات فيها كل عبارات الصدق والاخلاص والتمنيات القلبية مع الانسان الذي اختاره القدر ليكون زوجي .. وعند نهاية الكلمات اخذت الدموع تحبو على خدي .

ومرت الايام . واكتملت الايام شهورا .. وبدات أحس بالحمل ، ورغم المحاولات التي كنت اصنعها

من اجل التخلص من هذا الجنين الذي يرقد في احشائي من وصفات بلدية ، وعقاقير طبية ظهرت علي علامات الحمل ، وتكلم عني الواشون وشاع أمري بين ارجاء المستشفى ، ولكنني احتملت صامتة ، صابرة حتى فوجئت صباح يوم من الايام بان المدير يستدعيني لامر هام .. فذهبت اليه فاخبرني بفصلي .

وفي صباح اليوم التالي رآني الزملاء والزميلات في ثياب غير الثياب

البيضاء ، ثياب الرحمة والنقاء ، وكنت احمل في يدي صرة ثيابي وحملت بين احشائي ذلك الجنين ، وسرت في الطريق امضي ولا اعرف اي طريق اسير فيه .

عشرات الابواب وقفت امامها ذليلة كسيرة حتى ابتسم لي القدر فصادفتني سيدة في الاربعين من عمرها .. جميلة ، رشيقة ، اشفقت علي بعدما قصصت عليها قصتي ووعدتني ان تجد لي عملا ارتزق منه، وسحبتني من يدي الى بيت سيدة عجوز اجهضتني واطمأننت الى هذه السيدة الجميلة ووجدت فيها الامل الاخير ، ولم البث ان تبينت من خلال لقائها وحديثها لي انها صاحبة احدى المراقص .

وما كان علي الا ان اهرب من هذا المصير الذي ينتظرني .

وعدت من جديد والدموع في عيني والالم في قلبي ، عدت لاطرق ابواب الرزق ، ولكن بلا جدوى ، فلم اجد سوى رؤوس تهتز آسفة .

ولما عضني الجوع عدت كارهة مرغمة الى هذه السيدة التي صادفتني يوما في الطريق ، وانضممت الى هذا البيت الذي يفتح ابوابه للائي رسم لهن القدر الطريق الطويل الموحل .. طريق الخطيئة ليطلق عليهن المجتمع اسم « خاطئة » دون ان يستمع الى الدوافع التي من اجلها انحرفن ، وبذلك يضعن دفاعهن في الفضاء ..

نعم انضممت الى هذا الماوى وكنت لا ادري عن هذا العمل الجديد شيئا،

ولكنني بدأت في اول الامر استعين بزميلة قديمة سبقتني الى هذا العمل منذ فترة ، فعرفت حياة الليل ، وشعرت بذل الحياة ومذاقها

ومضت الايام متشابهة متلاحقة حتى احتل المرض صدري ، فنقلت الى المستشفى لاعالج من هذا الداء ، ولزمت بضعة ايام لا افارق فراشي حتى مللت وسئمت من نفسي كما اصبحت الحياة امامي غائمة .

وفي ظهيرة يوم امسكت باحدى الروايات استجلب بها النعاس كعادتي ، وفجأة فتح باب الغرفة دون استئذان ، وكان الفاتح هو .. اجل هو .. هو رفعت حبيبي ، ولم اصدق عيني ففركتهما بيدي ، ثم نظرت اليه محملقة وجمدت عيناي عليه .. هو حقا ..

واقترب مني وجلس بجانبي على حافة الوسادة واخذ راسي الى صدره وضمني في لهفة ، ورحت انا الاخرى اتشبث به .

واخذنا نتحدث ، وتطور بنا الحديث الى ان علمت منه انه اخطأ في غرفة امه المريضة التي ترقد في الحجرة المجاورة لحجرتي ، لذلك فتح الباب دون استئذان كعادته ، والقدر قد نسج خطته لنتقابل .

وفجأة .. هب رفعت من مقعده واقفا وابتعد عن مخدعي، ولمحت على وجهه الما وندما وهو يقول :

ـ آسف يا ناهد لاندفاعي هكذا ، لم اكن في وعي عندما اقبلت عليك نسيت انك زوجة .

وضحكت ، ثم قال على الفور :

ـ ماذا يضحكك يا ناهد ..

ـ لانني يا رفعت لست زوجة لاحد ..

ـ ماذا ؟ اذن لماذا ارسلت رسالتك الاخيرة ؟

ـ الواقع انها قصة بدأت بعد رحيلك الى الخارج وتنتهي قبل مجيئك الان بلحظات .

ـ اريد ان اسمعها .

ـ عندما تجلس بجانبي .

وجلس رفعت بجانبي واعتدلت في جلستي وامتدت يده الى يدي وضغط عليها برفق ، ثم رويت له قصتي بكل ما فيها من تفاصيل .

.....

.....

.....

وبعد انتهاء حديثي ران بيننا صمت طويل ثم قطعه رفعت بقوله :

ـ كان قلبي يحدثني ان هناك شيئا غامضا هو الذي جعلك تتصرفين هكذا، والمهم دعينا الان نودع الماضي اللعين ، ونطوي صفحته فلنبدأ الحياة ، ونبني معا عشنا الهادىء الذي يسوده الفهم والتقدير، وتملأه السعادة والحب والحنان ، وسأبذل كل ما في جهدي لاسعادك حتى اعوضك حرمان الماضي .

ولما حان موعد مغادرتي المستشفى كان رفعت في انتظاري واخذني بيدي واتجهنا الى عشنا الهادىء الجميل الذي تملأه السعادة والحب والحنان

وقضينا اوقاتا سعيدة هانئة يرفرف علينا الحب الطاهر بجناحيه .. حتى نسينا ما فات ولم يبق امامنا سوى ما هو آت .

القاهرة **رستم كيلاني**

اشتركوا في مجلة

الاديب

تساهموا في نشر الثقافة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

نشوة الميلاد

القاضي محمد شمس الدين

طرابلس - لبنان

في بيت لحم ، والدنى ظلام
اضاء حلم ، بدد الظلام
وزعزع القصور والهياكل
.. في ذلك الصباح
هل كالصبـاح
مـن مـذود
حنـت عليه نجمـة
توزع العبـير
وتحضن الصغـير
وتنتديه مهجة دافئة الغلائل

*

في بيت لحم ، والدنى سكون
والثلج ملء الارض
اطـل يمحو البغض والسام
ويسكب العزاء
في جوانح تنوء بالالم ..

*

وهلـل الرعـاة
للقادم المبشر البشر
يضم مـلء صدره
عوالمـا في صدره
... وللحزانى بسمة القدر

*

وصفق الزيتون للوليد
تحية الذرى ،
ولفتة المشتاق للمباكر الجديد
يهدهد السلام
ويحرس السلام
ويلتقي الغمام والثرى
في موعد مع الصباح ، اخضر
ففي العيـون
بهجـة الصفـاء
ومسحة الرجاء
... وفي الضلوع خفقة المنتصر !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



حسني سيد لبيب

قراءة في شعر ميشال مغربي

بقلم حسني سيد لبيب

* * *

فنّان عظيمان يهفو اليهما فؤادي : الشعر والموسيقى . تجتذبني دواوين الشعر بكلماتها العذبة ، مثلما تجتذبني الموسيقى بأنغامها الشجية . الفن الاول اداته الكلمة ، والثاني اداته النغمة . واذا قلنا ان للشعر موسيقى ، امكن التدليل على وثيق الصلة بين الفنين العظيمين . واذا قلنا ان الموسيقي يعبر بالنغمة عن مشاعر النفس ، من فرح وحزن ، وامل وألم ، واقبال وادبار .. فان الشاعر يعبر بالكلمة عن ذات المشاعر . وكما تكون الموسيقى : اما نغمة متآلفة متوافقة ، واما نغمة نشاز تبعد عن دائرة الفن ، كذلك ينسحب القول على الشعر . فلا بد ان تكون الكلمة ترجمة صادقة لما تحسه النفس . وما اسهل التعبير عن المشاعر بالكلمات ، وما اصعب قرض قصيدة فنية .

هنا تبرز قضية من اخطر القضايا ، الا وهي قضية « الصدق الفني » . فالحكم بيننا وبين اي عمل فني ابداعي ، هو « الصدق الفني » ، وهو غير « الصدق » بمعناه المطلق ، وان كان يأخذ منه او يعطيه . وللصدق الفني سمات وخصائص يكون من مجموعها هذا الشيء الذي نقيس او نقوّم به العمل الادبي .

وفي الادب ، يكون مقياس الجودة ، ما نحسه من صدق فني . واذا ما قرانا عملا ادبيا ، يكون الحكم له او عليه ، او مزيجا من الحكمين ، بناء على تجاوب نفس المتلقي لهذا العمل ، سلبا او ايجابا .

حين اقرا قصيدة او ديوانا ، اسأل نفسي : ما مدى تحقيق الصدق الفني في هذا الشعر ؟ وما النواحي التي ابدع فيها الشاعر ؟ وما هي المفردات التي كلف بها الشاعر ، وشكلت شيئا ما في ديوانه ؟

ومن الاجابات ، تتكون نظرتي لهذا الشعر وصاحبه.

اسوق هذه المقدمة ، بمناسبة قراءتي ديوان « امواج وصخور » لشاعر المهجر الجنوبي ميشال مغربي ، الذي ارتحل عن دنيانا ، ولم يترك لنا غير هذا الديوان ، وآخر سبقه « العواطف » . وبين الديوانين خمسة وخمسون عاما . وديوانه « العواطف » صدر عام ١٩٢٢ والثاني « امواج وصخور » صدر عام ١٩٧٧ بعد وفاة الشاعر . وقد اشرفت زوجة الشاعر السيدة فيوليت على جمع قصائده وطبعه .

ولد ميشال مغربي اواخر عام ١٩٠١ في مدينة الاسكندرية من ابوين سوريين . وفي هذا يقول :

كلتا الشام ومصر غذتاك فمسا ميزت احداهما عن اختها بلدا
ان كان جد تضم الشام اعظمه فثم جد بوادي النيل قد رقدا

قضى سنواته العشر الاولى في مصر .

واصدر ديوانه الاول وهو في سن العشرين .

وفي عام ١٩٢٣ نزح الى ديار المهجر قاصدا مدينة « سانتياجو » ، ثم ما لبث ان غادرها الى « سان باولو » بالبرازيل ، حيث استقر هناك .

وفي عام ١٩٣٩ اقترن بابنة عمه فيوليت .

وفي عام ١٩٧٧ اصدرت زوجته ديوان « امواج وصخور » . ويبدو انه صدر عقب وفاته . ولم نعثر على تاريخ الوفاة . على ان للشاعر قصائد مؤلفة عام ١٩٧٥ ، اي ان وفاته تقع بين عامي ١٩٧٥ و١٩٧٧ .

اهم ما لفت نظري ، ابداعه في القصص الرمزي ، المصبوب في قالب شعري جيد . كما كانت قصائد الحنين للوطن شحنة متدفقة من شحنات العاطفة المشبوبة .

ويديج رائع القصيد اذكاء للروح القومية ، عن ايمان

صادق بعروبته ، وبروح الاخوه التي تربط بين المسلمين والمسيحيين . تلك نواحي الابداع في شعره . نلمس منها صدق التعبير واصالته ، دون افتعال ، مما يجعل التجربة الفنية التي يحس بها الشاعر او يمر بها ، تنتقل الينا طواعية ، فنتعايش مع التجربة ، ان لم نكن نخوضها معه ، مما يرتقي بالفن الابداعي الى مرتبة « الصدق الفني » .

وعن المفردات التي تشكل في مجموعها شخصية شاعرنا ، نذكر منها :

الوحدة العربية : تعبيرا عن ايمانه بالوحدة .

العاصي : النهر السوري ، تعبيرا عن حنينه لوطنه الام .

حمص : يلهج باسمها من ديار المهجر، حنينا وشوقا.

الانجيل والقرآن ، المسيح واحمد : تعبيرا عن روح الاخوة بين المسلمين والمسيحيين .

هند : مشيرا الى حبه القديم ، وهو في شرخ الشباب و « هند » تعكس من جانب اخر حنينه للوطن .

القصص الرمزي

القصص الرمزي ، لون بارز ، يبدع فيه الشاعر اجود قصائده . وفي مقدمة الديوان ، يحدثنا الاستاذ عبد الله يوركي حلاق عن ذلك بقوله : « شاقنا اول ما شاقنا منه هذا الشعر الابتداعي الرمزي الذي جاء به في قوالب قصصية خيالية ، هذا الشعر الذي لا يمكن ان تؤخذ منه شواهد ببيت أو ابيات من القصيدة للدلالة عليها ، بل القصيدة برمتها » .

ومن هذا اللون الشعري المتميز ، قصيدة (حساب بين النفس والتراب) . وهي حوار طريف بين الجسد والروح . كل من الاثنين ينسب الفضل لنفسه ، او يضفي الاهمية على وجوده . يعبر « الجسد » عن اياديه للانسان واهميته بأبيات عديدة تعكس ما للاتجاه المادي ، المتمثل في الجسد ، من نزوع الى الجدل والاستفسار الدائب . بينما تكتفي « النفس » بالرد الموجز . ما يقوله « الجسد » ابيات تتغير قافيتها من استفسار لآخر ، دلالة توزع اهتماماته ، وتعدد اهوائه . اما « النفس » فترد على الاستفسار بأبيات ذات قافية واحدة لا تتغير ، تبين عن استقرار النفس وثباتها .

هنالك حساب بين النفس والجسد ، يصاغ حوارا لطيفا بين جسد ترابي ومآله القبر ، ونفس ستصعد بعد حين الى بارئها . الجسد الترابي يسأل والنفس العلوية تجيب . ويكون استفسار « الجسد » في خمسة ابيات ، وتجيب « النفس » ببيت واحد موحدة قافية شطريه ، وقوافي الاجابات جميعها . ان استفسارات « الجسد » تتعدد قوافيها من استفسار لاخر . وهذا من شأنه ان يعكس حالة نفسية لا ادري هل اتت الشاعر طواعية وبعفوية ام قصدها ؟ وان كنت ارجح الرأي الاول.

ذلك ان شاعرنا المهجري شاعر تلين له اللغة ازاء ما يريد التعبير عنه . نلحظ هذا في السلاسة والحس المواتي لصاحبه . وهذه الحالة النفسية سببها تلك الاهواء والرغائب التي تتنازع اجزاء الجسد الواحد ، فنجده لا يستقر على حال ، فتختلف قوافي الفقرات ، بينما النفس ثابتة الراي مستقرة ، فتتفق قوافي الردود . كذلك نلمس استفسارات « الجسد » يطول شرحها في خمسة ابيات ، وكما يستهلك « الجسد » طاقته في جميع الانشطة، كذلك يستهلك طاقته في الاستفسار والتقصي ، وفي التنقيب والبحث ، بينما « النفس » تختصر الرد اختصارا ، وفيه الجواب المقنع الوافي الكافي . وكلمة « يستهلك » يمكن ابدالها بكلمة « يسرف » ، ذلك ان « الجسد » يسرف في تبديد طاقته ، ويسرف في تقديم تضحياته ، حتى يؤول به الامر الى الفناء المقدر المحتوم . بينما « النفس » تعلو وتسمو وتتأصل ، طالما تقادمت عليها السنون ، تجددت حيويتها . ان مآل المادة الى زوال صورتها التي تشكلت عليها ، في شكل جسد متهالك فان ، وان الروح لتصعد الى بارئها ، كومضة ضوء ساطعة ابدا .

والشاعر من شعراء المهجر ، وفي قصيدته روح المهجريين ، وخاصة ايليا ابي ماضي ، الذين ضمنوا قصائدهم تساؤلات عن اصل الوجود ، وسر النفس ومآلها . ولعلها سمة بارزة من سمات الشعر المهجري . تتصدر هذه القصيدة الديوان ، وتعد متفردة قلبا وقالبا . ولعل القارىء يشاركني متعة قراءتها . واقتطف هنا جزءا منها . يقول « الجسد » للنفس ، منوها بتضحياته ، متعجبا لفنائه :

انا اولى يا نفس منك باجر ... وثواب لو انصفتني السماء
فانا دونك الذي جاء للقبر ... لا يدري ما هي القبراء
وانا دونك الذي تاكل ... الادواء منه وتنهش الارزاء
غير اني كبش الفدى فلك الخلد ... اخيرا ولي الردى والفناء
فلماذا الارواح تخلد والاجساد ... تفنى وما لهن جزاء ؟

وترد النفس ملطفة مهدئة :

قالت النفس هذه حكمة ايها التراب قد يكون الموت الذي انت تخشى هو الثواب

في قصيدة (حكاية وردة وحلية) يقترب الشاعر من القصص الشعري . وفي حكايته من الطرافة ، والمقابلة ، وجزالة التعبير ، ما يجعلنا نقرا القصيدة مرات ومرات دونما ملل .

يحكى عن « حلية » اصابها غرور حين جاورت « وردة » . ولما وجدت الوردة تفوقها في الحسن ، وتزيد عليه نشرها للعطر ، اكد الحسد قلبها ، وخاطبتها بأسلوب المكابرة :

قالت اراك لحاك الله قد بلغت ... بك الوقاحة حدا جاز مصطبري
اتطمعين بقدر ما خلقت له ... وتجلسين على رشي بلا حذر
لانت مبذولة للناس قاطبة ... لكل ذي حظر او غير ذي حظر
اما انا فلاهل الجاه وحدهم ... للاغنياء السراة السادة الغرر

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

تعتز بي وبامثالي الحسان وفي كل المجالس حسني فتنة النظر
ويستعين بنا عشاقهن على اغرائهن فندنيهم من الوطر
وان اعمارنا دهرا تدوم لنا وليس للورد الا اقصر العمر

لوحة شعرية رائعة ، تجسم الضغينة التي تضمرها الحلية المتباهية للوردة النضرة . وفي كلماتها احساس بالتعالي ، وبأنها من طبقة عليا لا تدانيها الوردة .

ونلاحظ هنا ان لغة الشعر تطاوع شاعرنا ، فلا نجد كلمة تنبو على الذوق ، او صفة تباعد بيننا وبين شعره . وقل ذلك عن القصيدة كلها ، وعن اغلب شعره .

نعود الى حكايتنا ، وقد شاقنا رد الوردة على ما وجه اليها من اقاويل :

والارض لو وجدت من دون لؤلؤها ودون ياقوتها والله لم تضر
لكنها لو تعرت من ازاهرها لما تبدى عليها رائع الصور
هذا ولست على عمري بآسفة ان كان مختصرا او غير مختصر
فبعد حين تراني العين ثانية في وردة غضة تاتي على اثري

فينقلنا الشاعر الى لوحة شعرية ثانية ، تعكس بلاغة الرد ، وجزالة اللفظ . وتستقر في اذهاننا حقيقة ثابتة ، هي ان الخير لمن يجزل في العطاء ، ويبادر بالتضحية فالوردة تمتع الناظرين بحسنها ، وتعطر الجو بأريجها .. ويكون لقاء هذا قصر عمر الوردة ، ولا يوجد عطاء بدون تضحية . ثم نجد الوردة قد ارتضت قدرها وعلت به منزلة .

ثم تنتهي الحكاية اللطيفة بلوحة شعرية ثالثة . تصور مآل كل من الحلية والوردة ..

ومر عام اذا الحسناء راقدة تحت التراب كما شاءت يد القدر
فلم يكن قبرها تعلوه حليتها بل كان يعلوه ما ينمو من الزهر
وبينها وردة بيضاء باسمة على الضريح ابتسام العز والظفر

يقصد الشاعر الانسان .. فالناس معادن ، منهم المغرور ، ومنهم المحب الخير والناس . ويقصد شاعرنا تكالب البشر على المادة . يتباهى صاحب المال ، وتختال ذات الجمال ، والكل في النهاية زائل ، وتبقى المعاني النبيلة التي يرسي قواعدها ذوو النفوس السمحة ، التي جبلت على التضحية والايثار .

★ ★ ★

و (المريضة) لوحة قصصية رائعة ، يبرز فيها ميشال مغربي رائدا من رواد الشعر الانساني . وفيها يتفوق الشاعر في التعبيرات الوصفية الموحية .. فهذا شعر مريضته يموج على الوسادة مثل غياهب الليل :

وماجت على صدر الوساد شعورها غياهب ليل بعضها يزحم البعضا

وفي وصفه لحال مريضته يقول :

تضج من الحمى وتطلق زفرة الى زفرة في حر لافحة الرمضا

فالداء حمى ، بما يصحبها من ارتفاع حرارة ، فتزفر الزفرات الساخنة ، في تتابع وتلاحق .. « وتطلق زفرة الى زفرة » .. دلالة كثرة الزفرات وتزاحمها .

اما نظراتها فموزعة بين سقف الحجرة ، وزائريها . فتلمس المقابلة الرائعة بين النظرتين :

وللسقف حينا ترسل الطرف حائرا وحينا الى العواد ترسله خفضا

فالنظرات موزعة مرة الى السقف ، فتكون النظرات « حائرة » ، والحيرة هنا مصحوبة بالرجاء . تتجه بحيرتها الى السماء ، متمثلة في سقف الحجرة . ومرة اخرى تتجه نظراتها الى الزائرين ، فتكون النظرات «خفيضة»، وفيها من ذل المرض ما يجعلها ادنى مرتبة من زوارها .

ويكمل الشاعر وصف حال مريضته ، مفسرا ما ضمنه في البيت السابق ، فيقول :

كمرتقب غوثا وليس بنائله وقد حار هل يرجو السماء ام الارضا

★ ★ ★

ومن الشعر القصصي ايضا ، وما اكثره في الديوان، قصيدة (الناعورة والشجرة) . الناعورة تظل تدور وتسقي الشجرة سواء نزل المطر ام انقطع ، لكن الشجرة جاحدة للفضل ، ضائقة بالعيش قرب ناعورة دائمة الانين والجلبة. نسمع صوت الشجرة تشكو هذا الانين الدائم :

تكلتها ناعورة على النحيب تنداب
يكاد ان يفرقني مدمعها المنسكب
كانها ام الى الموت بنوها ذهبوا
او انها غراب بين فوق راسي ينعب
ضقت بها ذرعا فيا رباه كيف المهرب

وتعقد الشجرة مؤتمرا مع الطيور ، داعين الله ان يرحمهم من صخب الناعورة ، وشاءت حكمة الله ان تهبط صاعقة من السماء وتحطم الناعورة فتصبح « حطبة في بادية » . ويكون تعليق الشاعر هو المغزى المراد من قصيدته :

« لا تكرهوا شيئا » يقول الله في قرآنه
لعله خير لكم ونافع في آنه

ويتميز الشعر القصصي ، بحسن الصياغة وجودة السبك . وان كانت في قصيدته هذه مقطوعة زائدة يمكن ان تكتمل القصيدة بدونها ، وهي المقطوعة السادسة ، التي تنطوي على سرد ما اغنى القارىء الذواقة للشعر عنه . ناهيك عن القصة النثرية ، وما يأخذه النقاد عامل ضعف اذا اتسمت القصة بالسرد الذي يضعف البناء الفني . فبعد ان انعقد مؤتمر الطيور برئاسة الشجرة الجاحدة ، ودعوا الله سبحانه ان يقيهم ازعاج الناعورة .. كان يمكن تجاوز هذه الابيات ، التي هي تعقيب زائد من الشاعر .

وسمع الله من الشجرة الدعاء
سمعه لكنه عنها غدا مستاء
فانه ، وهو الحكيم العارف الاشياء
اراد ان يعدل في احكامه ما شاء
وان يزيل الكفر والجحود والبغضاء

ابيات زائدة لا مكان لها في قصيدة من الشعر

القصصي الرمزي ، الذي يتسم بالقول الموجز ، والمعنى الموحى . ثم نجد في هذه الابيات ما يعيب ، اذ صور الشاعر الذات الالهية وقد « غدت مستاءة » !.. وما كان للفن الشعري او سواه من الفنون ان يتجاوز حدوده ، ويفسر تصرف الله سبحانه وتعالى ، في قصة نسجها خيال الشاعر .

★ ★ ★

وقصة اخرى تتضمنها قصيدة (بين ليون وغرناطة) المترجمة بتصرف . وفيها يحكي قصة امير عربي شهم ، غزا غرناطة وليون ، واسر عذراء رائعة الجمال ، فأغراها بالعيش في قصره المنيف ، وتنعم بعزه ومجده ، لكنها امتنعت وطلبت العيش في وطنها « ليون » ، حيث بيتها الصغير الذي يتمثل لها فردوسا اثيرا . فاذا بالامير الشهم يطلق سراحها ، ويعيدها الى وطنها ، وخلفها الابل المحملة بالزاد . ويختتم الشاعر قصته الرائعة بهذا البيت المعبر :

وانتهى ذاك الامير الى القصر وظلت له خلال الامير

★ ★ ★

وتأتي قصيدة (الصياد وعروسة البحر) ، نموذجا اخر يشهد باجادة الشاعر في شعره القصصي القائم على المحاورة . فنقرا حوارا لطيفا بين صياد يلقي شباكه في البحر ، فلا يأتيه رزق . وتبدو امامه عروس البحر ، فيهواها . يناديها ان تخرج وتعيش في كنفه ، لكنها تتمنع وترغبه في العيش معها في عالمها . والبحر عالم عجيب . لكنه يخشى الردى . وتظل اغنية اللقاء معلقة بينهما .

قال وان انا مضيت ساعيا اليك في البحر سعى حتفي معي
قالت فما نصنع حتى نلتقي ان كان ليس للقا من موضع
قال انظري عيني يا نورهما ففيهما بحر ظما من ادمعي
قالت ففيهما اقيم فنعيش ابدا
الروح لا تشبع الا ان اجتمعا الجسدا

وتأتي هذه الابيات، دليل قناعة كل طرف بعالمه الذي خلق له ، ويبقى هذا الحب الصامت الغامض .

الحنين الى الوطن

حين هاجر عام ١٩٢٢ ، لم يحاول قرض الشعر سبع سنوات . ولعل مشاغل العمل الجديد، وحياة المهجر الغريبة عليه ، قد اسكتت قيثارة الشعر هذا الزمن الطويل . ثم خرج عن صمته عام ١٩٢٩ ليناجي وطنه البعيد عن ناظريه ، القريب من فؤاده .. يقول في قصيدة (نجوى العاصي) :

يا ايها القاصي سلاما عاطرا هو من حبيبك زنبق وأقاح
يا ايها العاصي تحية نازح صب تمض فؤاده الاتراح
يشتاق عاصيه واحباباً له بربوع عاصيه لهم يلتاح

ويتحدث عن صمته الطويل :

هذي هي السبع العجاف تصرمت فهل السمينة بعدهن تتاح
ام ان باب الرزق دوني مغلق ابدا ولن يعطى لي المفتاح
اعدوا وراء الرزق عدو مطارد وعلا عرته رعونة وجماح
اعدو وليس جناي الا حصة ضئزى اذا حصلت عليها الراح

فنجد سعيه وراء الرزق كان شغله الشاغل ، الذي صرفه عن الشعر .

★ ★ ★

ما زلت مؤمنا بأن اروع الشعر اصدقه ، متباعدا في اللفظ عن القول الشائع بأن « اروع الشعر اكذبه » !.. واصدقالشعر ، المقصود به ما يأتي تعبيرا صادقا عما تحسه النفس . وكلما كان الشاعر صادقا مع نفسه ، مترجما عن لسان حالها ، اتى شعره مجيدا متميزا متفردا ، ويصيب هوى لدى متذوقيه .

ونقرا لشاعرنا ميشال مغربي ، فنحس ببعد المسافة بيننا وبين ما نقرا . ثم نقرا له شعرا اخر ، فنحس اننا قريبون منه ومن شعره .. وهذا الشعر او ذاك ، مبثوث في ديوانه « امواج وصخور » . ولا عجب في هذا ، فالشاعر احيانا ينظم الشعر في المناسبات ، كاحتفال بذكرى او رثاء او مديح . فنجد النظم يطاوعه كصانع ، ولكننا نحس المسافة بعيدة نائية بيننا وبين هذا الشعر المنظوم ، او قل « المصنوع » .

وتعد قصيدة (اياب) نموذجا رائعا للشعر الصادق انشدها تعبيرا عن لسان حاله ابان عودته الى الوطن ، بعد غربة ثلاثين عاما ، بكل المعاناة والشوق والحنين . وترتبط هذه القصيدة اوثق الروابط بهذا الصدق النفسي اي ترجمة الشاعر عما تحسه نفسه ، فينتقل هذا الصدق انتقالا عفويا ، سلسا ، الى نفس المتلقي .

يستهل رائعته بهذين البيتين :

بصلاتي الخرساء عدت اليك لا بتغزلي
فنشائدي جمدت على شفتي بعد ترحلي

ويخاطب وطنه ، مستعيدا ذكريات حلوة :

يا دار ما انا بالغريب ، علام لي تتنكرين
انسيت وجه فتى شهدت هواه في ماضي السنين
يغشاك ملتقيا بهند فتطربين وترقصين
وتهيئين له مكانا ههنا ، هل تذكرين ؟

والعائد من الغربة ، بعد ثلاثين عاما ، يستشعر الغربة بعض الشيء في وطنه ، ذلك انه يستعيد ذكريات الماضي ، فلا يجد لها الان اثرا . الزمان غير الزمان . فما كان من شاعرنا الا ان يناجي داره ، وطنه ، وينفي انه غريب عنه ، ويدلل على ذلك بذكريات حبه .

ويسترسل في سرد هواه ، برغم تبدل الزمان ، فما زال للحب الاول طعمه الحلو ومذاقه السائغ . يذكر حديثها ، وجمالها ، ورسائلها ، وليالي انسها : ثم يذكر اساءته للحب ، فما غفرت له هند ، وتألمت لهذا اشد الالم . لكنها وقت ترحاله ، تنسى آلامها وكبرياءها ، وتجزع للرحيل ، وتعانقه عند الوداع .. وها هو يؤوب فيناجي دار الحبيب ، وفيا للعهد القديم .

الروح القومية

يؤمن الشاعر بالقومية العربية ، ووحدة ارض العرب ، وعدم التبعية للشرق او الغرب . نلمس هذا في اشعاره ، حيث ينتهز المناسبات ليجدد القول ، مستصرخا العرب ، مذكرا اياهم بأمجاد الماضي التليد ، كي ينهضوا من كبوتهم ، ويصلحوا من شأنهم ، مجتنبين الخصومات والاهواء . كما يستنفر الهمم لنصرة الحق العربي والقضية الفلسطينية .

وميشال مغربي شاعر عربي مسيحي ، ينشد القدوة الحسنة في تعاليم دينه . وتتأصل عروبته بحكم انتمائه وهو في هذا لا يفرق بين مسيحية واسلام ، وانما ينتهز كل مناسبة للاشادة بالاخوة بين المسلمين والمسيحيين . يقول في قصيدة (ايها المصلوب) :

انى على دين رضعت حليبه ... لا اهجر الآباء والاجدادا
اما اذا اشركت فيه فانما ... اشركت فيه عروبتي والضادا
انا لا افرق بين نصرانية ... تسمو واسلام اراه سدادا
خير الورى من كان عن انجيله ... او كان عن قرآنه ما حادا
جودت قرآني وانجيلي معا ... انشدت آيهما معا انشادا
« عيدت » اعياد المسيح واحمد ... وجعلتها لعروبتي اعيادا

والشواهد كثيرة . ويكفي ان نذكر القصائد التي ألقاها في ذكرى « المولد النبوي الشريف » : قصيدة (لبيك نور المسلمين) عام ١٩٦١ ـ قصيدة (الرسول العربي) عام ١٩٥٤ ـ قصيدة (صيحة الصحراء) عام ١٩٥٧ ـ قصيدة (مولدية) عام ١٩٦٠ .

ومن قصيدة (الرسول العربي) نقتطف هذه الابيات:

قد اصطفى الله ذياك اليتيم فيا ... لليتم يكرمه الباري ويسعده
كانت به رحم الآزال حاملة ... وكان مولد نور الحق مولده
قالوا الامين وقالوا اليمن طالعه ... فلم يفىء بسوى الاسعاد فرقده
ما عاد من متجر الا وفي يده ... رزق حلال به الباري يزوده
حتى تمخضت الدنيا باوحدها ... فكان في الغار مشهودا توحده
وكان ثم لجبريل تردده ... حتى يبلغه ما قال موفده
اقرا فيقرا امي صحائف من ... لا عقل يدركه او عين تشهده
وينزل الوحي، يا شعر اخبىء فلقد ... فاه النبي بشيء لست تعهده
فاه النبي بآيات منزلة ... وخلد الضاد قرآن يخلده

ان ايمانه بالقومية العربية نابع من تكوينه الثقافي ، اذ كان تلميذ الكاتب الوطني حنا خباز ، مؤسس الكلية الانجيلية الوطنية في حمص ، الذي رفض منهاجا دراسيا وضعته سلطات الاحتلال الفرنسية ، لا يتفق مع القومية العربية . كما انه قضى سنواته العشر الاولى في مصر ، فاعتز بها ، واشاد بفضلها على العرب . كما انتهز مناسبة قيام الوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨ ، فأنشد قصيدة (عرس القطرين) يقول فيها :

يدعوكم الدين والدنيا الى علم ... موحد يذر الاحقاد واللددا
تربصت بكم الاضداد فاتخذوا ... من التضامن درعا واكثروا عددا

كما غذى اتجاهه القومي ، بعده عن وطنه الام ، فشكلت الغربة حنينا لوطنه الذي هو جزء من الامة العربية مما جعله مشتاقا احر الشوق لكل ما هو عربي .

اتجاهات اخرى في شعره

له قصائد وصفية ، كما تشيع الحكمة في ابياته . وفي (ما شاء ربك كان) نلمس ايقاعا شعريا سريعا . يقول مخاطبا نفسه :

خفضت التجارة والقريض معا ... بحرين كل زاخر طامي
فقضيت عمرك في العباب ولم ... تطفىء غليل فؤادك الظامي
لو لم تكن بالرزق مشتغلا ... ما جاز شوطك اي عوام
ولكان بحرك موجه ذهب ... لو كنت الشعراء لم تنضم

ما شاء ربك كان لا تندم

وفي شعر الرثاء ، ينظم العديد من القصائد ، اغلبها يكون مجالا لعرض مآثر الفقيد ، مما الفناه في قصائد الرثاء التقليدية . وقلة قليلة نحس فيها فجيعة المصاب ، والم الفراق ، مثال ذلك رثاء الشاعر حسني غراب :

عاصيك اصبح مشتاقا لبلبله ... الشادي وبلبله تحت الثرى اضطجعا
وراح يشرق بالغصات حين درى ... بما جرى والي ميماسه فزعا
وناشد الطير ان تاتي معزية ... فقالت الطير في الخطب الذي وقعا
من المعزي على فقد الحبيب ومن ... ترى المعزى وفيه كلنا فجعا

وفي قصيدة (يا صخر) يرثي اخاه بأبيات تنطق بما يكابده ، عاقدا مقارنة بينه وبين الخنساء :

اني لمن يرثي البدور ، فكيف اسكت عن رثاكا
قالوا انا خنساء عصري ، يا اخي هنيء اخاكا
والله ما الخنساء ابكى من اخيك وقد بكاكا

ويقول :

يا صخر انك قد قسوت فكيف لا ادعوك صخرا
ولقد مضيت ببارد في اضلعي وتركت جمرا

ويعد البيتان الاخيران من اجود ما قال الشاعر واصدقه .

ملاحظتان

من الهنات التي انزلق فيها الشاعر ، تلك المبالغة التي قد تمجها النفس . ومن المبالغات التي تردى فيها ، انقل هذين البيتين من قصيدة (سلام الليل يا ليل) :

علونا للثريات وقاربنا الالاهات
ضمنا العالم الاتي وخلدنا نجاوانا

وكلمة « الالاهات » جمع « الالهة » .. مما يتنافى مع الاديان السماوية . علاوة على المبالغة الزائدة عن الحد في التعبير عن « العلو » بقوله « وقاربنا الالاهات » .

اما الملاحظة الثانية ، فتتعلق بما قد نجده من ثقل في شعره ، وما اغنى الشاعر عن هذا ، وهو مرتبط باختيار الكلمات المناسبة ، المتسقة ببعضها البعض . وهذا الثقل يبعد الشعر عن السلاسة التي هي من سمات الشعر الجيد . مثال ذلك قوله في قصيدة (لبيك نور المسلمين):

كل صراط مستقيم للفتى ... ما زال غير الخير لا يترسم

والثقل نلحظه في « غير الخير » ، فحرفا الغين والخاء حلقيتان ، احدثا ثقلا في النطق . كما ان « لا » النافية ،

انتشار السنا

« قيلت على لسان شاعرة عفيفة »

شجبت حبا يسوم النفس موبقة ... يزري به غرض يدني من العدم
رؤاه تذهلني .. ان تم مقصده ... ابدو مطاطئة .. ادنى .. الى الصنم
نفسي الابية .. ما ذلت نوازعها ... الا لخالقها المعبود ذي العظم
وما ارتضت وطرا للنفس تغنمه ... الا انتشار السنا يجلو دجى الظلم
نفرت معرضة ، عمن يعابثها ... حتى الوذ بها ، في قمة القمم
حيث التسامي بوادي الطهر شامخة ... لا ارتضي عوجا .. او عثرة القدم

وما الحياة سوى ذكرى نعيش بها ... ومبدئي شرف ، يناى عن التهم
من التقى قدري ، دنيا وآخرة ... حتى نايت عن المأفون والغدم
ولست آسفة ، ان فاتني .. امل ... به تلاحقني .. نفس لذي الشيم
سبحان من رسم الاقدار .. وزعها ... كما يشاء ، نصيبا خط بالقلم

مصر الجديدة

نعمت عامر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اتت بعد « غير » في الشطر الثاني . والاكثار من النفي قد يصرف المعنى عن الاذهان .

على ان ملاحظاتنا العابرة لاتمنعنا من الاشادة بشعره والتنويه بشاعريته ، التي برزت في القصص الرمزي ، وفي الاتجاه القومي الوحدوي .. حتى ان هاتين الخصيصتين طغتا على اية خصائص اخرى ، وشكلتا — فيما ارى — شخصية شاعرنا المهجري الراحل ، ميشال مغربي .

القاهرة

حسني سيد لبيب



هيرمان هيس

هيرمان هيس الروائي والشاعر الألماني

١٨٧٧ - ١٩٦٢

بقلم الانسة مؤمنة العوف

* * *

هيرمان هيس كاتب ألماني ، ولد في مدينة كالو على حدود الغابة السوداء جنوبي غربي المانيا ، كان ذلك عام ١٨٧٧ ، اكتسب هيس شهرة بين الغربيين وخاصة الاميركيين ، واستولى على خيال الناس من كل الاعمار واستحوذ على محبتهم . ولان الانسان الغربي يتأثر تأثرا عميقا بالشرق ، وبصوفيته ، وبثقافته ، وبمقدساته ، كان هيس بما هو عليه من نفاذ روحي مفعم بالحيوية ، يمثل الايمان بقدسية الحياة الفردية ، وبأنها يجب ان تصان من وسائل العالم الحديث ومن قبليته .

قد يكون تعلق الغربيين بالمفكر والروائي الالماني دليلا على ان هناك قاسما مشتركا بين الناس في اية ارض حلوا، وان لا انفصام بين الانسان واخيه الانسان سواء كان شرقيا ام غربيا ، اسود كان او ابيض .

واذا كان هيس قد انحدر من بيئة دينية حيث كان يفترض ان يصبح رجل دين ، الا انه كان يعاني من ازمة روحية حاول بعدها الانتحار وفر على اثر المحاولة من معهد مولبرون عام ١٨٩٢ . وحين طرد من المدرسة الثانوية عمل في دكان لبيع الكتب عده سنوات ، وهي وظيفة يمارسها عادة المؤلفون الناشئون في المانيا .

وازمة هيس الروحية لم تمر مرورا عابرا بل انعكست اثارها في كثير مما كتبه ، وقد تكون معاناته الروحية هي نوع مما يعانيه الفنان ذو الروح المتوثب دوما للخلق والابداع .

هذا الكاتب لم تقتصر موهبته على كتابة الرواية بل كتب الشعر ايضا . يقول جيمس رايت ، الشاعر الاميركي المعروف والذي كان اول من عرف الاميركيين بهيس الشاعر حيث قام بترجمة ما يربو على ثلاثين قصيدة له واصدرها في مجموعة صغيرة بعنوان : « قصائد من هيرمان هيس » يقول ان المجلد السابع من اعمال هيس المطبوعة يضم حوالي ٤٨٠ صفحة من القصائد . بعضها فائقة الجمال وينطبق عليها قول القائل بان القصيدة القصيرة والجميلة تعطي من التأثير والعمق ما تعطيه رواية كاملة جيدة . وقد كان الحنين الى الوطن هو الموضوع الرئيسي الذي دارت حوله معظم قصائده .

اما في عالم الرواية فقد نشر هيس اولى رواياته عام ١٩٠٤ واسمها : بيتر كامينزند ، وهي تحكي قصة كاتب ناشيء ترك قريته الجبلية السويسرية ليكتشف العالم . بعد ذلك اصدر رواية « تحت العجلات » ، وهي قصة مراهق موهوب الا ان موهبته لم تستطع ان ترقى الى ما كان يؤمله منه والده واساتذته ، مما ادى الى انهياره . يحاول هيس في هذه الرواية انتقاد نظام التعليم في زمانه .

وعندما وقعت الحرب العالمية الاولى تسببت بصدمة قوية لهيس دعته الى الانضمام لنشاطات رومان رولاند ضد الحرب ولم يقتصر نشاط الكاتب على اصدار روايات وكراسات ضد الحرب بل تجاوز ذلك الى تحرير صحف اسرى الحرب في المانيا .

خلال هذه الفترة تحطم زواج هيس الاول وقد انعكس ذلك ونوقش بصراحة في روايتيه : « نولب ، وروزالد » . في روزالد نرى ان جوهان فيراغوث بطل الرواية وهو الرسام الذي اصاب حظا واسعا من الشهرة والانتشار في جميع انحاء اوروبا يعيش عيشة ناسك زاهد في عزبته المسماة روزالد حيث يقوم في وسطها قصر جميل احتلته زوجته وولداه ، اما جوهان فقد ابتنى لنفسه جناحا صغيرا في جانب منعزل من العزبة يضم مرسما وغرفتين واحدة النوم واخرى للجلوس ، عاش في

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جناحه هذا ليلا ونهارا ، وكانت حياته خالية من اية لمسة حنان ، يغرق كآبته في لوحاته وتعشش في انفه رائحة الالوان وزيت التوربانتين . وقد كان من وقت لآخر يتناول طعام الغداء او العشاء مع العائلة في القصر بينما زوجته امضت سبع سنوات لم تطأ قدماها ذلك الجناح المعزول ولم تعرف شيئا عن اعمال زوجها الفنية . كان بيبر طفلهما الصغير هو همزة الوصل الوحيدة بين الزوجين ، وكان هو الوحيد الذي ينتقل بين القصر والمرسم بحرية تامة دونما حرج ودون ان يلاحظ الجفاء بين ابويه . لقد كان هذا الابن هو الحب الوحيد والكبير في حياة ابيه ، وعاطفته نحوه وخوفه من فقده هو الذي امسكه عن الانفصال النهائي عن زوجته . الى ان جاء ذات صيف اوتوبوركهارت ، صديق الفنان الوحيد منذ ايام الطفولة والصبا ، فيحمله على مواجهة نفسه ويدعوه الى ان يحيا حياة سوية . ويغريه بالسفر معه الى الهند آخر الصيف . وعندما يتخذ جوهان قراره ويخبر زوجته بعزمه على السفر ، وبأنه سيترك لها كل شيء ، القصر والعزبة والولدين ، حتى بيبر ابنه الصغير الذي كان يشده للبقاء استغنى عنه مقابل استعادة نفسه وحياته الضائعة . ولكن الصبي يصاب بالتهاب السحايا ويموت دون ان يعرف شيئا عن عزم ابيه على السفر . بينما الام في اثناء مرض الصبي ودون ان تعرف انه سيموت تبلغ الاب بانها سوف تتنازل عن الصبي وتعطيه له ويبدو ذلك تضحية منها او هدية تذكارية وقد تكون اعترافا اخيرا بشيء من العاطفة نحو زوجها . ولكن كل ذلك جاء بعد فوات الاوان . وتخلو روزالد اخيرا من ساكنيها . الطفل الصغير يموت ، الام والابن الاكبر البرت يغادران المدينة . وكذلك الاب يسافر الى الهند . هذا هو ملخص القصة التي صور فيها هيس قصة انهيار زواجه الاول والكاتب في تلك الاثناء اي في فترة الحرب الاولى ايضا خضع للتحليل النفسي الذي اجراه عليه عالم النفس السويسري كارل غوستاف يونغ (١٨٧٥ ـ ١٩٦١) . ولكن دون فائدة ودخل المصحة بعض الوقت .

عام ١٩١٩ انتقل الى سويسرا ليعيش بصورة دائمة وهناك اصدر رواية دميان وفيها اعتمد طريقة فرويد في التحليل النفسي الذي كان قد درس منهجه في وقت سابق . وقد لقي هذا الكتاب نجاحا هائلا اكسب الكاتب شهرة في كل انحاء اوروبا .

بعد ذلك وجه الكاتب عنايته للشرق الذي زاره عدة مرات قبل الحرب فكتب سيدهارتا عام ١٩٢٢ وهي عبارة عن قصة بحث روحي طويل يعانيه شاب هندي في سبيل معرفة دور الانسان على الارض والعثور على حل لهذا اللغز .

وفي روايته التالية التي اصدرها عام ١٩٢٧ يتابع التوغل في الذات الانسانية فيكتب ستيبن وولف او ذئب البراري ، وهي قصة رجل ممزق بين فرديته وميله للقناعات البورجوازية . فهي تصور صراعه بين اثبات الذات وتدمير الذات .

ولم يمض وقت طويل حتى اصدر روايته نارسيس وغولدمند في عام ١٩٣٠ هذه الرواية التي توجت هيس روائيا عظيما حسب تعبير النيويورك تايمز . وهي استمرار لخطه الديني الفلسفي حيث يصور الصداقة بين كاهنين من القرون الوسطى احدهما مطمئن الى الدين والاخر يطوف الى ما لا نهاية باحثا عن الطمأنينة والخلاص

وبعد ذلك أصدر روايته : رحلة الى الشرق عام ١٩٣٢ ومن ثم لى يصدر له اية رواية حتى عام ١٩٤٣ حيث كتب ماجستر لودي او لعبة السبحة الزجاجية كما سميت في الترجمة الانكليزية . حيث نال بها جائزة نوبل للاداب عام ١٩٤٦ . بعد ذلك اعتزل في بلدة مونتاغنولا في سويسرا الى ان مات عام ١٩٦٢ .

نلاحظ ان ابطاله هم غالبا من ذوي الحساسية المفرطة . والمشكلات التي يعانونها هي تلك التي يعاني منها عادة الفنانون والمفكرون ورجال الدين ، التوتر والقلق والبحث عن الذات . هذه المشكلات التي نشأت عن طغيان الحضارة الاوروبية ونتيجة لسيطرة الآلة وما رافقها من فراغ روحي. هذا النوع من المشكلات يختلف عن مشكلات الانسان الشرقي الذي ما زال يعمل جاهدا للتخلص من كابوس الفقر والجهل والمرض ، هذه الاقانيم الثلاثة التي تسقط اي انسان من برجه العاجي . وعندما ينجح الانسان الشرقي في تخطي هذا الكابوس يبقى في النهاية هو جملة هذه القيم والمشاعر التي تعتوره . ويبقى نتيجة قناعات معينة تدور كلها حول الحق والخير والجمال .. حول الايمان والحب والاخلاص او ما يناقضها جميعا . قد تتغير الاغراض ولكن جوهر هذه القيم لا يتغير .

كلمة اخيرة لا بد منها وهي ان كثيرا من الاقوال تشيع بين الناس ويتداولونها وكأنها حقائق مسلم بها . ومن ثم هم يرغبون عن اعادة التفكير بها للتحقق من صحتها ومدى مطابقتها للواقع . من هذه الاقوال عبارة : « الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا » معتبرين بذلك ولعلهم مخطئون ، ان الانسان هو غير الانسان في مشارق الارض ومغاربها .

مؤمنة العوف

اشتركوا في مجلة

الآداب

تساهموا في نشر الثقافة



عادل الاعور

مع الأدب والثقافة والأديب

بقلم عادل الاعور

* * *

لعل ان من هو في مثل سني ، الثامنة والاربعين ، فانا من مواليد ٢٧ تموز (يوليو) ١٩٣٤ ، لا يبدأ بكتابة سيرته .

مسقط راسي هو قرية جبلية ، ومصيف مقصود . ارتفعت فيه البنايات (والفيلات) ذات التصاميم الهندسية الحديثة والمتنوعة ، واستقطبت من هم من خارجها ، قبل اصحابها ، ليتملكوا فيها الاراضي .

تدعى (قبّيع) وهي تقع في المتن الجنوبي الاعلى من جبل لبنان .

ارتحلت ، بعد دراستي في مدرسة قرية مجاورة ، الى مصيف عاليه المشهور ، فالتحقت بمدرسة « الجامعة الوطنية » . وتتلمذت ، في مجال الادب العربي ، على يد الاديب الكبير الراحل ابي محمد مارون عبود .

وبعد انتهاء دراستي هناك ، والتي دامت خمس سنوات ،التحقت بجامعة القديس يوسف في بيروت ، للتخصص في الادب العربي ، وسكنت عاصمة لبنان ، درة الشرق ، ولؤلؤة المتوسط ، وام المدائن ... في السابق ، طبعا !..

في البداية ، عملت في التدريس فترة قصيرة . ثم تحولت ، عن هواية واحتراف ، الى ميدان الصحافة ومارست الادب ، وما ازال .

متزوج ولي ولدان : شاب هو رائد ، يتابع دراسته في بريطانيا . وابنة « شاطرة » هي دانية . ولها من العمر اثنا عشر عاما ، وهي في (البريفيه) . جميلة . لطيفة . دمثة الاخلاق . مواظبة . بحيث استطاعت في هذه السن المبكرة ان تترفع الى صف لا يتناسب مع عمرها الصغير . ومع ذلك فهي من المتفوقات المجليات .

وفي حياتي لصحفية تعرضت « لظروف قاسية وصعبة جدا » ، لا مجال للخوض في تفاصيلها هنا . ضمنتها في كتابي بعنوان : « عادل الاعور يفتح النار على .. » عام ١٩٧٤ .

وتناوله ادباء كبار بالتعريف والمعالجة، امثال الدكتور فوزي عطوي الكاتب الشاعر اللبناني ، والاديب الشاعر المغربي القمري الحسين ، في مجلة « الاديب » الزاهرة ، بالاضافة الى صحف ومجلات مغربية . جاءتني على اثرها اكثر من رسالة يطلب اصحابها نسخة من الكتاب . منهم الشاعر المغربي محمد علي الرباوي .

لقد نازلت الكثيرين من الزملاء الصحافيين والساسة — ولا فخر — في لبنان والعالم العربي ، وخاصة في مصر ، بشخص رئيس تحرير جريدة « الاهرام » القاهرية سابقا، الصحفي الكبير محمد حسنين هيكل .

وما ازال اذكر انني كتبت تعليقا نشر يوم الثلاثاء ، فرد الاستاذ هيكل في مقاله الاسبوعي الذي كان ينشر في « الاهرام » يوم الجمعة ، من نفس الاسبوع . (راجع الاهرام العدد ٢٨٤١٣ تاريخ ٢٥ سبتمبر ايلول ١٩٦٤ . والعدد ٢٨٥٢٩ — ٢٩ يناير كانون الثاني ١٩٦٥) .

وعود على بدء نقول :

منذ باشرت مراسلة الصحف في بيروت ، كانت مقالاتي مهما تنوعت ، من ادبية وسياسية ، تنشر كاملة ودون اي تعديل .

ولعل من الطريف انني كتبت مقالا ، وانا في الخامسة عشرة من عمري ، نشرته صحيفة يومية في مكان بارز . وحين تقدمت ، بنفسي ، بمقال ثان الى الصحيفة ، سألني رئيس تحريرها :

— كم عمرك ؟ وماذا تفعل ؟

وكان عجبه شديدا لحظة عرف حقيقة عمري ، واني ما زلت على مقعد الدراسة .

ثم اصدرت ، في الحادية والعشرين من عمري ، مجموعة قصصية بعنوان : « نذير العاصفة » ، لقيت رواجا لاسباب مؤاتية ساعدتها . وقد كتب الاديب الكبير الراحل مارون عبود ، بعد ان بعثت اليه برسالة اذكّره فيها بوعده ان يكتب في مجلة اسبوعية ، كان يزودها بمقالاته بشكل منتظم ، عن مجموعتي القصصية ، يقول :

« لم اقل كلمتي في كتابك (نذير العاصفة) اغفالا واخلالا ، ولكنني فتشت عنها فما وجدتها هنا في عاليه ، ولعلها في عين كفاع ، وبما انك طبعتها ثانية فلا باس اذا

ارسلت لي نسخة منها .

اما روايتك الطويلة فانا مستعد للاطلاع على القسم المكتوب منها والذي سيكتب .

انت تعلم انني احب تلاميذي حبا جما ، والان قد عوفيت ، عافاك الله وسلمت لمعلمك : مارون ٩-٣-١٩٥٦ »

وفي مناسبة اخرى ، كتب ابو محمد هذه الكلمة التعريفية القصيرة عنها وعني :

« انا مارون عبود مدير مدرسة الجامعة الوطنية في عاليه ، واستاذ الادب العربي فيها ، اشهد ان السيد عادل الاعور قد انهى دروس الصف الخامس الثانوي ، وكان في اللغة العربية وآدابها متفوقا في صفه ، فوثقت له بالنجاح في علم الكتابة. وتحققت ثقتي حين اصدر مجموعة اقاصيص طريفة دلت على حسه المرهف وذوقه الفني . عاليه في ٢٣-٦-١٩٥٦ - مارون عبود - مدير الجامعة الوطنية »

ثم تشجعت ، على اثر ذلك ، واخذت اراسل كبريات المجلات الثقافية في لبنان والخارج ، وعلى راسها وسيدتها هذه « الاديب » الزاهرة ، و « الرسالة » التي كانت تصدر عن معهد الرسل في جونيه - لبنان ، و « الحكمة » البيروتية وفي الخارج « الفكر » التونسية ، ومجلة صدرت في باريس فترة ، باللغة العربية ، وكتبت نقدا وتقييما لـ « نذير العاصفة » لا يحضرني اسمها الان.

ولقيت مرة المعلم بطرس البستاني الثاني (استاذ الادب العربي في مدرسة الحكمة سابقا) في دار المكشوف بحضور صاحبها الاديب الراحل فؤاد حبيش ، والكاتب جورج مصروعة ، فقال لي المعلم الراحل بطرس ، بعد التعارف :

- اهلا ، استاذ عادل . انا اقرا لك في مجلة «الحكمة» اسلوبك سلس . وادبك يبشر بعطاء جيد .

واذكر ان الاديب الساخر الراحل سعيد تقي الدين، وهو المعروف بشغفه بابتكار تعابير معبرة ، كنعته هؤلاء الذين يزحفون على ابواب الوزارات، مثلا، «بالزحفطونيين» (الزاحفين على البطون) . والذين نرى من امثالهم عينات منتقاة كل يوم وفي كل مناسبة وموسم ، قال لي ، حين لقيته في منزله في راس بيروت ، بعد دعوته لي ، وقد اهديته « نذير العاصفة » قبل ذلك :

- ان فيك بذرة العظمة ، فعليك ان تصقلها وتنميها.

فلم املك نفسي من الضحك .

وعرف السبب على الفور . فقد استقبلني « بالشورت » ..

وكانت اولى خطواتي الادبية الواثقة اذن على صفحات « الاديب » الغراء عام ١٩٥٥ . هذه السيدة الاربعينية ، الان ، المتلئة صحة ونشاطا ، الموردة الخدين ، الرافلة بالعافية ، الحاملة في اذنيها اقراط اللؤلؤ والياقوت .. والتي انجبت الاف الادباء والشعراء والباحثين العرب ، طوال عمرها ، وهي بعد في عز الشباب ، ولم يمسسها بشر !..

وذلك بفضل منشئها وسيدها وحاميها ، بهمة الشباب ، رغم العمر الطويل والمديد باذن الله . والذي افنى عمره كله ، وثروته المادية كلها ، وضوء عينيه كله ، لتبقى محافظة على شبابها المجلو كالعروس ، الجميل كجمال الادب والشعر الذي تحمل وتزود به قراء العربية، على مدار الفصول والسنين ، اعني به الاستاذ الكبير البير اديب .

واذا كان الاستاذ عجاج نويهض قد طالب في عدد يناير وفبراير ١٩٨٢ ، بمساعدة « بترولية » « للاديب » ، فعسى ان تلقى هذه المطالبة آذانا صاغية من اي طرف نافذ وفاعل يقرأ ويعطي من يستحق العطاء ، مثل غيره ، أن لم تكن له الاسبقية .

واذا كنا نسمع ونقرأ ، ان هذه الدولة البترولية او تلك ، قد منحت مؤسسة اجتماعية مبلغا ما ، فهي مشكورة ، ولا شك ، على هذا الصنيع .

لكن : الا تستحق منشأة ادبية كبرى « كالاديب » فيها غذاء العقول والقلوب مثل هذه المساعدة ؟

واذا كان العرب بحاجة الى شيء ، في زمننا الحاضر، فهو الاكثار والاكتناز ، ليس من شعر المديح والفخر او الهجاء ، فتاريخهم الادبي ، على امتداده ، مليء وحافل بذلك .

انهم بحاجة الى ادب جاد ، وشعر نظيف ، لا يمالىء في الحق ، ولا يحابي ، ولا يداري .

ففي مساعدة المؤسسات الثقافية ، التي اثبتت جدارتها بالبقاء والاستمرار ، فليتبار المتبارون ، وليعرف كيف يغدق واين اصحاب الايادي البيضاء والاريحية ...

بل اين جامعة الدول العربية لا تتحرك ؟.

ان « الاديب » قلعة من قلاع الفكر ، ويجب ان تتضافر عوامل الصمود لها. ففي صمودها مجال استمرار للعطاء الادبي الرفيع المستوى . لتبقى رمزا من رموزنا الثقافية الكبرى ، وعنوانا من عناوين حضارتنا المعاصرة .

ولتبق الكلمة النظيفة خفاقة ، مرفرفة الاجنحة في الاعالي .

.. وحتى لا يقال ان العرب اعطوا كل شيء ، ولم يعطوا « شيئا » ، او يضعوه في موضعه المناسب .

هذا بعض حديث الادب والصحافة ، وما يتخللهما من حلاوة ومرارة الذكريات ، عبر المسيرة المضنية التي كتبت علينا ، حتى الان !.

عادل الاعور

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



سعيد ابو الحسن

ميدان على القمم
سيرة ذاتية

بقلم سعيد ابو الحسن

* * *

ـ ٨ ـ
ما وراء التاريخ

غير انني افكر الان في تلك المعركة البطولية واسأل نفسي : هل كانت هذه المعركة نتيجة تدبير خبيث ؟ لقد كان الفرنسيون يتوقعون مثل هذا الهجوم، كما يظهر من اقوال كتابهم ، فهل كان توقعهم من قبيل الاستنتاجات العامة ام كان نتيجة مسعى لجر الثائرين الى كمين مميت ؟ من يستطيع ان يجزم بذلك ؟ ما يمكن قوله ـ بكل تأكيد ـ هو ان اي قائد ثورة يدرك حدود المسؤولية ، ويدرك معنى الاقتصاد بحياة رجاله ، ومعنى احداث اكبر هزة ممكنة لدى العدو بأقل خسارة ممكنة من الثائرين ، ومعنى ان استمرار اشتعال الثورة اهم من احتراقها السريع المتوهج، ما كان ليقدم على مهاجمة موقع كموقع المسيفرة . ولكن.. نحن كنا وما نزال نقاتل بروح القبيلة ، وعادات القبيلة ، وغباء القبيلة . هذا مع اعتزازي بالبطولة الفذة التي برهن عليها مقاتلونا في معركة المسيفرة ، تلك البطولة التي شهد بها الاعداء انفسهم في كتاباتهم (يراجع لطفا ما نقله الاستاذ سلامة عبيد عن دوتي ، مؤلف كتاب «الفرقة الجهنمية»)، ان الهجوم الذي يصفه دوتي لا يقل روعة عن اعنف هجوم تقوم به فرقة من اعظم جيش في العالم . المهاجم الذي لا يموت الا وهو ممسك بجدار خندق عدوه ، او الذي يموت واقفا ، كما يقول دوتي . ولكنني افكر الان في الصورة التي كانت ستكون عليها الثورة ، لولا خسارتنا الجسيمة بالرجال في المسيفرة . هؤلاء الذين قتلوا في المسيفرة كانوا قادرين وحدهم على خوض معارك عديدة عندما يتقدم الجيش نحو الجبل ويدخل ارضنا الوعرة ، وكانت الثورة ستستمر ، ومع شيء من حسن السياسة والتدبير ، كانت ستعم البلاد ، وكان الجلاء قد تم عام ١٩٢٦ او ١٩٢٧ بدلا من عام ١٩٤٦ . ذلك ان الذين قتلوا في المسيفرة كانوا من خيرة المقاتلين ، كانوا من الطلائع ..

لقد اسهبت في الجمل الاعتراضية. فلاعد الى سياق حديثي . بعد الذي سمعناه من حسن صيموعة ، بعد رجوع خالي الاثنين وبكل منهما بعض الجراح البسيطة ، بعد معرفة اسماء القتلى والجرحى ، خيم على قريتنا جو من الكآبة الخرساء : كل يبكي فقيده ، ولكنه يبكيه صامتا ، راضيا مسلما ، يبكيه مفتخرا ، رافعا راسه ، لان الشهيد لا يجوز ان تقام عليه المناحات ، ولا يجوز ان ينظر الى موته خلافا لما ينظر الى عرسه : عرسه عرس الحياة الدنيا ، واستشهاده عرس المجد والخلود . وصعب على الناس ما سمعوه من قيام الفرنسيين باحراق جثث الشهداء : يا للمحرقة المقدسة ! اكثر من ثلاثمائة شهيد بينهم الجرحى الذين أجهز عليهم البرابرة يحرقون هكذا ولا يجدون من يتولى مواراتهم الترا ب! صعب ذلك على الناس . ولكن تسار ع الحوادث لم يترك مجالا للتفكير ، والتأمل ، وتغذية الاحساس وانمائه ..

فبعد اقل من اسبوع بدا الزحف على الجبل . بدا الزحف على السويداء بقصد انقاذ حامية القلعة وعبر معارك قاسية ، وضروب من البطولات الاسطورية لثوارنا، تمكن الجيش من دخول السويداء وانقاذ حامية القلعة .

ولكنه ، بدلا من البقاء فيها ، كما كان يظن ، انسحب وغادر الجبل . كان يقوده الجنرال غاملان ، احد ابطال الحرب العالمية الاولى ، انسحب لانه ، بدخوله ، فقد الكثير من رجاله وفقد ما هو اهم من ذلك ـ من الناحية التعبوية ـ فقد قافلة امداده من سيارات وحيوانات . ولم يكن قادرا على تأمين خطوط تموينه بين ازرع والسويداء او المسيفرة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والسويداء ، لان الارض ما تزال بيد الثوار وما زالوا يمسكون بزمام المبادرة .

بعد بضعة ايام عاد الجيش يحاول غزو الجبل فحدثت معركة (عرى ورساس) الاولى . كانت معركة ضارية ابلى فيها محاربونا بلاء حسنا . فهم ، حينما تكون المعركة في ارض مكشوفة ، خارج الاسوار والحصون والتحصينات ، لا يجاريهم احد في فنون الكر والفر وايقاع الاصابات بالعدو . اذكر اني كنت اتابع سير المعركة بالسماع فاقول : انهم يتجهون شمالا ـ ثم : انهم ينحرفون غربا ـ ثم : انهم يتجمدون مكانهم . وكانت المعركة بالفعل ـ كما تبين بعد ما عاد المقاتلون ورووا تفاصيلها لنا ـ قد تحركت بهذه الاتجاهات واوقعت بالعدو خسائر فادحة . فقد استولى مقاتلونا على الكثير من السلاح والذخيرة . وارتفعت ، يومها ، اسهم رجال الدين ، الذين تشبثوا بأرض وعرة ، ولم تستطع قوة العدو المتفوقة ان تزحزحهم من متاريسهم بل ارتدت خاسرة خاسئة ، تاركة وراءها العديد من القتلى . وخسرنا عددا اخر من الشهداء . وانسحب الجيش بطريق المزرعة . وبذلك اصبح الجبل بكامله محررا تحريرا كاملا ، ويبقى كذلك نحو ستة اشهر . ولا يفوتني هنا ان اصف حال نساء القرية ، ابان مثل هذه المعارك ، التي كنا نسمع دوي مدافعها من بعيد ولا نعرف كيف تدور ، وماذا يجري فيها . كنت ارى عددا من النساء يتجمعن ، غربي القرية ، في فيء الجدار الغربي للقرية ، وهن يتبادلن الاحاديث والتعليقات ، ويدعين للثوار بالنصر . ان اقبلت عليهن امرأة تحمل جرة ملانة قلن :

ـ ملانة بعون الله ! النصر لنا ان شاء الله !

وان مرت بهن امرأة تحمل جرة فارغة ، وهي ذاهبة لتملاها ، قلن :

ـ كفانا الله شر الجرة الفارغة ! فال الله ولا فالك !

وان قالت احداهن انها رأت رجلا قادرا على القتال متخلفا في القرية ، اطلقن عبارات الاستنكار ونعتن الرجل بالجبن والخنوع ، وحملن عليه حملة شعواء ، وشكلن وفدا منهن لتوبيخ الرجل وارساله الى القتال او اخراجه من القرية ـ على الاقل ـ . وكانت احداهن تقوم باعمال حسابية بالبحص (الحصى) وتترجم الخمسات والسبعات الى تنبؤات بالنصر او الهزيمة .

كنت معجبا بالحزن الممزوج بالكبرياء ، او بالكبرياء الحزينة ، معجبا بالدموع غير المرئية تخبئها القلوب الكبيرة الصابرة ، المفكرة في النصر والشرف ، اكثر من تفكيرها في الراحة والسلامة .

لقد جلت الجيوش عن الجبل ولكن الغارات الجوية لم تنقطع . وفي هذه الاونة ، ومنذ قيام الثورة ، انقطعنا عن المدارس . ويا ليت الامر اقتصر على ذلك . فلقد جاءنا معلم شيخ مشهور بتدريس الديانة . ولعدم وجود مدرسة اخرى التحقت بمدرسته مكرها . واول شروطها ان نحفظ شعر رؤوسنا ، فحلقناه . وكان من حسنات الكوفية البيضاء أن تغطي هذا المنظر المجافي للجمال ، منظر الراس الحليق . وكان الشيخ مثالا للسماجة والجبن . فقد كان لا يدرك اي معنى للمسؤولية : فاذا سمع هدير الطائرات اسرع بالخروج هاربا ، باحثا عن ملجأ ، تاركا تلاميذه في فوضى ورعب جماعي ، غير منتظر ـ على الاقل ـ ان يخرجوا قبله . ولم يكن احد في القرية اشد خوفا منه غير بيطار دمشقي كان يرى ، كلما اقتربت الطائرة ، وهو يركض خارجا من القرية الى البيادر والكروم وهو يصيح : « يا حفيظ ـ يا حفيظ ! » وكان مشهورا عن هذا البيطار انه كان يحدث عن شجاعة والده فيصفه بكل صفات البطولة . وحينما يسألونه : « كيف مات ؟ » كان يجيب: « مات بالخريعة » اي خوفا .

ولنعد الى معلمنا الشيخ المحترم . لقد كان يلبس عباءة فضفاضة وعمامة بيضاء ضخمة . وعباه كانا ابدا منتفخين ، محشوين بصرر الملبس ، والزبيب ، والقضامة، الى جانب المناديل الكبيرة لتتسع لمخاطه الذي لا ينضب . كان في فمه ابدا شيء ما يمتصه او يمضغه . وكان مكويا في اسفل ساقيه ، فكان يبدل ضماد الكي وحبات الحمص منه امام التلاميذ . وكان هذا المنظر يؤلمني ، ويصيبني بالقرف والغثيان . والحسنة الوحيدة التي اذكرها له هي انه احدث في نفسي رد الفعل الشافي من التأثر بالمظاهر ، وعدم الانخداع بها . فما كل من لبس العمامة شيخ ، ولا كل من تعلم اصبح مثقفا ، وان الذوق السليم اهم من العلم والتقوى ، ولا قيمة لهما من دونه . هذا الى جانب حسنة اخرى افدت منها ، وهي انه كان يعرف قواعد اللغة العربية معرفة جيدة . وقد بدات انظم الشعر في عهده . واذكر ان اول ابيات موزونة نظمتها كانت عن الثعلب والعنب (القصة المشهورة) وما زلت اذكر منها هذه الابيات الثلاثة :

ثعلب بين الكروم ... طالب الاكل يحوم
شاهد العنقود في ... رفعة مثل النجوم
فاتاه مسرعا ... اكلة منه يروم ..

وهكذا اكون قد بدات انظم الشعر وانا في الثالثة عشرة من عمري .

بعد خروج الجيش من الجبل خريف ١٩٢٥ ، تحرك الثوار باتجاه الغوطة لدعم الثورة هناك . وفي هذه الاثناء، وفي احدى الليالي شوهدت النار موقدة تتأجج على قمة القليب (اعلى قمة في جبلنا) ، وقد اوقدت جوابا لنار كبرى كانت قد شوهدت على قمة جبل الشيخ . لقد كان هذا اعلاما باشتعال الثورة في المناطق المحيطة بجبل الشيخ ، في وادي التيم واقليم البلان ـ واسرع اهالي الجبل لنجدة الثائرين ، ونقل النازحين منهم الى داخل

الفنان الأعظم

لو صاغ وجهك فنان بلوحته ... لجدت فنه الاجيال والامم

فكيف من صاغه حيا وسلحه ... بالسحر والحب يكونا ويبتسم

من حسن باريك هذا الحسن المحه ... بهاؤه في دنا عينيك يسفحه

لو كان غير جميل ما حباك به ... ففاقد الشيء حتما ليس يمنحه

السعودية ... علي دهر

الجبل . وشاهدت مواكب هؤلاء اللاجئين : شاهدت رجالهم يحملون بنادق انكليزية ذات سبطانة حديدها سميك (مضاعف) ، وكانوا يسمونها ـ لهذا السبب ـ « ام حديدين » ، وكانوا يسوقون امامهم قطعان ماشيتهم من غنم وماعز وبقر . ازياء نسائهم كأزياء نسائنا : اللباس الاسود الطويل والفوطة البيضاء فوق الراس ، ولكن بدون شكات الذهب التي تعلو الجبين . اما رجالهم فكانوا يرتدون الكوفية بدون عقال ـ او يرتدون العمامة . ولبس العقال بينهم نادر . ويختلف رجالهم عن رجالنا بانهم يتولون رعاية قطعانهم بأنفسهم ، بينما نحن في الجبل قطعنا هذه المرحلة واوكلنا امر الرعاية الى البدو الشركاء ـ كما ذكرت سابقا .

بات على الجبل ان يقوم بتموين سكانه وتموين اللاجئين اليه ، وكل واحد يدرك مدى هذه الصعوبات ، ولا سيما ان اكثر الرجال القادرين على القيام باعمال الزراعة كانوا يحملون السلاح ويهتمون بالمعارك .

كانت اخبار المعارك الدائرة في الغوطة ، وجبل الشيخ ، واقليم البلان ، وجهات راشيا ، ومرجعيون ، ترد الى الجبل ، يحملها عائدون او جرحى ، ويحملون من جملتها اسماء القتلى ووصف البطولات الخارقة التي ظهرت هناك ، الى جانب الاخطاء الفادحة التي صدرت عن بعض قادة الثورة وبعض الثائرين . وكان هذا يدل على الارتجال وعلى عدم الانضباط ، وفقدان القيادة الواحدة ، المسيطرة الحازمة ، المخططة ـ آه يا روح القبيلة ! يا اكبر عدو لامتنا العربية ، كم سببت لها من نكبات ونكسات ، ولم تستطع ان تشفي من دائك العضال ، لا في معاركها الاقليمية ولا في معاركها القومية !..

بالنسبة الينا ، نحن الباقين في القرى ، فقد امضينا اخر خريف ١٩٢٥ وشتاء ١٩٢٦ في شبه راحة تامة ـ لقد بعدت المعارك عنا والغارات الجوية خفت بسبب الطقس ، وامضينا بضعة اشهر ونحن ـ التلاميذ ـ يرافقنا معلمنا الشيخ كالكابوس . والقرية كانت في حداد صامت رهيب. اقسى ما كان يصادفني رؤية الارامل والايتام : عندما ادخل بيوت الاقارب التي خلت من الرجال ، كنت اشعر انني ادخل احدى خرائب التاريخ ـ النساء في لباسهن الاسود ، والعيون المقرحة ، والخدود المجرحة ، من اثار البكاء ، والصراع الداخلي الصبور . والاطفال وهم يسألون عن آبائهم متى سيعودون ، والاجوبة المتحايلة تقطر مرارة، كل ذلك كان من المزعجات التي تضيق بها الروح ، وتتحطم الاعصاب ..

وفي الشتاء عاد المقاتلون ايضا الى الجبل ، بانتظار الربيع ..

السويداء ـ سورية ... سعيد ابو الحسن



عيسى فتوح

نعمان قساطلي المؤرخ الأديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم عيسى فتوح

* * *

لم تسعفنا المصادر كثيراً بالوقوف على تفاصيل حياة نعمان قساطلي ، مؤلف كتاب « الروضة الغناء في دمشق الفيحاء » ، فكل ما استطعت ان اعرف عنه انه ولد في دمشق عام ١٨٥٤ في اسرة مثقفة ، وكانت اخته سلمى طبيبة ، تلقت مبادىء الطب في بيروت ، ثم انتقلت الى مصر فنالت شهادة في امراض النساء والتوليد من مدرسة « القصر العيني » سنة ١٩٠٣ ، وترجمت كتاب « نصيحة والدة » عن الفرنسية ، وتنقلت بين دمشق والقاهرة حيث توفيت سنة ١٩١٧ .

واجه نعمان قساطلي قسوة الحياة منذ نعومة اظفاره ، وكاد يذهب ضحية الفتنة الطائفية التي حدثت في دمشق عام ١٨٦٠ ، لكنه اختبأ في احد الافران ، وانقذ بذلك نفسه .

هجر دمشق مع افراد اسرته ، ثم عاد اليها بعد هدوء الاحوال ، وتقلب في الوظائف والعمل الحر ما بين سيناء وطوروس ، وخبر حياة الحضر والبدو على حد سواء ، وكتب في مجلة « الجنان » لبطرس البستاني ، وجريدة « لسان الحال » لخليل سركيس قبل الحرب العالمية الاولى ، ثم انقطع عن الكتابة بعد سنة ١٨٨٣ ، ربما لانشغاله بالوظيفة واعباء الحياة .

قضى شطرا من حياته متصلا بالبيئات المثقفة في دمشق وبيروت ، كما أتصل باللجان العلمية البريطانية ، واشتهر في اوساط المتنورين بكتاباته التاريخية القيمة ، وقد توفي في شباط عام ١٩٢٠ .

الف كتاب « الروضة الغناء في دمشق الفيحاء » عام ١٨٧٨ ، ويعتبر بحق اول كتاب في تاريخ دمشق بالمفهوم الحديث للتاريخ ، قسمه الى ثلاثة ابواب ، تحدث في الباب الاول عن جغرافية الشام ، ثم عن موقع دمشق وعدد سكانها ، وتاريخ بنائها الى يوم فتحها المسلمون ، مرورا بعهد الامويين والعباسيين والايوبيين والمغول والعثمانيين .

اما الباب الثاني ـ وهو الاهم ـ فقد خصصه للحديث عن اوصاف دمشق ، وكنائسها ، وجوامعها ، واسواقها ، وحماماتها ، ومقاهيها ، وخاناتها ، وفنادقها ، واقسامها ، وابوابها ، وحصونها ، ومياهها ، ومتنزهاتها ، وتربتها ، ونباتاتها ، واشجارها ، وهوائها ..

كما تحدث فيه عن مدارس النصارى والمسلمين واليهود ، وعدد طلابها وطالباتها ، وعن الجمعيات الادبية ، والمكتبات ، وعن صناعتها ، وتجارتها ، واطوار اهلها ، ملابسهم ، وعاداتهم وتقاليدهم في الافراح والاتراح ، وختم هذا الباب بالحديث عن محمل الحج الذي كان يسافر الى مكة باحتفال عظيم كل عام ، ويستقبل عند عودته باحتفال اعظم . ويبدو القساطلي دقيقا في اعطائنا صورة صادقة وصحيحة عن دمشق حتى عام ١٨٧٨ ، فهو يحصي لنا مثلا عدد الاغنام التي كانت تذبح يوميا ، ويحدد كذلك مقطوعية المدينة من الحنطة والشعير والذرة ، وعدد المصابن ومعامل النشاء ، ومحلات طبع الاقمشة وحياكتها وصباغتها ، وعدد المشافي والمسالخ والمطابع ، ومتى مد طريق المركبات بين دمشق وبيروت ، ودخل التلغراف ، واصيبت بالهواء الاصفر .

اما الباب الثالث فقد افرده لذكر من مات بدمشق من الصحابة ، والاولياء المقربين واشتهر ضريحه كالشيخ محيي الدين بن عربي ، والشيخ رسلان ، ويختم الكتاب بفصل خاص عن القديسين ومشاهير العلماء المسيحيين الذين نشأوا في دمشق ، كحنانيا الرسول ، ويوحنا الدمشقي وغيرهما .

لقد الف نعمان قساطلي كتابا آخر اسماه « مرآة

ملء العين والقلب

سالتك بالحب الذي شـــد بيننا ... فاينع لي عمري ، ونور لي دربي

لماذا الاقي منـك صدا وجفـــوة ... وما لي من ذنب اليك سوى حبي

فان كان ذنبا ذلك الحب فاشهدي ... علي باني لا اثـوب من الذنـــب

ستبقين ـ رغم البعد ـ مني قريبة ... لانك ملء العين والفكر والقلـــب

بغداد ـ ص.ب ٢٢٠٣٨ ... محمد جواد الغبان

سورية وفلسطين » اشار اليه في الروضة الغناء ، لكن الكتاب لم يطبع كما يبدو ، وظل مخطوطا ، ونسب لـه الدكتور عبد الكريم غرايبة تأليف كتاب « حسر اللثـام عن نكبات الشام » .

وكما كان القساطلي مؤرخا ثبتا يشهد له بالدقـة والاحاطة ، كذلك كان رائدا من رواد القصة السوريـة القصيرة ، فقد نشر في مجلة الجنان خلال ثلاث سنـوات من عمرهـا (١٨٨٠ ـ ١٨٨٢) ثـلاث اقاصيص هي : « الفتاة الامينة وامها » و « مرشد وفتنة » و « انيس وانيسة » تعتبر باكورة ادب القصة في سورية ، صور في الاولى احوال مجتمعه وضمنها آراءه (١) في مسـاوىء التخلف والتقاليد البالية والظلم الاجتماعي وكبت الحرية الشخصية ، واثر الوشاية ، وانشغال النسوة في الثرثرة ، وهضم حقوق المرأة ، وكل ما من شأنه ان يحول بـين شابين متحابين .

وينتقل في القصة الثانية « مرشد وفتنة » من الجو الحضري الى جو البادية ، ومن خلال قصة حب تجمـع بين قلبي بطليها مرشد ابن شيخ العرب ، وفتنة راعية الغنم البسيطة ، يطوف بنا عالم البداوة الرحب ، فمن ورودهم الماء ، الى تقاليد الضيافـة ، الى احكامهم في غزواتهم ، فطرق علاجهم ، فوسائل تحضيرهم للطعـام والقهوة ، فأخذهم بالثأر ، تجتمع لدينا خيوط قصـة متشابكـة الاحداث ، متعددة الشخوص ، تنتهي اخيرا بان يفـوز كل محب بحبيبته ، وينال كل شرير جزاء ما جنت يداه « فسبحان من ينصف عباده ، ويأخذ بيد المظلومين مـن الظالمين » .

ولا تخرج قصته الثالثة « انيس وانيسة » في طريقة بنائها الفني عن سابقتها ، الا انها تختلف عنها من حيـث الموضوع الحضري الذي تعالجه ، ويدور بين بلودان ودمشق وحمص وبعض الاماكن الاخرى ، وقد حاول فيهـا وصف اخلاق اهل المدن ، من حيث ميلهم الى الاحتيال والغدر وفساد الحكم ، وحب المغامرة والاسفار ، وعبادة المـال والقتل ، واخيرا الحب الذي هو محور الاحداث ومحركها ، والسبب الاول والاخير في شقاء القلوب الشابة ، وينتهي فيها الى القول : « من جعل غرضه نصب عينيه ، اذا كان له حق به ، فلا يلبث ان يناله ، ولو بعد طول عناء ، وكثرة عذاب ، وهذا قانون » .

لم تجمع هذه القصص الثلاث في كتاب لتصبـح في متناول ايدي الدارسين ومؤرخي الادب ، ولكنها تضعـه في طليعة رواد القصة السورية القصيرة ، كما وضعه كتاب الروضة الغناء في طليعة المؤرخين الدمشقيين المشهورين ، كابن طولون ، وابن عساكر وغيرهما .

١ ـ الحركة الادبية في دمشق (١٨٠٠ ـ ١٩١٨) للدكتور اسكندر لوقا ـ مطبعة الف باء ـ الاديب ـ دمشق ١٩٧٦ .

دمشق ـ ص.ب ٦١٥٥ ... عيسى فتوح

جليلة رضا الشاعرة والإنسانة

بقلم منور فوال

* * *

مما لا شك فيه ان القصة هي النموذج المجسد لكل صور الحياة. ولكن الشعر هواغاريد لتلك الحياة. يطلقها الشاعر الى الوجود في خيال رائع فنحلق معها في آفاق علوية من النشوة الساحرة والشعر في مفهوم الشاعر هو دلالة لتلك الصور المتباينة التي يكسبها ثوب قشيب (مزركش) بكل ورود الدنيا . فينبعث شذاها ذكيا ليسري في النفوس حاملا عبيره صافيا . وعندما نريد ان ندلف الى حدائق الشعر الغناء فلا بد لنا أن نقف عند نفحات الشاعرة الكبيرة جليلة رضا هذا الاسم الذي اضاف الى مكتبة الشعر العربية عدة دواوين قيمة على مدى ربع قرن كانت كلها تمجد الانسان.. واول ما يلفت النظر الى مضمون الشاعرة الشعري هو ذلك الانسان .. فله غردت شعرها ومن اجله ذرفت دموعها . ومن اعماقه زخرت أعلى صيحات الحب لهذا الكائن البشري في الهه وضياعه ، وسحره وجماله .. ومن اجله قالت مخاطبة ابنها الوحيد في قصيدة « وصية ام عربية » :

بني ... اذا اراد الله ان نحيا بدنيانا
وشب على الربى عودك مزدهرا وفينانا

تعلم ـ قبل بدء العيش ـ كيف تعيش انسانا
وقسم قلبك الواسع للاحياء اكوانا
فكن نهرا اذا عبروا وان حلوا فشطانا

من تلك الابيات تحس ان في اعماق الشاعرة افياضا من هذا الحب الجارف للانسان .. اذ ارادت له أن يكون كالبحر الواسع ، يلتهم كل هموم البشر على شط الامان والحب .. ارادت له ان يتجرد عن كل الدنايا ويظل هذا الكائن النظيف قلبا وقالبا . ويعيش حياته خالصة من كل الشوائب . وجليلة رضا التي التزمت هذا المبدأ منذ ربع قرن في اول عهدها في الشعر لم تتبدل مع توارد السنين وظلت تغني لهذا الكائن الجبار اروع القصائد الانسانية النقية .

وفي قصيدة ـ الدمعة السخية ـ تنفرد الشاعرة بنفسها كيما تجتلي بدموعها أصداء ألم دفين عاشته في صمت راهب ، وخشوع مؤمن :

اهبطي ... اهبطي وكوني سخية
واستقري فوق السفوح الندية
اين يا دمعتي العنيدة عمر
عشت فيه مع اللقاء هنية

وتستطرد :

رطبي ... رطبي جفاف زهوري
واعيدي دماءها الورديه
واسكبي طلك النقي عليها
واريقي عطورك القدسية
انت ريح تطوي الهشيم وتبقي
في رياضي ... على جذوعي القوية

تلك القصيدة تكاد تكون تتمة للقصيدة الاولى .. كلاهما تتوغل في ذاتية مسرفة . وتعبر كل منهما عن موقف عاشته الشاعرة . والشاعرة تنطلق في قصائدها من خلال مواقف مختلفة .. فالقصيدة عندها موقف تريد ايضاحه في لوحة من الشعر النفيس يكون ذا موقع خلاب على المسامع . كذلك نرى ان الشاعرة عندما ارادت ان تعبر عن الشيء المحطم في النفس جعلت ن هذا الحطام عذوبة الاشياء المحطمة ، تسير بنا الى مرفأ من الخذلان والتراجع عن هذا الشيء الذي تحبه :

لا ... لا تقل اني خدعتك اذ طويتك من حياتي
انا لم احبك انما احببت اضداد الصفات

فاذا ما انتقلنا عبر قصائد ديوانها الاخير العودة الى المحارة وجدنا الشاعرة في ازهى صورها الشعرية .. تتلاحم مع الواقع الوطني مرة ، ومع ذاتها مرة اخرى ، والجانب الثاني هو السمة الظاهرة على معظم قصائد الديوان . والذات عندها منطلق رحب الى كل الاجواء النفسية التي تصادف الانسان عبر حياته .. ففي قصيدتها (المقعد الخالي) تتحدث الشاعرة عن انسانها الذي غاب ، وترك لها ظلاً لايخبو شعاعه على السنين ، وهي بتلك القصيدة تصور اغلى ركن في صالون منزلها والذي احتله هذا الانسان (زوجها) طيب الله ثراه ولنسمعها :

يا لهذا المقعد الخالي وكم يبدو حزينا
انه ما زال للامس وفيا واميناً
لم يزل يهفو الى من كان يسترخي عليه
للذي عشرين عاما عاشها بين يديه

وتقول :

كان في حضنك ضيفا قلق الروح سقيما
ثم ولى عنك ـ يوما ـ مؤثرا حضن سوادة (١)

اني عشقتك صاخب الاحساس ثر العاطفات
وغرقت في دوامة الاوهام ... لم اشعر بذاتي

نجد ان في الديوان كل القصائد هادفة الى شيء ما .. الى رمز مبهم . ولكنه ينطلق بحلاوة الكلمة ومعناها.. فان الذي قرأ للشاعرة دواوينها الاولى منذ ربع قرن ، ورأى خلجات الشباب في بواكير عمرها تتجسم الى لوحات شعرية رائعة احس بان خلجات ذلك الحب لم تختلف في عنفوانها ومكوناتها عن ديوانها الاخير (العودة الى المحارة) ففيه الحب متشعب الصور .. هيام . فراق . عذاب . تضحية . وفاء . ذكريات . عواصف . رياح . طفولة . كهولة .. كل كلمة في هذا الديوان تؤدي دورها وتحدد موقفها . فالشاعرة تقيس ذاتها ساعة بساعة ، وحركة بحركة .. وخطوة بخطوة ، وان الذي زامل الشاعرة عن قرب عرف ان مولد تلك القصائد لم يكن من فراغ، وانما استجمعت الشاعرة كل الصور التي تراءت امامها عبر سنواتها .. وسجلتها كخط بياني لانسان سار في دربها المرسوم .. ففي كل قصيدة يكمن حبها لهذا الانسان الذي كرست له خفقات قلبها ولنسمعها في قصيدة (الى ولدي) التي تحاوره بها :

ساظل اؤجل اشعاري حتى تتكسر احلامي
حتى تتصلب في عجز كفي وسلامي ابهامي
ما اقسى ان اصمت دهرا عن عزف الالحان العليا
ان اشدو طيلة اعوامي لتفاهة كوني للدنيا

وتقول :

ما اقسى ان يصمت قلبي ويضن عليك بانغامه
لا بخلا - لكن يا ولدي - خوفا من لوعة الامه
هل انظم في شعري حبا وهواك النبع لاشعاري
لا اقوى - سأؤجل دوما - حتى تتراخى اوتاري

في هذه القصيدة نجد قلب ام يتعذب في اتون من نار .. ان سعير تلك النار التي تتوهج في صدرها طوال سنوات عمرها قد فجرت فيها موهبة الشعر .. وقد لا يخفى على المقربين من الشاعرة ان وحيدها لا يدرك انها امه ولذا اعطت له حبها العميق الصامت .. حبها الذي لا يدانيه اقوى حب الا حبها للوطن . ولنسمعها تقول في الحب الخالد :

ايها الباحث في مصر عن الحب الوديع
لا تقل ضاع فان الحب فيها لا يضيع
كيف نطوي الحب ، والحب لنا زاد وادرع
نحن ذقنا الحب في ظل الفناء المتوقع

وتستطرد قائلة :

كان حبا حين ودعنا بلا حزن ذوينا
حين أرغمنا الوجوه السمر في احضان سينا
حين سال الدمع فوق الرمل وجدا وحنينا
كان ايمانا ... وحبا ... وسموا ويقينا

وتتابع الشاعرة القصيدة بروح مؤمنة بصلابة هذا الوطن وابطاله البواسل فان ارض مصر دائما هي معطاء للحب والسلام .

في قسم اخر من الديوان نرى الشاعرة تذوب عشقا في المولود الجديد . كل قصيدة وافدة على خيالها تعتبرها آلهة حب جارف .. فهي مولود بسمت له الحياة تلك الابتسامة الرقراقة التي تملأ الوجود وجدانا صافيا ، ففي (الزائرة الحسناء) صورت شاعرتنا استقبالها الرائع لتلك الزائرة التي تطرق مغالق فكرها بكل تحنان وهي اذ تقول :

تاتيني دوما زائرة لا تعرف معنى الاوقات

حسناء ولكن تتغير ، شكلا ، في بعض المرات
احيانا تقتحم داري تحتل جميع الحجرات
تتواثب ... تقفز كالطفلة .. تشدو بالنغمات
تلثم وجهي ... كفي ... تغمرني بالقبلات

وتقول :

احيانا اخرى تاتيني كامراة شمساء مهيبة
اصطدم بنفسي حين اراها وكاني في غيبوبة
امراة غامضة لا تحمل اسماء ولا جنسية
تتهادى عبر دهاليزي الخلفية

اما في قصيدة (ساعات ليلي) فان الشاعرة تصف ساعاتها في لحظات ارجوانية مرة .. يائسة اخرى :

ساعات ليلي في الدجى متوهجة
ارنو لهن وقد سخرن بوحدتي
وانا على عتبات نوحي مولجة ...
يلهون في عتب بكل مشاعري
ويطرن فوق المركبات المرجة
فاحس احداهن تحتضن الهوى
تسري بها الاحلام جذلى مبهجة

كذلك تحاور الشاعرة نفسها في قصيدة الاصل والصورة ، بأصدق حوار ممتع . وليس هناك اروع من حديث النفس الى النفس اذ تجلو الكآبة ، وينقشع الحزن وتبتهج الروح نشوى بعطر ذكريات الامس ، وبارقات المستقبل ، وتهيمن على عذابات الايام المجهولة .

ولنسمع شاعرتنا تناجي نفسها :

قد ابكي ، قد اندب حظي ، قد تصحب يومي احزاني
لكني حين احط الرأس اخيرا في فرشي العاني
اهمس في رفق باسمة ، لا تخشي يا نفس هواني
في ركن من هذي الدنيا ... يوجد انسان يهواني

وتقول :

قد يخنق سجني انفاسي واضيق ببيتي المتواضع
لكن اذ ادخل فرشي وانام كمخلوق ضائع
اهمس يا نفسي لا تخشي ، فالواقع لا يمحو الواقع
في ركن من هذي الدنيا لي قلب كالقصر الرائع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

داليـــة الحنـــين

انوار وجهـك .. لا ارق وارحما
فلم اغتدت في القلب سوطة مؤلما ؟

انت الذي بسماته هلـت لهـا
شمس الرؤى، لما التظى بحر الحمى

ان كان طيفك في الانام محبـة
تتلى كهمس الفجر في درب السما

او كان عطرك في الحياة فضيلة
تكسو الجوانـح رحمـة وتبسما

فلم اللهيـب تدوسني افراحـه
ولم الضياء تقاطرت منه الدما ؟

اني لارسف في جـلالك نازفـا
عل الجـراح تعينني ان احلمـا

انفاسك الخضراء صارت شرفتي
منها ارى الدنيا حريقـا معتمـا

تسعى الاساءة كالاراقـم موهنـا
انيابها تسقي السماحـة علقمـا

لولا البراءة لم تكـن اعمارنـا
غير انمحاق شاقـه ان يعلمـا

من حسنـك القتال اغرف جرعة
نفسي بها ترتـاد كونـا مبهمـا

ما الوهم ؟ ما الالهام ؟ ان لظاهما
صوت تردد في السكـون مسلما

يا آسري ، ان المشاعـر ظبيـة
صارت لهـا عيناك قيدا محكما

فامدد ضياءك في حقـول كآبتي
كي امتطي للفيض بارقـة اللمى

اشكو حلاوتك التي لم ارتشـف
منها ، فيا للقلب في غسق الظما

احرقتني بالصد، كيف لوى الضنى
شوقا يغازل كالطفولة انجمـا ؟

في نارك الغـراء تـورق مهجتي
كالظل ، هل تؤوي الصبابة معدما ؟

قد كانت الاضـلاع زورقك الذي
غنت له الاحـلام حين تقدمـا

من ضوء احداقي نسجت شراعـه
وبقيت في شط الظنون محطمـا

ارنـو لصمت فجيعتي ، وكانني
جسم بداخلـه الوجود تهدمـا

ان يحفر الحزن الظليل جـداولا
تناى بزهر الروح عن وهج الدمى

او تخرس الاطيار شـدو رحيلها
فالجرح باق .. والاسى لن يفطما

ليل الخيانـة صاهل ، وفم المنى
صبح جريـح ، لا يطيـق تكلما

كم آنست روحي ربيعـك عندما
نخلت دموعك للطهـارة سلمـا

واليوم الحـاني ذبحت حنينهـا
لم ترتعش كفاك .. لم تلمس دما

ما أشرس الاحلام ! كيف تسوقني
للنار .. نار العشق طفلا ابكما ؟

الليل يحصد ما زرعت من السنا
ويقود في الاحداق مركبـة العمى

والبين يمتشق الجنون ولم تزل
من قوسه الايـام تلبس ماتمـا

للتيـه ينـذر زورقي ، ونشيشه
حمى تبـارك في الاضالع موسمـا

اعنـو لصحـوة آهتي ، وكانني
شفق يعـب جراحـه مترنمـا

من عمق اوجاعي اطـل وهاجسي
الق الذ من البشائـر مبسمـا

فاسبح فريدا ، يا سلمت ، فانني
ودعت دالية الحنـين لتحطمـا

قد صوح الوهـم الغرير بفيئهـا
وغدا الهوى بغرورها متفحمـا

مراكش ـ المدينة ـ ص.ب ٤٦١

احمد بلحاج آية وارهام

بهذا اللون الشعري الرائع ملىء ديـوان العـودة الى المحارة ، وهو خلاصة تجارب خلاقة في دوحـة الشعر واغاريده البراقة يعكس معاناة السنين وعذاباتها وسعدها وكآبتها .. فالشعر هو الحقيقة التي غردت لها الشاعرة اروع قصائدها . وكانت امينة بقدرتها ومكوناتها عـلى الخلق ، صادقة مع نفسها .. ومع احساساتها الفـذة المرهفة التي استطاعت من خلالها ان تقول شيئا .. وقد قالت شاعرتنا الكبيرة الكثير .. اذ هي على درب النيـل سائرة . وعلى طريق المنحى الفني تبذل العطاء .

القاهرة

منور فوال

سؤال بسيط كان في البداية .. لم يكن وراءه شيء في لحظتـــه .. سؤال يمكن سؤله لاي عابر سبيـل سواي ، وفي ردي عليـــه لم يكن في الحسبان ان يحدث بعده ما حدث ..

ـ كم الساعة ؟

اجبت :

ـ الثامنة .

قالت :

ـ مع الشكر .

نظرت بجانب وجهي افتش عـن هويتها .. اطراف الاصابع رقيقـة خالية من تلك الاسلحة المدببة التي تتشكل بألوان الطيف .. الشفتـان الصغيرتان على لونهـــما الطبيعي تختلجان من لسعة برد تغشى الجو .. الحاجبان الكثيفان لم تمتد اليهما يد التهذيب . الانف الدقيق يتقلب اونه بين الاحمر والابيض . الشعر تخفيه طاقية من التريكو بيضاء . اصابعـها العشر خالية مما يطلق عليه في عـالم النساء حزام الامان . كل ما شاهدته برهن انها مثلي على بـاب الحيـاة تنتظر النصيب .

فتحت حقيبتها واخرجت بضعـة قروش وخرجت يـــدي من جيبي بمثلها .. فتحت نافـذة السيـارة المجاورة لها ومدت يدها لتتنـــاول جريدة الصباح .. بائع الجرائـــد الذي كنت اتعامل معه ينتظرني منذ عام . ترى هل يتذكرني ؟ قرش مني احتضنته يد السائل الذي يختـرق ممر السيارة ومثله منها . وقفـت بجوار مقعدي فتاة خيل لي ان طلاء شفتيها القاني يتساقط نقطة نقطة . ذكرني وجهها بمهرج الملوك . طـلاء أبيض يحيط بعينيها ، وآخر اسـود فوق حاجبيها، وثالث مائل للاحمرار حول جيدها . عدت الى جيد جارتي فوجدته متدثراً برقبـــة «بلوزة» رقيقة في نسيجها رقيقة في لونيهـا الاخضر والابيض . تطالع صفحـة اخرى من الجريدة وتقرأ مقالا عـن حق جديد للمرأة ..

تحركنا مع السيارة في رحلة حرمت منها طويلا .. ها انا قد عدت بعـد اجازتي الطويلة الى العمل . قضيت العام المنصرم خارج البلاد . تنهدت وانا القي اطلالة سريعة على الشارع المتلىء بالزحام . ذهبت قبل الاوان للعمل . بدات بتحية رئيسي في مكتبه .. انه الرجل الانيق . رئيس واخ اكبر في اوقات الفراغ . ثم تحيـــة الزملاء والزميلات اعضاء الاسرة .. جميل شعوري اليوم بالحـب . ان اليوم افضل من الامس . اين كنت بالامس ؟ كنت هناك اشم في طعـامي رائحة الغاز . كلمـا قبضت راتبي قبلت يدي حمدا لله ثم احيا مـن جديد عبدا للوحدة والقلق . جميل



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم جمعة محمد جمعة

*

ان وجدت لي مكانا في السيارة يحيط بي الناس من كل جانب.. بعد عام من الضياع وجدت مكانا تحت سقف بيتي .. تحت سقـــف السيارة .. تحت الشمس .

عدت الى جـارتي . اشعر وكأن معرفتي بها وطيدة .. تتجلى فيهـا الطبعية والاصالة . ارى جارتي وقد طرحت عنها مظاهر الزيف . شعرت بالنفور من هند بنت عتبة التي افتش عن مثيلة لها بلا جدوى . عجبـت لتبدل الحال بتلك السرعة .. قبـل عام كان العثور على فتاة في ثوبهـا الطبيعي امر شبه محال .. تخايـل امام مخيتي الجواد الابيض . نظرت الى ست الحسن وابتسمت .

كان لقائي بالزملاء حارا بدد آلام فراق طويل .. تساؤلات كثيرة وانا اصافحهم . كيف انت يا سعيـد ؟ وانت يا محمود ؟ وانت يا عليـــة ؟ وانت يا نجوى ؟ اوه وانت يا سعاد ! لمسات رقيقة من التغيير تبدو واضحة امام عيني .. همســـت لنفسي : ماذا غيرك يا علية ؟ اين قطعة اللادن تطرقع بين اسنانك ؟ واين اختفـت انشودتك المفضلة انك صاحبة اجمل ساقين ؟ وانت يا نجوى ! اين عطور باريس ؟ واثواب الشانزليزيه ؟ وانت ياسعاد ! اين اختفت الرقة والنعومة وهل كففت عن مضغ الكلمات واكل بعض الحروف ؟ اين ذهب كل ذلك يا بنات ؟؟؟ كثير من الاسئلة تنهـال عليهن مني وكثير من الاجابات ارد بها على اسئلتهن .

جلست اتأملهـــن وجـــارتي في السيارة تبرز امام مخيلتي . انهـــا مثل زميلاتي .. عملية وطبيعية .. نفضت قشورها المستوردة وظهرت على طبيتها اجمل واحلى . اخرجني محمود من تأملاتي متسائلا :

ـ كيف كانت احوالك هناك ؟

قلت وانا امضغ الخسرة :

ـ بكل اسف كانت سيئة .

بتقطيب جبهته عبر عن دهشتـه معقبا بسؤال اخر :

ـ كيف ؟ انك اول من يصف حاله في البلاد الغنية بالسيئة .

قلت في اختصار شديد :

ـ يكفي انني فقدت انسانيتي .

تدخل سعيد في الحديث قائلا في لهجة ساخرة :



ـ يا سيدي .. الم تدخر لك الفين من الجنيهات ..

قلت وانا اكتم غيظي :

ـ افتقدت مالا يقيم بالالاف .. قلت لك فقدت انسانيتي .

ثم نفست بعض غضبي في سيجارة اشعلتها .. قلت محاولا محو بقية غضبي :

ـ اتعرف يا سعيد شيئا عن انسان الغاب !!

قال :

ـ طبعا ... ومن لا يعرف يا اخي ؟

بغير وعي انطلقت صائحا :

ـ لا تقل يا اخي . لا تقلها ابدا امامي .

اطفأت النظرات المحلقة نيران ثورتي .. امطرتني بوابل من الخجل قلت مستدركا :

ـ آسف يا سعيد .. ارجوك ان تغفر غضبتي . لكن لا تقل هذه الكلمة مرة اخرى . سمعت في غربتي هذه الكلمة مطعمة بالسموم . يا اخي انكم تأخذون اموالنا . اعمل يا اخي ستعود لبلدك غنيا وتودع ايام الحرمان .. ايش تبغي يا اخي مرتبك عشرة اضعاف مرتبك في بلدك . ليش يا اخي بتثور بامكاني ارجاعك، وبالتليفون احضر عشرات غيرك .

اعتراني الصمت فجأة .. هتف سعيد بابتسامة طيبة :

ـ مرحبا يا عزيزي في بلدك . اني اعتذر . دعني اقبل راسك .

واقسم ان يقبل راسي لارضائي. تبادلنا الاحضان والقبلات. قلت وانا اخفي دمعة في عيني :

ـ الحمد لله على كل حال .

تبدد الجو المشحون والتففنا حول علبة الحلوى التي اشترتها زميلتي علية احتفالا بي .. شعرت بالسعادة وجو الاسرة يحيط بي . الاسرة .. قفزت جارتي في السيارة الى الصورة واحتواها وحدها الاطار الذهبي .. رايتها في عليه . في نجوى . في سعاد فتشت في مخيلتي عن هند وكلما حاولت جمع ملامحها تلاشت وتبددت قلت في نفسي : « هل افوز بلقاء اخر مع جارتي ؟ » بدا الفوز بتلك الامنية بعيد الاحتمال ..

ايام تمر ولا شاغل لي الاها . لم يحتمل صدري كتمان الامنية فبحت بها لصديق عزيز .. قال منشرحا :

ـ ستعجبك جدا فتاة اليوم .. لقد عادت لواقعها .

قلت متأثرا بعاطفة جياشة :

ـ البلد كلها عادت لواقعها.. ومن الواقع بدات انطلاقتها الحقيقية ..



جمعة محمد جمعة

*

هذه هي الحضارة . من خلال الواقع نخطو نحو المستقبل .

ثم عدت به الى الحديث عن جارتي :

ـ سأفاتحها في رغبتي بمجرد ان نلتقي ..

وازددت شغفا بتحقيق الامنية التي جاشت بصدري .. كنت اراها في كل فتاة اصادفها في عرض الطريق ، واكاد ابدا معها الحديث ولكني اثوب الى رشدي في اللحظة الاخيرة ، الوم نفسي على تضييع فرصة اول لقاء .

وفي لحظة قررت ان احصل على اجازة واترقبها ، افتش عنها في كل سيرة ، ليس امامي غير هذا .. لعل الله يحقق لي امنيتي .

لمحتها واقفة تحت الشمس . تنعم بالدفء .. تمر السيارات امامها وهي في سكون . تحيط السيارات بنظراتها . بدت وكأنها تفتش عن احد ما . قفز قلبي طربا وانا اتخيلها تفتش عني . وقفت وراءها دون ان تحس بي . همست بصوت خفيض لا يصل اسماعي :

ـ كم الساعة ؟

فوجئت به يصل آذانها المترهفة وتلتفت الي :

ـ انت .

قلت :

ـ اجل انا .

لا ندري كيف تحركت يدانا وتشابكت اصابعنا ، التقت الاوردة وتعانقت الشرايين .. قلت في اختصار

ـ عدت منذ ايام من الخارج .

قالت :

ـ لم ابرح بلدي .

قلت :

ـ املك بعض سبل العيش .

قالت :

ـ اصفار تحيط بي .

قلت :

ـ اتمنى لو ..

قالت :

ـ فكر ثم فكر ثم فكر ..

قلت :

ـ فكرت وفكرت وفكرت .

قالت :

ـ والامس ؟

قلت :

ـ كان علينا .

قالت :

ـ والغد ؟

قلت :

ـ لنا ..

قالت وهي تتابع سيارة غادرتنا :

أنا في انتظارك

انا في انتظارك ، ما مللت ، لاجل عينيك انتظارا

اتجزع الزمن البطيء ، وذكرياتي بي سكارى

من اين جئت ، وكدت قبلك لا ارى في الهدب نارا

وخطرت في قلبي ، وفي شفتي ، كأشواق حيارى

وسكنت حيث سكنت في روضي ، شموخا واخضرارا

وقرأت وجهك ، يا ملاك الحب ، احلاما كبارا

ورأيتك الفردوس سوسنة ، وريحانا وغارا

انا ان نسيت ، وان نسيت الامس ، لم نحرز خسارا

حسبي وحسبك في غد ، ليل نصيره نهارا !!

فوزي عطوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ ما كان ينبغي ان نتأخر .
قلت :
ـ كنا سنضع اساسا لبيتنا تحت الشمس ..
ولا ادري كيف جاء الاتفاق اذ قلنا في كلمات متفقة تماما ومعا :
ـ ترى هل يعرف احد ان الحب يمحو الالام !!!!

القاهرة جمعة محمد جمعة

جورج صيدح في اخوانياته

بقلم حسين علي محمد

* * *

تعم النقد العربي الحديث بعض المصطلحات ذات المفهوم الخاطىء ، والتي تحتاج الى تقويم نقدي صحيح يضع النقاط فوق الحروف . من هذه المفاهيم السيئة ان الشعر « المفهوم » خطابي وفج ، وان الشعر الذي يلجأ الى « البهلوانية الاسلوبية » عظيم وراق .

اقول هذا ، لان الدكتور عيسى الناعوري يجزم في ثقة ـ وهي في معرض دراسته لشعر صيدح ـ بأن « شعر صيدح في السنوات الاخيرة لا ينبض بالحيوية ، ففي وطنياته تغلب الخطابية والعنترية والنثرية والركاكة .. التي تدل على ان عهد الشعر الجيد عند صيدح قد ذبل وانتهى امره » (١) .

ومن واجب الدكتور عيسى الناعوري ان يراجع نفسه . وان يعيد قراءة شعر جورج صيدح في اعوامه الاخيرة ، فسيجد ان ملكة جورج صيدح قد استحصدت، وانه كان في الاعوام الاخيرة يكتب شعرا عذبا صافيا . ولن اتعرض الا لاخوانياته الشعرية ، وهي تلك « الرسائل الشعرية » التي كتبها تعليقا على قصيدة لصديق ، او ردا على اهداء كتاب ، او رسالة شعرية لصديق يحبه .

ومن قصائد المعارضة قصيدته « الى الشاعر محمد عبد الغني حسن » (٢) التي يهديها الى الشاعر محمد عبد الغني حسن بمناسبة اختياره عضوا لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ويقول فيها :

خالد انت على مر السنين ... قبلما نرجوك بين الخالدين
ما طرقت الباب ، لولا عصبة ... اقسمت انك خير الطارقين

وفي هذه القصيدة يعارض قصيدة الشاعر محمد عبد الغني حسن « فتنتني عبقر يوما » (٣) التي القاها في حفل استقباله بمجمع اللغة العربية بالقاهرة حيث فاز بالعضوية فيه خلفا لسلفه المرحوم المؤرخ الكبير الاستاذ محمد رفعت وزير التربية والتعليم الاسبق بمصر. وكانت قصيدة محمد عبد الغني حسن في خمسة وخمسين بيتا من الشعر الرصين ، ومطلعها :

عدت من عمري بآلاف السنين ... حينما صرت بكم في الخالدين
لو يسمى الفوز يوما صفقة ... كنت في الصفقة خير الرابحين
انا مذ آوي الى قمتكم ... فانا آوي الى ركن ركين
قد تلقيتم جهادي بيد ... كل ما فيها على الحق امين
خفت اني لم اكن اهلا لكم ... فاراني ففضلكم كيف اكون

وقد يهدي احد الاصدقاء كتابا الى شاعرنا جورج صيدح فيكتب له ـ بغير افتعال ـ قصيدة معبرة عن شكره وتقديره مثنيا على الكتاب وموضحا بعض جوانبه . فقد كتب الى الاديب ناجي جواد بعد ان اهداه كتابه « ادب الرسائل » (٤) :

« ناج الجواد » ابا النوافل ... وافتح له صدر المحافل
فهو الذي فتح الغلاف ... وغاص في « ادب الرسائل »
هذا الكتاب الجامع الـ ... آثار بعد خراب بابل
نشر الطريف عن الاوا ... خر والتليد عن الاوائل
فيه الخطاب لكل سار ... والجواب لكل سائل
فهو الصدي الباقي ، وليـ ... س كسائر الاصداء زائل
حياه كل مراسل ... وسعى اليه كل ناقل
طوفت فيه حولها ... متنزها بين الخمائل
الطيبات تنوعت ... فيه ، فلم يعذله عاذل

وقد يقرأ كتابا فيكتب خواطره عن موضوع الكتاب. فقد قرأ كتاب « فيليب لطف الله شاعرا وانسانا » للاستاذ وحيد الدين بهاء الدين ، فكتب قصيدة بعنوان الكتاب (٥) قال في مطلعها :

الشاعر الانسان ، لطف الله ... عزت شمائله على الاشباه
في ثوبه بحر ، وفي اشعاره ... روح مرفرفة على الامواه
سارت شوارده تسابقه كما ... دارت محامده على الافواه

اما الرسائل الشعرية التي أرسلها الى اصدقائه فما اكثرها ، لكننا نتوقف امام قصيدة واحدة كتبها في الاستاذ الكبير وديع فلسطين سفير الادباء بعنوان « وديع فلسطين زين الكاتبين » (٦) يقول فيها :

زودت اقلامي بحبر عسجدي ... وعزمت اكتب ما يليق بسيدي
هذا الوديع اعزني بمودة ... هي ثروة شغلت عقول الحسد
قدستها ، واخذت احلف باسمها ... اني لها ، ما دام امري في يدي
منها تعلمت القناعة والرضا ... بمدائح مهموسة في المشهد
جافيت اضدادا كوتهم ناره ... لم اجف نقادا براء المقصد
هذا (المقفع) عالم مترفع ... ان تقرب الانوار منه يبعد
عين الرقابة لاحقته فقصرت ... كالسلحفاة وراء ظبي اغيد
والاقدمون يقلدون بيانه ... شتان بين مجدد ومقلد

ولو لم يكتب جورج صيدح غير هذه الاخوانية لجعلته في قمة شعراء الاخوانيات على امتداد تاريخ الادب العربي ، ولا نسوق الاحكام جزافا ، فهذه القصيدة تقدم لنا شخصا بلحمه ودمه ، والذين عرفوا وديع فلسطين وراسلوه وقرأوا ادبه يعلمون ان هذه القصيدة لا تكتب الا في مثله . بينما قصائد « الاخوانيات » عند الاخرين

يمكننا أن نحذف من فوقها اسم الشخص الذي كتبت فيه او له ونضع مكانها اسم شخص اخر ، مثلما فعل شاعر كبير في قصيدة وجهها الى منشىء جريدة « وطني » القاهرية وهي خريدة عصماء ـ اي القصيدة ـ مطلعها :

غلب الهوى فشدوت يا احباب بالشعر فيكم والهوى غلاب

ونشر هذه القصيدة في مجلة قاهرية ، وحينما نشبت الفتنة الطائفية غير بعض ابيات القصيدة ونشرها في جريدة « الاخبار » بعنوان « اتباع احمد والمسيح احبة » ثم نقلها عن « الاخبار » الى المجلة التي نشرتها اول مرة مهداة الى منشىء « وطني » !

ان الابيات التي نقلناها في استاذنا وديع فلسطين تعبر خير تعبير عن الوديع ، وعن مشاعر جورج صيدح . هذه المشاعر تكشفها رسائل جورج صيدح الى محبيه يقول في رسائله الى فوزي عطوي :

« لم اقرا دورية لبنانية منذ سنتين ، مكتفيا بصحافة مصر ، يتبرع بها وديع فلسطين » .

« اكتب اليك وفي يدي قصاصة مقالك .. لقد ارسلها الي الاخ وديع فلسطين من القاهرة » .

« افضي اليك بسر يثير الدهشة : هذا المقال الذي صدر في « الاديب » لم ارسله انا اليه ، بل ارسله الاخ وديع فلسطين راسا من القاهرة ، كنت ارسلته اليه .. ومضت شهور على تلك المراسلة، ونسيت المقال، لم اسأل وديعا عنه ، ولا طالبته بنشره الى ان فوجئت اليوم بقراءته منشورا في « الاديب » .. »

« آخر ما قراته لك رسائل المرحوم نظير زيتون التي جددت احزاني على الاديب الذبياني ، فجئت اعرض عليك ملف رسائله الضخم المحفوظ عندي اليوم .. وديع يعترض على هذا المشروع ويعتبر الرسائل امانة في عنقه لم تكتب للنشر » (٧) .

ها هو في رسائله للاستاذ فوزي عطوي يلهج بذكر وديع فلسطين ، فلماذا لا يكتب فيه قصيدة رائعة كتلك القصيدة التي في جزئها الاول ، بوح عن المحبوب الوديع . لكن جورج ينطلق هائجا متذكرا هذه الهجمة النكراء ضده :

ما عاقه ما عاقني من حملة هدامة فضحت حقود الجحد
شلت يد الجاني علي فمادنا حتى انحنى ، وانهار لو لم يسند

والى وديع فلسطين كتب جورج صيدح عدة اخوانيات منها « بطاقة العيد » هذه (٨) :

شطرتنا مطارق البين شطرا
فاتخذنا من الرسائل جسرا
نتلاقى عليه روحا وفكرا
كم رقنا نفوسنا فيه حبرا
وتركنا بين السطور ممرا
لشجون تحز في القلب سرا
كان كتمانها عن الناس كبرا
وازدراء بالمعتدي مستمرا
ان للصبر في المكاره اجرا
عزة النفس لا تباع وتشرى

في هذه القصائد الاخوانية نرى بساطة محببة الى النفس ، وتلقائية تميز الشاعر العظيم ، وما اندر الشعراء العظام في زماننا . وقديما قيل للسيد الحميري شاعر الكيسانية الرافض : لماذا لا تقوم من الغريب ما تسأل عنه ؟ فأجاب : لان اقول كلاما بسيطا يلذ من سمعه خير لي من ان اقول كلاما تضل فيه الافهام !

١ ـ مجلة الاديب ـ يناير ١٩٧٨ ـ ص ٦٠
٢ ـ مجلة الاديب ـ يونيو ١٩٧٨ ـ ص ٥٨
٣ ـ مجلة الاديب ـ ابريل ١٩٧٨ ـ ص ١٤
٤ ـ مجلة الاديب ـ فبراير ١٩٧٨ ـ ص ٦٠
٥ ـ مجلة الاديب ـ يونيو ١٩٧٨ ـ ص ٥٩
٦ ـ مجلة الاديب ـ اغسطس وديسمبر ١٩٧٨ ـ ص ٦٠
٧ ـ مجلة الاديب ـ يناير وفبراير ١٩٨٢ ـ مقال الدكتور فوزي عطوي ـ ص ٤٤ ، ٤٥ .
٨ ـ مجلة الاديب ـ فبراير ١٩٧١ ـ ص ٥٧ .

ديرب نجم ـ الشرقية ـ مصر حسين علي محمد

سعر بيع مجلة الاديب :

العراق	٤٠٠ فلس
الكويت	٤٠٠ فلس
ابو ظبي	٦ دراهم
دبي	٦ دراهم
قطر	٦ ريالات
البحرين	٦٠٠ فلس
الاردن	٤٠٠ فلس
السعودية	٦ ريالات
اليمن	٦ ريالات
عدن	٦٠٠ فلس
مسقط	٦٠٠ بيسه
مصر	٤٠٠ مليم
ليبيا	٦٠٠ درهم
تونس	٦٠٠ مليم
المغرب	٦ دراهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



مكتبة الاديب

العلامة عجاج نويهض

★ ★ ★

في كتابه رجال من فلسطين

للعلامة المؤرخ الشهير الاستاذ عجاج نويهض جوانب متعددة قل من يجاريه فيها فهو قانوني تخرج في الحقوق ، وهو خطيب مصقع ، ومؤرخ يتغلغل في اعماق الحوادث بالدقة المثيرة للاعجاب ، وهو اديب متمكن من النثر والشعر ، واسلوبه في النثر من السهل الممتنع، ثم هو صحافي وطني من طراز خاص ، مارس الصحافة طويلا ، وان من كان بمثل هذه الجوانب المتعددة بالاضافة الى ما يمتاز به من الاخلاق العالية والكرم العربي لا بد وان تكثر معارفه ، وتتسع دائرة اتصالاته بالناس من اهل العلم ، واهل الادب ، وارباب القلم، ورجال السياسة ممن يبذلون ما يملكون حتى نفوسهم في سبيل اعزاز بلادهم وحريتها .

يقول الاستاذ شفيق الحوت « ومن عرف (ابا خلدون) عن قرب ، وقضى معه ولو بضع ساعات في ظلال صنوبرات منزله العتيق، الرابض كالصقر منذ مئة عام تقريبا على قمة (رأس المتن) مطلا على وادي (لامارتين) الساحر لاكتشف فيه من الصفات ، والخصال ما قد يصعب اكتشافها من صوره المعروفة : كمؤرخ مدقق ، وبحاثة غواص ، وخطيب تنحني له المنابر ، ويستحيل اكتشافها من صورته كموظف مسؤول احتار معظم من عملوا معه فيما اذا كانت ساعة (بيك بن) او مواعيد دوامه هي الاكثر دقة » .

هذا الرجل ، تسوقه رجلاه وطموحه في سنة ١٩٢٠ الى القدس عبورا من الشام وله (رأس مال) كاف من المواهب الادبية والحماس الوطني ، فيندمج في المحيط كاتبا ، ومجاهدا وعاملا في الحقل الوطني، وكانت السلطة الانكليزية وهي ام البلاء قد اعدت الدة الكاملة لاستيطان اليهود قبل ان تحتل فلسطين وتطرد العثمانيين وقبل ان يعلن بلفور وعده بصورة رسمية ، والان وقد تم للسلطة الانكليزية ان تنفذ خطتها بندا بندا وسطرا سطرا ، وعلى ان لهذه السلطة قدرتها وامكاناتها فلم يكن من السهل تطبيق هذه الخطة المرسومة منذ سنة ١٩٠٧ والتي جاء ذكرها في مذكرات تشرشل فكان لا بد ان تلقى معارضة من سكان فلسطين العرب دفاعا عن ارضهم، وحريتهم ، واموالهم ومن هنا نشأت التظاهرات ، والاحتجاجات ، والثورات في وجه السلطة الانكليزية والصهيونية ، فصارت الحركة من التعقيد اشبه بوشيعة الغزل المتشابكة التي يصعب عليك الاهتداء الى رأس الخيط لتعرف كيف بدأت هذه المعارك او كيف كان السكان من حيث معيشتهم ، ودراستهم ، وعلمهم ، وادبهم ، وصحافتهم ثم سياستهم وجهادهم ، وهذا ما لم يكن باستطاعة احد ان يتصدى له عن طريق معرفة رجالات فلسطين في تلك الحقبة غير الاستاذ عجاج نويهض الذي كانت تربطه بمختلف الطبقات روابط تتجاوز احيانا حدود العمق المفروض ، وان صدر الاستاذ عجاج يكنز الشيء الكثير من الحوادث والوقائع فكيف وان له اضابير تضع جميع الوقائع بحذافيرها ومسبباتها ، وهو يعرف اهلها ورجالاتها عن كثب معرفة الابن لابيه ، والاب لابنه، والجار لجاره ، فاخرج لنا هذا الكتاب (رجال من فلسطين) الذي يحكي دائرة معارف واسعة عن فلسطين بكل ما يحوطها . ويقول عجاج « هؤلاء الاشخاص الذين اختطف منهم هذه اللمع الان ، ادركتهم جميعا في فلسطين ، ولقيتهم لقاء وافيا ، وان كانت صلتي بهم متفاوتة بين واحد واخر منهم ، والحياة ـ كما تعلم ـ مؤلفة دائما من خيطين : بداية ونهاية معا ، فبعض هؤلاء كان على وشك ان يدرك المغيب ، وبعضهم الاخر كان في الكهولة ، بينما الصفوف التي كانت تطل من هناك كانت مخضرمة جمعت اواخر العهد العثماني واوائل العهد العربي المناضل بعد الحرب » .

وهؤلاء الاشخاص الذين تناولهم الاستاذ نويهض في كتابه يؤلف مجموعهم قمة فلسطين قبل وبعد الحرب الثانية برمتها ، وقد جاء في كتابه هذا ذكر ٧١٤ شخصا مرعلى بعضهم استطرادا بحيث لم يكن لهم الا ذكر جاءت به المناسبة ، وقد ذكر بعضهم بما يكفي التعرف به وبمكانته ، ومؤلفاته ، واعماله ، واولاده ، ومسكنه ، واطنب في ترجمة البعض الاخر اطنابا وافيا لاسيما الاشخاص الذين كان لهم الاثر المباشر العميق في القضية الفلسطينية من بعض وجوهها او من جميع وجوهها ، امثال الحاج امين الحسيني ، وراغب النشاشيبي وعبد القادر الحسيني ، وجورج انطونيوس ، والشيخ عز الدين القسام ، وموسى كاظم الحسيني ، وفخري النشاشيبي ، وفايز الحداد .

وهو حين يعرض للبعض فانه يتغلغل في اعماقهم ويشير الى عاداتهم وتقاليدهم وآرائهم وهو عندما يذكر خليل السكاكيني مثلا لا ينسى ان يقول عنه بانه كان يغتسل بالماء البارد في الشتاء القارص ، ويقول عن ابائه بان اباءه سد في وجهه وصول المال اليه وهو يأبى ان يذهب الى المال ، ويذكر ان خليلا لم يطق الحياة بعد ان مات ابنه (سري) فمات بعده بشهور ، ويقول نويهض عن (سري) هذا الذي اكمل تعليمه في اميركا انه التقاه بعمان اخر مرة وهو يهم بالسفر الى مصر وقد وافته المنية هناك بعد وصوله بقليل ، يقول نويهض فدعوته فاعتذر بسبب السفر ومما قاله لي وقد اخذت هالة روحية تطفو على وجهه « والان وداعا ولا ادري أأعود الى عمان ثانية » ؟ وابتسم ابتسامة تقرا فيها شيئا من غير بضاعة الدنيا ، وبقيت اياما وانا اسأل نفسي عن مغزى هذه العبارة ، فلما قرأنا في الصحف خبر وفاته علمنا ان للغيب ظلا يمتد احيانا من المجهول الى المعلوم .

ثم يذكر في عرضه هذا ، حتى اسمي كريمتي السكاكيني وهما (دمية) و (هالة) وان السكاكيني استطاع ان يبني له بيتا في القدس بما جمع من حطام الدنيا وثمرة عمله في الحكومة ليستريح ولما ماتت زوجته قال : « لما عشنا متنا » واستولى اليهود على بيته .

ويسمي حتى اولاد المترجم لهم وخصائصهم ويدل على مساكنهم اليوم من الاقطار ، فهو يقول عن (عادل جبر) ان واديه داود ، وعفيف فالاول وهو مهندس اليوم برام الله ، والاخر بمصر .

وحين يمر بخليل بيدس لا ينسى ان يشير الى ابنه يوسف بيدس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مدير مجلس ادارة بنك انترا ولم يفته من خصائص الشيخ سعود العوري انه كان اول قاض شرعي في القدس بعد الاحتلال ، وانه عاش نحو مئة سنة ، وان ولده الشيخ مصطفى المتخرج في دار العلوم هو اليوم محام شرعي .

وحين يتطرق الى ذكر وديع البستاني يذكر انه اول من ترجم رباعيات الخيام الى العربية وانه قام بترجمة (المهراته) الهندية التي اخذت حكومة الهند على عاتقها طبع الترجمة ولم تتم حتى الان ، وحين رأى وديع الامرين من مضايقة اليهود له قال لابنته :

ابـــوك بـــل ثراهـــا دمعـــا دمـــا لا مياهـــا
غنى العروبـــة دهـــرا وعـــاش حتى رثاهـــا

ولم يخل كتابه من خصائص الرجال الخاصة فعندما يمر بعلي رضا النحوي يقول انه كان في غاية القصر قامة بين الف عربي في معاهد الاستانة حينذاك ، ولما هجم الطلاب على مكتب جريدة (طنين) في الاستانة محتجين على ما كتبت هذه الجريدة من طعن على العرب واقتحموا غرفة صاحب الجريدة ، وتناولوه بالضرب وهم عشرات ، وثب (النحوي) على كتف احد زملائه الذين امامه حتى استطاع ان يوجه ضرباته الى الرجل .

ويدلك عمقه في التغلغل انه حين يأتي على ذكر (امين فارس) يذكر كيف قام وزوجته بتربية اولادهما ، ويقول ان ابناءه كانوا اربعة وهم (اديب) وقد توفي قبل الحرب الثانية ، والدكتور نبيه وهو من عيون المفكرين والعلماء والمؤلفين وهو رئيس دائرة التاريخ في الجامعة الاميركية ببيروت ، والدكتور رافت وهو الان يعمل في الاردن طبيبا ، وباسم ولا ادري مكانه اليوم ، واما البنات فهن باسمة ونبيهة واسمى يعملن في حقل التربية الوطنية ، وتوفيت رشا الام فانقلبت هذه الاسرة الى مصنع ثقافي .

ويقول عن خصائص امين فارس ان امينا في الصيف ينقلب الى (ست بيت) اذ انه يسهل لزوجته قضاء الصيف في المصايف تعويضا عن اتعاب البيت طوال السنة ويتولى هو كل شؤون البيت من طبخ ، وغسيل ، ونظافة ، واستقبال الضيوف .

ويمر بالاحداث السياسية مرور العارف المتثبت مما يقول فيشير الى الثورات ويذكر حجج اليهود في حائط المبكى ، والهياج الحاصل بسببه ، وما جرى في الخليل على اثر الوثبة ، وحكاية اعدام فؤاد حسن حجازي ، وعطا احمد الزير ، ومحمد خليل جمجوم ، وما كان يريد الانكليز بهذا الاعدام من اذلال الملوك الذين توسطوا للعفو عن اعدامهم فلم يستجيبوا لهم ، ويصف الواقعة واسبابها وصلابة السلطة الانكليزية تجاه العرب وعفوها عن يهودي حكم بالاعدام في نفس الوقت .

ثم يذكر المنافسة العائلية بين آل الحسيني وآل النشاشيبي وما كان لها من الاثار السياسية في القضية الفلسطينية .

وحين يعرج على المؤتمر الاسلامي العالمي وتاريخه حتى انعقاده في القدس يذكر اسماء جميع وفود الدول الاسلامية التي حضرته ، واسماء جميع الاعضاء الذين انتسبوا للمؤتمر ، ويسهب في مقررات هذا المؤتمر التي كان يراد بها رعاية القضية الفلسطينية وجمع كلمة المسلمين .

وكثيرون اولئك الذين كتبوا عن فلسطين ، وعن الحركة الصهيونية ولكن القضية الفلسطينية والحركة الصهيونية ستظل معقدة غير مفهومة عن غير طريق المؤرخ العلامة عجاج نويهض فقد سبق هذا الكتاب كتاب له جليل القدر تعززه الوثائق الثابتة عن منشأ الحركة الصهيونية باسم (بروتوكولات حكماء صهيون) في ثلاثة اجزاء هي كل شيء لمن يريد ان يلم بتاريخ الصهيونية ، وهذا الكتاب (رجال من فلسطين) هو كل شيء ايضا عن فلسطين في سنيها الاولى وفيه التوضيح الكامل للنضال



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا من سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ٥٠ ليرة لبنانية

●

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٣٠٠ ل.ل.

●

في الخارج العربي : ١٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

سائر الاقطار :
٥٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية : ١٠٠ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج ٣٠٠ ل.ل. أو ١٠٠ دولار كحد أدنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء انشرت ام لم تنشر للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

☎ الادارة : ٢٢٣٨١٩ Dir. 223819
☎ المنزل : ٢٢٥١٣٩ Dle. 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ــ صندوق البريد رقم ٨٧٨ــ١١

بيروت ــ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

ألبير اديب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

السياسي والجهاد الوطني ، كما ان فيه صفحات من تاريخ الصحافة، والتعليم ، والقانون والشريعة والادب وتطوره ، وما قدم المؤلفون الفلسطينيون للعالم العربي والاسلامي من مؤلفات لم يغفل المؤلف اسماءها وموضوعاتها والمكتبات الثمينة التي استولى عليها اليهود بعد سنة ١٩٤٨ وكانت مكتبة المؤلف وهي من انفس الذخائر من بعضها .

ومن المؤسف ان هذا المجتمع العربي الذي خدمه الاستاذ نويهض بقلمه وجهاده ، وصحافته ووظيفته يوم كان مديرا لاذاعة القدس العربية والتي لم يتقبلها الا بشروط كان اهمها ان تكون لها الحرية الكاملة في الاذاعة ، ولذلك اتخذ منها منبرا في ايصال صوت العرب الى المسامع التي كان بامكان هذه الاذاعة ان تبلغها وقد جر اليها الم الرجال من سوريا ولبنان ومصر ليذيعوا باصواتهم ما كان يعن لهم ، كذلك وظيفته يوم كان عضوا فعالا في المؤتمر الاسلامي فاتخذ من التعرف بالوفود الاسلامية وسيلة تلاحم بين الوفود والوطنيين الفلسطينيين في نصرة القضية الفلسطينية . اقول من المؤسف ان يكون هذا المجتمع باستثناء بعض رجالات العرب الاوفياء يكاد ينسى هذا المؤرخ العلامة الكبير وحتى الصحافة العربية قد لا تدري بانه اليوم ومنذ اكثر من سنتين هو طريح الفراش ، فقد قصرت هذه الصحافة العربية حتى في الدعاء له بين آن واخر بالشفاء ، فاسال الله ان يمن عليه بالعافية ويبقيه قدوة لكل حسنة من الحسنات التي ينشدها الناس في هذه الايام ولا يجدونها.

عمان ـ الاردن ـ ص.ب ١٧٠٤٢ — جعفر الخليلي

★ ★ ★

١ ـ ديوان الشلال

شعر توفيق بربر ـ ٣٨٠ صفحة ـ مطابع مؤسسة ايف ـ بيروت ـ ١٩٨١

يقول الشاعر في مقدمة الديوان « من المعرفة يتفرع الشعر فالشعر هو ابن المعرفة الروحي وجوهرة الحياة النفسية ولؤلؤتها النادرة الفريدة، ولو كانت الحياة زهرة فواحة لكان الشعر اريجها او بنفسجة لكان روحها .. »

ويقول ايضا :

اليكم شلالا من الشعر جامعا — بحور القوافي من تليد وطارف
فما كل شلالاتكم وبحوركم — كشلال شعر زاخر بالمعارف
اولئك ماء من حشى الصخر نابع — وهذا لظى فجرته من عواطفي

والشاعر من مواليد الحاكور ، قضاء عكار من اعالي لبنان الشمالي ، هاجر يافعا الى البرازيل .

يتالف الديوان من مائة وثماني عشرة قصيدة موزعة على ثلاثمائة وثمانين صفحة :

هذه كرمة روحي — فعسى تشفي الغليل
قد زكت مثل الحميا — وصفت كالسلسبيل
انها نور تجلى — في دجى الليل الطويل

الشاعر رقيق الكلمة كرقة لبنان قبل حوادثها المؤسفة غني العبارة حلو الصورة رفراف الخيال استمع اليه وهو يتغنى في قصيدته « الهوى العذري »

واشعر كالمأخوذ ان جداولا — تئن انين الوجد في مهجتي تجري
وان فراش اللهو حولي محوم — وورد الجمال الفض ينضح بالعطر

ومن قصيدة « شهادة الحق » :

للعرب حبي وما الهمت من ادب — مجد العروبة مجدي والعلى ارببي
لا نجد داري ولا الاسلام معتقدي — لكنني عربي الروح والنسب
ان كنت من مصر ام صنعاء انتاخي — ام كنت من تونس الخضراء ام حلب
لبنان مسقط راسي وهو في نظري — احلى بقاع الدنى، والعرب منتسبي
واكرم الناس احسابا واجدرهم — بالفخر، من كان من لبنان والعرب

الديوان من اصدارات وزارة الثقافة والاعلام في الجمهورية العراقية ـ دار الرشيد للنشر ـ ١٩٨١ ـ بغداد .

٢ ـ الزاهر

شعر نعمان ماهر الكنعاني ـ ٣٧٦ صفحة ـ دار الرشيد للنشر ـ دار الحرية للطباعة ـ بغداد ـ ١٩٨١

يقول الدكتور عبد الرزاق محيي الدين رئيس المجمع العلمي العراقي في مقدمة الديوان « لقد تقاسمت شعر نعمان اغراض متنوعة كان لكل منها سبب من نشاته او سبب اخر من خاصة دراسته ، وثالث من الدم الجاري في عروقه »

فبالاضافة للقصائد القومية والوطنية هناك قصائد الغزل التي تتسم بالحرارة وقوة العاطفة والتي يستعيد بها ذكريات الشباب ، الى جانب قصائده الحماسية في تمجيد القوة والبسالة وركوب الاخطار الى اخواتياته الطافحة بالحب والمشاعر الانسانية النبيلة .

الديوان يضم مائة وتسعا وثلاثين قصيدة تتوزع على ثلاثمائة وسبعين صفحة من الحجم المتوسط .. في قصيدته الاولى بعنوان « تموز قد عاد اللقاء » يقول في مطلعها :

قل للقوافي الظامئات سلاما — اوميض برق جدد الاحلاما
ام تلك فيك سجية اما علا — للعرب صوت صفته انغاما

الى ان يقول :

يا باذل العزمات ترفع ها هنا — ركنا وترفع من هناك ركاما
لا بدع ان ضاقت بشاولك زمرة — نفست عليك البأس والاقداما
رفعت عليك عقيدة مزعومة — قد غلفت بشباكها الاوهاما

وفي قصيدة « اعراس بغداد » التي انشدت في مهرجان الشعر المنعقد ببغداد ١٩٦٥ يقول :

حي هلا يا شعراء العرب في — موئل المجد وبغداد الوفاء
قد حنى النخل لكم هاماته — معربا للصيد عن صدق الثناء
للعلبين لها اعراسها — كرما يجلو سجايا الكرماء
طرب المجد بكم حتى اعتلى — صهوة الفخر وعرش الانتشاء

وفي « صحاب وذكريات » :

يا صحابي واين مني صحابي — ذكريات الصبا وعهد الشباب
يا صحابي وفي النوى يجمح الشوق — فان طال عاد خفق عذابي
كلما مر في خيالي منكم — صاحب هز خافقي في اصطخاب

وفيها يذكر جملة من اصدقائه : الدكتور عبد الرزاق محيي الدين والاساتذة شكيب الفضلي وعبد الرزاق الهلالي وعبد المحسن الدوري وخالد الشواف ويوسف رزوق ومدحة الجادر وناجي طالب وجمال الالوسي ورجب عبد المجيد .

و « في وداع الشعر » :

ماذا يريد الشعر اني — اقصيت قيثاري ودني
صارحت آمالي بما — لقيت على درب التجني
ورضيت ان يبدو لها — ما كان من خطل وغبن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

و « برق الشيب » :

اقول لبرق الشيب ويحك هل تدري ... بانك افزعت الاماني بالنذر
طرقت احلام الشباب كمهدها ... خواء الى الكاس الروية والزهر

في الديوان قصائد رقيقة تستهوي القارىء وتبعث فيه المتعة والمتابعة وهو من اصدارات وزارة الثقافة والاعلام في العراق سلسلة ديوان الشعر العربي الحديث ـ دار الرشيد للنشر وطبع على مطابع دار الحرية في بغداد ـ ١٩٨١ .

٣ ـ الفصول

شعر محيي الدين خريف ـ ١٠٠ صفحة ـ مطبعة الحرية بغداد ـ ١٩٨١

يتالف الديوان من تسعة وعشرين فصلا وكل فصل يتكون من قصيدة واحدة قد تتجاوز الصفحتين .. تتوزع الفصول على مائة ورقة.

في « فصل الاقحوان » يقول الشاعر :

اصبح الضوء والاقحوان صديقين
حين ارتوى الاقحوان من الضوء
والضوء من عبق الاقحوان
يرف الندى والدموع ندى
وينتظر الشوق بالباب
قل ساعة ساعتان
ليس يجديك ان تبسط الكف تطلب شيئا
من الحب مما يجود به الضوء والاقحوان
لانك قد جئت بعد فوات الاوان
وكل المياه مضت في مساريها

في مطلع كل شهر

اطلبوا

الاديب

من الباعة والمكتبات

والزمان تحول غير الزمان

الكتاب من اصدارات وزارة الثقافة والاعلام العراقية ـ سلسلة الشعر العربي الحديث ـ ١٩٨١ .

٤ ـ الصوت الخالد

شعر الميداني بن صالح ـ ١٦٤ صفحة ـ مطبعة الحرية بغداد ـ ١٩٨١

يقول محمد مواعده في مقدمة الديوان : « ان الشعر عند صاحب هذه المجموعة من المختارات هو موقف ، وهو صرخة مستمرة وعنيفة ضد الظلم بكل الوانه واشكاله واساليبه ، وهو بذلك ليس ترفا فكريا ولا نشاطا ادبيا خاصا بالنخبة وانما هو شعبي المنطلق والمصير ».

في الديوان خمس عشرة قصيدة تتوزع على مائة واربع وستين صفحة .

من قصيدة « صيحة شهيد » :

مزقني واخوتي الرصاص والنبالم ..
وشتت عشيرتي المظالم
فشعبي المسالم
يمطره اللصوص ، والشذاذ
قنابل مسمومة الدخان والرذاذ
تجتاحه ، تحرقه ، تعصره دما
لتروي الظما ...

الديوان من اصدارات وزارة الثقافة والاعلام في الجمهورية العراقية سلسلة الشعر العربي الحديث ـ ١٩٨١ .

٥ ـ نخلة القلب

شعر علي الشرقاوي ـ ١٧١ صفحة ـ مطبعة الحرية بغداد ـ ١٩٨١

يتالف الديوان من ثلاث وثلاثين قصيدة موزعة على مائة واحدى وسبعين صفحة .

يقول الشاعر في قصيدة بعنوان « رسائل » :

اكتبي
فرسائلك عندليب صغير
يثرد في صبح قلبي
والسطور ندى ابجدي
يبرعم
بالكلمات القصيرة دربي
اكتبي همزة
فهي الان مشتاقة شفتي
ودمي الطفل هذا المحاصر بالجند
يشتاق
لحظة لعب .

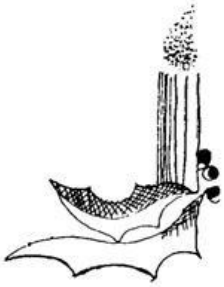
الديوان من اصدارات وزارة الثقافة والاعلام العراقية ـ سلسلة الشعر العربي الحديث ـ ١٩٨١ .

العراق ـ الكوت — كاظم محمد حسين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ظهر حديثاً



● جبران في اثار الدارسين ـ جمع واعداد يوسف عبد الاحد ـ صمم الغلاف سمير الكرار ـ ٢٠٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق ـ مطبعة الكاتب العربي بدمشق .

● التلاعب بالعواطف ـ اقاصيص شعبية ـ تاليف عبد الرحمن النابلسي ـ الرسوم للفنانة ابتسام شيباني ـ ١٢٠ صفحة ـ منشورات دار اليقظة العربية بدمشق ـ مطبعة الكاتب العربي بدمشق .

● وللهم هوامش الضيا ـ مجموعة قصص ـ تاليف نور الدين محمد سعيد ـ تقديم مدني صالح ـ مصمم الغلاف عاصم عبد الامير ـ ١٢٢ صفحة ـ دار الرشيد للنشر ـ وزارة الثقافة والاعلام العراقية ـ بغداد ـ لم يذكر اسم المطبعة .

● ترنيمة للحرب والبراءة ـ شعر ـ مؤمنة العوف ـ سلافة العامري ـ ١٨٠ صفحة ـ لم يذكر اسم المطبعة ـ صدر في بيروت .

● محاضرات الندوة الاعلامية المشتركة ـ ٣ نيسان ١٩٨٠ ـ ٨٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مجمع اللغة العربية الاردني ـ طبع في عمان ـ الاردن .

● جسد يحتفن الحب ويبتعد ـ مجموعة قصص ـ تاليف ضياء قصيجي ـ الغلاف للفنان فاتح المدرس ـ ١٢٨ صفحة ـ نشر بالتعاون مع اتحاد الكتاب العرب بدمشق ـ مطبعة الكاتب العربي بدمشق .

● مماكتي ليست من هذا العالم ـ شعر ـ اديب صعب ـ تصميم واخراج عجاج العراوي ـ ١٤٠ صفحة ـ منشورات دار النهار ـ بيروت ـ لم يذكر اسم المطبعة .

● حنا جاسر : شاعر الثورة الفلسطينية في المهاجر الاميركية ـ نفحات من شعره ـ اختارها وقدم لها نعمان حرب ـ ٢١٤ صفحة ـ مطبعة سورية في دمشق .

● قمم الحب ـ شعر ـ خالد مصباح مظلوم ـ ١٤٢ صفحة ـ حجم كبير ـ صدر عن جدة بالسعودية ـ لم يذكر اسم المطبعة .

● رجال من فلسطين ـ تاليف عجاج نويهض ـ تقديم شفيق الحوت ـ ٤٠٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات فلسطين المحتلة ـ مطابع الكرمل الحديثة ـ بيروت .

● كتاب سير الائمة واخبارهم ـ تاليف ابي زكريا يحيى ابي بكر ـ تحقيق وتعليق اسماعيل العربي ـ ٢١٨ صفحة ـ حجم كبير ـ اصدارات المكتبة الوطنية الجزائرية ـ سلسلة النصوص والدراسات التاريخية(٣) ـ مطابع زبانا في الجزائر العاصمة .

● الدراسات العربية والاسلامية في اوربا ـ تاليف الدكتور ميشال جحا ـ ٣٠٦ صفحات ـ حجم كبير ـ معهد الانماء العربي بيروت ـ الهيئة القومية للبحث العلمي في طرابلس ـ الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية .

● العودة الى المحارة ـ شعر ـ جليلة رضا ـ ١٢٢ صفحة ـ منشورات مكتبة مصر بالقاهرة ـ دار مصر للطباعة بالقاهرة .

● مصطلحات زراعية ـ بمشاركة الخبراء الزراعيين : الدكتور عبد اللطيف عربيات واسامة السائح وجواد النجاري ـ اشرف على تحقيق الطباعة جواد النجاري ـ ٨٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مجمع اللغة العربية الاردني ـ مطبعة التوفيق في عمان بالاردن .

● بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد تاليف ابي زكريا يحيى ابن خلدون ـ الجزء الاول ـ تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور عبد الحميد حاجيات استاذ التاريخ بجامعة الجزائر ـ ٣٢٤ صفحة ـ حجم كبير ـ اصدار المكتبة الوطنية ـ سلسلة النصوص والدراسات التاريخية ـ المكتبة الوطنية بالجزائر ـ لم يذكر اسم المطبعة .

● عبد الله قبرصي يتذكر ـ الجزء الاول ـ تاسيس الحزب القومي الاجتماعي وبدايات نضاله ـ تقديم انعام رعد ـ ٣٤٠ صفحة ـ حجم كبير ـ مؤسسة فكر للابحاث والنشر في بيروت ـ لم يذكر اسم المطبعة .

● منهج البحوث العلمية للطلاب الجامعيين ـ طبعة ثالثة ـ نسخة منقحة ومزيدة ـ تاليف الدكتورة ثريا عبد الفتاح ملحس ـ ٢٣٤ صفحة ـ منشورات دار الكتاب اللبناني في بيروت .

● من قصص الاطفال ـ للكاتب الدانمركي هانس كريستيان اندرسن ـ ترجمة الدكتور عيسى الناعوري ـ ٩٢ صفحة ـ منشورات وزارة الثقافة والشباب الاردنية ـ عمان ـ مطابع المؤسسة الصحفية الاردنية

● ضوء من الوراء يشوه وجهك ـ شعر ـ جاك الاسود ـ ٩٤ صفحة ـ دار الباحث للطباعة والنشر في بيروت .

● الزيات والرسالة ـ تاليف الدكتور محمد سيد محمد ـ دراسات في الصحافة الادبية رقم ١ ـ الغلاف من تصميم عصمت البلك ـ ٢٣٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع في الرياض ـ لم يذكر اسم المطبعة .

● الاعمش الظريف : اخباره ونوادره ـ تاليف الدكتور احمد محمد الضبيب استاذ بكلية الاداب جامعة الرياض ـ الغلاف من تصميم محسن منصور ـ ١٢٨ صفحة ـ المكتبة الصغيرة رقم ٣٥ ـ منشورات دار الرفاعي بالرياض ـ مطابع الروضة في جدة بالسعودية .

● الامير الشاعر تميم بن المعز ـ تاليف محمد عبد الغني حسن ـ مصمم الغلاف عصام طنطاوي ـ ٢٠٠ صفحة ـ المكتبة الصغيرة رقم ٣٦ ـ منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع في الرياض ـ مطابع الروضة في جدة بالسعودية .

● الوراقة والوراقون في التاريخ الاسلامي ـ تاليف لطف الله قاري ـ مصمم الغلاف عصام طنطاوي ـ ٧٨ صفحة ـ المكتبة الصغيرة رقم ٣٧ ـ منشورات دار الرفاعي بالرياض ـ مطابع الروضة في جدة بالسعودية .

● بوح القوافي ـ شعر ـ نصر علي سعيد ـ تقديم انور الجندي ـ ٥٦ صفحة ـ مطبعة النوري بدمشق .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com